

أصريح

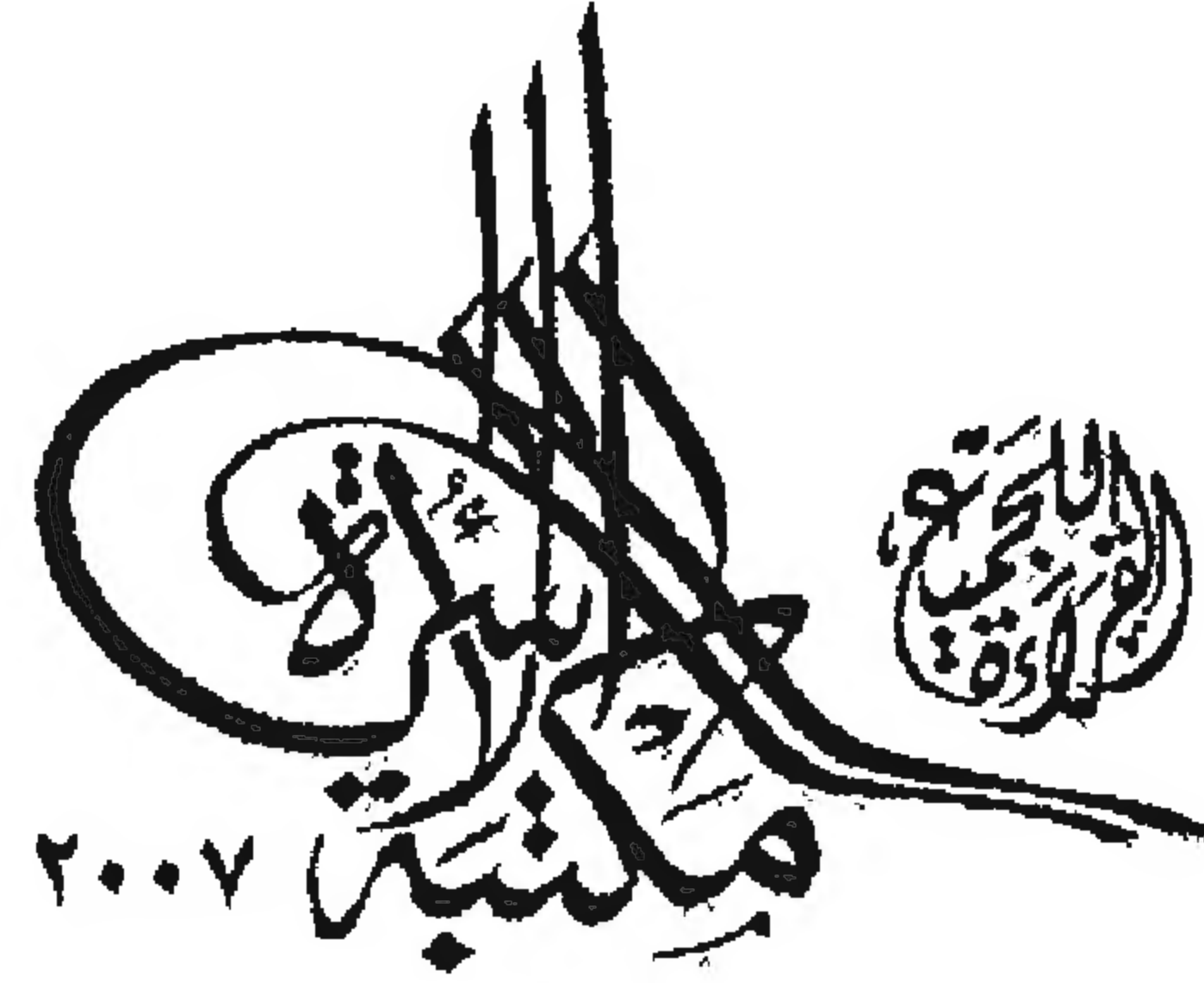
رواية

فرانز كافكا

ترجمة

الدسوقي فهمي





برعاية السيدة
سوزانا مبارك

الجهات المشاركة
جمعية الرعاية المتكاملة المركية
وزارة الثقافة
وزارة الإعلام
وزارة التربية والتعليم
وزارة التمية المحلية
وزارة الشباب

التنفيذ
الهيئة المصرية العامة للكتاب

المشرف العام
د. ناصر الأنصارى

تصميم الغلاف
د. مدحت متولى

الإشراف الطباعى
محمود عبد المجيد

الإشراف الفنى

على أبو الخير
ماجدة عبد العليم
صبرى عبد الواحد

لوحة للفنان: ثروت البحر

كإضافة جديدة لمكتبة الأسرة قدمنا على غلاف كل كتاب لوحة تشكيلية لفنان مصرى معاصر من مختلف المدارس والأجيال وهذه اللوحات لا تعبر بالضرورة عن موضوع الكتاب. وتتقدم مكتبة الأسرة بالشكر لقطاع الفنون التشكيلية بوزارة الثقافة ومتحف الفن المصرى الحديث على هذا التعاون.

كافكا ، فرانز .

أمريكا/ فرانز كافكا: ترجمة: الدسوقي فهمى،
- القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ٢٠٠٧.

٢٧٤ ص ؛ ٢٠ سم. (روايات الهلال).

تدمك ٩ - ٩٥٢ - ٤١٩ - ٩٧٧.

١- القصص الإنجليزية.

أ - فهمى، الدسوقي (مترجم).

ب - العنوان . ج - السلسلة.

رقم الإيداع بدار الكتب ٢٠٠٣٦ / ٢٠٠٧

I.S.B.N 977- 419-952-9

ديوى ٨٢٣

توطئة

تعتبر القراءة منذ فجر التاريخ أول وأهم أدوات المعرفة، وعنصرًا لا غنى عنه من عناصر بناء الحضارة، فمنذ نقش حكيم مصرى قديم وصية لابنه على ورق البردى: «يا بنى ضع قلبك وراء كتبك، واحببها كما تحب أمك. فليس هناك شئ تعلو منزلته على الكتب»، ومنذ أطلق د. طه حسين مقولته: «إن القراءة حق لكل إنسان، بل واجب محتوم على كل إنسان يريد أن يحيا حياة صالحة» ومنذ كتب العقاد جملته الأسرة: «إنما أهوى القراءة؛ لأن عندي حياة واحدة فى هذه الدنيا، وحياة واحدة لا تكفينى»، ومنذ قررت السيدة الفاضلة سوزان مبارك تحويل الحلم إلى واقع مؤكد منذ ستة عشر عاماً: «إن الحق فى المعرفة يتصدر أولويات العمل، ولا يقل عن الحقوق الصحية والاجتماعية»، ومسيرة القراءة للجميع تمضى بخطوات ثابتة وواسعة لتحقيق أهدافها فيلتف القراء حول أضخم مشروع نشر فى الوطن العربى، ويطالبون خلال السنوات السابقة باستمراره طوال العام، وها هو المشروع يقرر الاستمرار طوال العام بعد انتهاء فترة العطلة الصيفية ليتحقق شعاره بالفعل.. القراءة للحياة.

لقد استطاعت مكتبة الأسرة خلال مسيرتها تمكين الشباب والمواطن من الاطلاع على الأعمال الأدبية والإبداعية والدينية والفكرية، التى شكلت وجدانه وحضارته، وعملت على إشاعة الأفكار

التتويرية الحقيقية، التى عكست جهود التتوير للشعب المصرى فى العصر الحديث، وحرصت على تقديم أحدث الإنجازات العلمية بنشر أحدث مؤلفات العلماء التى تواكب التطور العلمى والتكنولوجى فى العالم، وأقامت جسراً مع الحضارات الأخرى من خلال إعادة طبع كلاسيكيات ودرر العالم المترجمة، التى تعرض إنجازات الشعوب الأخرى فى المجالات الأدبية والفكرية والعلمية، وعملت على تأكيد الهوية القومية من خلال نشر التراث المستير العربى والإسلامى، الذى مثل نقطة انطلاق مضيئة فى مسيرة الإنسانية.

لقد أعادت مكتبة الأسرة للكتاب أهميته ومكانته كمصدر مهم وخالد من مصادر المعرفة، وأحدثت عبر عطائها المتميز وبنائها الدعوب الحقيقى صحة ثقافية بالمجتمع المصرى تؤكد لها المؤشرات العامة والأرقام، التى يتم رصدھا وتحليلها منذ بداية المشروع، فالأرقام تسجل ارتفاعاً ملحوظاً فى نصيب المواطن المصرى من القراءة، وإصدار ملايين النسخ من الكتب ونفادها الفورى من الأسواق، وازدياد عناوين المطروحة عاماً بعد عام.

لقد بلغت عناوين مكتبة الأسرة أكثر من ثلاثة آلاف وخمسمائة عنوان فيما يربو عن واحد وأربعين مليون نسخة، كنتاج فكرى وإبداعى لعدد من الكتاب والمترجمين والرسامين يزيد عن ألفى مبدع ومفكر.

وما زالت مكتبة الأسرة التى أصبح لها فى كل بيت ركن مميز تواصل تقديم إصداراتها للعام الرابع عشر على التوالى، كرافد رئيسى من روافد القراءة للجميع، وصرح شامخ فى المكتبة العربية، يفتح نوافذ جديدة كل يوم على آفاق تنشر الخير والمعرفة والجمال والحق والسلام.

مكتبة الأسرة

تقديم

«أمريكا» هي الرواية الأخيرة لفرانز كافكا، وهي الرواية المنقوصة، التي لم تكتمل، حيث انقطع كافكا عن كتابتها فظلت ناقصة، ونشرت بعد رحيله.

والرواية لم تكن تحمل عنواناً، وإن كان كافكا يشير إليها دائماً بأنها «الرواية الأمريكية» وتعد من أكثر إبداعاته تفاعلاً، كما تمتاز ببساطة اللغة، وسهولة التركيبات، ووضوح الرؤية.

وقد استفاد كافكا في روايته «أمريكا» من عشقه الخاص لكتب الرحلات والسير الذاتية والمذكرات الشخصية، هذا بالإضافة إلى رحلاته هو شخصياً لكثير من بقاع فرنسا وإيطاليا.

ولد فرانز كافكا في براغ بالنمسا عام ١٨٨٣ وقد كان يعاني من صرامة والده في طفولته بالإضافة إلى هزال واضح في بدنه. حصل على درجة الدكتوراه في القانون، والتحق بالعمل في مؤسسة للتأمينات العمالية، وأصيب بالسل، لكنه كان يكتب باستشراف للمستقبل، حيث تنبأ بمجىء الدكتاتورية، التي سحقت «الفرد»، ودمرت آدميته.

وقد عاش عمره القصير « ٤١ عاماً » كاتباً مغموراً، غير معروف إلا لعدد قليل من أصدقائه، وكان محبباً لدرجة أنه أوصى أقرب أصدقائه بإعدام آثاره كلها، ولكنه نشرها بعد وفاته عام ١٩٢٤، فشكّلت هذه الآثار.. «المحاكمة»، «القضية»، «القصر»، «المسخ»، «أمريكا»، وعدد من القصص القصيرة، والرسائل واليوميات. ثورة في السرد العالمى وكانت بمثابة مدرسة لعدد كبير من الروائيين.

ترجم هذه الرواية إلى العربية، المترجم والأديب والفنان التشكيلى الدسوقي فهمى، الذى اهتم اهتماماً خاصاً بفرانز كافكا، حيث عكف على ترجمة آثاره الإبداعية كلها، ورسائله ويومياته.

ومكتبة الأسرة تحرص على تقديم روايته «أمريكا» ضمن إصداراتها هذا العام عن طبعتها الأولى الصادرة عام ١٩٧٠.

**** معرفتي ****

me3refaty.blogspot.com

المطشحي

عندما توقف كارل روسمان - وهو صبي بائس في السادسة عشرة - حمله أبواه على الرحيل الى أمريكا ، لأنه استجاب لاغراء خادمة ، فأنجبت منه طفلا - على ظهر الباخرة التي كانت تدخل ببطء ميناء نيويورك ، بدا له كما لو كانت أشعة الشمس قد أضاءت فجأة تمثال الحرية ، وعلى هذا فقد رآه في ضوء جديد ، مع أنه كان قد تطلع اليه قبل وقت طويل . كانت الذراع القابضة على السيف ، قد ارتفعت وكأنها قد انفردت لتوها مرفوعة الى أعلى ، وكانت رياح الاعالي المنطلقة تهب حول التمثال .

قال في نفسه : ما اشد ارتفاعه !

- بينما كان يقترب تدريجيا من الرصيف ، يدفعه حشد الحمالين المتدافعين المتزايد ، لأن فكرة مغادرة الباخرة لم تكن بعد قد طرأت على باله .

وصاح به شاب كان قد تعرف عليه خلال الرحلة وهو يمر به . « لا يبدو عليك الاهتمام كثيرا بأمر الهبوط الى الشاطئ ، اليس كذلك ؟ » فأجابه كارل ضاحكا : « أوه ، اننى على أتم الاستعداد لذلك ، ولما كان نشيطا ، ومنشراحا ، فقد رفع صندوقه الى كتفه ، لكن ، بينما كانت عيناه تتعقبان ذلك الشخص ، وهو يتدافع ليشق لنفسه طريقا الى الامام وسط الآخرين ويطوح في خفة بعكاز في يده ، تذكر في فزع انه كان قد نسي مظلته أسفل ، في قاع الباخرة ، فأسرع يرجو ذلك الشخص الذى يعرفه ، والذى لم يبد ارتياحا في الحقيقة لتلبية رجائه بأن يسدى اليه جميلا بالانتظار دقيقة الى جوار الصندوق ، ثم ألقى نظرة أخرى على الزحام لكى يحسب حساب العودة ، وأسرع بالذهاب . . وأسفل سطح الباخرة ، وجد أسفا ، ان ثمة سقالة ، كانت قد مهدت على عجل ، للمرة الاولى طبقا لمعلوماته ، ربما للاسهام فى هبوط ذلك الحشد الهائل من المسافرين الى الشاطئ ، وكان عليه أن يشق طريقه فى جهد هابطا الدرجات الحلزونية التى لا نهاية لها ، وعبر ممرات لاحصر لمنعطفاتها ، وعبر حجرة خالية بها مائدة كتابة عارية ، ولما كان قد مر بهذا الطريق مرة فقط أو مرتين وسط حشود

الآخرين فى كلا المرتين ، شعر بضياعه تماما ، وبالحيرة تستولى عليه ، حينما لم يسعه التعرف على أحد ، ولم يعد يسمع سوى وقع الاقدام المتتابعة التى لا تهدأ ، وقع آلاف الاقدام فوقه ، وآلاف الاقدام بأثمه وقعها من بعد ، ويصله كأنه الانفاس الواهنة ، ثم الحفقات الاخسيرة للالات التى كانت قد توقفت فى النهاية ، فراح بلا وعى يدق على باب صغير كان قد تصادف وقوفه أمامه فى أثناء تجوله الذى طال فى قاع الباخرة وأجابه صوت من الداخل قائلا : « انه ليس مغلقا ! » ، ففتح كارل الباب فى ارتياح . ووجه اليه الرجل الضخم الجثة ، السؤال دون ان يكلف نفسه عناء النظر اليه : « لماذا كنت تطرق الباب كالمجنون ؟ » وخلال فتحة ما كان يتسرب ضوء النهار فى خفوت ، وكل ما كان قد تبقى بعد حاجة الادوار العليا ، كان غارقا فى ظلام تلك القمرة المتواضعة حيث كان ثمة سرير سفرى وخزانة ومقعد ، والرجل ، كانوا جميعا قد تكوموا معا ، وكانهم قد اختزنوا فى هذا المكان . قال كارل : « لقد ضللت طريقى ! » لم لاحظ في أثناء الرحلة ، ثم ان هذه الباخرة ضخمة الى حد مخيف ! فأجابه الرجل قائلا فى شيء من المفخر .

— « نعم ، انك محق فى هذا القول » ، بينما كان يعبث طوال الوقت بقفل صندوق سفرى صغير ، راح يضغط عليه بكلتا راحتيه على أمل ان يسمع صوت انفتاح القفل ، ثم استأنف حديثه قائلا : « لمساذا لاتدخل ؟ » انك لاترغب فى الوقوف مكانك هكذا خارج الحجرة ! » فقال كارل . « الا يزعجك وجودى ؟ »

— لماذا ، كيف يمكنك ان تزعجنى ؟

فسأله كارل رغبة فى المزيد من الاطمئنان : — هل أنت المانى ؟ ذلك انه كان قد سمع عن الكثير من المخاطر التى يتعرض لها الوافدون الجدد الى أمريكا ، وخاصة تلك المتاعب التى يسببها الايرلنديون . . . وأجابه الرجل قائلا : « نعم ، اننى كذلك ! » وظل كارل واقفا فى تردد ، ثم أمسك الرجل فجأة مقبض الباب ، ودفعه فانغلق فى حركة خاطفة ، دافعا كارل الى داخل القمرة .

قال : « اننى لا احتمل النظرات التى يوجهها الى الآخرون من المرء » . . ثم عاد الى مواصلة محاولاته لفتح الصندوق . « ان الناس لا يتوقفون عن المرور ، والتحديث فى داخل القمرة ، وهذا أكثر مما فى مقدور المرء أن يحتمله ! » فأجابه كارل قائلا « ولكن المرء قد خلا تماما » . . كان يقف محصورا بطريقة مرهقة خلف حافة الفراش ، وقال الرجل « نعم . . خلا الان منهم ! » . . قال كارل فى نفسه :

« لكن « الان » هو ما تحدث عنه ! ، من الصعب الحديث مع هذا الرجل ! »

قال له الرجل : « استلق فوق الفراش ، ففيه متسع لك ، بدلا من المكان الضيق الذي تقف فيه ! زحف كارل الى الفراش في جهد ، وضحك في صوت مرتفع بعد محاولة القفز الاولى الفاشلة التي قام بها للاستقرار فوق الفراش ، ولكنه ما كاد يصبح فوقه حتى صاح .
« يا الهى .. لقد نسيت الصندوق تماما ! »

— لماذا .. اين هو ؟

— فوق .. على سطح الباخرة ، يحرسه شخص كنت قد تعرفت به ، ماهو اسمه ياترى مرة اخرى ؟ .. وأخرج بطاقة من بطاقات الزيارة من داخل جيب كانت امه قد خاطته له في بطاقة معطفه لينتفع به في رحلته . « باتربوم ، فرانز باتربوم ! »

— الا يمكنك ان تستغنى عن ذلك الصندوق ؟

— لا .. بالطبع !

— حسنا ، فلماذا اذن تركته في يدى غريب ؟

— كنت قد نسيت مظلتي في اسفل الباخرة ، فاندفعت مسرعا لاحتضارها ولم ارغب في سحب الصندوق معي .. و .. لقد ضللت طريقى فوق هذا كله !

— هل انت وحيد ، بلا اى شخص ليرعى شئونك ؟

— نعم وحيد تماما ! و .. لعلى انضم الى هذا الرجل ، طرات الفكرة فجأة على راس كارل .

« اين عسانى ان اعثر على صديق طيب ؟ »

— و .. الان فقد فقدت الصندوق ايضا ، ولا مجال للذكر المظلة !
جلس الرجل اخيرا فوق المقعد ، وكانت مشكلة كارل قد جسيبت اهتمامه في نهاية الامر

— ولكنى اعتقد ان صندوقى لا يمكن ان يكون قد فقد !

فاجابه الرجل قائلا : « في امكانك ان تعتقد ماشئت ! وراح يحك في عنقه ، شعره القصير ، الكثيف . الداكن .. على ان الاخلاق تختلف باختلاف كل ميناء جديد تدخله ، ففي هامبورج قد يقوم باتربوم الذى ذكرته بحراسة صندوقك ، بينما يبدو أنه هنا قد اختفى على الاغلب باختفاء الصندوق !

ورد كارل قائلا : يجب على اذن أن أعود الى سطح الباخرة فسورا لاتحقق من الامر ! ونهض ، وهو يتطلع حوله لبحث عن طريقه الى

خارج القمرّة . وأجابه الرجل قائلا وهو يدفعه بيده ، بينما كانت يده الأخرى على صندوقه ، دفعة عنيفة ، سقط بسببها كارل مستلقيا مرة أخرى على الفراش : يجب أن تبقى حيث أنت : تساءل كارل في حنق قائلا : ولماذا أبقى ؟

وأجابه الرجل قائلا : لانه لا حاجة بك الى الذهاب ، كما أنني سأصرف أيضا ، ويمكننا أن نمضي معا ، ان الصندوق قد مرق ، وعلى هذا فلا حيلة لك الآن في استرداده ، وربما يكون الرجل قد تركه حيث هو ، وفي هذه الحالة ، سنجدّه في مكانه بسهولة ، عندما تفرغ الباخرة من المسافرين ، وينطبق الأمر نفسه على مظلتك . فسأله كارل في شك . وهل تعرف طريقك بسهولة في ممرات الباخرة؟ وبدأت له فكرة احتمال العثور على حاجياته بسهولة في حالة فراغ الباخرة من ركابها ، فكرة مقنعة ، وأن يكن ثمة خداع لعله ان يكون خلف هذه الفكرة على نحو ما .

قال الرجل : وكيف لا اعرفه ، اننى عطشجى !

فصاح كارل في اغتباط .

— انت عطشجى ، كما لو كان ذلك الأمر قد فاق كل تصوراته ، فنهض معتمدا على كوفه حتى يتمكن من تفحص الرجل أكثر عن قرب — كانت توجد ثمة نافذة صغيرة في مواجهة الحجرة التى كنت أنام فيها مع السلوفاك مباشرة ، وكان فى امكاننا أن ننظر من خلالها الى غرفة الآلات !

فأجابه العطشجى قائلا : نعم . . ذلك هو المكان الذى كنت أعمل فيه! وقال كارل متعقبا تسلسل أفكاره . كان لدى دائما اهتمام بالآلات ، وكان فى مقدورى أن اصير مهندسا ميكانيكيا فى وقت من الأوقات ، هذا امر مؤكد . . فقط لو لم يكن على أن أرحل الى أمريكا !

— ولماذا كان يتحتم عليك أن ترحل الى أمريكا .

قال كارل : آه . . هذه الحكاية ! . . متخلصا من المسألة كلها بطردها بيده . .

تطلع الى العطشجى بابتسامة ، كما لو كان يرجوه التجاوز من امتناعه عن البوح !

قال العطشجى : لابد من سبب لذلك فيما اعتقد ؟

لم يكن من السهل الفصل فيما اذا كان العطشجى يشجع كارل بهذا القول على البوح ، او لا يشجعه .

قال كارل : يمكننى أن اصبح وقادا الآن أنا أيضا ، فيستوى عند

والدى ووالدتى الحال الذى يؤول اليه امرى !
قال العطشجى . ان وظيفتى سوف تخلو !.. ولكى يؤكد ادراكه
لهذه الحقيقة ، دس يديه فى جيبى سرواله وطوح ساقيه فى داخل
سرواله الذى يكاد يشبه الجلد ، ومددهما فوق الفراش ، وكان على
كارل ان يتزحزح أكثر ناحية الحائط .

— هل ستفادر الباخرة ؟

— نعم .. لقد حصلنا اليوم على اجورنا !

— ولماذا تفادرها ، الا تحب هذا العمل ؟

— اوه .. ان الامور تجرى على هواها ، ولا يتوقف الامر على حب
المرء لعمله ، او عدم حبه له ، الا انك محق تماما ، فلست احب هذا
العمل ، ولا اعتقد انك تفكر جديا فى العمل كوقاد ، الا انها الان الفرصة
المناسبة لك ، لو راق لك بالفعل ان تصبح وقادا ، ولهذا فانى انصحك
الا تفعل ، فلو كنت ترغب فى دراسة الميكانيكا فى أوروبا ، فلمساذا
لا تدرسها هنا ؟ ان الجامعات الامريكية افضل كثيرا من جامعات أوروبا!
قال كارل : « يمكننى ان افعل ، لكننى لا اكاد املك شيئا من المال ،
لكى افكر فى الدراسة ، ولقد قرأت عن شخص ما كان يعمل طوال
النهار فى باخرة ، وكان يدرس فى اثناء الليل ، حتى صار طبيبا ، ثم
محافظة على ما اظن ، الا أن ذلك يحتاج الى كثير من المثابرة ، ألا يحتاج
الى المثابرة ؟ واخشى ألا يكون لدى الاستعداد لتلك المثابرة خاصة اننى
لم اكن تلميذا مجدا ، ولم اجد عناء شديدا فى نفسى لانصرافى عن
الدراسة وربما كانت الدراسة هنا أكثر صعوبة .. فانا لا يمكننى أن
أتحدث الانجليزية مطلقا ، ومهما كان الامر ، فالتاس هنا متمصبون
ضد الاجانب على ما اعتقد !

— « وعلى هذا فأنت قد جئت أيضا على الرغم من هذا كله ، هل
الامر كذلك ؟ حسنا اذن ، اعتقد ان الامر كذلك تماما ، واعتقد انك
الشخص الذى ابحت عنه ، فانظر ، ان هذه الباخرة التى نحن عليها
الآن باخرة المانية ، وهى تابعة لخط « هامبورج — امريكا » الملاحى ،
فلماذا لا يكون طاقم البحارة جميعا من الالمان ، اننى اتوجه اليك بهذا
السؤال ؟ ولماذا كان كبير المهندسين شخصا من رومانيا ، وهو رجل
يدعى شوبال ، من الصعب تصديق ذلك ، كلب مصاب بالحصبة مثله
يقودنا كالعبيد نحن الالمان الذين نعمل على باخرة المانية ، لا ينبغي لك
أن تظن — وهنا خانه صوته ، فأشار بيديه — اننى اشكو لمجرد الرغبة
فى الشكوى ، اننى اعلم تماما ان لانفوذ لك ، وانك لست سوى فتى

بائسا أنت نفسك ، الا أن هذا الامر اكثر مما يمكن احتماله ! وهوى بقبضته عدة مرات على المائدة ، وعيناه لارتفعان عنها ، بينما كان يمضي في حديثه قائلًا . « لقد عملت فوق العديد من هذه البواخر ، وذكر في الحال عشرين اسما ، الواحد منها بعد الآخر كما لو كانت جميعا اسما واحدا ، وقد اثار هذا ضيق كارل به للغاية . . . » و . . . لقد قمت بعمل على على خير مايرام ، عليها جميعا ، وكنت ألقى المديح ، واحظى بتقدير كل قبطان عملت تحت رئاسته ، ولقد كنت اقضى بالفعل فوق أى باخرة شحن من تلك البواخر عددا من السنوات ملتصقا بالباخرة كأننى جزء منها ، هذا ما فعلته ! » ثم نهض واقفا على قدميه ، كما لو كان قد فرغ من انجاز أهم عمل في حياته - وهنا فوق هذه « القصعة » حيث تجرى جميع الاعمال طبقا لقاعدة ثابتة ، ولا يضطرك الامر مطلقا الى استخدام ذكائك ، هنا لا يرضون عنى ، انا هنا شيء تحت اقدام شوبال ، وانا هنا متراخ يجب أن يلقي به خارجا ، ولا يحق له أن يتقاضى أجره ، هل يمكنك أن تفهم ذلك ؟ . . . اننى لا افهمه ؟

قال كارل في تأثر : « الا يمكنك أن تتحمل ذلك ؟ » . . . كان قد فقد تقريبا كل احساس بأنه مستقل في اعماق باخرة ما ، ترسو الى شاطئ قارة مجهولة ، وكان يقلب عليه الشعور بأنه في منزله هنا ، على فراش العطشجى ، « ألم تتح لك فرصة الالتقاء بالقبطان في مكان مامن هذه الباخرة ؟ ألم تطلب منه ان يتيح لك الحصول على حقلك ؟

- « . . . اوه . . . اخرج من هنا ، هيا ، انصرف الى الخارج ، لا اريد ان اراك هنا ، انك لاتحسن الاستماع الى ما أقوله ، ثم . . . توجه الى النصيحة ، كيف يمكننى الذهاب الى القبطان ؟ »

وجلس العطشجى ثانية فى تشاقل ، وأخفى وجهه بين راحتيه .

قال كارل لنفسه . « أليس فى امكانى ان أقدم اليه بنصيحة افضل من تلك ! »

ثم دار فى رأسه أن أفضل مايمكنه ان يفعل هو الذهاب للبحث عن صندوقه ، بدلا من تقديم النصيحة التى لا تقابل الا على أنها غباء ، قال له والده عندما أعطاه الصندوق ، مازحا : « كم من الوقت يمكنك أن تظل محتفظا فيه بهذا الصندوق ؟ » . . . والان ربما كان ذلك الصندوق العزيز قد فقد بالفعل ، كان عزاءه الوحيد الذى تبقى له هو أن أباه لم يكن يسهه أن يعلم بسهولة شيئا عن حالته الراهنة ، حتى لو حاول أن يتحرى عن ذلك . كل ما كان يمكن للبحارة أن يقولوه ، لا شيء سوى أنه قد وصل بسلام الى نيويورك ، الا أن كارل

قد شعر بالأسف عندما فكر في أنه لم يكّد يستعمل بالمرّة ، جميع الأشياء التي كان الصندوق يحتويها ، فلقد كان عليه ، على سبيل المثال ، أن يغير القميص الذي يرتديه بقميص نظيف آخر منذ مدة طويلة ، ولكنه لم يفعل ، وهكذا ذهب كل تدبيره عبثا ، ولم يحدث ذلك سوى الآن ، في بداية عهد هذه الفربة ، حيث كان من الضروري أن يظهر في ملابس نظيفة ، كان مضطرا إلى مواجهة الناس بالقميص القذر الذي يرتديه ، إلا أن ضياع الصندوق لم يكن على هذه الدرجة من الخطورة ، ذلك أن البدلة التي كان يرتديها كانت بالفعل أفضل كثيرا من تلك التي كان الصندوق يحتويها ، تلك البدلة التي كانت في واقع الأمر شيئا ينفعه فقط في حالة الاضطرار ، كانت أمه قد أصلحتها على عجل قبل أن يرحل مباشرة ! ثم تذكر أن الصندوق كان يضم أيضا قطعة سالامى « لحم حمير » من فيرونيز ، كانت أمه قد زودته بها كأكلة شهية إضافية ، لم يكن قد أكل منها سوى قطعة ضئيلة ، لأنه كان قد فقد شهيته تماما طوال الرحلة ، وكان الحساء الذي كانوا يقدمونه في الباخرة لركاب الدفة ، يزيد عن حاجته ، لكنه كان يود الآن لو كان السالامى في متناول يده ، إذن لأمكنه أن يهديه للمطشجى . ذلك لأن أمثال هؤلاء الناس يبهجهم أن يهديهم الآخرون شيئا زهيدا ، كان كارل قد تعلم ذلك من والده الذي كان يدس السيجار في جيوب صفار الموظفين الرسميين الذين كان يتعامل معهم ، فكان يكسبهم بهذا تماما . كل ما كان كارل يملكه الآن ليهدى منه ، لم يكن سوى نقوده ، ولم يكن يرغب في أن يمسها في هذه الآونة بالذات ، وخاصة بعد أن فقد صندوقه . . ثم تحولت أفكاره ثانية إلى الصندوق . . ولم يسعه أن يفهم لماذا كان حريصا على مراقبته ، مراقبة شديدة إلى ذلك الحد طوال رحلته ، حتى إنه لم يكن يهنا بالنوم خوفا عليه ، كل هذا . . لكى يتركه يسرق منه في النهاية ، بمثل هذه السهولة ، وتذكر الليالى الخمس التي قضّاها مركزا عينيه المرتابتين على فتى سلوفاكى كان سريره يقع إلى اليسار ، بعد سريرين ، ذلك الفتى الذى كان يتحين الفرصة . . كان كارل واثقا من ذلك ، لكى يسطو على صندوقه ، كان ذلك الفتى السلوفاكى ينتظر فقط حتى يفلب النوم كارل ، فيستفرق فيه دقيقة واحدة ، وذلك لكى يتمكن من تدبير أمر السطو على الصندوق ، وإخفائه بعيدا ، بسحبه بعصا طويلة مديبة ، كان دائما يلعب بها ، أو يتمرن عليها طوال النهار ، كانت البراءة تبدو في أثناء النهار واضحة غاية الوضوح على وجه ذلك السلوفاكى ، ولكن

مايكاد الظلام يحل ، حتى يكثُر من النهوض فى فراشه ليلقى نظرات مخبولة على صندوق كارل . لقد رأى كارل نظراته تلك فى وضوح تام ، ويذكر انه بين الحين والآخر كان احدهم يشعل شمعة صغيرة ، مع ان ذلك كان ممنوعا حسب لائحة نظام الباخرة ، ومن ثم يحدق بقلق المهاجر فى احدى النشرات الفامضة الخاصة بواحدة من وكالات الهجرة ، فلو كانت احدى تلك الشموع مشتعلة بالقرب منه ، لتمكن لكارل ان يغفو للحظات ، لكن لو كانت تلك الشمعة المشتعلة بعيدة عنه ، او كان المكان مظلمًا تمامًا ، كان عليه ان يحتفظ بعينيه مفتوحتين على اتساعهما . لقد أنهكه الجهد الذى كبده اياه هذا العبء وربما كان ذلك كله قد ضاع الآن عبثًا ، آه لو أتيح له مرة أخرى ان يلتقى بباتربوم ذاك !

عندئذ ، ارتفعت ، على البعد ، فى الصمت المخيم على الباخرة ، اصوات طرقات قصيرة خافتة ، شبيهة بوقع اقدام الاطفال ، وكانت تقترب ويزداد وقعها ارتفاعًا ، حتى بدت اقرب ماتكون الى وقع اقدام الرجال فى اثناء سيرهم ، رجال فى طابور ، وهو ماكانت تفرضه طبيعة الممر الضيق . . . و . . . صوت اصطدام سواعد ، على ما يبدو ، كان من الممكن سماعه ايضا ، فنهض كارل الذى كان على وشك ان يسترخى تمهيدا للنوم متخلصا من كل همومه التى تتصل بالصناديق ، او السلوفاك ، ولكز العطشجى بكوعه لكى ينبهه ، ذلك ان مقدمة الطابور كانت تبدو على وشك الوصول الى باب القمرة : قال العطشجى . « هذا هو طاقم الباخرة : لقد كانوا يلعبون هناك ، اعلى الباخرة ، ثم عادوا للتمام . . . لقد خلت الباخرة الآن تماما ، ويمكننا ان نذهب نحن ايضا ! هيا بنا ! » واخذ كارل من يده وانتزع فى اللحظة الأخيرة صورة للعذراء موضوعة فى اطار ، من الحائط الذى يعلو الفراش ، ودسها فى جيب سترته ، وامسك صندوقه وغادر القمرة فى صحبة كارل .

« اننى فى طريقى الان للادارة ، لكى اوضح لهم رأى ، لقد ذهب كل الركاب ، ولا حاجة بى للتفكير فيما سوف افعله ، ظل العطشجى يردد هذا القول ، مضيفا اليه بعض التعديلات فى كل مرة ، وبينما كان يسير فى طريقه ركل أحد جوانب الممر بقدمه نحو فار كان قد اعترض طريقه ، لكنه لم يفلح الا فى أن يدفعه الى الاسراع بالاختباء فى داخل جحره ، الذى كان قد بلفه فى اللحظة المناسبة ، كان بطيئًا فى جميع

أعماله ، ومع ان ساقيه كانتا طويلتين ، الا انهما كانتا ممثلتين
ايضا للغاية .

واتخذتا طريقهما عبر جانب من المطبخ حيث كانت بعض الفتيات
اللاتى يرتدين مرايل بيضاء متسخة - كن قد الطبخنها عمدا - يفسلن
أطباقا فى أحواض هائلة ، ونادى العطشجى فتاة تدعى « لينسا »
وطوق خصرها بذراعه ، ولما قاومت أحضانه فى دلال ، جرها معه
جزءا من الطريق قائلا لها « انه يوم القبض ، ان تاتى ممي ؟ فاجابته
قائلة . ولماذا أكلف نفسى مشقة الذهاب معك ، يمكنك ان تحضر لى
النقود هنا ! وعلى حين كانت تتلوى تحت ضغط ذراعه ، ثم تنطلق
مبتعدة على عجل . صاحت خلفه قائلة : من اين التقطت هذا الصبي
الجميل ؟ لكنها لم تكن تنتظر منه جوابا ، وكان فى وسعهما سماع
ضحكات الفتيات الاخريات ، اللاتى كن قد توقفن جميعا عن العمل .
وواصلتا سيرهما حتى بلغا بابا فوقه كورنيش صغير ، يركز على
اعمدة رفيعة مذهبة ، منحوتة كلها على شكل جسم امرأة ، كانت
تبدو بمقارنتها الى باقى اجزاء الباخرة ، مفرطة فى الفخامة ، وأدرك
كارل انه لم يسبق له المرور بهذا الجزء من الباخرة ، الذى ربما كان
مخصصا فى أثناء الرحلة لركاب الدرجتين الاولى والثانية .. لكن
الابواب التى كانت تفصله عن بقية اجزاء الباخرة ، كانت مفتوحة
جميعا الان على مصاريعها ، تمهيدا لعمليات تنظيف الباخرة ، حقا ،
لقد التقيا فى طريقهما ببعض الرجال الذين يحملون المكانس فوق
اكتافهم ، وحيوا العطشجى ، وكان كارل مندهشا للحد الذى بلغه
نظام الباخرة ، ولم يكن قد لمح كراكب من ركاب المؤخرة سوى القليل
من مظاهر هذا النظام ، وكانت تمتد بطول الممرات اسلاك التركيبات
الكهربائية ، وكان ثمة جرس صغير يسمع رنينه من حين لآخر ..
قرع العطشجى الباب فى احترام ، وعندما صاح شخص ما قائلا
« ادخل » طلب فى وقاحة من كارل ان يدخل باشارة من يده ، فتقدم
كارل الى الداخل ، ولكنه ظل واقفا الى جوار الباب . وكان منظر
البحر يبدو من خلال النوافذ الثلاث التى كانت فى الفرفة . فدق قلبه
بصورة أسرع وهو يتطلع الى حركة الامواج المنعشة ، وكأنه لم يكن
يتطلع من قبل الى البحر بلا انقطاع على مدى أيام خمسة بطولها ،
كانت البواخر الهائلة تقطع خط سير بعضها البعض ، مستسلمة
لهجمات الامواج بالقدر الذى يسمح لها به ثقلها البالغ ، ولو ان المرء
ضيق حدقتى عينيه لبدت له هذه البواخر وكأنها تترنح تحت ثقل

وزنها . ومن صواريخها كانت تتطاير رايات مستطيلة ضيقة ، وكانت على الرغم من توترها بسبب سرعة طيرانها ، ترفرف أحيانا وربما كان من الممكن سماع أصوات المدافع التي تنطلق فجأة دفعة واحدة من بعض البوارج الحربية . . وكانت تطلق للتحية ، ومرت سفينة حربية من نوع ما ، على مسافة غير بعيدة ، وكانت فوهات مدافعها تتألق بتأثير انعكاسات ضوء الشمس التي تسقط فوق الصلب ، وتبدو وكأنها مسنودة الى الامام بحركتها المطمئنة ، المناسبة ، مع أنها لم تكن تتحرك فوق احد الصنادل ، وكان من الممكن فقط رؤية مشهد من بعد للبواخر الاصفر حجما ، وللقوارب ، من مكان المرء عند الباب على الاقل ، وهي تندفع هناك فى جماعات خلال المسافات التى تفصل بين البواخر الهائلة ، وخلفها جميعا كانت تقوم نيويورك ، وناطحات سحابها تحدى فى كارل بمئات الآلاف من عيونها ، نعم ، فى هذا المكان كان فى وسع المرء أن يدرك أين هو !

كان ثلاثة من السادة يجلسون حول مائدة مستديرة ، أحدهم كان ضابطا من ضباط الباخرة ، فى زى البحرية الأزرق اللون ، وكان الاخران اثنين من موظفى الميناء فى زى أمريكى اسود . . وكانت فوق المائدة اكوام من مختلف أنواع الاوراق ، انتهى الضابط أولا من فحصها ، وقلمه فى يده ، ملا بها حافظتى أوراقهما ، الا عندما كان الامر يلزمهم باتباع أسلوب أو آخر ، من أساليب الصرف الرسمى ، الذى كان يمليه أحدهما على زميله ، وهو يصدر أصواتا تشبه الفرقة بأسنانه ، طوال الوقت .

والى جوار النافذة الاولى كان يجلس شخص ضئيل الحجم الى منضدة ، وظهره للباب ، كان منشغلا بفحص بعض دفاتر الحسابات الضخمة التى كانت مصطفة فوق رف ضخى فى مستوى رأسه ، والى جواره كانت توجد خزانة حديدية مفتوحة ، كانت تبدو للوهلة الاولى على الاقل خاوية . وكانت النافذة الثانية خالية ، ويبدو من خلالها اكمل منظر للبحر ، لكن بالقرب من النافذة الثالثة كان يقف سيدان يتحدثان فى أصوات خافتة ، كان أحدهما مستندا الى النافذة ، وكان يرتدى زى الباخرة ، ويعبث بمقبض سيفه ، أما الرجل الذى كان الحديث موجهها اليه ، فكان يعطى وجهه للنافذة ، ومن حين لآخر كانت تصدر حركة عن صف الزخرفة المفتوح فوق صدر محدثه . كان يرتدى الملابس المدنية ، ويحمل عصا رفيعة من أعواد البامبو ، كانت

تستند مع كلتا يديه على خاصرته ، على الرغم من وقفته المفرودة ،
كانه السيف .

لم يكن امام كارل متسع من الوقت لتفحص هذا كله ، ذلك لان
احد المساعدين قد تقدم نحوهما في الحال ووجه السؤال للمطشجي ،
بنظرة بدت كما لو كانت تبين له ، انه ليس ثمة ما يبرر وجوده الآن
هنا ، فما الذي يريده ، واجاب المطشجي باقصى مايمكنه من الرقة
التي تفوق الرقة التي وجه اليه بها السؤال ، انه يريد مخاطبة امين
حسابات الباخرة ، فاشار المساعد بيده اشارة تفيد الرفض ، لكنه
مضى على اطراف اصابعه في الوقت نفسه ، نحو الرجل الجالس الى
دفاتر الحسابات متفاديا الاقتراب من المائدة المستديرة ، بدورة طويلة
حولها ، وتجمد امين الحسابات تماما - وقد بدا ذلك واضحا - عند
سماعه كلمات المساعد ، لكنه دار في النهاية متجها نحو الرجل الذي
يرغب في التحدث اليه ودفعه بعيدا في عنف ، واقصى هذه المساعدة
ايضا ، حتى يخلص نفسه تماما من الازعاج ، فتحرك المساعد حينئذ
بجانبه منسحبا متجها ثانية نحو المطشجي ، وقال في صوت لايفتقر
صاحبه الى نصيبه هو ايضا من الثقة بنفسه : - انصرف من هنا
فورا !

عند هذا الرد ، تحولت عينا المطشجي الى كارل ، كما لو كان
كارل هو قلبه الذي يفضي اليه بأساه . ودون ان يتوقف كارل لحظة
ليفكر فيما عساه ان يفعله دفع نفسه مباشرة عبر الحجرة ، مصطليا
بالفعل بأحد مقعدي الضابطين ، بينما راح المساعد يطارده ، ملوحا
بذراعيه المفرودتين كما لو كان يحاول الامساك بحشرة . ان كارل كان
قد سبقه الى بلوغ منضدة امين حسابات الباخرة التي تشبث بها في
عنف ، استعدادا لمحاولة المساعد ان يسحبه بعيدا عنها

واستيقظ انتباه كل من كانوا بالحجرة ، بالطبع ، في الحال ، قفز
الضابط الجالس الى المائدة واقفا على قدميه ، وتطلع موظفا الميناء
في هدوء ، ولكن بانتباه ، وتحرك السيدان اللذان يقفان امام النافذة
أكثر نحو بعضهما البعض ، اما المساعد الذي ادرك انه لم يعد من
شأنه الآن ان يتدخل ، بعد ان انتبه رؤساؤه الى الامر ، فقد تراجع
الى الخلف ، وظل المطشجي منتظرا عند الباب في توتر حتى تحين
اللحظة التي يطلب فيها منه ان يتدخل ، واستدار امين حسابات
الباخرة اخيرا دورة كاملة في مقعده

وانتزع كارل من داخل جيبه السري الذي لم يكن يحفل بان يطلع

عليه هؤلاء الناس ، جواز سفره ، الذى فتحه ، ووضعه على المنضدة بدلا من اية محاولة اخرى لتقديم نفسه ، وبدأ على امين حسابات الباخرة ، كما لو كان يظن أن جواز السفر غير صحيح ، ذلك لأنه قد دفعه جانبا فتناوله كارل عندئذ ودسه فى داخل جيبه ، كما لو كانت هذه الخطوة الاولى من الشكليات قد انتهت على ما يرام .

ثم شرع يقول : « هل تسمح لى بأن أقول ، أنه فى رأى قد حاق الظلم بصديقى العطشجى . هاهو شخص محدد استبد به شوبال فى هذه الباخرة ! ان له سجلا حافلا بالخدمة المرضية ، على عديد من البواخر ، فى امكانه ان يسرد اسماءها على مسامعك . . انه مثابر ، شغوف بعمله ، وانه لمن الصعب حقيقة أن يرى المرء لماذا على هذه الباخرة بالذات حيث لايتطلب العمل جهدا شاقا كما هو فى سفن الشحن مثلا ، لايلقى هذا الشخص سوى هذا الحظ القليل من الاهتمام . . لابد أنه محض افتراء ذلك السبب الذى ينتهى به الى تلك الحالة البائسة ويسلبه الاعتراف بالفضل الذى هو أهل له دون شك . لقد التزمت ، كما يمكنك أن ترى ذلك بنفسك ، بالاهتمام بالامور العامة ، وفى وسعه ان يعرض عليك شكاواه الصريحة بنفسه ! بهذا القول كان كارل قد خاطب السادة الحاضرين جميعا ، ذلك لأنهم فى الحقيقة ، كانوا يستمعون اليه ، ولأنه يبدو ، بعد هذا ، أنه بين كل هؤلاء على الاقل لابد من وجود شخص واحد عادل ، وفيما عدا ذلك الشخص الوحيد العادل ، يجب على امين حسابات الباخرة ان يكون عادلا ايضا ، واخفى كارل ايضا فى مراوغة حقيقة أنه لم يتعرف على العطشجى الا منذ تلك الفترة القصيرة فحسب . لكن كان فى مقدوره ان يلقي خطبة افضل بكثير من خطبته تلك التى القاها ، لو لم يتشبث ذهنه بمواجهة ذلك الوجه الاحمر ، وجه الرجل الذى كان يمسك بالعصا البامبو ، والذى كان قد اصبح الآن فى مجال رؤيته للمرة الاولى .

كان هذا صحيحا ، كل كلمة مما قيل ! صرح العطشجى بذلك ، حتى قبل أن يسأله أى شخص عن رأيه ، ودون أن ينظر فى الحقيقة أى شخص اليه . ربما كان ذلك الحماس الزائد الذى أبداه ، خطأ شنيعا لو ان الرجل ذا الزخارف التى تنتشر على صدر ردايه ، كما بدا الآن على أنه القبطان بالطبع ، لم يكن قد وطن عزمه نهائيا ، على الاستماع الى حقيقة الامر . ذلك أنه فرد ذراعه ، وصاح فى العطشجى : « تعال هنا ، ! فى صوت قاس كالصخرة . فاصبح

كل شيء يعتمد الآن على سلوك العطشجي . . أمان عدالة قضيته ، فلم يكن ثمة ظل من الشك يساور كارل في ذلك بحال من الاحوال . وظهر لحسن الحظ في هذه اللحظة ان العطشجي كان رجلا متمرسا بخبرة لا حد لها .

ففي هدوء يعد مثلا لرباطة الجاش سحب من داخل صندوقه ، في محاولته الاولى لفتحه ، حزمة صغيرة من الاوراق ، ومذكرة ، وتقدم بهما نحو القبطان ، كما لو كان ذلك أمرا متوقعا . . متجاهلا أمين حسابات الباخرة تماما ، ونشر مستنداته تلك على افريز النافذة . لم يكن يوجد امام أمين حسابات الباخرة ما يفعله ، فلم يجد بدا من ان يتقدم هو أيضا الى الامام وقال مفسرا : « ان هذا الرجل جمعناج خبيث ! انه يقضي في حجرة صرف الاجور ، وقتا اطول من الوقت الذي يقضيه في غرفة الآلات . لقد دفع هذا الشخص شوبال الهاديء الى اليأس المذيق ، استمع الى ، وهنا استدرد الى العطشجي : « انك متشبهت الى حد فظيع بدفع نفسك الى الامام . كم مرة من المرات طردت حتى الآن من حجرة صرف الاجور ؟ واعترف أيضا بوقاحتك في طلب أشياء لا حق لك في المطالبة بها بحال من الاحوال ؟ كم من المرات اندفعت مهرولا من حجرة صرف الاجور الى مكتب أمين حسابات الباخرة ؟ وكم من المرات قام الآخرون في صبر بتوضيح حقيقة ان شوبال هو رئيسك المباشر ، وانه هو الشخص الذي يتعين عليك ان تتعامل معه وحده ؟ والآن جئت ايضا الى هنا ، بينما القبطان حاضر هنا بنفسه ، لتزعجه ، بوقاحتك ، وكان ذلك كله لم يكن كافيا ، حتى تصطحب معك « لسان حال » ، ليشريح في طلاقة تلك التظلمات الملفقة التي لقنتها له ، صبي لم يسبق لي ان رأيت على هذه الباخرة من قبل مطلقا !

وتمالك كارل نفسه بقوة حتى لا يقفز مندفعاً الى الامام .
الا ان القبطان كان قد اشترك لحظتها في الحديث بهذه الملاحظة : « من الافضل ان نستمع الى ما ينبى على الرجل ان يواجه به نفسه ! ان شوبال قد أصبح في هذه الايام ، أضخم ، الى حد بعيد ، بالنسبة لفردتي حذائه ! الا ان هذا لا يعنى ان اعتقد انك محق ، كانت الكلمات الاخيرة موجهة الى العطشجي ، كان طبيعيا الا يشترك القبطان في المناقشة منذ البداية ، الا ان كل شيء بدا وكأنه كان يسير في طريقه الصحيح . وبدأ العطشجي في تقرير حالته ، وتمالك نفسه منذ البداية حتى انه كان يطلق على شوبال « مستر شوبال » وشعر كارل

بالرضا الزائد ، بينما كان يقف بجوار منضدة أمين حسابات الباخرة
الخواوية ، حتى انه في غمرة اغتباطه راح يضبط على فتاحة الخطابات
الى اسفل باصبعه ! لم يكن مستر شوبال عادلا ! مستر شوبال يفضل
الاجانب ! امر مستر شوبال العطشجي بمفادرة حجرة الآلات ، وأرغمه
على تنظيف دورات المياه . وهي مهمة ليست من اختصاص العطشجي
مطلقا ! وفي احدى المرات كانت كفاءة « مستر شوبال » هي ايضا
موضوعا للتساؤل لانه يبدو في صورة لا تتطابق مع حقيقة امره .
وعند هذا الحد ركز كارل نظراته على القبطان ، وحدث فيه في تبجيل
وصين ، كما لو كانا زميلين حتى يمنعه من التحيز ضد العطشجي
بسبب غلظة أسلوب الرجل في التعبير عن متاعبه . كما انه لم يبد
كذلك ان شيئا محددا قد تمخض عنه تدفق العطشجي في الايضاح .
ومع ان القبطان ظل مستمرا في الانصات ، وهو مستغرق في افكاره ،
الا ان عينيه كانتا تنمان عن قراره بالاستماع الى العطشجي هذه
المرة الى النهاية ، وقد باقى السادة صبرهم ، ولم يلبث صوت
العطشجي ان غطى الحجرة ، فكان ذلك علامة تنذر بالسوء . وكان
السيد الذى يرتدى الملابس المدنية ، هو اول من أفصح عن نفاذ
صبره عندما راح يعبث بعصا البامبو ، ويقرع بها - ولو فى رقة -
أرضية الحجرة .

وظل الآخرون يحدقون الى اعلى من حين لآخر ، لكن موظفى الميناء ،
الذين كانا يبدو عليهما الضيق لضياح وقتهما ، اختطفا أوراقهما
ثانية ، وشرعا - ولو فى شرود الى حد ما - فى تفحصها ، أما ضابط
الباخرة فقد استدار الى منضدته ، وصعد أمين حسابات الباخرة
الذى ظن الآن انه قد انتصر اليوم ، تنهيدة عالية مفعمة بالاستهزاء ،
ومن التشتت العام للاهتمام ، بدا أن المساعد كان هو الشخص
الوحيد المحتفظ بصفائه . على تقضيهم جميعا ، وهو الوحيد الذى
تعاطف الى حد ما مع ذلك الرجل البائس الذى لاقى الكثير ، واوما
مطرقا فى اسى نحو كارل ، كما لو كان يحاول تفسير امر ما .
بينما ، كانت الحياة فى الميناء خارج النوافذ تمضى فى طريقها .
كان صندل للشحن محملا بجبل من البراميل ، التى لابد كانت قد
ربطت بصورة مثيرة للدهشة ، طالما انها لم تتدحرج . كان ذلك
الصندل يمضى مبتعدا ، حاجبا ضوء النهار تماما ، وقوارب بخارية
صغيرة . تمنى كارل لو اتيح له أن يتفحصها فى دقة ، لو سمح له
الوقت بذلك ، كانت تنطلق مبتعدة كالقذيفة ، لاقل حركة تبدر من

الرجل الواقف أمام العجلة . وهنا وهناك أشياء غريبة تهتز في حرية مع حركة المياه التي لا تستقر . . أشياء كانت قد غاصت ثانية على الفور ، وغمرت المياه أمام عينيه المدهوشتين ، وقوارب تابعة لخطوط عابرات المحيط كانت تجدف مبتعدة ببخاريتها الذين يتصببون عرقا ، وكانت تمتلئ بالركاب الذين يجلسون في صمت ، وترقب كما لو كانوا مرصوصين هنالك . غير أن بعضهم لم يكونوا يتوقفون عن تحريك رؤوسهم للتحديق في المشهد المتغير . حركة بلا نهاية ، تنتقل من المعدن الذي لا يكل إلى الآدميين البؤساء ، ومشاعلهم .

إلا أن كل شيء كان يتطلب السرعة ، والوضوح ، والتقرير الدقيق ، وما الذي كان العطشجي يفعله ؟ لاشك أنه كان مستمرا في حديثه ، حتى لقد تصيب عرقا ، وكانت يداه ترتعشان بشدة ، حتى لم يعد في استطاعته أن يمسك بالأوراق التي كان قد وضمها على حافة النافذة . ومن كل النقاط الفرعية كانت تنصب التظلمات التي تناول شوبال . كانت تبدو كل منها في ذاكرته كافية لإجبار شوبال على التسليم باستبداده وظلمه ، إلا أن كل ما كان العطشجي قد تمكن من تقديمه إلى القبطان ، لم يكن سوى خليط تمس ، كان كل شيء يحتشد فيه في وقت معا ، وبلا مبرر . . وظل الرجل الذي يمسك بالعصا المصنوعة من البامبو ، فترة طويلة محدقا في السقف بينما يصفر لنفسه ، واحتجز موظفا الميناء ، ضابط الباخرة على مائدتهما ، ولم يبد عليهما ما يدل على استعدادهما للسماح له مرة أخرى بالابتعاد . وكان أمين حسابات الباخرة قد كبت رغبته في الصباح فقط نظرا لهدوء القبطان ، ووقف المساعد وقفة انتباه ، منتظرا في كل لحظة أن يصدر القبطان أمرا يتعلق بالعطشجي

عند هذا الحد لم يتمكن كارل من أن يظل ساكنا ، ولهذا فقد تقدم متباطئا نحو الجمع ، وفي رأسه تجري منطلقة في سرعة ، كل الوسائل التي يمكنه بها أن يقبض في براعة على زمام الأمر

كانت اللحظة ، لحظة حرجة دون شك . وكانت قد طالت بعض الشيء وربما طرد كلاهما فعلا خارج المكتب وربما كان القبطان رجلا طيبا ، وربما كانت لديه أيضا - أو هكذا بدا الأمر لكارل - بعض الأسباب الخاصة التي تدفعه في تلك اللحظة إلى التظاهر بأنه سيد عادل ، لكنه قبل كل شيء قبطان لا مجرد أداة يلصق بها المرء في طيش ، ولقد كان هذا بالضبط هو النحو الذي كان العطشجي يعامله على أساسه ، في غمرة السخط الذي أفعم به قلبه

ولهذا قال كارل للعطشجي « يجب عليك ان تعرض الامور على نحو اكثر بساطة ، واكثر وضوحا ، ان القبطان لا يمكنه ان يتخذ قرارا عادلا بناء على ماتلقيه عليه . كيف يتسنى له ان يعرف كل الميكانيكيين ، وصبيان الباخرة بأسمائهم ، فضلا عن ان يعرفهم بأسمائهم الاولى ؟ حتى تنتظر منه عندما تذكر له هذا وذاك ، ان يدرك على الفور من هم الذين تقصدهم ؟ رتب تظلماتك . واذكر أهمها أولا ، ثم بعد ذلك التي تليها في الاهمية ، ولعلك ترى انه من غير الضروري حتى ان تذكر معظمها . لقد سبق ان شرحتها لى دائما على نحو اكثر وضوحا ! » وفكر قائلا في نفسه ، على سبيل التبرير ، اذا امكن سرقة الصناديق في امريكا ، فلا شك ان المرء يسمعه ان يلقى بكذبة ، من حين لآخر ، بدوره هو ايضا !

لكن هل كانت ثمة فائدة قد اسفرت عنها نصيحته ؟ لعلها لم تكن قد جاءت بالفعل متاخرة كثيرا عن وقتها . لقد توقف العطشجي عن الكلام فورا ، عندما استمع الى الصوت الذي يالفه ، الا ان عينيه كانتا ممتلئتين بالدموع . . دموع كرامته المطمونة ، ودموع الذكرى ، وحزن الحاضر البالغ حتى انه قد تمكن بصعوبة من ان يتعرف على كارل ، فكيف يمكنه عند هذا الحد - تحقق كارل من هذا في صمت ، وهو يواجه العطشجي الصامت أخيرا - ان يغير فجأة أسلوبه في الحديث ، عندما بدا واضحا له ، وقد قال كل ما يمكنه قوله دون أن يستثير أدنى بادرة عطف ، وانه لم يكن في الوقت نفسه قد قال شيئا على الاطلاق ، ولا يسمعه أن يتوقع من هؤلاء السادة أن يستمعوا مرة أخرى الى كل ذلك اللغو ، وفي مثل هذه اللحظة كان على كارل نصيره الوحيد أن يقطع استرسال حريته بتلك النصيحة الطيبة المزعومة ، التي اوضحت ان كل شيء قد ضاع . . كل شيء !

قال كارل لنفسه : « لو أنني كنت قد تكلمت قبل ذلك بدلا من التطلع عبر النافذة ! » خافضا عينيه امام العطشجي ، ومدليا ذراعيه الى جانبيه كدليل على ان كل أمل قد انتهى .

الا أن العطشجي أخطأ فهم هذه الحركة ، شاعرا بلا شك ان كارل كان يضمر له نوعا من اللوم ! وفي رغبة صادقة في ايضاح الحقيقة ، كلل العطشجي كل اخطائه الاخرى بالشروع في مشاجرة مع كارل ، لحظتها عندما كان الرجال المجتمعون حول المائدة المستديرة قد بلغ بهم السخط مداه ، على تلك الثرثرة الفارغة التي كانت تعطل أعمالهم الهامة ، وعندما كان أمين حسابات الباخرة قد أخذ يتبين

شيئا فشيئا أن صبر القبطان ، قد أصبح أمرا لا يمكن فهمه ، وعندما كان على وشك الانفجار ، وعندما كان المساعد قد تحول مرة أخرى بصورة نهائية الى صف سادته ، وراح يقيس العطشجي بنظرات وحشية ، وعندما كان الرجل الذي يمسك بالمصا المصنوعة من البامبو ، أخيرا ، ذلك الرجل الذي كان القبطان يرمقه بين الحين والآخر بنظرات ودية ، قد ضاق تماما بوجود العطشجي ، بل أصيب في الحقيقة بالقرف منه ، فأخرج مفكرة صغيرة ، وانشغل في وضوح بأفكار مختلفة تمام الاختلاف وهو ينظر في مفكرته أولا ، ثم يعود فيوجه نظراته نحو كارل .

قال كارل : « اننى أعرف ! » وكان يحاول بصعوبة أن يتفادى التيار الذى كان العطشجي يوجهه الآن نحوه ، الا أنه تمكن من الاستنجاد بابتسامة ودية وجهها للعطشجي على الرغم من كل الشقاق الذى كان قد قام في نفسه . . انك على حق ، انك على حق ! اننى لم أشك في ذلك قط ! »

ولخوفه من أن ترتطم به يدا العطشجي اللتان كان يلوح له بهما ، كان كارل يود لو أمكنه أن يمسك بهما ، وان كان الأفضل أن يسحب الرجل الى أحد الأركان ، حتى يتمكن من أن يسر اليه بما قد يهدىء تأثرته ويشجعه من الكلمات التى يجب ألا يسمعها الآخرون ، الا أن العطشجي كان قد تخطى كل الحدود ، فشرع كارل بالفعل في التماس شيء من العزاء في فكرة . انه في مقدور العطشجي ، عند الاضطرار أن يواجه الرجال السبعة الذين تضمهم الحجرة بالعنف النابع من يأسه . لكن على المنضدة ، كانت هناك شبكة أجراس تمكن من رؤيتها بنظرة ، أجراس عديدة لا حصر لها ، كان مجرد الضغط عليها بيد واحدة ، كفيلا بأن يقيم الباخرة كلها ، وأن يأتى بكل الرجال العدوانيين الذين تمتلئ بهم ممراتها .

تقدم السيد الذى يمسك بالمصا المصنوعة من البامبو الآن ، على الرغم من التجائه الى التباعد لضججه البالغ ، نحو كارل ، وسأله بصوت ليس مرتفعا غاية الارتفاع ، ولكنه كان واضحا بدرجة كافية ، ومسموعا فوق ضجة هدير العطشجي : « بالمناسبة ما هو اسمك ؟ » في تلك اللحظة و . . كما لو كان شخص ما خلف الباب ينتظر توجيه هذا السؤال ، انبعثت طرقة على الباب ، فنظر المساعد عبر الحجرة الى القبطان ، وأوما القبطان ، وعلى هذا توجه المساعد نحو الباب وفتح . كان يقف في الخارج رجل متوسط الحجم في ممطف حربي

قديم ، لا يبدو عليه مطلقا ادنى صلة شبه بذلك النوع من الرجال الذين يتعاملون مع الآلات . ومع ذلك فقد كان هو شوبال . . . فلو لم يكن كارل قد استنتج ذلك من تعبير الارتياح الذى اضاء العيون جميعا ، حتى عيني القبطان ، فلاشك انه كان سيستنتجه من الرعب الذى سيطر على سلوك العطشجى الذى ضم قبضتيه على امتداد ذراعيه المفرودين فى حدة جعلت اطباقتهما ، تبدو اهم شيء على الإطلاق فى وجوده كله ، هاتان القبضتان اللتان كان على أتم الاستعداد لأن يضجى فى سبيلهما بأى شيء آخر فى الحياة . كانت قوته كلها مركزة فى قبضتيه ، بما فيها تلك القوة التى كانت تحمله على الوقوف منتصباً فوق قدميه .

وهكذا أصبح العدو هنا هو أيضاً ، منتعشا ، ومبتهجا ، فى ملابس الشاطئ وتحت ذراعه دفتر ضخيم ، لعله ينطوى على تقرير عن ساعات العمل ، والاجور المستحقة للعطشجى ، وكان يتفحص فى جراحة وجوه الحاضرين جميعا ، وبدأ كما لو كان اهتمامه الأول الذى يجب الاعتراف به فى صراحة هو : ان يكتشف فى أى جانب من جوانب الحجرة كانوا يقفون ! كان الرجال السبعة الذين تجمعهم الحجرة أصدقاءه بالفعل ، وعلى الرغم من أن القبطان كان قد اثار بعض الاعتراضات عليه قبل قليل ، أو أنه قد تظاهر بأنه يفعل ذلك ، لأنه قد احس بالأسف من أجل العطشجى ، فقد كان واضحاً انه لا يجد ادنى اثر للخطأ فى جانب شوبال . وان رجلاً كالعطشجى ، لا يمكن أن يكون قد أهين بهذه الدرجة من القسوة ، ولو كان شوبال ليلام على شيء ، فقد كان هذا الشيء الذى يجب أن يلام عليه هو انه لم يكبح جماح العطشجى ، الميال للاعتراض دائماً ، بصورة كافية طالما ان ذلك الشخص قد جرؤ على مواجهة القبطان فى نهاية الامر .

الا أنه من الممكن الاطمئنان الى أن مواجهة شوبال والعطشجى ستنتهى ، حتى ولو كانت على يد محكمة من البشر ، الى نفس النتيجة التى ترضاها العدالة السماوية ، طالما أن شوبال ، حتى ولو نجح فى التظاهر بالصلاح ، سينهار بسهولة ، فى نهاية الامر .

ان توهجا قصير الأمد لطبيعته الشريرة سوف يكشف عن طبيعته تلك لهؤلاء السادة ، وسوف يهد كارل لذلك . وان لديه بالفعل خبرة مباشرة واسعة بالمر ، وبالضعف ، وبطباع الشخصيات المختلفة التى تجمعها الحجرة ، وفى هذا المقام لن يكون الوقت الذى أنفقه بداخلها قد ضاع عبثاً . لقد كان مما يؤسف له ان العطشجى كان

يفتقر افتقارا شديدا الى المهارة ، انه لا يبدو مطلقا اهلا للفعل الحاسم
فلو أن امرءا دفع شوبال نحوه ، فلعله أن يشج جمجمة ذلك
الرجل ، الشائبة بقبضتيه . الا أن القدرة على تخطي الخطوتين
اللازميتين حتى يصبح شوبال في متناول يده . كانت فوق طاقته ،
فلماذا لم يتوقع كارل ، ما كان يبدو متوقعا على هذه الدرجة من
البساطة ، وهو أن شوبال كان سيظهر لا محالة ، حتى لو لم يكن
قد ظهر تلقائيا كما حدث ، فلا بد أنه كان سيحضر بناء على طلب
القبطان ! فلماذا لم يدبر خطة محكمة للهجوم بالاشتراك مع
المطشجى ، بينما كانا في طريقيهما الى هنا ، بدلا من السير في
سداجة ، ودون أدنى استعداد ، على نحو يبحث على اليأس ! حتى
بلغا أحد الابواب « كما اتفق لهما أن فعلا ؟ فهل كان المطشجى قادرا
على أن يتفوه الآن بكلمة ، أو الرد بنعم أو لا ، كما يتحتم عليه أن يفعل
لو قدر له أن يستجوب الآن ، رغم أن الاستجواب - ولا جدال في
ذلك - كان أمرا بعيد الأمل في حدوثه ، اسرافا في التفاؤل ! ها هو
يقف هناك ، ساقاه متخاذلتان ، وركبته مرتعدتان ، ورأسه ملقى
الى الخلف ، والهواء يتردد الى داخل وخارج فمه المفتوح ، كأنما
لا توجد للرجل رئتان تتحكمان في حركة الهواء .

كان كارل نفسه يشعر بمزيد من القوة ، وصفاء الذهن ، ربما
لم يسبق له أن أحس بهما على هذا النحو في بيته مطلقا من قبل ،
فلو استطاع والده ووالدته فقط أن يرياه الآن ، مدافعا عن العدالة
في أرض غريبة أمام رجال ذوى سلطة ، ومع أنه لم ينتصر بعد ، الا
أنه عازم في اقدام على أن يحوز النصر النهائي ! فهل يعيدان النظر في
فكرتهما عنه ؟ ويستبقياه الى جوارهما ، ويمجدانه ؟ انظر في عينيه
اخيرا ، اخيرا .. هاتان العينان المغممتان بالولاء لهما ؟ تساؤلات
مبهمة ، ولكن ليس الآن ، هو اوان طرحها .

- « لقد جئت الى هنا لأننى أعتقد أن هذا المطشجى قد اتهمنى
بالغش أو بشئ من هذا القبيل . وقد أخبرتنى إحدى فتيات المطبخ
بأنها قد شاهدته يفعل ذلك ! ايها القبطان وانتم جميعا ايها السادة ،
انى على اتم الاستعداد لتقديم الاثباتات التى تدحض أيا من هذه
الاتهامات . ولو شئتم أن أقدم لكم شهادات الشهود غير المنحازين ،
الذين لا تشوب نزاهتهم الشوائب ، هؤلاء الشهود الذين يقفون فى
انتظار سماع شهادتهم الآن أمام باب هذه الحجرة ! ،
كان هذا هو التقرير الذى تقدم به شوبال ، وقد كان للحق تقريرا ،

واضحاً جريئاً و . . ربما خيل للمرء من التعبيرات التى تبدلت على وجوه المستمعين انهم قد استمعوا لأول مرة بعد انقطاع فترة طويلة سادها الصمت الى صوت بشرى حقاً . ولاشك انهم لم ينتبهوا الى الفجوات التى كان من السهل ان يتبينها المرء فى تلك الخطبة الرائعة . لماذا مثلاً . كانت الكلمة الاولى ، المناسبة التى تهيأت له هى «الفش» ؟ فهل حدث ان اتهمه احد بذلك ؟ لعله استبدل بها كلمة : التحامل على جنسية من الجنسيات ؟ كانت احدى فتيات المطبخ قد شاهدت المطشجى وهو يمضى فى طريقه الى الادارة ، فتكهن شوبال على الفور بما يعنيه ذلك ! ، فهل كان احساسه بالذنب هو الذى شحذ ادراكه ؟ ثم انه قد جمع الشهود فوراً ، ألم يفعل ذلك ؟ ومن ثم يتحول فيصفهم بأنهم غير منحازين ، ويصفهم كذلك بالنزاهة ، ربما لكى ينتفع هو بهذه الصفات ! احتيال ! ولا شئ سوى محض احتيال ! ولم ينخدع هؤلاء السادة جميعاً بذلك فقط ، بل لقد صادفت فعلته استحسانهم أيضاً !

ثم . . لماذا تعمد التأخير ، هذه الفترة الطويلة التى انقضت بين وشاية فتاة المطبخ ، وموعد حضوره الى هنا . لقد تأخر فى المجيء حتى يترك الفرصة الكافية للمطشجى حتى يرهق السادة ، وحتى يكون عزمهم على الحكم الواضح قد تبدد ! هذا الحكم الواضح الذى كان شوبال يخشاه قبل ان شئ غيره ! كما انه قد انتظر امام الباب فترة طويلة ، لاشك فى أنه قد فعل ذلك ، فهل كان قد تعمد عدم الطرق على الباب ، حتى سمع السؤال العارض الذى وجهه السيد الذى يمسك عصا البامبو . هذا السؤال الذى استند اليه . على امل ان يكون المطشجى قد فرغ بالفعل من مهمته ؟

كان كل شئ واضحاً الآن وضوحاً كافياً ، كما ان تصرف شوبال المغوى كان يؤكد ، لكن لابد من توضيح ذلك لهؤلاء السادة بوسائل اخرى اشد فعالية . يجب ان يهتزوا فى عنف ، فاسرع اذن الان ياكارل ، واستغل كل دقيقة تبقت امامك ، قبل ان يشرع الشهود فى دخول الحجرة ، ويقلبوا القضية باكملها راساً على عقب !

الا ان القبطان كان قد اشاح فى تلك اللحظة نفسها لشوبال بيده . طالباً منه ان ينصرف ، فانتحى جانباً من فوره - وقد رأى ان تدبيره قد تأجل على ما يبدو لوقت ما - وهرع اليه المساعد ، حيث راحا يتبادلان معا حديثاً هامساً ، يتضمن نظرات جانبية عديدة موجهة نحو المطشجى وكارل . بالاضافة الى حركات واشارات لها مفزاها .

كان يبدو على شوبال ، وكأنه كان يرتب في ذهنه خطبته الرائعة القادمة !
وفي الصمت الذي ران على الحجرة ، قال القبطان ، موجهها حديثه
الى السيد الذي يمسك بعصا البامبو في يده : « هل ترغب في أن توجه
سؤالا ما الى هذا الصبي ، يامستر جيكوب ؟ » .

فاجاب الآخر ، بانحناءة خفيفة ردا على مجاملة القبطان ، ثم عاد
ثانية ، فسأل كارل : « ماهو اسمك ؟ »

فاجابه كارل الذي ظن ان مهمته الاساسية يمكن ان تتم بصورة
افضل ، لو حاز رضا ذلك الشخص الذي يلح بتساؤله .. اجابه
مسرعا ، في اقتضاب ، دون ان يحاول تقديم نفسه - على عادته -
بواسطة جواز سفره ، الذي كان عليه ان ينتزعه ثانية من داخل جيبه :
- كارل روسمان !

- حقا !

قالها السيد الذي دعى باسم جيكوب متراجعا . بابتسامة مرتابة
وكذلك ابتسم القبطان . وأمين الباخرة والضابط . وحتى المساعد
ابتسم هو ايضا ، وعلت الدهشة البالغة وجوههم جميعا عند سماعهم
اسم « كارل » كان موظفا المبناء وحدهما ، وشوبال هم الذين ظلوا
دون مبالاة .

وعاد مستر « جيكوب » مرة أخرى فقال : « حقا ؟ وهو يتقدم
نحو كارل بخطوات جامدة » اذن فانا خالك جيكوب ، وانت ..
ابن أختي العزيز ! لقد كنت مشتبهها في ذلك وطال الوقت ! ، وجه
جملته الأخيرة للقبطان قبل ان يحتضن كارل الذي استسلم له في
ذهول ، وهو يقبله .

وعندما تخلص كارل من عناق خاله سأل في لطف .. لكن في برود
شديد محاولا بغاية ما يمكنه أن يحسب النتائج التي قد تتمخض عنها
هذه التطورات الجديدة لصالح العطشجي ، قائلا « وما عسى أن يكون
اسمك ؟ »

لم يكن ثمة ما يحتاج الى توضيح ان شوبال لم يكن يسمعه في هذه
اللحظة ان يخرج من هذا الموقف بأي شيء في صالحه

ورد القبطان ، الذي اعتقد ان مستر جيكوب قد شمر بالاهانة
لسؤال كارل ، لانه كان قد تراجع في اتجاه النافذة ، لا شك لكي
يخفي عن الآخرين اضطرابه ، وانفعالات وجهه الذي كان يرتب عليه
بمنديل في يده قائلا : « الا تدرك حظك السعيد ايها الشاب .. انه
السناتور ادوارد جيكوب ، ذلك الذي صرح الان بأنه خالك ، ان

أمامك الآن مستقبلا مشرقا على عكس كل ما كنت تتوقعه من قبل ،
ويمكننى ان أنبهك الى ان تحاول ادراك معنى ذلك ، وتمالك نفسك !
ورد كارل مستديرا نحو القبطان بقوله : « ان لى بالفعل خلا يدعى
جيكوب فى أمريكا ، لكننى اعتقد - لو كنت على صواب - ان «جيكوب»
هو كنية هذا السيد فحسب ! »

فأجابه القبطان فى تشجيع « اجل ان الامر كذلك ! »
- « حسنا .. اذن فان اسم جيكوب الذى يطلق على خالى جيكوب ،
الذى هو شقيق والدتى هو اسمه الأول ، وكنيته لابد بالطبع ان تكون
هى نفس كنية والدتى ، التى كان اسمها وهى بعد فتاة هو
« بنديلمير » !

صالح السناتور ، وهو يخطو الى الامام لكى يرد على كارل مبتهجا
الآن غاية الابتهاج ، بعد انسحابه الى النافذة حتى يستعيد هدوءه ،
وضحك الجميع قليلا لصيحته ، فيما عدا موظفى الميناء .. ضحك
بعضهم تأثرا وضحك الباقون لاسباب مبهمه .. صاح قائلا : ايها
السادة ! »

وفكر كارل قائلا لنفسه : « الا ان ماقلته لم يكن بالغ الحمق ! »
وعاد السناتور يقول : « ايها السادة ، لقد شاركتمونى رغما عن
ارادتى ، وعن ارادتكم فى هذا المشهد العائلى القصير وعلى هذا فلا
يسعنى سوى ان اقدم لكم تفسيراً له ، طالما ان احدا هنا ، فيما يخيل
لى - سوى القبطان - واعقبت هذه الاشارة ، انحناء متبادلة -
لا يكاد يعرف شيئا عن تفاصيل هذا الامر !

قال كارل لنفسه : « على ان انصت الآن الى كل كلمة ، وسره بنظرة
من فوق كتفه ، ان يجد ان النشاط قد عاد مرة أخرى فدب فى كيان
المطشجى .

- بسبب السنوات الطويلة التى قضيتها فى غربتى بأمريكا - ولو
ان لفظ « الغربية » ليس هو مطلقا اللفظ المناسب ، الذى يجدر
بمواطن أمريكى ان يستخدمه .. وانا أعد نفسى مواطنا أمريكيا من
أعماق قلبى - بسبب كل تلك السنوات الطوال ، كنت قد أمضيت
حياتى كلها تقريبا ، منقطع الصلة تماما بأقاربى فى أوروبا ، لاسباب
لا يعنينى ذكرها هنا من ناحية ولانه يؤلمنى مجرد ذكرها فى الحقيقة
أشد الألم من ناحية أخرى ، واننى أخشى بالفعل اللحظة التى قد
أجدنى فيها مرغما على شرحها لابن أختى العزيز ، ذلك لأنها تتضمن
انتقادات صريحة أبداها والداها وأصدقائهما . انتقادات أخشى ألا

اتمكن من تجنب ذكرها له

قال كارل لنفسه . وهو يستمع اليه باهتمام : « انه خالى لا شك في ذلك ، وربما كان قد قام بتغيير اسمه ! »
« والآن لقد طرد ابن اختي العزيز ببساطة - ولما كان يجب علينا ان نسمى الجاروف جاروفا ، فأننى اقول ان والديه قد قاما بطرده ، طردها كما يمكنكم ان تطردوا قطعة الى خارج مسكنكم ، لأنها تسبب لكم ازعاجا ما ، ولا توجد لدى مطلقا أدنى رغبة فى التهوين من شأن ما أتاه ابن اختي حتى يستحق هذا العقاب ، الا أن خطيئته ص من قبيل تلك الخطايا التى لا يحتاج الصفع عنها سوى مجرد اعلانها ،

قال كارل فى نفسه : « قول لا بأس به ، هذا الذى قاله .. لكن أرجو الا يتعرض لسرد الحكاية كاملة ، وعلى كل حال ، فليس فى استطاعته ان يعلم عنها الكثير ، ومن اين له ان يعلم ؟ »
وواصل الخال جيكون حديثه ، وهو يتطوح فى رفق ، مستندا الى عصا البامبو التى كانت توشك ان تتقوس امامه ، وقد نجحت هذه الحركة فى التخفيف من حدة التزمّت الذى لا معنى له ، والذى كان - فيما عدا استناده الى عصا البامبو - قد طبع هيئته تماما بطابعه قائلا :

- ذلك ان طبخة هي « يوهانا برومر » امرأة فى نحو الخامسة والثلاثين من عمرها ، قد أفسدته و .. انا لا اقصد ان اتسبب فى اثاره غضب ابن اختي باستخدامى لكلمة « الفساد » الا أنه من الصعب ان يجد المرء كلمة أخرى مناسبة تعادلها

ادار كارل الذى كان قد تقدم حتى وقف ملاصقا لخاله ، ادار راسه حوله ليرى اثر هذه القصة على وجوه الحاضرين . لم يضحك واحد من الموجودين ، كان الجميع يستمعون فى اناة واحتشام !
لا يمكن هلى كل حال ، ان يضحك المرء على ابن اخت سناتور ، فى اول فرصة سانحة !

كان العطشجى قد ابتسم لكارل على نحو ما ، ولو فى وهن بالغ ، الا ان ابتسامته تلك ، كانت كافية ، كدليل على انتعاشه من ناحية ، وعلى أنه قد صفح عنه من ناحية أخرى .. ذلك ان كارل كان قد حاول ، حينما كان يستلقى فوق سرير العطشجى ان يجعل من هذه الحكاية نفسها ، التى اصبحت الآن حكاية ذائعة ، سرا منيعا !
واستأنف الخال جيكون حديثه قائلا : « ولقد أنجبت بعد ذلك

من تلعى « برومر » هذه طفلا من ابن اختى ، صبى يتمتع بصحة جيدة عمدته باسم « جيکوب » وواضح انها اطلقت هذا الاسم عليه ، تيمنا بشخصى المتواضع ، ذلك ان حديث ابن اختى اليها ، الذى كان يشير فيه الى من وقت لآخر ، كان قد ترك اثرا عميقا فى نفس تلك المرأة ، و .. اسمحوا لى بان اضيف ان هذا كان من حسن الطالع .. اما والدا الصبى ، فانهما لكى يتخلصا من النفقة ، ويتجنبا الفضيحة - وينبى على ان اقر باننى اجهل جهلا تاما طبيعة القوانين التى يسرى تطبيقها فى هذا الخصوص ، واجهل كل الملابس التفصيلية وظروف هذه الحالة - اقول اذن انهما لكى يتجنبان الفضيحة ، ويتخلصا من دفع النفقة . قاما بطرد ابنيهما - ابن اختى العزيز - وأرغماه على الرحيل الى امريكا ، دون ان يكون مستعدا - ويا للعار - لمواجهة اعباء تلك الرحلة .. وهذا ما يسمعكم ان تلمسوه بانفسكم ! فما عسى ان يكون الحال الذى كان سينتهى اليه مصيره ، لو لم ترسل الى تلك المرأة هذا الخطاب الذى وصلنى فى النهاية ، بعد ان تأخر طويلا ، امس الاول ، وسردت لى فيه القصة كاملة ، وكذلك اوصاف ابن اختى ، وفى حكمة بالغة ، اسم الباخرة التى رحل عليها ايضا ! فلو كان لى ان اشرع فى تسليطكم ايها السادة ، فلملنى اقرا عليكم بضع فقرات قصيرة مما جاء فى هذا الخطاب ، ثم جذب ورقتين كبيرتين من اوراق الخطابات ممثلتين بالكتابة فى خط دقيق ، ونشرها امامهم :

- « ولست اشك فى انكم ستهتمون بالانصات اليها ، ذلك ان هذا الخطاب قد كتب بأسلوب ينطوى على شيء من الدهاء المتعمد ، الساذج ، ويشيع فيه الاهتمام البالغ الذى ينم عن الحب - لوالد الطفل - الا اننى لا انوى ان امضى فى قراءة اكثر مما يلزمنى فى توضيحى لحقيقة الحال ، وحتى لا اخرج مشاعر ابن اختى منذ بداية لقائى به ، مشاعره تلك المرهفة لا تزال بلا شك ، ويمكنه ان يقرأ ذلك الخطاب لمعلوماته الخاصة فيما بعد على انفراد فى الحجرة التى تم اعدادها الآن ، فى انتظاره

الا ان كارل لم يكن يكن اية مشاعر ليوهانا برومر ، وتذكرها ثانية وهو يعود بذاكرته الى الماضى الذى تلاشى الآن .. تذكرها وهى تجلس فى مطبخها الى جوار منضدة المطبخ تعتمد بكوعها على سطحها .. كانت تتطلع اليه كلما دخل المطبخ لكى يملأ كوبا من الماء لوالده ، او يقوم باداء طلب لوالدته . وكانت هى تجلس احيانا بلا مبالة الى احد

جوانب المنضدة تكتب خطابا ، او ترسم ملامح وجه كارل من مخيلتها ،
وفي احيان اخرى كانت تجلس وهي تخفى وجهها بيدها ولا تكاد تسمى
شيئا مما يقال لها .. و .. كانت تركع في احيان اخرى داخل حجرتها
الضيقة الملاصقة للمطبخ مستفرقة في الابتهاال امام ضليب خشبي ،
وكان كارل يشعر بالحجل عندما كان يمر بها ، او يلتمحها من خلال
فتحة الباب الموروب . و .. كانت تحدث ضوضاء مزعجة أحيانا
بداخل المطبخ . و .. تتراجع وهي تضحك كالمخبولة ، عندما كان
كارل يقترب منها ، وفي مرات .. كانت تفلق باب المطبخ في اثر دخول
كارل وتقبض بيدها على اكرة الباب ، ولا تسمح له بالخروج حتى
يظل يتوسل اليها طالبا منها أن تسمح له بالخروج وفي اوقات اخرى
كانت تحضر له اشياء لم يكن في حاجة اليها وتدسها في يده .. في
صمت . وذات مرة نادته قائلة : «كارل» وبينما كان يقف متحيرا
في امر هذه اللفة المفاجئة ، سحبته الى غرفتها .. وكانت تنهد ،
وتزم - في قلق - ملامح وجهها ، ثم .. أغلقت الباب خلفه ، وطوقت
عنقه بذراعيها في عنف ، حتى اوشك على الاختناق ، وحينما كانت
تسأله ان كان عليها أن تخلع ثيابها ، كانت قد خلعت ملابسه هو بالفعل
بيديها ، وارقدته في فراشها ، كما لو كانت قد عزمت على الاتركه
لاى مخلوق آخر ، و .. علم ان تحنوعليه ، وتدلله .. الى الابد .. ثم
صاحت قائلة : «كارل .. كارل ياعزيزى.» ، وبدت عيناها وكأنهما قد
أوشكتا على افتراسه ، بينما لم تثبت عيناها على أى شىء مطلقا وكان يشعر
بالضيق ، وهو غارق في كومة الملابس التى بدا وكأنها كانت قد كومتها من
أجله هو وحده .. ثم استلقت الى جواره ، وطلبت اليه ان يسر لها
شيء ، لكنه لم يستطع ان يقول لها شيئا ، فتظاهرت بالفضب ، سواء
كان ذلك على سبيل المزاح ، او انها كانت قد غضبت منه بالفعل ،
وراحت تهزه ، وتتسمع الى دقات قلبه .. وادنت صدرها منه حتى
يتمكن من الاستماع بدوره الى خفقات قلبها ايضا ، الا انها لم تنجح
فى ان تحمله على الاستماع الى أى شىء ، ثم .. ضغطت بطنها العارية
الى جسده ، وتحسست ساقيه بأصابعها بصورة مقززة ، حتى لقد
حاول ان ينهض رافعا رأسه وعنقه عن الوسائد .. ثم ضغطت جسدها
الى جسده .. بدت كما لو كانت قد أصبحت جزءا منه ، وربما لهذا
كان قد تملكه شعور جارف بالحنين ، و .. عاد أخيرا الى فراشه ،
ودموعه تنهمر فوق خديه ، بعد محاولات متعددة قامت بها ، لتمود
به مرة اخرى الى داخل حجرتها .. و .. كان هذا هو كل ما حدث .

الا ان خاله قد استطاع أن يحيل ذلك الحادث الى اسطورة ، و ..
يبدو ان الطباخة كانت مشغولة تماما به ، وانها اخبرت خاله بوصوله،
ولقد كان هذا خير ما قامت به في سبيله ، وسوف يبحث هذا الامر
فيما بعد ، لو أمكنه أن يفعل ..

و .. صاح السناتور : - و .. الآن .. أرجو أن تخبرني بصراحة ،
عما اذا كنت خالك أم لا ..

فأجابه كارل وهو يقبل يده ويتلقى منه قبلة فوق حاجبيه قائلا -
انت خالي واننى فى غاية السعادة لعثورى عليك ، غير أنك تكون مخطئا
لو اعتقدت ان والدى ووالدتى يتحدثان عنك بالسوء وعلى اية حال
فلقد وصلتك نقاط عديدة مغلوبة فى ثنايا القصة التى بلغت ، واعنى
ان الامر لم يحدث فى الواقع بتفاصيله كلها على ذلك النحو ،
الا أنك لا تتوقع بالطبع ان تدرك على نحو بالغ الدقة امورا تجرى فى
مكان بعيد كل هذا البعد ولا يخيل لى أن ضررا ما من الممكن أن يصيب
هؤلاء السادة اذا اتفق لهم ان استمعوا الى بعض التفاصيل الخاطئة
التى تتناثر فى ثنايا حدث لا يهمهم فى شيء !

قال السناتور - « حديث رائع » وقاد كارل نحو القبطان الذى
أبدى له عطفه فى وضوح وسأله - اليس ابن اختى رائعا .

قال القبطان - « اننى سعيد غاية السعادة » وانحنى انحناءة نمت
عن دقة تدريبه العسكرى .. « بالالتقاء بابن أختك يا سيدي
السناتور ، ولقد حظيت باخرتى بشرف الاستئثار بهذا المشهد الذى
انتهى « بجمع الشمل » وتم فى داخلها الا ان الرحلة فى ذلك الجزء
الخلفى من الباخرة لم تكن رحلة طيبة بالمرّة ذلك لأن مختلف أنواع
الناس بالطبع يسافرون فى ذلك المكان ونحن نبذل أقصى جهد يسعنا
ان نبذله لتوفير الراحة الممكنة لركاب هذا الجانب من الباخرة ، بصورة
تفضل كثيرا ، ما توفره الخطوط البحرية الأمريكية من
الراحة لمثل هؤلاء المسافرين .. اما عن تحويل السفر فى هذا الجزء
من باخرتنا الى متعة خالصة فشيء لم يسعنا بعد أن نحققه

قال كارل - « لم يسبب لى هذا المكان أى ضرر »

وكرر السناتور قوله ضاحكا بصوت مرتفع .. لم يسبب له هذا
المكان أى ضرر .

واكمل كارل قائلا - .. فيما عدا اننى أخشى أن أكون قد فقدت
صندوقى ، وبذلك تذكر كل مامر به وما تبقى أمامه ليفعله .. وتطلع
حوله فرأى الآخرين ما زالوا يقفون فى أماكنهم صامتين تغلبهم الدهشة

وتنم نظراتهم عن التبجيل وأعينهم مثبتة عليه . . . موظفا الميناء وحدهما لقسوتيهما ووجهيهما اللذين يقطران اعتزازا واضحا بالنفس هما اللذان اظهرا شيئا من الأسف لحضورهما في هذا الوقت غير المناسب ، وربما كانت الساعة التي استقرت امامهما على المائدة ، اكثر أهمية بالنسبة اليهما من أى شيء آخر حدث في هذه الحجرة ، او قد يحدث .

وكان اول من عبر عن شعوره بعد القبطان - وهو امر غريب - هو العطشجى ، الذى قال . . . اننى اهنتك قلبيا . . . وشد على يد كارل ووشت حركته تلك ، بشيء من الاعتراف بالفضل ، لكنه عندما توجه الى السناتور بنفس كلماته التي وجهها الى كارل ، انسحب السناتور متراجعا الى الخلف ، كما لو كان العطشجى قد بالغ في تجاوز حدوده ، فعدل العطشجى في الحال عن نيته .

وادرک الآخرون الذين كانوا قد شهدوا الآن ما انتهى اليه الحال ، واجبهم فتجمعوا حول كارل والسناتور في حلقة صاخبة . . . وهكذا قدر لكارل ان يتلقى بالفعل تهاني شوبال ، وتقبلها ، وشكره على مشاعره . وكان آخر المهنيين هما موظفا الميناء ، اللذان قالوا كلمتين لا اكثر بالانجليزية ، كان لهما تأثير يبعث على الضحك . .

وأحس السناتور برغبته في ارتشاف آخر قطرة من المتعة التي أتاحها له الموقف ، فشرع فى تنشيط ذهنه واذهان الآخرين بالاسهاب في ذكر التفاصيل الثانوية التي تتعلق بالحادث ولم تقابل هذه التفاصيل باى نوع من أنواع الضجر ، بل قوبلت بالطبع من الجميع بقدر كبير من الاستحسان والاهتمام وعلى هذا فقد ذكر لهم انه كان قد خط في مفكرته - حتى يتسع امامه المجال للبحث في حالة الضرورة - ملامح ابن أخته ، وصفاته المميزة ، كما أوضحتها الطباخة في خطابها ، وعندما بدا يشعر بالضيق الذى سببه له هياج العطشجى ، أخرج مفكرته ، لمجرد أن يسلى نفسه بتصفحها ، ثم راح يقارن - لمتعته الخاصة - الأوصاف التي ذكرتها الطباخة ، تلك الأوصاف التي لم يكن نصيبها من الدقة مما يرضى عنه مطلقا ، اى رجل من رجال المباحث ، واستغرق في مقارنتها بملامح كارل عندما واجهه . . و . . هذه هي الطريقة المثلى للمثور على ابن أخت . . قالها السناتور في زهو كما لو كان يرغب في تلقى المزيد من التهاني . .

تساءل كارل قائلا - «ما الذى سيحدث الآن للعطشجى» ، متجاهلا ملاحظات خاله الأخيرة . كان قد تخيل في وضعه الراهن ، ان في مكانه

أن يقول كل ما يطرا على باله .
وأجابه السناتور قائلا : « سوف ينال العطشجى ما يستحقه من
جزاء . وهو الجزاء الذى يراه القبطان مناسبا واعتقد أننا قد نلنا
كفايتنا . بل وأكثر من الكفاية عن موضوع العطشجى . . بالإضافة
الى ان هذا هو ما لا يختلف عليه احد من السادة الموجودين هنا
دون شك » .

وقال كارل : - « الا ان هذا ليس هو لب الموضوع . عندما يتعلق
الأمر بالعدالة

كان كارل يقف بين خاله من ناحية وبين القبطان من الناحية
الأخرى . . ولعله كان قد أدرك دوره ، فى المكان الذى كان يقف فيه
فقد كان يحاول تحقيق شيء من التوازن بينهما .

الا ان العطشجى كان يبدو وكأنه قد فقد الأمل . . كانت يده
مدسوستين الى منتصفهما فى حزام بنطلونه . حيث بدا حجمهما
بالإضافة الى الجزء الأسفل من السترة العازلة . الذى كان قد تهدل
فوق الحزام . كتلة ضخمة بارزة ، بصورة لافتة للنظر ،
فى أثناء انهماكه فى حملته المهتاجة . الا ان ذلك مما لا يؤبه
به مطلقا . لقد كشف لهم بؤسه الداخلى . فلينطلقوا الآن اذن الى
الخرق البالية التى تستر جسده أيضا ويمكنهم بعد ذلك ان يلقوا به
الى الخارج .

وكان قد استقر فى ذهنه ان شوبال سيقدم اليه هذه الخدمة الأخيرة . .
بمعونة المساعد . فقد كانا أقل الرجال الموجودين بداخل الحجرة
اهمية ، وسوف يهنا شوبال بالراحة حينئذ حيث لا يعود هناك وجود
لن يدفعه الى « اليأس التام » على حد تعبير أمين الحسابات . .
ويصبح فى وسع القبطان أيضا ان يكس فى باخرته حشودا من عمال
رومانيا . . وتصبح اللغة الرومانية هى اللغة السائدة ، فى الباخرة
كلها . ولعل الحال ان يصبح عندئذ على اتم ما برام . . فلن يكون
هناك عطشجى ليتسبب بعد فى ازعاج مكتب الادارة بهياجه ! على ان
آخر ما قام به من جهود سيظل باقيا ، على الأغلب ، كذكرى ودية .
بعد ان أعلن السناتور فى وضوح . ان الضيق الذى أصابه كان هو
السبب المباشر فى تعرفه على ابن اخته . ولقد حاول ابن الاخت أكثر
من مرة ان يقدم له يد المساعدة بالفعل . وعلى هذا فقد اتاح له مقدما
لقاء خدماته جزاء يتعداه بكثير . هو مشهد هذا اللقاء ! . . ولم يفكر
العطشجى حتى فى أن يطلب شيئا آخر منه الآن ذلك انه حتى وان كان

ابن اخت سناتور . فقد كان لا يزال بعيدا عن أن يكون قبطانا . ولم يكن الحكم القاطع ليخرج الا من فم القبطان ! .. وبينما كان العطشجي مستغرقا في مثل هذه الأفكار . حاول جاهدا الا ينظر نحو كارل . رغم انه - لسوء حظه - لم يكن يجد شخصا آخر سواه يمكن الا تقضى عيناه لرؤيته في هذه الحجرة المليئة بالخصوم .

قال السناتور لكارل : لا تسيء فهم الموقف . فربما كانت هذه المسألة مسألة عدالة الا انها في الوقت نفسه مسألة نظام ايضا . وكلا الأمرين على هذه الباخرة . وخاصة الأخير .. يتوقفان على تقدير القبطان .

غمغم العطشجي الذي كان قد سمعه وادرك ما يعنيه قائلا وهو يتسهم في جهد .
- « هذا صحيح ! » .

- « الا اننا قد قمنا بالفعل . لفترة طويلة للغاية . بتمطيل القبطان عن أداء واجباته الرسمية التي لا بد له من القيام بها الآن ، وقد وصل الى نيويورك ، وقد حان الوقت الذي يجب علينا فيه أن نسرع بمغادرة الباخرة . بدلا من اضافة خطأ آخر الى اخطائنا بالتدخل دون مبرر اطلاقا في هذا الخلاف البسيط بين اثنين من الميكانيكيين فنخلع عليه بذلك كثيرا من الاهمية ، اننى ادرك تمام الإدراك وجهة نظرك يا ابن الاخت العزيز . وهذا الإدراك يتطلب منى ان اسرع بابصارك فورا عن هنا ! » .

قال القبطان - « سأمر باعداد قارب لكما في الحال ! » دون ان يعترض على ما قاله السناتور مطلقا . لدهشة كارل الشديدة . حتى لقد بدا له ان خاله قد امتهن نفسه . واندفع أمين حسابات الباخرة مسرعا الى منضدته وأبلغ أمر القبطان الى البحارة !

وقال كارل لنفسه « لم يكذب يلقى شيء من الوقت . الا اننى لا يمكننى ان افعل شيئا دون ان اتسبب في غضب الجميع . ولا يمكننى في الحقيقة ان اترك خالى الآن في نفس اللحظة التي عثر فيها على ، ان القبطان شخص مؤدب دون شك . الا ان ادبه هذا سرعان ما يتلاشى عندما يتعلق الأمر بمسألة النظام . كما ان خالى لا شك قد قصد ما قاله . ولست أرغب في ان اتحدث الى شوبال . واننى ليؤسفنى حتى مصافحته . اما بقية الموجودين هنا فلا شأن لهم بالأمر » .
وحيثما كان يفكر على هذا النحو . تقدم فى بطنه نحو العطشجي

وجذب يد الرجل اليمنى من حزامه . وضفط عليها في رفق بين راحتيه .

سأله قائلاً : « لماذا لا تقول شيئاً لماذا تراجعت عن كل محاولة » .
لم يجب العطشجي . بل عقد حاجبيه . كما لو كان يبحث عما ينبغي عليه أن يجيب به . وبينما كان مستغرقاً في ذلك . خفض عينيه . . ونظر الى يده المستقرة بين راحتي كارل .

— « لقد لقيت معاملة ظالمة . لم يلقها أى شخص آخر سواك على هذه الباخرة . اننى اعلم هذا تمام العلم ، وحرك كارل أصابعه بين أصابع العطشجي الى الخلف والى الامام . . بينما تطلع العطشجي حوله وقد تألقت عيناه . كما لو كانت نفسه قد أفعت بسعادة غامرة . لا يملك أن يحسده عليها أحد .

— « وعليك الآن أن تتأهب للدفاع عن نفسك أجب بنعم . او بلا — والا فلن يتاح لهؤلاء الناس أدنى فكرة عن الحقيقة . عليك أن تعدنى بأنك ستفعل ما أقوله لك ، ذلك أننى أخشى ولسدى من الاسباب ما يحملنى على ذلك انه لم يعد فى مقدورى أن أقدم لك بعد . يد المساعدة . . ثم انفجر كارل باكياً بعد ذلك . وقبل يد العطشجي ساحبا تلك اليد المتشقة المتراخية لحظتها فى وهن . وضفطها على خده وكأنها كنز يوشك على أن يتخلى عنه الا ان خاله السناتور كان قد أسرع الآن الى جانبه . وجذبه . مبتعداً به برفق . لكن بحزم . قال السناتور وهو يبادل القبطان نظرة خيرة من فوق رأس كارل .

— « يبدو ان العطشجي قد ترك اثراً سحرياً فى نفسك . لقد شعرت . . بالوحدة . ثم وجدت العطشجي . . وانت مدين له بالكثير الآن . لا بأس بهذا كله . اننى أؤكد لك . لكننى أرجوك . ولو من أجل . الا تشتط مرة أخرى على هذا النحو . وتسلم ان تدرك وضعك ! » .

ارتفع الصخب خارج الباب . كانت قد انبعثت صيحات . بدت مرتفعة كما لو كان شخص ما قد راح يفتح الباب فى عنف . ودخل بحار فى حالة مضطربة . مشمئاً . وحول وسطه تلف مريلة فتاة . صاح قائلاً وهو يشئ كوعيه كما لو كان لا يزال يشق طريقه وسط الزحام : « يوجد حشد كبير منهم فى الخارج . . » — ثم تاب فجأة الى رشده . وحيا القبطان . ولكنه لحظ المريلة المشدودة الى وسطه عندئذ فنزعها وطوح بها الى الارض . وصاح : لقد تجاوزوا حدودهم ،

لقد شدوا حول وسطى مريلة فتاة ، ثم دق كعبه مما . وادى التحية للقبطان . وشرع شخص ما في الضحك . الا ان القبطان صاح في عنف : « تبدو الحال في صورة بديمة للغاية . من بالخارج ؟ » .

تقدم شوبال خطوة الى الامام قائلا : « انهم شهودى أرجو عفوكم ياسيدى عن سلوكهم الشائن . ان الرجال يفقدون صوابهم احيانا . عندما يصلون الى نهاية احدى الرحلات » .

فاصدر القبطان امره قائلا : « ادخلهم الى هنا » . ثم استدار ناحية السناتور على الفور في ادب لكن في عجلة :

« هل تفعل خيرا الآن يا سيدى السناتور . بان تصحب ابن شقيقتك وتبع ذلك الرجل . الذى سيرشدك الى القارب المعد لك . لست بحاجة الى توضيح مدى السرور والشرف . الذى حظيت به . بتصرفى بك . واود فقط . يا سيدى السناتور . ان انتهز اقرب فرصة لاستئناف حديثنا الذى لم يتصل عن حالة الاسطول الأمريكى . وأرجو ان يقطع حديثنا مرة أخرى أيضا . حدث آخر سار » .

ورد خال كارل قائلا وهو يضحك « يكفينى ابن اخت واحد . اؤكد لك والآن تقبل تحياتى الحارة على كرمك . والى اللقاء . واضيف انه ربما لا يكون من المستبعد ان تتاح لنا فرصة طويلة للقاء . فى اثناء رحلتنا المقبلة . الى اوروبا » . بينما طوق كارل بذراعه فى حرارة .

فاجابه القبطان قائلا « سيسرنى ذلك غاية السرور » . وصافح السيدان بعضهما بعضا . ولم يكذ كارل يتمكن الا من أن يلمس يد القبطان مسرعا . فى صمت . ذلك ان انتباه الاخير . كان قد شغله بالفعل الخمسة عشر شخصا الذين اصبحوا الآن فى داخل الحجرة يقودهم شوبال ، وقد تم تعنيفهم فيما يبدو ، الا انهم لا يزالون رغم ذلك يصخبون صخبا شديدا .

وطلب البحار من السناتور أن يأذن له فى أن يتقدمهما . وأفسح له ولكارل ممرا خلال الجمع المحتشد . حتى تمكنا فى يسر من الخروج بين صفين من الرجال الذين انحنوا لهما .

ولقد بدت على هؤلاء الأشخاص فى وضوح الخفة التى كانوا ينظرون بها الى هذا النزاع . بين شوبال والعطشجى فلم ينظروا الى هذا النزاع الا على انه مجرد هزل . ولم يكن حتى وجود القبطان ليفلح فى غرض شئ من الجدل على سلوكهم .

ولمح كارل بينهم فتاة المطبخ التى تدعى - لينا - والتى غمزت له الان فى خبث . بينما كانت تشد الى وسطها تلك المريلة التى كان

البحار قد قذفها الى الارض ، فقد كانت مريبتها .
وبينما كانا يتبعان البحار . تركا الممر وتحولا الى ممر صغير ادى
بهما بعد خطوتين الى باب صغير . هبط منه سلم صغير يوصل الى
القارب الذى كان فى انتظارهما . واصبح البحار الذى كان يتقدمهما
فى داخل القارب بقفزة واحدة . ونهض البحارة الذين كانوا فى القارب
واقفين وأدوا التحية .

وكان السناتور لاحظتها ينبه كارل الى كيفية الهبوط الى اسفل .
عندما انخرط كارل ، الذى كان قد توقف فوق اعلى درجات السلم
فجأة فى نهضة عنيفة ، ووضع السناتور يده اليمنى تحت ذقن كارل .
وجذبه اليه . وربت عليه بيده اليسرى . وهبطا السلم فى وضعهما
هذا درجة درجة . وهما ملتصقان بيمضهما البعض . ودخلا القارب
حيث وجد السناتور مكانا مريحا لكارل يواجهه مباشرة . وبإشارة
من السناتور دفع البحارة بالقارب بعيدا عن الباخرة ، من ثم انطلقوا
فى التجديف بأقصى سرعة !

لم تكن تفصلهم سوى بضعة ياردات قليلة عندما اكتشف كارل ،
على غير توقع انهم كانوا فى الجانب الذى تطل عليه نوافذ حجرة الادارة
الثلاث .

كانت النوافذ الثلاث تمتلئ بشهود شوبال . الذين حيوهما .
ولوحوا لهما بأيديهم فى ود بالغ ، ولوح الخال جيكونب بالفعل لهم
بيده الى الخلف وأظهر أحد بحارة القارب براعته . . بأن طير بأصابعه
قبلة نحو الباخرة دون ان يخل بايقاع تجديفه المنتظم ، وبدأ الآن
وكأنه لم يوجد بالفعل أى عطشجى بالمرّة . وتطلع كارل بامعان شديد
الى خاله الذى كانت ركبتاه تكاد تلمسان ركبتى كارل وخامره
الشك فى قدرة هذا الرجل على ان يملأ مكان العطشجى . أزاغ خاله
بعينه . وحدق بهما فى الامواج التى كان قاربهما يهتز فوقها

الحال جيکوب

اعتاد كارل سريعا اسلوب حياته الجديدة فى منزل خاله ، وكان خاله قد استجاب فى الحقيقة لأقل رغبة من رغباته ، فلم يعد كارل مجبرا على ان يتعلم من خلال التجربة المرة التى غالبا ما ترهق المرء عند بداية تعرفه على بلد من البلدان الاجنبية .

وكانت غرفة كارل تقع فى الطابق السادس من عمارة كانت اعمال خاله تشغل طوابقها الخمسة الاخرى بالإضافة الى طوابق ثلاثة أخرى كانت تقع فى أسفل العمارة . وكانت حجراته ساطعة الضوء بنافذتيها وبابها الذى يفتح على إحدى الشرفات ، حيث كانت الدهشة البالغة تأخذه كل صباح عندما كان يخرج الى تلك الشرفة ناهضا من فراشه الصغير !

غرفة ربما لم يكن ليحل بمثلها مطلقا لو انه كان قد نزل هذا البلد كمهاجر صغير معدم ، فضلا عن احتمال عدم التصريح له بدخول الولايات المتحدة مطلقا تبعا لتقدير خاله الذى كان على دراية بقوانين الهجرة بل انه ربما كان قد أجبر على العودة ثانية الى وطنه ، دون اعتبار مطلقا لحقيقة انه كان قد اصبح بلا وطن . كان التعاطف شيئا لا يصح لك ان تأمل فيه فى بلد كهذا وكانت امريكا تتفق فى هذا الصدد تماما مع ماكان كارل قد قراه عنها ما عدا شيئا واحدا هو ان هؤلاء الذين واتاهم الحظ فيها كان يبدو عليهم انهم ينعمون هنا بحظهم مختالين بأنفسهم بين اصدقائهم الذين لا يبالون بشيء .

كانت ثمة شرفة خارجية ضيقة تمتد بطول حجرة كارل . لكن ما هى ميزة ذلك المكان المرتفع المتميز الذى لا يتيح له رؤية اكثر من منظر شارع واحد فحسب يمتد مستقيما بين صفيين من المباني التى تتخذ اشكالا مربعة ويبدو لهذا وكأنه يهرب مبتعدا الى حيث تبدى خطوط إحدى الكاتدرائيات التى تبدو هائلة الحجم وسط ضباب متكاثف ! ومنذ الصباح حتى المساء ثم فى قلب الليل الحالم بعد ذلك كان ذلك الشارع يبقى دائما مجرى لتيار دائم من الحركة ، كانت تبدو له من اعلى مضطربة معقدة ، تبسدر

فيها هياكل كل الناس ، في كل لحظة هياكل مضفوفة وحولها سطوح جميع أنواع المركبات التي ترسل الى الفضاء ضجيجا آخر اشد اسرافا وتعقيدا من ضجيج حركة الشارع ، وتتصاعد الاتربة والروائح جميعا وتنتشر في فيضانات من الاضواء التي ترسلها مختلف الاشياء التي يعج بها الشارع ، ترتفع هذه الضجة كلها ، ثم تعود فتراجع لتتجمع في عنف مرة اخرى ، فترهق العين المبهورة التي ترى هذا الاختلاط كما لو كان سطحا من الزجاج يقطى اعلى الشارع ويتهشم في عنف متناثرا الى شظايا في كل لحظة كانت عيناه مفتوحتين على كل شيء وكان خاله جيكوب قد نصحه بالا ياخذ شيئا في الوقت الحاضر ماخذ الجدة ، ليتفحص كل شيء بالفعل ويأخذه في اعتباره لكن دون أن يجهد نفسه . ان الايام الاولى لاي اوروبي في امريكا تبدو كما لو كانت ميلادا جديدا ولم يكن كارل يحاول أن يشغل نفسه كثيرا بأمر أيامه الاولى هذه دون داع ما دام المرء يعتاد على الاشياء هنا بسرعة اكبر من سرعة اعتياد الطفل القادم الى الدنيا من العالم الاخر لهذه الاشياء الا ان عليه ان يضع نصب عينيه ان الاحكام الاولى لا يعول عليها دائما ولهذا فلا يجب على المرء ان يسمح لها بالتأثير على احكامه المقبلة التي سوف تركز عليها في نهاية الامر حياته في امريكا ، ولقد عرف هو شخصا وافدين جددا ، منهم على سبيل المثال ، من نبذوا هذه الافتراضات الحكيمة وراحوا ينفقون أيامهم بطولها في شرفاتهم يحدقون منها نحو الشارع في أسفل كالقطمان الضالة . ربما كان استغراقه وحيدا على هذا النحو في التحديق المتبذل نحو الحياة المتشابكة لنيويورك بسبب له حيرة بالغة . . الا ان هذه الحيرة لو تملك شخصاً وفد الى امريكا لمجرد المتعة فلعلها تملكه في حدود لا تتعداها . اما ان تملك شخصاً ينوي البقاء في هذه الولايات فلا معنى لها عندئذ سوى انها اداة تدمير فحسب ، وهو لفظ مؤثر بلا داع ، ولعله ينطوي ايضا على شيء من التهويل ، وكان الخال جيكوب في الحقيقة يكشر في ضيق كلما وجد كارل واقفا في الشرفة حين يكون في زيارة من زيارته لكارل ، تلك الزيارات التي كانت تحدث مرة في كل يوم وفي اوقات مختلفة من النهار ، وقد لاحظ كارل ذلك سريعا وكان لهذا يحرم نفسه بقدر الامكان من متعة الوقوف لفترات طويلة في الشرفة .

ومع ذلك فقد كانت هذه هي المتعة الوحيدة التي كانت في

متناول يده . وكان فى غرفته مكتب ذو تصميم رائع على الطراز
الامريكى ، نفس المكتب الذى ظل والده لسنوات طويلة يحلم
بالحصول على مثله محاولا الحصول عليه بثمن رخيص من كل
انواع المزادات دون ان يوفق مطلقا نظرا لضآلة دخله . هذا
المكتب ، لم يكن يربطه بالطبع أى وجه من وجوه المقارنة بذلك الذى
كان يطلق عليه مكتب امريكى الطراز فى مزادات اوروبا ، فهو
يحتوى مثلا على ما يقرب من مائة درج من مختلف الاحجام ، حيث
كان يمكن « لرئيس الولايات المتحدة » نفسه ان يجد مكانا مناسباً لكل
ملف من ملفاته الرسمية ، وكان يوجد بالاضافة الى هذا « منظم »
فى احد الجوانب ، فلو أدت مقبضا ما ، أمكنك ان تحدث وضعا
لكل هذه الادراج غاية فى التعميد ، ويمكنك ان تقوم بتبديل
الادراج على سبيل التسلية ، او لكى تتناسب مع حاجتك وتغطي
هذه المكعبات فى بطء لتشكيل اساس مجموعة جديدة او قمة
الادراج المتدرجة من اسفل الى أعلى ، وحتى بمجرد اداة القبض
مرة أخرى ، فان ترتيب كل شيء يتغير تغيرا تاما ، ويتم التحول
بصورة بطيئة ، او فى سرعة محمومة تبعا للدرجة ضغطك على
المقبض عند ادارته . لقد كان هذا المكتب اختراعا جديدا كل
الجدة وانه ليدكر كارل تماما بمنظر الكريسماس التقليدى الذى
كان يعرض على الاطفال المدهولين فى ساحة السوق فى بلده حيث
يذكر نفسه أيضا ، وقد تدثر جيدا بملابسه الشتوية ، وتوقف
مستعبدا فى اغلب الاحيان ، يحاول عن كذب ان يقارن حركة القبض
الذى كان يديره رجل عجوز ، بتغير المنظر ، تقدم الملوك المقدسين
الثلاثة مترنحين واشعاع النجم ، صورة المذود المقدس المتواضعة .

ولقد بدا له دائما ان والدته عندما تقف خلفه لم تكن تتابع تفاصيل
هذه المشاهد بانتباه كاف . فكان يسحبها لتلتصق به حتى يشمر
بها تضغط على ظهره ويصيح بأعلى صوته ، ويظل يحدد لها كل
ما يلاحظه على المناظر ، ربما ارنب برى صغير بين المشب فى مقدمة
المنظر جالسا على ساقيه الخلفيتين ، ثم ظل رابضا وكأنه يتحفر
للاندفاع لانية حتى تغلق امه فمه بيدها ثم تعود فيما يبدو الى
سابق حالها من الشرود ، لم يكن المكتب قد صنع لمجرد أن يذكره
دون شك بمثل هذه الاشياء لكن لابد ان تكون قد وجدت علاقة غامضة
ما فى تاريخ اختراعه شبيهة بتلك العلاقة التى انبثت من ذاكرة
كارل . ولم يكن الخال جيكوب على عكس كارل راضيا عن هذا

المكتب بالدات كان يريد ان يشتري مكتبا كامل المعدات من اجل كارل لكن كانت كل المكاتب فى هذه الايام مجهزة بتلك الاجهزة الحديثة التى تتميز ايضا بإمكان ان تتحول الى مكاتب من الطراز القديم بنفقات لا تكاد تذكر وعلى كل حال فلم ينس خاله أن ينصحه بالآلا يستعمل المنظم « مطلقا » .

وقد شفع نصيحته بالإشارة الى حساسية « المنظم » البالغة وسهولة اصابته بالمعطب وارتفاع تكاليف اصلاحه ثانية ! ليس من الصعب ان يتبين المرء ان هذه الملاحظات كانت مجرد ادعاءات ومع ان الخال جيكوب كان يمكنه ان يفلق « المنظم » الا انه لم يفعل ذلك

وفى الايام القلائل الاولى التى اتيح لكارل وخاله ان يتبادلا خلالها عديدا من الاحاديث . ذكر كارل انه كان مغرما فى وطنه بالعزف على البيانو مع انه لم يمارس العزف عليه كثيرا ، ولم يتلق دراسات فى العزف عليه فيما عدا تعليمات والدته الفطرية وكان كارل واعيا تمام الوعى ان تطوعه بهذه المعلومات ، كان فى الحقيقة طلبا لبيانو ، ولهذا حذر لحظتها بعينيه فى خاله حتى اتضح له ان خاله يمكن ان يكون مسرفا الى حد ما ، ولم ينفذ هذا الاقتراح فى الحال . لكن بعد مرور حوالى ثمانية ايام ، قال خاله له كما لو كان يصرح له بموافقة يصعب عليه اعلانها . ان البيانو قد وصل الان ويمكن لكارل لو شاء ان يشرف على نقله . . ولقد كان ذلك امرا هينا جدا وان لم يكن اهون من عملية نقل البيانو نفسها فقد كانت العمارة تحتوى على مصعد خاص لنقل العفش ، يمكن ان يتسع لحمولة عربية كبيرة ممثلة بالاثاث ، وفى داخل هذا المصعد ارتفع البيانو الى حجرة كارل . وكان فى وسع كارل ان يصعد هو ايضا مع البيانو والعمال فى نفس المصعد . لكن كان ثمة مصعد آخر عادى ، خال الى جواره تماما .

وهكذا استعمل كارل هذا المصعد الاخير فى صعوده ، محتفظا بنفسه دائما على نفس ارتفاع المصعد الاخر ، باستخدام رافعة ما ، وكان يحذر فى تركيز من خلال المربعات الزجاجية نحو الجهاز البديع ، الذى كان قد أصبح ملكا خاصا له الان ! وعندما أصبح البيانو أخيرا فى داخل حجراته ، وعزف عليه النوتة الاولى ، كان قد بلغ به الفرح الاحمق اقصاه ، حتى انه قفز واقفا ، بدلا من مواصلة العزف ويداه على خاصرتيه وراح يحذر الى البيانو فى طرب ، على بعد عدة خطوات ، كان الصوت فى الحجرة يرن على

نحو رائع وقد تمكن من ان يزبل من نفس كارل شسموره بعدم الارتياح الذى احس به لانه يمشى فى عمارة مبنية من الصلب ولم يكن المرء يرى فى الحقيقة أى أثر للصلب فى داخل الحجرة نفسها على الرغم من منظر المبنى الخارجى كما لم يكن فى وسع المرء ايضا ان يكتشف اقل تنافر فى اثائها لا ينسجم مع الكل .

ولقد علق كارل فى البداية آمالا كبيرة على عزفه على البيانو ، وكان يحلم احيانا ، بلا حياة قبل ان يغلبه النوم على الاقل ، باحتمال تأثير عزفه على البيانو تأثيرا مباشرا على حياته فى امريكا وعندما فتح نوافذه ، ودخلت حجرته ضوء الشارع كان من القريب حفا ان يسمع على البيانو اغنية قديمة من اغانى الجيش فى بلده ، حيث يتمدد الجنود فى احدى الليالى عند نوافذ الشكنات ويحدقون فى مربع من الضوء فى الظلام فى الخارج ، ويفنون لبعضهم البعض من نافذة الى أخرى . . لكن الشارع يبقى كما هو دون تغيير ، لو نظر كارل اليه بعد ذلك يبقى عبارة عن جزء صغير فى ترس هائل لا يمكن ان تلمسه يد قبل ان يدرك المرء تماما كل القوى التى تتحكم فى مداره ، ولقد أباح الحال جيكونب العزف على البيانو ولم يتفوه بكلمة واحدة تعبر عن عدم ارتياحه بذلك ، وخاصة ان كارل كان يستغرق فى العزف عليه عندما يكون وحيدا تماما ، ولقد أحضر لكارل بالفعل نوتات بعض المارشات الامريكية ، وبينها السلام الوطنى ، الا أن حب كارل الخالص للموسيقى لم يفلح فى أن يفسر له معنى ذلك السؤال الذى وجهه لكارل ذات يوم عندما سأله فى جدية تامة ، ان كان فى نيته ان يتعلم العزف على الفيولينه أو النفخ فى البوق ايضا .

وكان تعلم اللغة الانجليزية هو اول واهم واجبات كارل ، وكان مدرس شاب فى احدى الكليات التجارية المجاورة ، يحضر فى السابعة كل صباح الى حجرته ، فيجده عاكفا بالفعل فوق المكتب على كراسات تمريناته ، أو سائرا بذرع الحجرة ذهابا وايابا وهو يحفظ المفردات . وقد ادرك كارل فى وضوح انه لو أراد أن يتقن اللغة الانجليزية فليس لديه من الوقت ما يضيعه فى غير العمل ، وادرك ان هذه كانت ايضا افضل فرصة يمكنه ان ينتهزها ليدخل السرور على قلب خاله ، بالتقدم السريع فى الدراسة ومع انه كان يقصر نفسه فى البداية على استخدام أبسط التحيات ، الا انه سرعان ما أصبح قادرا على ان يستخدم اللغة الانجليزية فى اجزاء كبيرة ، كانت تتزايد دائما فى أحاديثه مع خاله ، حينما كان حديثهما

يتناول موضوعات ودية ، وكانت القصيدة الامريكية الاولى - وهي وصف حريق - التي استطاع كارل ان يستظهرها لخاله ذات مساء قد ملأت نفس ذلك السيد بالرضا . كانا يقفان الى احدي النوافذ في حجرة كارل ، وكان الخال جيكوب يتطلع من خلال النافذة الى السماء ، كان قد تلاشى منها الضوء لحظتها ، بينما كان يدنى راحتيه من بعضهما في بطة وانتظام على ايقاع القصيدة ، وكان كارل قد توقف الى جواره منتصباً ، وراح يستخلص ، وعيناه مثبتتان في الفراغ من ذاكرته سطور القصيدة الصعبة .

وكلما ازداد اتقان كارل اللغة الانجليزية ، زادت رغبة خاله في تقديمه الى اصدقائه ، وكان حريصاً دائماً على أن يكون مدرس اللغة الانجليزية موجوداً دائماً الى جانبه في مثل هذه المناسبات . وكان اول شخص قدم اليه كارل ذات صباح ، شاباً نحيلاً رخوا بصورة يصعب تصديقها ، جاء به خاله الى الحجرة مصحوباً بسيل من المجاملات الثقيلة . كان واضحاً انه ابن لواحد من اصحاب الملايين العديدين ، وربما كان يعد فاشلاً في رأي والديه ، وبدا كما لو كان يحيا حياة عنيدة من تلك الانماط الشاذة من الحياة التي لا يطبق أن يحيها رجل عادي لمدة يوم واحد على الاكثر دون ان تنهار اعصابه . وبدا كما لو كان قد عرف هذا كله أو تكهن به ، وواجهه المواجهة التي تناسبه تماماً، ذلك ان ابتسامة ما، ابتسامة تعبر عن السعادة كانت ثابتة فوق شفتيه لا تبرحهما ، وكانت الابتسامة نفسها تشع من عينيه ، وتبدو كما لو كانت قد شملت كيانه كله وتشمل أي شخص يتحدث اليه أيضاً ، وتشمل العالم بأسره بعد ذلك .

وترتب بموافقة من موافقات الخال جيكوب التي لم تقف عند حد ، ان يصحب هذا الشاب الذي كان يدعى مسـتر « ماك » كارل في الخامسة والنصف ، كل صباح ، اما الى مدرسة تعلم ركوب الخيل ، او الى الحلاء ، وتردد كارل في البداية ، قبل ان يعلن موافقته ، لانه لم يكن قد سبق له ان اعتلى مطلقاً ظهر جواد من قبل ، وكان يود اولاً لو تعلم شيئاً عن الركوب ، لكن لما كان خاله و « ماك » قد اصرا هذا الاصرار ، ولما كانا قد قالوا بأن الركوب ليس سوى متعة بالغة البساطة ، ورياضة مفيدة للصحة وانهما لا يعدانه فنا على الاطلاق ، فقد وافق في النهاية وكان معنى هذا ، بالطبع ، انه كان عليه ان يغادر فراشه في الرابعة

والنصف كل صباح ، وقد كان هذا مما يشق عليه بالفمسل ،
بما انه كان يعاني من قلة النوم ، ربما لتركيزه الشديد الذي لايفتر
في استدكار دروسه طوال النهار ، الا انه ما ان يدخل حمامه ،
حتى يتوقف عن التحسر على نفسه ، فقد كانت ثمة رشاشة
تغطي سقف الحمام كله ! - من من زملاء دراسته في البلد ، مهما
بلغت درجة ثراء أهله ، قد اتبع له شيء مثل هذا ، ولاستعماله الخاص
أيضا ؟ - وكان في وسع كارل ان يستلقى متمددا بداخل الحمام -
كان ذلك الحمام من السعة بدرجة تسمح له بأن يفرد ذراعيه على
امتدادهما - وأن يترك الماء الفاتر ، والساخن ، ثم الماء الفاتر
ثانية ، وأخيرا الماء البارد كالثلج ، يتساقط فوق أى جزء من جسده
لسروره البالغ ، أو فوق جسده كله في نفس الوقت . . استلقى
بداخل الحمام كما لو كان ينعم بعملة الاستيقاظ المتكاسل من النوم ،
وقد امتعه أيضا ان يتلقى بعينيه القطرات الأخيرة المتباطئة ، وهي
تساقط وتفيض على وجهه الى أسفل .

وعند مدرسة الركوب ، حيث تركته عربة خاله الفارحة ، كان
مدرس اللغة الانجليزية في انتظاره ، بينما وصل ماك بعد ذلك دون
مبالاة ، وكان يمكن لماك ان يتأخر ما شاء له التأخير دون أن يهتم
لذلك أدنى اهتمام ، ذلك لان حركة المدرسة الفعلية لم تكن لتبدأ
قبل وصوله ، وتفزع الخيول مستيقظة من اغفائها عندما دخل ،
وفرقت الاسواط عاليا بداخل الحجرة ، وبسدت في الشرفة التي
كانت تحيط بها فجأة أشباح اشخاص متنسائرين ، متفرجين ،
وسائى خيول ، وتلاميذ يتعلمون الركوب ، أو أيا كانت حقيقتهم .
ولقد انهمك كارل خلال الوقت الذى سبق وصول ماك في التمرين
قليلا على الركوب ، مع انها لم تكن سوى محاولاته التلقائية الاولى
وكان ثمة رجل طويل كان يمكنه أن يلمس ظهور الجياد دون أن
يرفع ذراعه على الاغلب ، وقد اعطى هذا الرجل لكارل بلا اهتمام
تعليماته المقتضبة التى استغرقت ربع الساعة . ولم تكن النتائج
التي استطاع كارل ان يحققها نتائج مرضية . كان قد حفظ عن ظهر
قلب بعض صيحات التسالم بالانجليزية ، فكان يلهث بها الى
مدرسه ، الذى كان يستند دائما الى الباب ، في حالة من النعاس
الشديد ، الا ان ضيقه بالركوب كان يتلاشى تماما بمجرد ان يظهر
ماك . لقد اختفى الرجل الطويل ، ولم يكن في الامكان سماع أى
شيء في الصالة ، التى كانت لا تزال نصف مظلمة ، الا وقع حوافر

الجياذ الراكضة ، ولم يكن من الممكن أن يرى المرء سوى ذراع ماك المرفوعة عندما كان يشير بأوامره الى كارل ، وبعد انقضاء نصف الساعة المفعمة بالمتعة ، التي تنقضي كالحلم ، كان يعلن التوقف ، وكان ماك يبدو حينئذ دائما في عجلة شديدة من أمره ، فيقول لكارل الى اللقاء ، وهو يربت على خده عدة مرات كما لو كان قد سره بالفعل أن يشاهد ركوبه ، ثم يختفي ، ثم يصعد كارل ومدرس اللغة الانجليزية الى السيارة ، ويعودان الى دروسهما ، خلال الطرق الخالية غالبا ، ذلك لانهما لو دخلا في حركة المرور التي تتحرك على امتداد الشارع الرئيسي الذي يؤدي مباشرة من مدرسة ركوب الخيل الى عمارة خاله فان معنى هذا ضياع وقت طويل ، وعلى كل حال ، فقد تخلص مدرس اللغة الانجليزية أخيرا عن القيام بدور الحارس ، لان كارل الذي لام نفسه أشد اللوم لاجبار هذا الرجل المرهق دون مبرر ، على مرافقته الى مدرسة الركوب ، وخاصة عندما تبين له ان الانجليزية التي كان يستعملها في حديثه مع ماك خلال التدريب ، كانت بضع جمل غاية في البساطة ، توصل لهذا الى خاله ان يعفى الرجل من القيام بهذا الواجب ، وبعد تفكير طويل نزل خاله على رغبته .

ولقد انقضى وقت طويل قبل ان يسمح الخال جيكون لكارل ببعض المعلومات التي تتصل بعمله ، مع ان كارل كان قد سأله طويلا من قبل ان يسمح له بشيء من ذلك . كان عمله نوعا من القومسيون « السمسرة » ، والتشهيل أو ما يشبه ذلك ، على حسب أدق التخمينات التي توصل اليها كارل ، ولعل عمله كان نوعا من العمل الذي لا وجود له في أوروبا . ذلك لان العمل لم يكن يتوقف على نقل البضائع من المنتج الى المستهلك أو التاجر ، لكنه كان تداولا لكل أنواع السلع الضرورية ، والمواد الخام التي تتداولها الشركات فيما بينها ، وبين الاحتكارات الصناعية .. وقد كانت طبيعة العمل تبعا لهذا هي شكل ما من النشاط الذي يتضمن الشراء ، والتخزين ، والنقل ، والاتجار في الكميات الهائلة من البضائع ، كل ذلك في وقت معا ، ولهذا كان لابد أن تتوفر له أقصى درجات الدقة ، والاتصالات الدائمة التي لا تنقطع ، الاتصالات التليفونية والتلغرافية بكل عملاتها المختلفين . ولم تكن صالة عمال التلغراف أصغر ، بل كانت أكبر كثيرا من صالة مكتب التلغراف في مدينة كارل ، التي اتبع له ذات مرة أن يلقي عليها نظرة ، بمساعدة

زميل من زملائه في المدرسة ، كان له من يعرفونه فيها ، وكان من الممكن رؤية أبواب أكشاك التليفونات وهي تفتح ، وتغلق من أى مكان اتفق للمرء أن ينظر نحوه ، بداخل صالة التليفونات ، وكانت الضجة بداخلها تكاد تدفع المرء الى الجنون . . فتح خاله أول باب من هذه الابواب ، ورأى كارل تحت الضوء الكهربائى الساطع ، عاملا معزولا تماما عن كل صوت يمكن أن يصدر عن الباب . . تطوق رأسه حلقة من الصلب وتضغط السماعتان على أذنيه . كانت ذراعه اليمنى موضوعة فوق منضدة صغيرة ، ويبدو كما لو كانت ثقيلة بدرجة غريبة ، وكانت الاصابع وحدها تمسك بقلم رصاص ، مستمر فى الارتعاش بانتظام وسرعة لا انسانيتين وكان مقتضيا فى الكلمات التى كان يقولها فى « المرسل » ، وكان المرء يلاحظ غالبا ، أنه رغم ما يبدو عليه من التأهب طالبا رفع الصوت أو رافيا فى مزيد من الدقة فى المعلومات ، فإن الجملة التالية التى يسممها كانت ترغمه على أن يخفض عينيه ، وأن يمضى فى الكتابة قبل أن يتمكن من تنفيذ نيته ، وعلاوة على ذلك فإنه لم يكن بحاجة الى أن يقول شيئا ، كما أوضح ذلك الخال جيكوب لكارل فى صوت طبع ، ذلك لان هذه المحادثة نفسها التى يقوم بها هذا الصامل ، كانت تجرى فى نفس الوقت بواسطة عاملين آخرين ، ويمكن بمد ذلك بمقارنة التقارير المختلفة ، تجنب الاخطاء قدر المستطاع . وعندما خرج الخال جيكوب وكارل فى تلك اللحظة من الكشك ، انسل ساع الى داخله ، وخرج بالمدكرات التى فرغ الصامل من تدوينها لتوه ، وفى داخل القاعة كان يرتفع ضجيج متواصل يسببه الناس الذين يندفعون هنا وهناك ، لم يقل احد الى اللقاء ، كما ان التحيات كانت ممنوعة، وكان كل واحد يقفوا اثر خطوات الذى يسبقه متخذاً نفس الوجهة ، مركزا عينيه على الارض ، التى كان عليه ان يقطعها بأسرع ما يمكنه ، أو يلقي بنظرة سريعة الى كلمة ، أو علامة هنا أو هناك على الاوراق التى يحملها فى يده ، والتى يتلاعب بها الهواء فى أثناء حركته المبرعة !

— « لقد حققت شيئا خارقا بالفعل ! »

قالها كارل فى مرة من المرات التى قام فيها بتجولاته خلال المبنى الذى استفرقه عدة ايام ليجوس فى كل اجزائه ، حتى ولو لم يكن عليه سوى ان يلقي مجرد نظرة على كل قسم .

— « دعنى اذكر لك ايضا ، اننى بدأت فى انشاء هذا كله بنفسى

منذ ثلاثين عاما ، وكان عملي محدودا في ذلك الوقت ، بالقرب من
احواض السفن ، ولو تصادف وعهد الى بتفريغ خمس عبوات في
يوم واحد ، فقد كنت اعتبره يوما عظيما ، واعدود الى المنزل منتفخا
بالزهو ، واليوم تغطى مخازنى ثالث المساحات الكبيرة في الميناء
ومخزنى القديم هو الان المطعم والمخزن الذى يضم حاجيات الحمالين
الذين يعملون لدى ، والذين يشكلون خمسا وستين فرقة .

قال كارل : « ان هذا مدهش في الحقيقة »

واجابه خاله منهيأ حديثه : « ان التطورات في هذا البلد سريعة
دائما »

وذات يوم ظهر خاله فجأة قبل الغداء مباشرة ، ذلك الغداء الذى
كان كارل يتوقع ان يتناوله وحيدا كعادته وطلب منه ان يرتدى
بدلته السوداء في الحال ، وان يصحبه لتناول الغداء بصحبة اثنين
آخرين من اصدقائه في العمل ، وبينما كان كارل يبدل ملابسه
في الحجرة المجاورة ، جلس خاله الى المكتب ، وتطلع الى التمرينات
الانجليزية التى كان كارل قد انتهى توا من ادائها ، ثم انزل ذراعه
الى جانبه ، وصاح في دهشة قائلا بأعلى صوته : « مستوى من
الدرجة الاولى ، حقيقة ! »

وواصل كارل ابدال ملابسه في ارتياح لاشك فيه ، عند سماعه
هذه الكلمات التى تمتدحه ، الا انه على كل حال كان قد اصبح
الان واثقا تمام الثقة من انجليزته .

وفي حجرة طعام خاله ، التى ما زال يذكرها منذ الليلة الاولى
لوصوله ، نهض رجلان طويلان ، متينا البنيان ، واقفين ، كان
احدهما يدعى « جرير » وكان الاخر ، يدعى « بوللاندر » ، كما
الضح من خلال الحديث اللاحق ، ذلك ان خاله لم يكن يتفوه تقريبا
بكلمة تتناول احدا من معارفه ، وكان دائما يترك الفرصة لكارل ،
حتى يكتشف من خلال ملاحظته ما الذى كان هاما ، او مثيرا
للاهتمام في امرهم ، وخلال تناول الغداء ، لم يدر بينهم من الحديث
سوى ما يتناول امور العمل ، الذى كان يعنى بالنسبة لكارل
درسا ممتازا في المفردات الانجليزية التجارية ، وترك كارل وحيدا
لينشغل بأمر طعامه ، كما لو كان طفلا ، ليس عليه سوى ان يجلس
معتدلا وان يحصر اهتمامه في افراغ طبقه ، الا ان مستر جرير
مال على المائدة نحوه ، وسأله بالانجليزية دون ان يفيب عن باله
ان ينطق كل كلمة بأقصى ما يمكنه من الوضوح ، ماذا كانت على

وجه العموم انطباعاتك الاولى عن أمريكا ؟ وبنظرات قليلة جانبية وجهها نحو خاله ، اجاب كارل تقريبا اجابة كاملة في الصمت التام الذى اعقب ذلك السؤال ، واستخدم لارضاء نفسه ، وايضا كنوع من الامتنان عددا من تعبيرات نيويورك المتميزة . واندفع الرجال الثلاثة معا في الضحك عندما نطق باحدى الجمل ، وخشى كارل ان يكون قد ارتكب خطأ ملحوظا لكن لا ، فقد فسر له مستر « بوللاندر » انه كان قد قال بالفعل لتوه ، شيئا غاية في الظرف . وفي الحقيقة كان المستر « بوللاندر » قد بدا وكأنه قد شغف بكارل بصورة ما بالفعل ، وبينما هاد الخال جيكوب ، ومستر جرين ثانية الى التشاور في شئون اعمالهما طلب مستر « بوللاندر » من كارل ان يقترب بمقعده ، وساله اسئلة لا حصر لها عن اسمه ، وعائلته وعن رحلته ، واخيرا ، لكي يعطيه فرصة راح في سرمة ، وهو يضحك ، ويسعل يحكى له عن نفسه ، وعن ابنته التى يعيش معها فى منزل ريفى صغير على مقربة من نيسويورك ، حيث يقضى فيه امسياته فقط ، لانه كان مديرا لاحد البنوك ، ولان عمله يفرض عليه التواجد طوال اليوم فى نيويورك ، ولقد وجهت لكارل الدعوة بالذهاب الى المنزل الريفى فى حرارة ، ذلك ان امريكا حديثا على هذا النحو ، ويفتقر كذلك الى التجربة لابد ان يكون فى حاجة الى استحمام من حين لآخر من « نيو يورك » . وسأل كارل خاله فى الحال ، ان ياذن له بقبول هذه الدعوة ، فسمع له خاله بذلك فى سرور واضح ، وان يكن دون تحديد وقت معين او حتى دون ان يعيرها كثيرا من الاهتمام ، كما توقع كارل ومستر « بوللاندر » لكن فى اليوم التالى ، استدعى كارل الى احد مكاتب خاله - كان لخاله عشرة مكاتب مختلفة فى هذا المبنى وحده ، حيث وجد خاله ، ومعه المستر « بوللاندر » مضطجعين تقريبا على نفس الصورة فى مقعدين وثيرين .

قال له خاله : ان مستر « بوللاندر » ، الذى كان من الممكن تمييزه فى ظلمة المساء التى كانت تخيم على الحجرة ، قد حضر لكى يصحبك معه الى منزله الريفى ، كما قيل بالامس . فاجاب كارل قائلا : لم اكن اعلم ان ذلك كان سيتم اليوم ، والا كنت قد اعددت نفسى لذلك .

فقال خاله : اذا لم تكن على استعداد ، فلعله من الافضل ان تؤجل هذه الزيارة الى وقت آخر .

وصاح مستر « بوللاندر » قائلا : وما هي حاجتك الى الاستعداد ، ان الشاب يجب ان يكون مستعدا دائما لاي شيء . فقال خاله مستديرا نحو ضيفه : لا يتعلق الامر به ، لكن عليه ان يصعد ثانياة الى حجرتة ، وسوف يسبب هذا تاخيرك . فقال مستر « بوللاندر » : يوجد متسع من الوقت لهذا ، لقد عملت حساب التأخير ، وغادرت مكتبي مبكرا .

فقال الخال جيكونب : هل رأيت مدى الاضطراب الذى أحدثته زيارتك الان بالفعل ؟

قال كارل : اننى فى غاية الاسف الا اننى سوف اكون هنا ثانياة فى خلال دقيقة واحدة ، وأندفع خارجا .

قال مستر « بوللاندر » : لا تتعجل انك لا تسبب لى اقل ازعاج ، بل على العكس ، انه ليسرنى ان تقوم بزيارتى . - سوف يفوتك درس الركوب غدا .. هل الفيته ؟

قال كارل : لا .. لست ادرى .. لقد بدأت هذه الزيارة التى كان يتطلع اليها ترهقه الان .

وتساءل خاله : وهل تنوى الذهاب على الرغم من ذلك ؟

وتدخل مستر « بوللاندر » ، ذلك الرجل العطوف ، لمساعدة كارل ، قائلا : سوف نتوقف فى طريقنا عند مدرسة الركوب ، وندير امر كل شيء .

قال الخال جيكونب : ثمة شيء آخر هو ان « ماك » سيستوقع ذهابك .

فقال كارل : انه لن يتوقع ذهابى لانه سوف يذهب على كل حال الى المدرسة .

فقال الخال جيكونب : حسنا اذن ، وكان اجابة كارل لم تكن سوى مجرد حجة واهية .

وتدخل المستر « بوللاندر » مرة اخرى لحل المشكلة ، قائلا : لكن .. كلارا .. كانت كلارا هي ابنة مستر بوللاندر ، تتوقع حضوره هي ايضا وفى هذا المساء نفسه ، ولا شك ان لها الافضلية على « ماك » .

قال الخال جيكونب : بالتأكيد .. حسنا ، اذن ، اسرع بالذهاب الى حجرتك .

وبحركة بدت كما لو كانت حركة لا ارادية ، دق عدة مرات على ذراع المقعد ، وكان كارل قد أصبح لحظتها عند البساط ، عندما

أوقفه خاله ثانية بسؤاله :
- بالطبع ، ستكون هنا ثانية ، غدا صباحا ، لتحضر درس اللغة
الانجليزية

فصاح المستر « بوللاندر » قائلا : لكن ياسيدي العزيز ،
وهو يستدير مندهشا في مقعده الى الحد الذي سمحت له بها
ضخامته :

- الا يمكنه ان يبقى معنا على الاقل حتى بعد الغد ؟ الا يمكنني
ان احضره ممي في الصباح الباكر بعد غد ؟
فرد الخال جيكون قائلا : ليس ثمة مجال للسؤال في هذا
الشان ، فلا يمكنني ان اسمح بانقطاع دراسته على هذا النحو ،
وفيما بعد ، عندما يتاح له الحصول على وظيفة ثابتة من نوع
ما ، ساكون مسرورا عندما اتركه يقبل هذا النوع من الدعوات
الممتدة لوقت اطول .

وفكر كارل في نفسه قائلا : « يا له من اعتراض »
واكتاب المستر « بوللاندر » قائلا : لكن فقط لمدة امسية واحدة ،
ليلة واحدة ؟ انها لا تكاد في الحقيقة تستحق المناه .
قال الخال جيكون : هذا ما اعتقده انا ايضا .

فقال المستر « بوللاندر » : على المرء ان يقبل ما يتيسر له ، ثم
هاد ثانية الى الضحك ، قائلا : حسنا .. سانتظرك .. ملوفا
لكارل ، الذي اسرع مبتعدا عندما لم يقل خاله شيئا اكثر من
ذلك .

وعندما عاد بعد قليل ، مستعدا للرحلة ، وجد مستر « بوللاندر »
وحده في الغرفة ، كان خاله قد غادرها وهز مستر « بوللاندر »
يدي كارل بكلتا يديه في مرح ، كما لو كان يريد ان يؤكد لنفسه
كل التاكيد ، ان كارل كان ذاهبا معه في نهاية الامر . وكان كارل
لا يزال مضطربا نتيجة لتمجده ، ومع ذلك فقد ضغط يدي مستر
« بوللاندر » بدوره . كان يكاد يطير فرحا لفكرة الزيارة

- « اليس خالي غاضبا الدهابي ؟ »
- « لا مطلقا .. انه لا يقصد كل ما قال جديا .. انه فقط
مهتم بأمر تعليمك اهتماما شديدا »
- « هل أخبرك هو نفسه انه لا يقصد ما قاله جديا ! » ..
- « او .. نعم » ، قالها المستر « بوللاندر » ، وهو يضغط
على الحروف في بطنه ، مؤكدا بهذا انه لا يمكنه ان ينطق كذبا ..

— « انه من الغريب الا يكون راغبا في ان يسمح لى بزيارتك ،
مع انك صديقه ! » ..

وعلى الرغم من ان مستر « بوللاندر » هو ايضا لم يكن يوافق
على ذلك ، الا انه لم يجد تفسيراً للأمر ، وكان كلاهما ، وهما
ينطلقان بعربة مستر « بوللاندر » خلال المساء الدافئ ، قد راحا
يقلبان هذا الامر طويلا في راسيهما ، على الرغم من انهما قد تحدثا
في امور اخرى . كانا يجلسان ملتصقين . وكان كارل متشوقا لسماع
اكبر قدر ممكن عن الأنسة « كلارا » كما لو كان نفاذ صبره لطول
الرحلة يمكن ان يخففه الاستماع الى القصص التى تجعل الوقت
ينقضى فى سرعة . لم يسبق له من قبل ان مر فى شوارع نيويورك
فى المساء ، لكن على الرغم من ازدحام الارصفة والشوارع المأهولة
بالحركة التى يتغير اتجاهها فى كل لحظة ، كما لو كانت زوبعة ،
وكان الزئير المنبعث عن حركة الشوارع ، يبدو اشبه بأصوات
كائنات غريبة لا صلة لها بالبشرية مطلقا . وكان كارل وهو يجهد
فى تركيز انتباهه لالتقاط كلمات مستر « بوللاندر » لم يكن يرى
شيئا سوى معطف مستر « بوللاندر » الفامق ، الذى كان موثقا
بسلسلة ذهبية .. وخارج الشوارع الرئيسية حيث كان رواد
المسارح يصخبون لخوفهم الشديد ، من ان يكون الوقت قد تأخر
بهم ، وبينما هم يسرعون فى طريقهم بخطوات مهرولة ، او يمرقون
فى عربات ، بأقصى سرعة ممكنة ، كانا قد وصلا بسرعة عادية الى
الضواحي ، حيث تحولت سيارتهما عن طريقها بواسطة رجال
البوليس الذين يركبون الجياد ، اكثر من مرة — الى الشوارع
الفرعية .. ذلك لان الطريق الرئيسى كانت تملؤه مظاهرة قام بها
عمال المادن المضربون ، وكان المرور الضرورى ، يسمح له باستعمال
مفترق الطرق . وعندما خرجت سيارتهما من الظلام الذى يخيم
على الطرقات الضيقة ، عبرت احد هذه الشوارع الهامة ، الفسيحة
التي تكاد تكون فى اتساع الميادين ، وبدأ على كل من الجانبين
رصيف لا ينتهى ، ممتلىء بحشود متحركة من الناس الذين يتقدمون
فى بطء الى الامام ، حيث كانت اناشيدهم اكثر تجانسا من أى
صوت انسانى آخر مفرد . وكان يمكن رؤية رجال البوليس على
ظهور الجياد فى الشوارع العمومية التى ظلت خالية ، وهم يتحركون
هنا وهناك ، أو وهم يجلسون فوق جياد ساكنة لا تاتى بأية حركة
أو .. حاملى الاعلام أو الاشرطة المثلثة ببعض الكتابات ، تمتد

بعرض الشارع فوق رموس المتظاهرين ، او . . زعيم عمالي محاط
بالزملاء والاعوان ، او . . ترام كهربائي لم يتمكن من الفرار بسرعة
ولهذا توقف الآن مظلما ، وخاليا ، بينما السائق والكمساري
يستلقيان على الرصيف . وجماعات صغيرة من المتفرجين الفضوليين
يقفون على البعد ، يرقبون المساعدين . كانوا متسمرين في أماكنهم
على الرغم من انه لم يكن لديهم ادنى فكرة عما كان يجري .
الا ان كارل كان يضطجع الى الخلف في سمادة ، وكانت فكرة
انه سيكون الآن ضيفا عزيزا ، في منزل ريفي ساطع الضياء ، محاط
بأسوار عالية ، وتقوم على حراسته كلاب الحراسة المدربة ، كانت
هذه الفكرة قد ملأته بالرضا البالغ ، ومع انه كان قد بدا الآن
يشمر بالنعاس يفالبه ، ولم يعد قادرا على ان يلتقط تماما ما كان
مستر « بوللاندر » يوجهه اليه ، او كان يسمع اجزاء متقطعة من
حديثه على الاكثر ، فقد راح يلوم نفسه بين الحين والآخر ، ويدمك
عينيه حتى يرى ان كان مستر « بوللاندر » قد لاحظ نفاسه !
ذلك . . ان هذا كان شيئا حاول كارل ان يتجنبه بأي ثمن .

**** معرفتي ****

me3refaty.blogspot.com

الفصل الثالث

منزل ريفى بالقرب من نيويورك

« حسنا ، لقد وصلنا » ، قالها مستر « بوللاندر » فى لحظة من لحظات شرود كارل . كانت العرببة قد توقفت أمام منزل ، كأغلب المنازل التى يملكها الاثرياء فى ضواحي نيويورك ، منزل يتسع ، ويمتد الى أبعد مما ينبغى لمنزل ريفى أعد لسكنى أسرة واحدة فقط . ولما لم يكن يوجد أى ضوء ينبعث منه ، سوى بصيص كان ينبعث من أحد جوانب طابقه الأسفل ، فقد كان من الصعب أن يقدر المرء مدى ارتفاعه . وكانت تنبعث أمام المنزل اصوات تصدر عن حفيف اشجار جوز الهند ، وثمة - كانت البوابة قد فتحت على مصراعها عندئذ - ممر قصير يفصل المنزل عن تلك الاشجار ، ويؤدى الى درجات الباب الخارجى للمنزل . أحس كارل بالتعب عند هبوطه من العرببة ، حتى لقد بدا يظن ان الرحلة كانت رحلة طويلة على نحو ما ، وسمع فى ظلام الممر الذى كانت تظله اشجار جوز الهند ، صوت فتاة الى جانبه ، تقول : « هذا اذن هو المستر جيكونب اخيرا ! » ، فقال كارل وهو يتناول اليد التى مدتها اليه تلك الفتاة التى لم يتمكن من ان يتحقق من شكلها : « ان اسمى هو روسمان ! » وقال مستر « بوللاندر » موضحا : « انه ابن اخت جيكونب فقط ، اما اسمه فهو كارل روسمان ! »

فقالت الفتاة التى لم تكن تلتفت كثيرا الى الاسماء : « لن يقلل هذا من سرورنا لرؤيته »
والح كارل هو ايضا فى التساؤل ، وهو يسير متجها نحو المنزل بين مستر « بوللاندر » ، وبين الفتاة : « هل انت الأنسة كلارا ؟ » قالت : « نعم » ، وأضاء وجهها فى هذه اللحظة شعاع ينبعث من داخل المنزل ، وكانت تميل برأسها نحو كارل ، وهى تضيف : « الا اننى لا أريد ان اقدم نفسى هنا فى الظلام » .

وفكر كارل ، وهو يفتق أكثر كلما تقدم فى السير ، قائلا فى نفسه : « هل كانت تنتظرنا بجوار البوابة ؟ »
قالت كلارا : « على فكرة لدينا ضيف آخر هذه الليلة ! »
فصاح « بوللاندر » منفعلا : « مستحيل ! »

وقالت كلارا : « انه مستر جرین »
فتساءل كارل ، وكان الهاما قد تملكه : « متى وصل ؟ »
- « منذ دقيقة واحدة ، ألم تسمعا صوت سيارته التي كانت
تتقدم سيارتكما ؟ »

وتطلع كارل الى اعلى ، نحو مستر « بوللاندر » ، ليرى ما سيفعله
في هذا الموقف ، الا ان « بوللاندر » كان قد دس يديه في جيبى
بنطلونه ، وكانت قدماه قد تسمرت في ارض الممر :
- « لا خير في الحياة خارج نيو يورك ، فهي لا تعفيك من
الازعاج ، وسوف نحاول تدبير منزل لنا في مكان أبعد كثيرا من
هذا المكان ، حتى ولو كلفنى بلوغه ان اقود سيارتى الى منتصف
الليل ! »

وظلوا واقفين امام الدرجات المؤدية الى باب المنزل الخارجى .
قالت كلارا : « لكن وقتا طويلا قد انقضى بالفعل ، منذ زارنا
مستر جرین آخر مرة ! » ، كانت تتفق مع أبيها فيما قال ، لكنها
كانت تحاول تهدئته ، والتخفيف من ضيقه .
قال « بوللاندر » : « ولماذا جاء في هذه الليلة بالذات ؟ ! » ،
وقد تدحرجت الكلمات فوق شفته السفلى المتهدلة في غضب ، كانت
ترتجف ، كما كان يرتجف كل جسده الثقيل المترهل في وضوح .
قالت كلارا : « لماذا حقا ؟ »

وقال كارل ، مندهشا هو نفسه للتماطف الذى ربطه بهذين
الشخصين اللذين كانا غريبين تماما عنه قبل يوم واحد : « ربما
لن يلبث حتى يعود ثانية من حيث اتى ! »
قالت كلارا : « اوه .. لا ، ان اعمالا هامة تربطه ببابا ، وقد
يستغرق بحثها وقتا طويلا ، فلقد حددنى فور وصوله مازحا
بقوله : « ان على ان اظل واقفة حتى الصباح ان كان قد راق لى
ان ابدو امامه في صورة المضيعة الملهبة ! »

فصاح « بوللاندر » ، وكان شيئا لم يكن أشد سوءا مما سمع،
قائلا : « هذه هي القشة الاخيرة .. اذن فهو ينوى البقاء طوال
الليل ؟ .. وأضاف قائلا : « اننى أشعر بشيء من الرغبة ، ورشت
عبارته هذه بشيء من القدرة على المرح ، « اننى اشعر بالفصل
بشيء من الرغبة يا مستر روسمان ، فى أن أضحك ثانية فى
داخل الصربة ، وأعود بك مباشرة الى خالك ! » ، لقد ضاعت هذه
الليلة الآن مقدما ، ومن يدري متى يسمح لك خالك بزيارتك لنا هنا
ثانية ، الا اننى لو عدت بك ثانية الى نيو يورك الليلة ، فلن يكون

امامه ان يرفض السماح لك بزيارتنا في المرة القادمة ! »
وامسك بيد كارل ، لكي يشرع في تنفيذ فكرته في اللحظة
نفسها ، الا ان كارل لم يتزحزح من مكانه ، ورجت كلارا اباهما
ان يتركه ، فلن يكونا هي وكارل على الاقل في حاجة الى السماح
لمستر جريرن بازعاجهما مطلقا . وفي النهاية كان « بوللاندر » نفسه
بخشى ان يكون قراره قد اصبحت قرارا حاسما بحيث لا يمكنه ان
يتحول عن تنفيذه ، و . . . فوق ذلك - وربما كان هذا هو القرار
الحاسم فعلا - كانوا قد سمعوا فجأة مستر جريرن ، يهتف من أعلى
الدرج ، الى الحديقة ، قائلا : « اين انتم بحق الجحيم ؟ »

فقال المستر « بوللاندر » : « اننا قادمون ! » ، وراح يصعد
الدرجات ، وخلفه كارل ، وكلارا اللذان تفحصا الآن بعضهما في
الضوء .

قال كارل في نفسه : « ما اشد احمرار شفتيها ؟ » ، وتذكر
شفتي مستر « بوللاندر » وكيف تحولتا الى هذه الصورة الساحرة ،
في شفتي ابنته !

قالت : « سنتوجه بعد تناول العشاء مباشرة ، الى حجرتي ،
لو رغبت في ذلك ، وهكذا يمكننا على الاقل ان نخلص من مستر
جريرن ، حتى لو تحتم على بابا ان يبقى معه ، ولعلك ان تكون
لطيفا فتمزف لي على البيانو ، فقد قال لي بابا ان لك مقدرة فائقة
على المزف ، ويؤسفني اشد الاسف ان اصرح لك بانني لا استطيع
مطلقا ، ان اتمرن على المزف ، وانني لم المس البيانو الذي
امتلكه مطلقا ، رغم حبي الشديد للموسيقى ! »

كان كارل على اتم الاستعداد لتلبية رجاء كلارا ، مع انه كان يود
لو كان في امكان المستر « بوللاندر » ان ينضم اليهما ، الا ان رؤيته
لهيئة مستر جريرن العملاقة - كان كارل قد اعتاد على رؤية كرش
بوللاندر - عندما بدت لهم قامته في أعلى الدرج ، وهم يصعدون
درجات السلم ، قد طردت كل امل كان قد تبقى لدى كارل في انتزاع
بوللاندر بعيدا عن هذا الرجل ، في تلك الليلة !

واستقبلهم مستر جريرن في لهفة ، وكان وقتا طويلا كان قد انقضى
بالفعل دون طائل ، تناول ذراع مستر « بوللاندر » ، ودفع كارل
وكلارا امامه نحو حجرة الطعام ، التي كانت تيسدو مبهجة نهاية
البهجة بالازهار التي كانت منسقة فوق المائدة ، والتي كانت تنشق

من بين الاغصان والاوراق الخضراء ، فجملت وجود مستر جريرين شيئاً مؤسفاً على نحو مضاعف . كان كارل يحدث نفسه بهذا ، بينما كان ينتظر الى جوار المائدة حتى جلس الآخرون ، وكانت تتمسكه الرغبة في ان تظل الابواب الزجاجية التي تفتح قلب الحديقة مفتوحة كما كانت ، ذلك ان شذاً قوياً كان يهب الى داخل الحجرة وكان المرء كان يجلس تحت تعريشة زهور ، عندما نفخ مستر جريرين منخاريه ، واندفع لاغلاق هذه الابواب الزجاجية نفسها ، منحنيها الى الترابيس التي في اسفلها ، ومرتفعاً على اطراف اصابع قدميه ، ماذا ذراعه الى اعلى لاغلاق الترابيس العليا ، فعل ذلك في نشاط الشباب ، حتى ان الخادم عندما اسرع اليه ، لم يجد شيئاً قد تبقى له ليقوم به ، وكان اول ما تفوه به مستر جريرين عندما هاد بعد ذلك الى المائدة ، هو التعبير عن دهشته لان كارل كان قد طلب موافقة خاله على قيامه بهذه الزيارة . ودفع ملعقة سائلة بالشوربة الى فمه ، ثم ملعقة أخرى ، وراح يشرح لكلا را التي كانت تجلس الى يمينه ، ومستر « بوللاندر » الذي الى يساره ، لماذا كان مندهشاً بهذه الصورة ، وكم كان الخال جيکوب قلقاً في اهتمامه بكارل ، حتى ان عطفه عليه كان عطفاً بالفا الى حد أبعد ما يكون من عطف خال على ابن أخته !

وحدث كارل نفسه قائلاً : « انه ليس قائماً بتدخله غير المرغوب فيه هنا ، وانما يصر أيضاً على التدخل بيني وبين خالي .. » ولم يتمكن كارل من ابتلاع قطرة واحدة من الشوربة الذهبية اللون ، لكنه راح بعد ذلك يصب الشوربة في صمت في داخل حلقه ، لانه لم يرغب في ان يظهر ما شعر به من الفضب ، واستمر تناول الوجبة في ببطء مؤلم .

ولم يظهر مستر جريرين الذي كانت كلارا تماونه في تناول وجبته ، شيئاً من الحيوية او النشاط ، وكان يطلق ضحكة عالية بين الحين والآخر كلما سنحت الفرصة ، وترك المستر « بوللاندر » نفسه يستغرق في المناقشة مرة أو مرتين ، عندما كان مستر جريرين يتحدث عن الاعمال ، الا انه سرعان ما انسحب حتى من الحديث عن الاعمال هي أيضاً ، وكان على مستر جريرين ان يفريه على الحديث ، بالمودة اليه ثانية على غير توقع . وفوق ذلك فقد ظل مستر جريرين يكرر قوله بأنه لم يكن ينوي القيام بهذه الزيارة المفاجئة .. وعندما كان مستر جريرين يقول ذلك ، كان كارل يتسمع كما لو كان شخصاً ما

يتهدده ، وكانت كلارا قد تثبثت به ، و . . قالت له ان اللحم المشوى موجود الى جوار مرفقه ، وقالت انه الان في حفلة عشاء ! ويضيف جرير قائلا : ان الامر الذى جاء لمناقشته كان امرا ذا أهمية خاصة ، الا ان اهم جزء فيه كان من الممكن ان يتم بحثه في المدينة ، في هذا اليوم ، مع ترك التفاصيل الثانوية لاتمام بحثها في اليوم التالى او في أى يوم آخر فيما بعد .

ولهذا فقد استدعى بالفعل الى مكتب المستر « بوللاندر » ، قبل موعد الانصراف بوقت طويل ، الا انه لم يجد المستر « بوللاندر » في مكتبه ، وكان عليه لهذا ان يتصل تليفونيا بمنزله ، ليخبرهم بأنه لن يعود هذه الليلة ، واستقل سيارته بعد ذلك الى هنا .

فقال كارل في صوت مرتفع ، قبل ان يجد أى شخص آخر فرصة للرد على جرير : « اذن ، فيجب على ان اعتذر اليك ، لاننى الملوم على ترك مستر بوللاندر لمكتبه مبكرا اليوم ، واننى لفي غاية الاسف ! » وحاول مستر بوللاندر ان يخفى وجهه خلف فوطة السفرة ، بينما ابتسمت له كلارا ابتسامة لم تكن تنم عن عطفها ، بل كانت تشي برغبتها في التأثير عليه على نحو ما . وقال مستر جرير وهو يمزق حماسة مشوية بضربات قاطعة من سكينه :

« لم يطلب أحد منك ان تعتذر ، بل اننى على عكس ذلك مختبط جدا لقضاء الليلة في هذه الصحبة السارة ، بدلا من تناول العشاء وحدى في منزلى ، حيث لا يوجد لدى سوى مدبرة منزل عجوز هى التى أجدّها في انتظارى ، وأنها عجوز جدا ، حتى ان أقصى مجهود يسمها ان تبدله هو ان تنتقل من باب المطبخ الى المائدة فحسب ، واضطجع أنا في مقعدى الى الخلف منتظرا بضع دقائق في كل مرة ، أرقبها فيها وهى تقطع رحلتها الشاقة ، ولم تتوقف هذه الرحلة الا اخيرا عندما اقنعتها في النهاية بأن تترك مهمة توصيل الاطباق من المطبخ حتى باب حجرة الطعام لخادمي ، الا ان الرحلة من باب حجرة الطعام حتى المائدة هى المهمة التى لا تزال تقوم الآن بأدائها على قدر ما يسمنى الاستنتاج ! »

صاحت كلارا قائلة : « يا للسماء ، ما أشد اخلاصها ! »

« نعم . . لا يزال يوجد اخلاص في هذه الدنيا »

قالها المستر جرير ، وهو يضع شريحة من الحمامة في داخل فمه ، حيث قام لسانه بالتقاطها في الحال ، وتصادف ان لاحظ

كارل ذلك ، فأحس بالفثيان ، ونهض واقفا ، وأمسكت به كلارا من يده وأمسكه مستر بوللاندر من اليد الأخرى .
قالت كلارا : « لم يحن وقت نهوضك من على المائدة بعد » ،
وعندما جلس ثانية في مكانه ، همست له قائلة : « سوف نختفي معا بعد لحظات قليلة ، فتدفع بالصبر ! »

وكان مستر جرير في تلك الاثناء يتناول طعامه في هدوء ، كما لو كانت مهمة مستر بوللاندر وكلارا الطبيعية هي تهدئة كارل بعد ان اصابه بالفثيان .

كانت وجبة العشاء تمضي في ببطء ، مثقلة بالارهاق الذي كان يسببه تدخل مستر جرير في كل مجال ، والذي لم يمنعه من ان يدخر هجوما جديدا ، بداه في طاقة متجددة ، وقد بدأ هجومه كما لو كان قد عزم على ان يستجم من عادات مدبرة منزله المجوز ، فراح يزجي المديح المرة بعد المرة للآنسة كلارا ، ويطري خبرتها في تدبير المنزل ، وقد أرضى هذا المديح غرورها فيما يبدو ، وكان كارل على نقيضها يحس برغبته في إيقاف هذا المديح ، وكأنه كان هجوما موجها في صورة ما ، ومع ذلك فلم يقنع مستر جرير بمهاجمة كلارا على هذا النحو ، بل أعلن أسفه عددا من المرات على شهية كارل الضعيفة - دون ان يرفع رأسه عن الطبق الذي أمامه - تلك الشهية التي تبدو له ضعيفة ضعفا شديدا خلافا لما كان يتوقعه .

ودافع مستر « بوللاندر » عن شهية كارل ، على الرغم من انه كان عليه ان يشجعه على تناول المزيد من الطعام ، بما أنه كان هو المضيف . كان كارل قد أصبح في غاية الحساسية بسبب الضيق الذي كان يعانيه طوال فترة تناول الطعام ، حتى لقد فسر كلمات مستر بوللاندر ، خلافا لفكرته الطيبة عنه ، على انها نوع من عدم الكرم ، وكان هذا سببا آخر لاندفاعه فجأة الى تناول الطعام في نهم وبسرعة لا تليق ، لمجرد ان يجلس مسترخيا بعد ذلك بقيّة الوقت ، تاركا سكينه وشوكته أمامه على المائدة بلا حركة ، حتى لقد احتار الرجل الذي كان يقوم بالخدمة على المائدة ، فيما كان ينبغى عليه ان يفعل بهما .

قال مستر جرير ، وهو يحاول أن يوحي بأن ما قاله من الكلمات انما تعنى رغبته في المزاح ، وذلك بأن شدد قبضته على سكينه وشوكته : « سوف أخبر خالك غدا ، كيف انك قد تسببت في اغضاب الآنسة كلارا بعدم تناول عشاءك » ، واستأنف حديثه

قائلا وهو يداعب بأصابعه أسفل ذقن كلارا التي اسلمت جفونها وتركته يفعل ذلك : « انظر الى الفتاة .. كيف اطرقت برأسها الى أسفل ؟ ! »

ثم صاح ، وهو يضطجع في مقعده الى الخلف : « ابنتها الصغيرة المسكينة ! » ، ضاحكا بتشاكل الرجل المتخم بالطعام . وحاول كارل عبثا ان يجد سببا لسلوك مستر بوللاندر . كان يجلس ناظرا في طبقه ، وكان أهم الاحداث كانت تجري لحظتها على صفحته ، ولم يجذب مقعد كارل قريبا منه ، وعندما بدأ يتحدث ، وجه حديثه الى المائدة كلها ، بينما لم يوجه شيئا لكارل بصورة مباشرة ، وكان كارل يعاني كذلك من ان جرّين ذلك الخليج المتيد ، من ابنساء نيويورك ، كان قد تجرأ على ان يدلل كلارا عمدا ، وان يهينه ، وهو ضيف مستر بوللاندر او يعامله على الاقل ، وكأنه كان طفلا ، وان يمضي على تلك الصورة ، في مواصلة سلوكه البشع الذي لم يكن كارل يدرى الى أي حد يسمه أن يحتمله . وعندما نهضوا من على المائدة - عندما لاحظ جرّين نية الجميع - كان هو اول من نهض من عليها ، وبدا كما لو كان قد جر الآخرين الى الاقتداء به ، تحول كارل جانبا الى احدى النوافذ الهائلة التي تحيطها اطرار ضيقة بيضاء ، وتفتح على الشرفة ، والتي كانت في حقيقة امرها عندما تطلع اليها وهو يقترب منها أبوابا حقيقية ، ترى ما الذي طرأ على كراهية مستر بوللاندر وابنته ، تلك الكراهية التي اظهرها في البداية نحو جرّين ، والتي بدت حينذاك الى حد ما غير واضحة لكارل الذي لم يتمكن من ان يفهم لها سببا ؟ ماذا طرأ على تلك الكراهية حتى يقف الآن مع الرجل ، ويومئ اليه ، كان الدخان يتصاعد من سيجار مستر جرّين الذي اهداه له بوللاندر ، سيجار غليظ بالصورة التي كان والد كارل قد ذكرها له في احياسان ، على انها حقيقة ، ولعله لم يكن قد رآه بالفعل بعينه ! كان الدخان ينتشر في انحاء الحجرة ، حاملا تأثير جرّين حتى الى الاركان والزوايا التي لم يطرّقها بنفسه ، وكان في امكان كارل ان يشعر من على البعد الذي كان يقف عنده بالدخان وهو يلسع انفه ، وبدا سلوك جرّين الذي كان كارل قد حذق فيه بلفتة سريعة من رأسه ، سلوكا مشينا في رأى كارل ، وبدا كارل يفكر في أنه كان واضحا وضوحا كافيا له الآن ان خاله كان قد عارض قيسامه بهذه الزيارة ، كل تلك المعارضة ، لانه كان يعلم في بساطة مدى ضعف شخصية مستر

« بوللاندر » ، وتوقع لهذا ، احتمال ان يتعرض كارل للاهانة بشكل ما - ولم يكن مصيبا في هذا بالطبع - أما بخصوص الفتاة الأمريكية ، فان كارل لم يحبها هي ايضا ، على الرغم من انها كانت قريبة غاية القرب من الصورة الجميلة التي تخيلها عليها ، وكان كارل قد دهش بالفعل للتألق الغريب الذي بدا به وجهها منذ ان بدأت ملاطفات مستر جرير لها ، وخاصة التألق الذي ومضت به عينها المتيقظتان ، والثوب المحبوك على جسدها ، ذلك الثوب الذي لم ير مثله من قبل ، وبعض طيات صغيرة من النسيج الاصفر اللون ، وشت بقوة الانفصال ، الا ان كارل لم يبال بشيء من ذلك ، وكان يسره ان يتخلى عن فكرة الذهاب الى حجرتها ، لو أمكنه ان يفتح الباب الذي الى جواره - وقد وضع يده على المزالج محاولا ان يفتحه ويقفز بداخل المربة او - لو كان السائق نائما بالفعل - يسير على قدميه عائدا الى نيويورك . كانت الليلة الصافية بقمرها الساطع ، ملكا خالصا لكل شخص ، وبدا له الخوف من أي شيء في الخارج شيئا لا معنى له ، وتخيل - وقد بدا يشمر بالسعادة في تلك الحجرة لأول مرة - كيف سيتمكن في صباح الفد - فليس في امكانه ان يصل الى نيويورك قبل ذلك الوقت - من ان يصيب خاله بالدهشة ، حقا ، انه لم يسبق له ان دخل حجرة نوم خاله ، ولا كان يعلم حتى أين كانت تقع من ذلك المبنى ، الا انه سرهان ما سيفلح في العثور عليها ، ثم .. يندق على الباب ، وعند الصيحة المعهودة : « ادخل » ، يندفع داخلا الى الحجرة ، مصيبا خاله العزيز بالدهشة ، خاله الذي يعرفه حتى الآن في كامل ثيابه ، وأزراره مغلقة حتى ذقنه ، جالسا في فراشه بملابس نومه ، وعيناه المغممتان بالدهشة مثبتتان على الباب ، وقد لا تكون تلك المفاجأة ، في حد ذاتها أمرا شديدا الاثر ، الا ان المرء عليه ان يقدر النتائج التي قد تترتب عليها ، فربما أمكنه ان يتناول فطوره مع خاله لأول مرة ، وسيكون خاله في الفراش ، ويجلس هو امامه على مقعد ، ويضع الفطور على منضدة صغيرة بينهما ، وربما أصبح هذا الفطور الذي جمعهما ، ترتيبا ثابتا فيما بعد ، وربما تمكنا خلال تناول ذلك الفطور - بالفعل - ان نتحدثا الى بعضهما في صراحة اكثر ، ولقد كان انعدام الثقة المتبادلة بينهما ، في نهاية الامر ، هو السبب في انه كان يظهر شيئا من الجموح ، أو المناد بمعنى أصح ، ولا يزال الى اليوم يبدو لخاله على هذه الصورة ، وحتى لو اضطر

الى قضاء الليلة هنا - ويبدو ان هذا هو ما سيحدث بالفعل ،
لسوء الحظ ، على الرغم من انهم قد تركوه يقف وحيدا الى
النافذة ، ويتسلى بالتطلع خارجها - فلعل هذه الزيارة غير الموفقة ،
ان تكون هي نقطة التحول في علاقته بخاله ، و . . ربما يكون خاله
مستلقيا في فراشه ، ومستغرقا في هذه اللحظات نفسها في نفس
الافكار .

واستدار في شيء من الرضا ، كانت كلارا تقف الى جواره ، وتقول
له : « الا يسرك ان تشترك معنا على الاطلاق ؟ الا تحاول ان تشمر
نفسك ، ولو قليلا ، انك هنا ، في منزلك ؟ هيا . . سأقوم بمحاولة
اخيرة معك ! »

قادته عبر الحجرة ، الى الباب ، وكان السيدان يجلسان الى
مائدة جانبية ، يشربان في اكواب مرتفعة ، سائلا خفيفا فوارا ، لم
يكن كارل يدرى ما هو ، وكان يود لو تذوقه . وكان مرفقا
المستر جريرن معتمدين على المنضدة ، وكان وجهه قريبا جدا من
وجه مستر بوللاندر ، ولو ان امرءا غيره لا يعرف مستر بوللاندر ،
فربما ظن ان خطة اجرامية كانت تدبر بينهما ، وليس عملا مشروعا ،
بينما تعقبت عينا مستر بوللاندر ، كارل ، الى الباب بنظرة ودية ،
ولم يوجه مستر جريرن نظرة واحدة الى كارل ، خلافا للقاعدة
الثابتة ، بان عيني المرء تتعقبان لا اراديا ما تتمقبه عينا من يتحدث
اليه ، وبدا لكارل ان تصرف مستر جريرن المدائى الواضح الى
هذا الحد ، كان يشير الى اعتقاده ان عليهما هو وكارل ان يتقاتلا
بالفعل ، وان يشتبكا بالايدي ، والى انه من المحتم ان تحسم العلاقة
بينهما عن هذا الطريق الذى ينتهى في اللحظة الحاسمة بانتصار
أحدهما وانهيأ الآخر .

قال كارل في نفسه : « لو كان هذا هو ما يمتقده ، فهو أحق ،
اننى - فى الحقيقة - لا اريد شيئا منه ، وعليه ان يتركنى فى
سلام ! »

وما كاد يخطو الى الردهة ، حتى خطر له انه ربما كان قد بدا
فظا فى سلوكه ، ذلك ان عينيه كانتا مركبتين فى جمود ، على جريرن ،
حتى ان كلارا كان عليها ان تسحبه الى خارج الغرفة . ومضى فى
صحبتها الان طائما ، وعندما كانا يمران خلال الردهات ، لم يسمعه
الا ان يصدق عينيه بصعوبة فى البداية ، حينما كان يرى خادما
بعد كل عشرين خطوة تقريبا ، فى ملابس فاخرة ، ممسكا بشمعدان

ضخم ، له عمود فى غاية الضخامة ، حتى كان الخادم يضم كلتا يديه معا ليتمكن من الإمساك به .
قالت كلارا ، وهى تحاول ان تفسر له ذلك : « ان التركيبات الكهربائية الجديدة ، قد تم تركيبها هناك فى حجرة الطعام فقط ، ولقد اشترينا هذا المنزل منذ وقت قريب ، وكان علينا ان نقوم باعادة بنائه كله تقريبا ، وقد كان هذا هو اقصى ما يمكننا ان نقوم به لاعداد منزل قديم كهذا المنزل ، بكل ما فيه من الاشياء الغريبة ! » .

قال كارل : « اذن فلديكم فى امريكا منازل قديمة بالفعل ، ايضا ؟ »

فقالت كلارا ضاحكة ، وهى تجذبه الى الامام : « بالطبع .. ان لديك افكارا غريبة عن امريكا ! »

قال فى ضيق : « لا يجب ان تضحكى منى ! » ، فهو فى النهاية يعرف أوروبا وأمريكا ، بينما لا تعرف هى سوى أمريكا !

وفى اثناء سيرهما ، دفعت كلارا احد الابواب ، فانفتح ، بدفعة خفيفة من يدها ، وقالت دون توقف : « هذا هو المكان الذى سوف تنام فيه ! »

كان كارل يريد ان يتفحص الحجرة كلها فى الحال ، الا ان كلارا صاحت فى نفاذ صبر ، وارتفع صوتها حتى اوشك على الصراخ ، قائلة : انه سيكون امامه من الوقت ما يتسع لذلك فيما بعد ، وان عليه ان يمضى معها اولا ، ونشبت بينهما مشادة فى الردهة ، حتى خطر ببال كارل انه ليس ملزما بان يفعل كل ما تأمره به كلارا ، فخلص نفسه منها ، واندفع الى داخل الحجرة . وكان الظلام الذى يبعث على الحيرة ، كثيفا خارج الشباك ، وتبين فى وسط الظلام بعض الاغصان الممتدة من شجرة ضخمة كانت تتطوح فى الحديقة ، وكان فى مقدوره سماع تفريد الطيور ، ولم يكن يستطيع تمييز أى شىء فى داخل الحجرة ، ولا حتى ان يتلمس طريقه خلالها ، ذلك ان ضوء القمر لم يكن قد دخلها بعد ! وشمر كارل بالاسف لانه لم يحضر معه بطاريته الكهربائية التى كان خاله قد اعطاها له ، ففى هذا المنزل كانت البطارية الكهربائية شيئا لا غنى عنه مطلقا ، وكان يمكن للمرء ان يرسل الخدم الى فراشهم باعطائهم واحدة من تلك البطاريات الكهربائية !

وجلس على حافة النافذة ، وحدث فى الظلام ، وراح يتسمع ،

وبدا ان طائرا ما ، قد تسبب كارل فى ازعاجه ، لانه كان يصفق بجناحيه بين اوراق الشجرة المتيقة ، وكان صغير قطار من قطارات الضواحي ، ينبعث من مكان ما عبر الحقول ، وكل شيء كان ساكنا تماما فيما عدا ذلك .

ولم يمض وقت طويل حتى عادت كلارا مندفعة الى داخل الحجرة ، وصاحت فى غضب ظاهر : « ما معنى ذلك ؟ » وضربت قميصها بيدها .

وقرر كارل الا يرد عليها بشيء ، حتى تظهر شيئا من الأدب ، الا انها تقدمت نحوه بخطوات واسعة ، وهى تصيح فى دهشة : « حسنا .. هل ستأتى مئى ، ام لا ؟ » وضربته سواء عن عمد ، او فى غمرة ارتباكها ، ضربة شديدة على صدره ، حتى لقد أوشك ان يسقط خارج النافذة ، لو لم يكن فى اللحظة الاخيرة ، قد انزلق من على حافة النافذة ، حتى لامست قدماه ارض الحجرة ! قال لها فى لوم : « ربما كنت قد وقعت خارج النافذة ؟ ! » - « مما يؤسف له انك لم تقع ، لماذا تبدو غبيا الى هذا الحد ؟ سوف اجذبك خارج هذه الحجرة فى المرة القادمة ! »

وامسكت به بالفعل ، وحملته تقريبا بين ساعديها المدربتين حتى النافذة ، وكانت الدهشة قد استولت عليه فلم يخلص نفسه من بين ساعديها ، ثم عاد الى نفسه ، وتملص بجذعه متخلصا من بين ذراعيها ، وامسك بها بدوره .

قالت فى الحال : « اوه .. انك تؤلمنى ! »

لكن كارل احس انه من الخطأ ان يتركها ، وسمع لها بحرية الحركة التى تتيح لها اتخاذ أية خطوات تريدها ، لكنه تبمها ، ملتصقا بها بشدة . كان من السهل ان يقبض عليها بشدة بملابسها المحبوكة .

همست : « اتركنى » ، وكان وجهها المتضرج ، قريبا من وجهه ، حتى لقد كان يجهد نفسه لكى يرى وجهها : « اتركنى ، سوف اعطيك شيئا لا تتوقعه ! » .

وفكر كارل فى نفسه : « لماذا تتنهد على هذا النحو ، اننى لا اسبب لها اى ألم ، فلست أضغط عليها ، انما أمنمها فقط من الحركة ، فاننى لا أضمن ما قد تفعله ؟ » ، وظل متشبها بها ، لكن فجأة ، فى لحظة غفلة ، وبعد لحظة من السكون ، أحس مرة اخرى فجأة بقواها تصارع جسده ، ثم انطلقت متخلصة من قبضته ،

ثم شلت حركته ، بحركة من حركات المصارعة ، وضربت قدميه
بركلة بارعة من ساقها المشوكة ، حركة غريبة عليه ، ألقت به أرضا
أمامها في سيطرة مذهشة ، ثم وقفت تلهث قليلا ، بجانب الحائط ،
كانت هناك أريكة بجوار ذلك الحائط ، كان هو قد انطرح عليها ،
وتشبث بها في سقطته ، وظلت هي على مسافة كافية من مكانه ،
وقالت : « انهض الآن لو استطعت ! » .

— « ابتها القطة .. ابتها القطة المتوحشة ! » . كان ذلك هو كل
ما استطاع كارل ان يصيح به ، في ثورة غضبه ، واحساسه بالمار:
« لا بد انك معنوهة ، ابتها القطة المتوحشة ! » .

قالت له : « احذر ما تقول ! » ، ومدت يدها الى حنجرته ،
التي راحت تضغط عليها بغاية العنف حتى ان كارل لم يتمكن
من التقاط أنفاسه الإبصموية ، بينما لوحت بقبضتها الاخرى الى
خده ، ولمسته كما لو كانت تجرب صفحه ، ثم أعادتها الى الخلف
تدريجيا الى ابعد فأبعد ، على استعداد لتوجيه لكمة له في أية
لحظة .

وسأله قائلة : « ما قولك ، لو اننى هاقبتك على وقاحتك مع
آنسة بارسالك الى منزلك وقد احمرت اذنك من شدة اللطمات ؟
ربما افادك هذا في ان تصبح شخصا طيبا طوال ما تبقى من حياتك ،
مع انه لا يبدو عليك الاستعداد لتذكر ذلك . اننى آسفة في الحقيقة
من أجلك ، فانت فتى حسن الشكل الى درجة كبيرة ، ولو انك
كنت قد تعلمت المصارعة اليابانية ، فربما كنت قد ضربتني ، وعلى
أية حال .. على أية حال ، فانى اشعر برغبة شديدة في لطم
أذنك الآن ، وانت مستلق امامى ، ولمنى اندم لاننى لم افعل ،
لكن لو اننى فعلت ذلك ، فدعنى اقل لك اننى مسافطه لاننى
لا أستطيع مقاومة رغبتى تلك ، ولن تكون لكمة واحدة بالطبع تلك
التي سأسدها لك ، بل اننى سامضى في تسديد اللطمات الى
أذنك ، ولن أتوقف حتى تغطيك الكدمات الزرقاء والسوداء ،
وربما كنت واحدا من هؤلاء الرجال الشرفاء — يمكننى ان اصدق
ذلك بسهولة — وسيشق عليك ان تتحمل المار الذى أصابك بلطمك
على أذنك ، وستبتعد في الحال . لكن لماذا كنت فظيما في سلوكك
مضى بهذه الصورة ؟ الا تحببى ؟ الا يستحق مجيئك الى فرقتى اقل
العناء ؟ آه .. احذر ، اننى ساصفمك الآن فجأة ، ساصفمك في
التو واللحظة ، و .. لو عفوت عنك في هذه الليلة ، فاعمل على ان

تسلك سلوكا افضل في المرة القادمة . اننى لست خالك حتى احتمل
طبعك الشكس ، ومهما يكن الامر ، فدعنى اوضح لك ، اننى لو
تركته الآن فلعلك لا تحتاج الى الظن بان العار الذى يلحقك يتساوى
سواء لطمتك ، او عفوت عنك ، سوف اصفمك على وجهك بفساية
ما يسمى العنف ، وقد لا تظن انت اننى فعلت ذلك . اننى لا ادرى
ما الذى سيقوله ماك عندما احكى له عن ذلك كله ! »

وعندما طرا ماك على بالها ، تراخت قبضتها ، واحس كارل في
انفعاله بان ماك قد انقلده ، وظل فترة قصيرة بعدها يحس بقبضة
كلارا ، وكأنها تقبض على حنجرته لا تزال ، ولهذا تلوى في مكانه
لحظة قبل ان يعود الى سكونه مرة اخرى ، مستلقيا فوق الاريقة .

وطلبت منه ان ينهض ، فلم يرد عليها ، كما انه لم يتحرك مطلقا .
واشعلت هى شمعة في مكان ما ، واضاءت الحجرة ، وظهر على
السقف شكل متعرج بتأثير ضوء الشمعة ، الا ان كارل بفى ملقيا
برأسه على الاريقة حيث تركتها كلارا ، ولم يتحرك قيد اصبع ،
وتمشت كلارا عبر الحجرة ، وكان يسمع حفيف الثوب حول ساقيها
وهى تدرع الفرفة ، ثم بدا وكأنها قد توقفت فترة طويلة عند
النافذة .

وسمعها تساله في النهاية : « هل انتهيت من عنادك ؟ » ، وتبين
كارل انه من المستحيل ان يجد الراحة في هذه الحجرة التى خصصها
له مستر بوللاندر ، ليقضى فيها ليلته ، وظلت الفتاة تتجول في
انحاء الحجرة ، وتتوقف لتتحدث اليه بين الحين والآخر . وكان
هو قد ضاق بها من أعماقه . وكل ما كان يتطلع اليه هو ان يستغرق
في النوم فورا ، ثم يغادر هذا المنزل بعد ذلك . لم يرغب حتى في
ان يذهب الى الفراش ، كان يريد ان يبقى على الاريقة حيث كان ،
وكان ينتظر اللحظة التى تغادر فيها تلك الفتاة الحجرة ، حتى يقفز
الى الباب خلفها ، فيفلقه ويحكم رتاجه ، ثم يمدد نفسه ثانية فوق
الاريقة ، واحس برغبة شديدة في ان يتمطى ويتشاءب ، الا انه لم
يحب ان يفعل ذلك في وجود كلارا ، ولهذا بقي مستلقيا يحدق في
السقف ، وهو يشعر بان وجهه كان يزداد ، ويزداد جمودا ، ومرت
أمام عينيه بقعة لعلها كانت ذبابة ، حامت حوله دون ان يتحقق
تماما من طبيعتها .

وتقدمت كلارا نحوه ، مرة اخرى ، وانحنى أمام عينيه ، فلو
لم يحرك جفونه لامكنه مع ذلك ان يراها جيدا .

قالت : « اننى ذاهبة الآن ، وربما رغبت فى ان تاتى لرؤيتى فيما بعد ، ان باب حجرتى هو الرابع ، بعد باب هذه الحجرة ، فى نفس هذا الجانب من الردهة ، فأترك الابواب الثلاثة التالية ، والباب الذى يليها هو الباب المطلوب ! لن اهبط الى الطابق الاسفل ، ثانية ، بل سأبقى فى حجرتى . لقد سببت لى الارهاق انا ايضا ، و . . لن اتوقع مجيئك بالطبع ، لكن . . لو رغبت فى المجيء ، فتعال ! وتذكر أنك قد وعدت بأن تعزف لى على البيانو ، ربما كنت تشمر بانك قد انطرحت هامدا ، وانك لا تستطيع ان تتحرك من مكانك ، حسنا اذن ، ابق حيث انت ، وتمتع بالنوم الهادئ ، ولن اذكر لوالدى شيئا عن هراكننا المارض ، لا شيء فى الوقت الحاضر ، اقول ذلك الآن اذا كنت تحس بشيء من الانزعاج ! » ، وعلى الرغم من ارهاقها ، الذى كان يبدو واضحا فى حركتها ، انطلقت فى خفة الى خارج الحجرة !

وجلس كارل فى مكانه على الفور ، كان يتصدر عليه مواصلة احتمال ذلك الاستلقاء ، نهض ، وتقدم نحو الباب لمجرد تحريك أطرافه ، وتطلع منه الى الردهة . كم كانت مظلمة ! وشمر بالضبط عندما اغلق الباب ، واحكم رتاجه ، وجلس مرة أخرى على مائدته ، على ضوء الشمعة ، واستقر رايه على عدم البقاء لحظة أخرى فى هذا المنزل ، وراى ان يهبط الى مستر بوللاندر ، وان يخبره صراحة بمعاملة كلارا له - واضعا فى اعتباره الا يهتم مطلقا لمحاولة دفاعه عنها - ويطلب منه ان يسمح له ، بالعودة - لهذا الصلر الكافى - سواء بالعربة ، او سيرا على الاقدام الى منزل خاله ! ولو ابدى مستر « بوللاندر » اعتراضا على عودته فى نفس الليلة ، فسيطلب منه كارل حينئذ ان يأمر خادما على الاقل ، بأن يقوده الى اقرب فندق ، وربما كان من الثابت ان احدا لا يعامل ضيوفه على النحو الذى كان كارل يفكر فيه ، الا انه من النادر ايضا ان يعامل الضيوف بالاسلوب الذى عاملته به كلارا ، ولقد ظنت بالفعل أنها كانت رقيقة عندما وعدته بانها لن تذكر شيئا عما حدث بينهما لمستر بوللاندر ، لقد كان ذلك فى الحقيقة أمرا شنيعا غاية الشناعة . هل كان قد دعى الى مباراة للمصارعة ؟ لو كان قد دعى الى ذلك ، فانه سيكون خجلا ايضا لان فتاة يبدو أنها قد انفقت الجانب الاكبر من حياتها فى تعلم المصارعة قد طرحت ارضا ، وربما كانت فوق ذلك ، قد تلقت تدريسا على يدى ماك . وفى

امكانها أن تخبر ماك بما شئت ، فماك شخص ذكى للغاية ، وكارل واثق تمام الثقة من ذكائه ، على الرغم من أن الفرصة لم تسنح له ولو لحظة واحدة ليتأكد من ذلك ، إلا أن كارل يعلم أيضا أنه لو كان قد تلقى تدريباً على يدى ماك بدوره ، فلا شك أنه كان سيبدى تفوقاً أبعد كثيراً مما أظهرته كلارا من التفوق فى المصارعة ، إذن لحضر الى هنا مرة أخرى ، فى يوم من الايام ، حتى بلا اية دعوة ، وشرع فى دراسة المعركة ، دراسة محكمة ، تدهش لها كلارا غاية الدهشة ، ثم تناول كلارا هذه نفسها ، وطرحها على نفس الأريكة التى طرحته عليها الليلة !

وكان عليه الآن أن يجد طريقه ثانية الى حجرة الطعام ، التى كان قد ترك فيها قبعته لارتبائه عندما غادرها ، فى مكان ما ، وسوف يأخذ الشمعة بالطبع فى يده ، لكن لم يكن سهلاً أن يجد المرء وجهته حتى فى ضوء الشمعة ، فلم يكن يعرف ، مثلاً ، موقع حجرته هذه بالنسبة لحجرة الطعام ، وكانت كلارا فى طريقهما الى هنا قد راحت تجذبه ، فلم تترك له اقل فرصة للتطلع حوله ، والتعرف على الطريق ، كما كان باله مشغولاً أيضاً بمسטר جرين ، وبالخدم الذين كانوا يحملون الشمعدانات الضخمة ، وباختصار ، لم يكن يسمعه بالفعل أن يتذكر أن كانا قد صعدا طابقاً أو طابقين ، أو أنهما لم يصعدا أى سلال على الإطلاق ، ولهذا فقد حاول أن يقنع نفسه بأنهما كانا قد ارتقيا سلماً ما ، لكنه وجد أمام الباب درجات كان عليه أن يصعدها ، فلماذا لا يكون هذا الجزء من المنزل مرتفعاً قليلاً عن مستوى ارض الحديقة هو أيضاً ؟ لو أتيح له فقط شمع من الضوء يتسرب من أحد الابواب التى تتابع فى تلك الردهة أو صوت يمكنه أن يسمعه على البعد ، مهما كان خافتاً ؟

كانت ساعته - التى أهداها له خاله - تشير الى الحادية عشرة ، فأخذ الشمعة ومضى الى الردهة ، وترك باب حجرته مفتوحاً ، فإذا لم يوفق فى العثور على طريقه ، فيمكنه على الأقل أن يمود ثانية الى حجرته ، ويمكنه فى حالة الضرورة القصوى أن يصل الى حجرة كلارا أيضاً ، ولكى يضمن عودته الى الحجرة ، وضع مقصداً فى فتحة الباب ، فربما انغلق من نفسه . وفى الردهة اكتشف امراً سيئاً - كان قد استدار الى اليسار ، مبتعداً بالطبع عن حجرة كلارا - فقد اندفع فى وجهه تيار هوائى ، كان من الممكن رغم أنه كان تياراً ضعيفاً أن يطفىء شمعته بسهولة ، لهذا اضطر الى

ان يحوط بيده على لهب الشمعة ، وكثيرا ما كان يتوقف حتى يعود اللهب الذاوى الى التوهج من جديد ، كان يتقدم فى طريقه ببطء ، وبدا ذلك وكأنه يضاعف من طول الطريق ، وكان كارل قد قطع مسافة طويلة ، بطول حائط أصم ، خال من الابواب او الفتحات ، ولم يكن فى مقدور المرء ان يتخيل ماذا كان يقع خلف ذلك الحائط ، حتى بلغ بابا بعد آخر ، وتتابعت الابواب ، وحاول كارل ان يفتح بعضها ، لكنها كانت جميعا مغلقة ، وكانت الحجرات تبدو خالية ، كانت مساحة واسعة جدا ، على نحو غاية فى الاسراف وفكر كارل فى الحى الشرقى من نيويورك ، ذلك الحى الذى وعده خاله بأن يصحبه اليه ، حيث يقال ان عددا من الاسر كانت تعيش مما فى حجرة صغيرة ، وان منزل الاسرة باكملها لم يكن سوى ركن من اركان الحجرة الواحدة ، يتكدس فيه الاطفال حول والديهم ، بينما يظل مثل هذا العدد الكبير من الحجرات الفسيحة خاويا هنا ، ويبدو ان الفرض من وجودها هو فقط ترديد الصوت عندما يدق المرء على باب كل منها . وبدا له مستر « بوللاندر » شخصا ضلله اصداقاؤه المزيفون ، وتمادى فى الهيام بابنته التى تتسبب فى خرابه . ولا شك ان الخال جيكون كان صائبا فى حكمه عليه ، وقد كان من مبادئ خاله الا يحاول التأثير على كارل فى حكمه بنفسه على الآخرين ، وقد كانت مبادئ خاله هذه ، هى السبب فى هذه الزيارة ، وفى كل هذا التجول الحائر خلال تلك الردهات سوف يخبر خاله غدا بصراحة مطلقة عن هذا كله ، مدليا بأحكامه الخاصة على كل شيء ، وسوف يسعد خاله دون شك بالاستماع الى احكام ابن اخته ، حتى عليه هو نفسه ، وربما كانت مبادئ خاله هذه ، هى الحقيقة ، ربما كانت هى الشيء الحقيقى الذى يتمتع به خاله ، وربما كانت هذه المبادئ قد اساءت كارل بصورة ما ، الا ان استيائه بدا له الآن على غير اساس .

وفجأة انتهى الجدار القائم على أحد جوانب الردهة ، وظهر على امتداده درابزين ، بارد جدا ، من الرخام ، وواجه كارل الفراغ الحالك - فهل كانت هذه الردهة هى البهو الرئيسى للمنزل ؟ - كان من الممكن على ضوء الشمعة رؤية سقف مقبى - فلماذا لم يمرا هو وكلارا بها ؟ وما هو الفرض من هذه الحجرة الهائلة الشديدة الارتفاع ؟ ان المرء يقف هنا كما لو كان واقفا فى بهو كنيسة من الكنائس ! واسف كارل غاية الاسف لانه لن يبقى فى هذا المنزل

حتى الصباح ، فقد كان يود لو اطلعه مستر بوللاندر على كل أجزاء المنزل في ضوء النهار ، وفسر له كل شيء .

كان الدرايزين قصيرا للغاية ، فلم يلبث كارل حتى وجد نفسه يسير بطول ردهة مغلقة ، وباستدارة مفاجئة اندفع مسرعا نحو الحائط ، وكان الحرص الشديد الذي كان يمسك به الشمعة في تشنج قد منعها من السقوط ، والانطفاء . وبدأت له تلك الردهة وكأنها بلا نهاية ، ولم تكن بها نافذة واحدة ، حتى يمكنه من خلالها ان يتبين اين كان ، ولا كان يتحرك فوقه شيء في الطابق الاعلى ، ولا تحته . وبدأ كارل يدور في حلقة ، وكان لديه أمل ضعيف في انه سيتمكن من الوصول الى باب غرفته مرة أخرى ، ولكنه لم يتمكن من العودة الى الحجرة المرتفعة ، ولا الى الدرايزين ، وكان قد منع نفسه عن الصباح حتى الآن ، لانه لم يكن يرغب في اثاره ضجة في منزل غريب في مثل تلك الساعة المتأخرة ، لكنه تحقق الآن ان تجوله لن يوصله الى شيء في هذا المنزل المظلم ، وكان على وشك ان يطلق عقيقته ، صائحا بأعلى صوته : « هالو ! » ، حتى يتردد صدى صيحته بطول الردهة في الاتجاهين ، عندما لمح ضوءا خافتا يقترب خلفه ، في نفس الطريق الذي سلكه ، وامكنه الآن ان يدرك طول تلك الردهة الممتدة في استقامة ، كان ذلك المنزل عبارة عن قلعة ، لا مجرد منزل فحسب ، وكان فرحه لرؤية هذا البصيص المنقذ فرحا بالغا ، حتى لقد نسي كل حدره ، واندفع في اتجاه الضوء . وكان لا يزال ممسكا بشمعه المطفأ بعد ان خطا بضع خطوات قليلة ، لكنه لم يعد يلقي بالا اليها الآن ، لانه لن يكون في حاجة اليها بعد ذلك ، فقد لمح خادما عجوزا يحمل فانوسا ويتقدم نحوه ، وسوف يدلّه هذا الخادم في الحال على الطريق الصحيح تساءل الخادم ، وهو يرفع فانوسه في وجه كارل ، فيضيء وجهه هو أيضا : « من انت ؟ » كان وجهه وقورا الى حد ما ، بسبب اللحية الهائلة البيضاء التي كانت تنتهي فوق صدره في حلقات دائرية . وقال كارل في نفسه : « لابد ان يكون خادما امينيا ، ما داموا قد سمحوا له باطلاق لحية كهذه » ، وكان يحدق بامعان في اللحية بطولها وعرضها ، دون حرج ، لان الرجل كان يتفحصه هو الآخر بدوره ، واجاب قائلا ، بأنه ضيف على مستر « بوللاندر » ، وانه قد ترك حجرته ذاهبا الى حجرة الطعام ، الا انه لم يجد الطريق اليها .

قال الخادم : « آه .. نعم ، اننا لم ننته من التركيبات الكهربائية بعد ،
فقال كارل : « اعلم ذلك ! » .
وسأله الخادم قائلا : « ألا تريد أن تشعل شمعتك من الفانوس ؟ ! »
فقال كارل ، وهو يشعلها : « لو سمحت ! »
وقال الخادم : « يوجد كثير من هذه التيارات الهوائية في هذه
الردهات ، والشموع تنطفئ بسهولة ، وهذا هو السبب في اننى
أفضل الفانوس عليها ! »

فقال كارل : « نعم ، ان الفانوس عملى أكثر منها : »
وقال الخادم ، وهو يرفع الفانوس الى بدلة كارل : « لماذا تفتيك
كل هذه القطرات من الشمع ؟ »
فصاح كارل فى انزعاج ، قائلا : « اننى لم الاحظها مطلقا ! »
أحس بالانزعاج لانها كانت بدلتة السوداء التى قال خاله انها تبدو
عليه أفضل مما عداها ، وما هى قد تلوثت الآن بهذه البقع ، كما
انها لم تسلم كذلك من مباراة المصارعة التى دارت بينه وبين كلارا .
تبين ذلك الآن ايضا ، وكان الخادم كريما جدا ، حتى انه قام
بتنظيف البدلة بقدر المستطاع ، وظل كارل يستدير حول نفسه ،
وهو يشير له الى بقعة هنا ، وبقعة أخرى هناك ، وكان الرجل
يزيلها جميعا فى طاعة .

وتساءل كارل عندما استأنفا طريقهما ثانية : « لكن لماذا كانت
التيارات الهوائية هنا بهذه الكثرة ؟ ! »

قال الخادم : « حسنا ، لانه لا يزال يجب اتمساع الكثير من
المبنى ، ان عملية اعادة البناء قد بدأت فقط ، فى الحقيقة ، الا انها
تسير فى ببطء شديد ، وقد قام عمال البناء اخيرا باضراب ، ولعلك
تعلم ذلك ، كما ان بناء منزل بهذه الضخامة يسبب كثيرا من
المشاكل ، بالاضافة الى ان عديدا من الثغرات قد حدثت فى الجدران ، ولم
يسد أحد تلك الثغرات بعد ، ولهذا تمرح التيارات الهوائية فى كل
أنحاء المنزل ، ولو اننى لم اسد اذناى بقطعتين من القطن ، لما كان
فى مقدورى ان احتملها ! »

فتساءل كارل قائلا : « هل يجب على اذن ان اتحدث فى صوت
أكثر ارتفاعا ؟ »

قال الخادم : « لا .. ان صوتك واضح ، لكن عند عودتك
مرة أخرى الى هذا الجانب من المنزل ، وخاصة هذا الجزء منه ،
بالقرب من المقصورة التى ستفصل فيما بعد عن باقى المنزل ،

فسوف تجد ان التيارات قد اشتدت بصورة لن يسمعك ان تحتملها! «
- « اذن فان الدرايزين الذى على امتداد هذه الردهة ، يؤدي
الى مقصورة ! »

- « نعم ! » .
قال كارل : « لقد ظننت ذلك منذ قليل ! »
قال الخادم : « انها مقصورة تستحق الرؤية فى الحقيقة ، ولعل
مستر ماك ، لولاها ما كان قد اقدم على شراء هذا المنزل لو كان
لى ان اقول ذلك ! »

وتساءل كارل : « مستر ماك ؟ لقد ظننت ان هذا المنزل ملكا
لمستر بوللاندر ؟ ! »
قال الخادم : « نعم ، ملكه دون شك ، الا ان مستر ماك
كان هو الذى قام بشرائه ، الا تعرف المستر ماك ؟ ! »
قال كارل : « اوه .. نعم اعرفه ، لكن ما هى علاقته بمستر
« بوللاندر » ؟ ! »

قال الخادم : « انه خطيب السيدة الصغيرة ! »
قال كارل ، وهو يتوقف لحظة : « لم اكن اعلم ذلك بكل تأكيد ! »
وتساءل الخادم : « اترى الامر مدهشا الى هذا الحد ؟ ! »
فاجابه كارل قائلا : « اننى فقط افكر فى هذا الامر ، فلو لم
يعلم المرء جيدا حقيقة تلك العلاقات ، لكان من السهل ان يتورط
فى اشد انواع الاخطاء ! »
قال الخادم : « اما ما يدهشنى انا ، فهو انهم لم يخبروك بشيء
عن هذا ! »

فقال كارل ، وهو يشعر بالارتباك : « نعم .. هذا حق ! »
وقال الخادم : « ربما ظنوا انك تعلم ، فهى تعد الان اخبارا
قديمة بالفعل ، لكن ها نحن قد وصلنا .. » وفتح بابا ، ظهرت
خلفه درجات سلم يؤدي مباشرة الى الطابق الاسفل ، ثم الى الباب
الخلفى لحجرة الطعام التى كانت مضيئة ما زالت ، كما كانت عند
وصول كارل .

وقبل ان يهبط كارل متجها نحو حجرة الطعام ، التى كان
يصدر عنها صوت مستر بوللاندر ، ومستر جرين ، وهما مستغرقان
فى حديثهما الذى لم ينقطع منذ ساعتين ، قال الخادم : « سانتظرك
هنا لو شئت ، لكى اصحبك مرة اخرى الى حجرتك ، فمن الصعب
ان يجد المرء طريقه هنا بسهولة فى الليلة الاولى ! »

فأجابه كارل الذى لم يدر لماذا أحس بالحزن الذى دفعه الى ان يدلى للخادم بهذا التصريح: «لن ترانى حجرتى هذه مرة اخرى !» وقال الخادم مبتسما فى شيء من الرقة ، وهو يرتب على ذراع كارل:

«لن تجد صعوبة فى عودتك اليها ، كذلك الصعوبة التى لقيتها هذه المرة !» ، ولعل الخادم كان قد فسر كلمات كارل على انه كان ينوى قضاء بقية الليلة فى غرفة الطعام ، يتحدث ، ويشرب مع السيدين ، ولم يشأ كارل ان يصرح بمزيد من الاعترافات عندئذ وجمال فى خاطره أيضا ان هذا الخادم ، الذى أحبه أكثر من أى خادم آخر فى هذا المنزل ، يمكنه ان يدهله على الطريق الى نيويورك ولهذا قال له :

— «لو انتظرتنى هنا ، فسوف يكون هذا كرما شديدا منك ، واننى أتقبله شاكرا ، وسوف أعود بعد لحظة ، على كل حال ، وأخبرك بما سوف أفعله ، وأعتقد اننى قد أكون فى حاجة الى مساعدتك .»

قال الخادم : «حسنا» ، ووضع فانوسه على الأرض ، ثم جلس فوق قاعدة منخفضة لعلها كانت بمضا من آثار نرميم المنزل «سوف انتظرك هنا ، الآن ، ويمكنك ان تترك مضى شيمتك أيضا !» ، قال ذلك لكارل وهو يهم بهبوط درجات السلم ممسكا بالشمعة المضاءة فى يده . .

قال كارل : «اننى لا أرى الآن ما أفعله !» ، وأعطى الشمعة للخادم الذى أوما له فحسب ، وكان من الصعب ان يقطع المراء بما اذا كانت ايماءته تلك مقصودة ، او انها كانت مجرد حركة عفوية صدرت عنه عندما راح يتحسس لحيته بيده . .

فتح كارل الباب الذى اضطرب فى صوت مرتفع رغما عنه ، فقد كان عبارة عن لوح واحد من الزجاج ، كان يوشك على ان يقفز مخلوعا من مكانه عندما يفتح فى غير احتراس ، دفعه كارل متمجلا من مقبضه ، وتركه يتأرجع خلفه فى اضطراب مزعج ، وكان كارل يريد ان يدخل الغرفة هادئا غاية الهدوء ، وأحس دون ان يستدير نحو الباب بأن الخادم يقف خلفه ، كان قد نهض من جلسته فوق القاعدة وتبعه ، لكى يخلق الباب خلفه بحذر دون أن يصدر عنه أى صوت .

وجه كارل حديثه للسيدتين قائلا : «اغفرا لى ازعاجى لكما» . فنظرا اليه بوجهين مستديرين ، قد علتها الدهشة ، والقى كارل

في هذه الأثناء بنظرة سريعة في أنحاء الحجرة ، ليرى ان كانت قبعته في مكان ما ، إلا انه لم يعثر عليها ، وكانت الاطباق التي فوق المائدة قد رفعت جميعا ، فظن في ضيق ان قبعته ربما كانت قد رفعت ايضا الى المطبخ مع الاطباق .

سأله مستر بوللاندر : « لكن أين تركت كلارا ؟ » . بدا ان تهجم كارل لم يسبب له أى ازعاج ، لانه كان قد اعتدل في مقعده ، وأدار وجهه ناحية كارل ، وبدا عدم الاكتراث على وجه مستر جرین الذى اخرج من جيبه كتابا من كتب الجيب ، اضخم في الحجم وعدد الصفحات من أى كتاب آخر من نوعه ، وراح يبحث بين صفحاته عن صفحة ما ، لكنه ظل يقرأ صفحات أخرى منه في أثناء بحثه عن تلك الصفحة .

قال كارل : « لى رجاء أرجو الا تسيء فهمه ! » ، وكان قد اندفع مسرعا نحو مستر « بوللاندر » ، ثم وضع يده على ذراع مقعده ، حتى يقترب منه بقدر ما يستطيع .

وتساءل مستر « بوللاندر » : « وما عسى ان يكون هذا الطلب ؟ ! » وكان ينظر الى كارل نظرة صريحة واضحة : « انه طلب اوافق عليه مقدما ! » ، ووضع ذراعه حول كارل ، وسحب بين ركبتيه ، واستسلم كارل ، مع انه كان يشعر بأنه كان كبيرا بالنسبة لهذا التدليل ، الا ان هذه المعاملة جعلت تصريحه بطلبه مع ذلك اكثر صعوبة وأضاف مستر « بوللاندر » متسائلا : « ما الذى أحسست به بصراحة ، بوجودك هنا ، ألا ترى ان المرء يجد شيئا من الحرية عند خروجه من المدينة الى الريف ، عادة ؟ ! » ونظر بطرف عينه نحو مستر جرین ، نظرة لها معنى لا تخطئه العين ، وان كان كارل قد حجب تلك النظرة عن مستر جرین الى حد ما : « ان هذا الشعور ينتابنى عادة كل مساء ! »

وحدث كارل نفسه قائلا : « انه يتكلم ، وكأنه لا يعلم شيئا عن هذا المنزل الهائل ، وهذه الردهات التى لا حصر لها ، ولا عن المقصورة والحجرات الخالية ، او الظلام الذى يجثم فوق كل مكان ! » قال مستر « بوللاندر » : « حسنا .. وما هو طلبك ؟ » ، وجذب كارل الذى كان يقف صامتا اليه في ود .

قال كارل : « أرجو .. » ، ولم يكن في مقدوره مهما حاول خفض صوته أن يمنع جرین الذى كان يجلس خلفه من سماع كل شيء ، وقد كان يسره لو تمكن من اخفاء هذا الطلب عنه ، هذا

الطلب الذى قد يفسر بسهولة على أنه اهانة موجهة لمستر « بوللاندر » : « أرجو .. أن تسمح لى بالعودة الى منزلى الآن ، رغم تاخر الوقت ! » .

وما ان تفوه بأسوا ما فى طلبه ، حتى انطلقت البقية كلها بمد ذلك ، فقال دون أدنى موارد اشياء لم يكن قد فكر فيها من قبل : « اننى اريد قبل كل شيء ، أن أعود الى منزلى ، وسوف يسرنى ان ارجع ثانية الى هنا ، ويسعدنى ان اكون حيث تكون يا مستر بوللاندر ، لكننى لا أستطيع ان أبقي هنا الليلة بالذات ، انك تعلم ان خالى لم يكن راغبا فى السماح لى بهذه الزيارة ، ولست اشك فى انه كان يملك أسبابا كافية لذلك ، كما توجد لديه دائما أسباب كافية لكل شيء يعمل به ، وقد تهيا لى من الجسارة ما جعلنى افرض عليه بالفعل ان يسمح لى بها ، على الرغم من انه كان على صواب . اننى قد قمت ببساطة باستغلال عطفه على ، اننى لم اهتم مطلقا باعتراضاته ، لاننى أعلم تمام العلم ، ان تلك الاعتراضات لم تكن لتفضبك يا مستر « بوللاندر » ، لانك صديقه المفضل ، افضل أصدقاء خالى جميعا ، ولا يمكن لأى شخص آخر أن يقارن بك مطلقا من بين أصدقاء خالى ، وقد كان هذا هو العذر الوحيد لعدم طاعنى لخالى ، مع انه عذر لا يكفى ، ولعلك لا تعرف الكثير عن علاقتى بخالى ، ولهذا فساذكر لك النقاط الاساسية فى هذه العلاقة ، فالى أن تنتهى دراستى للغة الانجليزية ، وطالما لم اتحول الى الحياة العملية كلية ، فانى أعيش معتمدا كل الاعتماد على كرم خالى الذى اقبله ، بالطبع ، لصلة القرابة التى تربطنا . ولا يجب أن تظن ان بإمكانى حتى الآن ان اكسب عيشى بسهولة ، وقد شاء الله ان يحرمنى من كل وسيلة اخرى أستعين بها على مواجهة الحياة ، وأصرح بأن تعليمى لم يكن تعليميا عمليا يؤهلنى لكسب العيش ، لقد اجتزت بدرجات متوسطة أربع سنوات دراسية باحدى المدارس الثانوية بأوروبا ، الا ان هذه الدراسة لاتجدى شيئا ، ولاتنفع المرء بالمرّة فى مواجهة الحياة ، ذلك لان مدارسنا متخلفة غاية التخلف فى تدريس أساليب مواجهة الحياة ، وقد تضحك لو اننى أخبرتك بالاشياء التى تعلمتها فى تلك السنوات الأربع ، ولو أتبع لصبى مثلى أن يمضى فى دراسته ، فينتهى من الدراسة الثانوية ، ثم يلتحق بالجامعة ، فربما أفاده ذلك فى النهاية ، وزوده بمعرفة تامة ، تؤهله للقيام بعمل من الاعمال ، وتمنحه الثقة فى قدرته على التمسك وراء

الرزق ، لكننى - لسوء الحظ - لم اتمكن من مواصلة الدراسة المنتظمة ، ويخيل الى احيانا اننى لا اعرف شيئا بالمرّة ، وعلى اية حال ، فارقتى معلوماتى لا يمكنها ان تعيننى على مواجهة الحياة فى أمريكا . لقد ادخلت حديثا بعض الاصلاحات على نظم التدريس ببعض المدارس الثانوية فى بلدى ، فأصبحت تدرس اللغات الحديثة ، وقد تدرس احيانا بعض المواد التجارية ، الا ان تلك النظم الحديثة لم تكن قد وجدت بعد ، عندما انتهيت من دراستى الابتدائية ، والتحقت بالمدرسة الثانوية ، ولاشك ان والدى كان يريدنى ان اتعلم اللغة الانجليزية ، لكن لم يكن فى مقدورى ان اتبأ وقتها بسوء حظى ، وبأننى سأحتاج الى استعمال اللغة الانجليزية فى يوم من الايام ، هذا من ناحية ، ومن ناحية اخرى فقد كان على ان اتعلم فى المدرسة اشياء اخرى كثيرة ، فلم يتسع وقتى لدراسة اللغة الانجليزية ، اننى اذكر هذا كله لكى اوضح لك مدى اعتمادى على خالى ، والى اى حد اعتبر نفسى مدينا له ، نتيجة لذلك . ولعلك توافقنى على ان وضعى ، نظرا لهذه الظروف ، لا يسمح لى بأن اسيئه ادنى اساءة ، او اعصى حتى اوامره التى لا يعلنها . فلو كان لى ان اكفر ولو عن نصف الغلطة التى ارتكبتها الآن بالفعل بمجيئى الى هنا بغير رضاه ، فيجب على ان اعود الى المنزل فى الحال » .

خلال هذه الخطبة الطويلة التى القاها « كارل » ، كان مستر « بوللاندر » يستمع فى انتباه ، ويضبط على كارل من حين لآخر ضغطا خفيفا ، لم يكن كارل يشعر به ، وخاصة كلما كان كارل يذكر اسم (خاله جيكوب) ، وكان يحرق فى جدية ، مرات عديدة ، وكأنه كان يتوقع شيئا من جرّين ، الذى كان مشغولا بكتاب الجيب الذى كان يتصفحه . وكان كارل قد بدا يشمر بقلقه يزداد ، ويزداد ، كلما اتضحت له علاقته بخاله اكثر فاكثر خلال خطبته ، وحاول لا شعوريا تخلص نفسه من ذراع بوللاندر . كل شيء هنا كان يعوقه ، الطريق المؤدى الى خاله ، خلال الباب الزجاجى ، و .. هبوط الدرجات ، والسير بطول الطريق ، وعلى امتداد الطرق الريفية ، وخلال الضواحي ، الى الشارع الرئيسى العريض حيث يقوم منزل خاله ، تهيات له كلها شبكة دقيقة التنظيم ، تستلقى هنالك خاوية ، وملساء ، وممهدة ، تدعوه بأعلى صوتها . واختلطت رقة مستر « بوللاندر » ، بسماجة مستر جرّين . كان

كل ما جاء يرجوه من هذه الحجرة المثلثة بالدخان هو السماح له بالعودة ، وأحس بانفصاله عن مستر بوللاندر ، وبرغبته في محاربة مستر جريرين ، وكان كل ما حوله عبارة عن خوف غامض ، كانت وطأته قد جعلته عاجزا عن الرؤية .

وتراجع خطوة الى الخلف ، ثم توقف على مسافة متساوية من مستر بوللاندر ، ومستر جريرين .

تساءل مستر « بوللاندر » قائلا ، وهو يمسك بيد مستر جريرين في توسل ، مستديرا نحوه : « اليس لديك شيئا تقوله له ؟ »

وقال مستر جريرين : « لست ادري ماذا يمكنني ان اقوله له » ، قالها مستر جريرين بعد ان اخرج خطابا من بين صفحات كتاب الجيب اخيرا ، ووضع امامه على المائدة ، و اضاف قائلا : « ان رغبته في العودة الى خاله مسألة تخصه ، وبامكان المرء ان يزعم ان عودته تجلب السرور الى خاله ، ما لم يكن قد تسبب بالفعل في اغضاب خاله غضبا شديدا بمضيانه له ، ذلك العصيان الذي كان هو كل ما أمكنه ان يقدمه لخاله . ولست أشك في هذه الحالة انه من الافضل له ان يبقى هنا . من الصعب ان يقطع المرء بشيء ، اننا كلينا صديقان لخاله . وليس من السهل ان يقول المرء ان كانت صداقتي لخاله اوثق ، او صداقة مستر بوللاندر له ، ومع ذلك فنحن لا يمكننا ان نعرف ما الذي يفكر فيه خاله الآن خاصة بينما تفصلنا هذه المسافة التي تبلغ عدة أميال ، عن نيويورك . »

قال كارل ، وهو يقاسوم نفوره ، مقتربا من مستر جريرين : « يمكنني ان أفهم ما قلته انك أنت أيضا ترى انه من الافضل لي ان أعود الى خالي في الحال ، »

فاجاب مستر جريرين قائلا : « لم اقل شيئا من هذا ! » ، وعاد مرة اخرى الى تأمل الخطاب ، وراح يمر بأصابعه على حوافه ، ويبدو انه كان يرى ان مستر بوللاندر قد وجه اليه سؤالا ، وانه اجاب عليه ، على حين لا علاقة له بكارل على الإطلاق .

عند ذلك تقدم مستر « بوللاندر » نحو كارل ، واقتاده في رقة مبتعدا عن مستر جريرين ، في اتجاه النافذة الكبيرة ، ثم قال وهو ينحنى على اذن كارل ، ويمر بمنديله على وجهه تمهيدا لما يود ان يقوله ، حتى اصطدم المنديل بأنفه ، فأفرغه مستخدما منديله : « عزيزي مستر روسمان ، لا يتبادر الى نفسك الظن بانني أريد ان استبقيك هنا على الرغم منك ، هذه مسألة لا مجال فيها للشك ،

ولا يمكننى أن اضع السيارة تحت تصرفك ، اننى اعترف بذلك ،
لأنها قد وضعت فى جراج عام يبعد مسافة غير قصيرة من هنا ، فلم
يتسع لى الوقت بعد لبناء جراج هنا ، ولا يزال أمامى أن أعيد
بناء كل شئ هنا ، كما أن السائق لا يبيت هنا أيضا ، ولكنه
ينام فى مكان ما بالقرب من ذلك الجراج ، ولست أدري أنا نفسى
بالفعل أين ينام . وعلاوة على ذلك ، فليس الوقت الآن وقت عمله ،
ولا يتوقع المرء ظهوره الا فى الوقت المناسب فقط ، فى الصباح .
مع اننى لا اعتبر هذا كله عقبات تحول دون عودتك انى خالك ،
لأنك لو صممت على ذلك ، فسوف أصحبك فى الحال الى اقرب
محطة سكة حديد ، رغم بعدها عن هذا المكان ، حيث لا يمكنك أن تصل
الى خالك فى هذه الحالة ، قبل وصولك اليه فى صباح الغد ، فى
عربتى ، الا بوقت قصير ، فسوف نعود معا الى نيويورك فى
السابعة صباحا .

قال كارل : «سوف اذهب اذن بالقطار يا مستر بوللاندر بالفعل،
اننى لم افكر فى استخدام القطار مطلقا ، ولقد ذكرت أنت نفسك
اننى يمكننى أن أصل بالقطار قبل وصولى معك فى صباح الغد ،
بعربتك ! »

— « لكن الفارق لن يكون ذا أهمية فى هذه الحالة ! »

قال كارل : «حتى ولو لم يكن الفارق كثيرا . . حتى لو حدث
ذلك يا مستر بوللاندر ، اننى يسرنى دائما أن اجد ثانية الى هنا ،
ذاكرا عطفك بالطبع ، هذه هى الحقيقة ، اذا قدر لك بعد ما رأيته
من سلوكى هذه الليلة أن تدعونى لزيارتك مرة اخرى ، وربما امكننى
أن اشرح لك فى زيارتى القادمة ، على نحو اكثر وضوحا ، لماذا
كانت كل دقيقة تبعدنى عن خالى الآن ، مسألة بالغة الخطورة ! »
وأضاف قائلا ، كما لو كان قد حصل بالفعل على الاذن بالرحيل :
« لكننى ارى انه لا ضرورة لان تصحبنى بنفسك الآن ، لا ضرورة
لذلك فى الحقيقة بالمره ، ويوجد خادم يقف الآن خارج هذه الغرفة ،
يسره أن يدلنى على الطريق الى المحطة ، والآن ينبغي على فقط أن
أبحث عن قبعتى ! » .

وبهذه الكلمات مضى عبر الحجرة ، ليلقى نظرة سريعة اخيرة ،
عسى أن تكون قبعته فى مكان ما .

قال مستر جريرن : « يمكننى أن ازودك بقبعة ! » ، وأخرج
قبعة من جيبه قدمها له قائلا : « ربما نفعك الآن هذه القبعة ! » .

وتوقف كارل مندهشا ، ثم قال : « لكننى لا يمكننى ان انتزع منك قبعتك ، ويمكننى بدلا من ذلك ان امضى حاسر الرأس ، لست فى حاجة الى أى شىء ! » .
- « خذها ، انها ليست قبعتى ! » .

قال كارل : « فى هذه الحالة ، اشكرك ! » ، وتناول القبعة متمجلا ، حتى لا يتأخر أكثر من ذلك ، وارتداها ، ولم يتمالك نفسه من الضحك ، لانها كانت تناسبه تماما ، ثم خلعها ثانية ، وتفحصها ، الا انه لم يجد بها العلامة الخاصة التى كان يبحث عنها ، كانت تبدو وكأنها قبعة جديدة للغاية ، قال : « انها تناسبنى تماما ! » .

صاح المستر جريرن ، وهو يضغط على المائدة بابهامه : « اذن فالقبعة تناسبك ؟ » .

كان كارل فى طريقه الى باب الحجرة ، لبحث من الخادم ، عندما نهض مستر جريرن ، وتمطى بعد وجبته الدسمة ، وراحته الطويلة ، وضرب صدره بيده عدة ضربات مدوية ، وقال لكارل فى صوت يجمع بين النصيحة والامر :

- « يجب عليك قبل ان ترحل ان تقول وداعا للآنسة كلارا ! »

ووافقه مستر بوللاندر ، الذى كان قد نهض واقفا هو ايضا ، قائلا : « نعم ، يجب ان تفعل ذلك ! » ، ومن طريقة نطقه لهذه الكلمات ، كان يمكن للمرء ان يقول انها لم تكن قد خرجت من اعماقه ، وراح يخطط بيده فى ضعف على جانب بنطلونه ، ويزور جاكته ، ثم يفك أزرارها مرة اخرى ، تلك الجاكته البالغة القصر ، والتى لم تكن تصل الى عجزه ، طبقا للموضة السائدة ؛ الا انها كانت رداء لا يليق برجل ضخم الجثة كمستر بوللاندر . وكان فى امكان المرء ان يلاحظ فى وضوح ، وهو يقف بجوار مستر جريرن ، ان سمرة مستر بوللاندر لم تكن مظهرا من مظاهر الصحة ، كان ظهره السمين محنيا الى حد ما ، وبدا كرئيسه ناعما ومترهلا ، كان يبدو عبثا عليه بالفعل ، وكان وجهه السمين شاحبا ، ومهموما وربما كان مستر جريرن يبدو أكثر بدانة من مستر بوللاندر ، الا انها كانت بدانة متناسقة ، ومتوازنة فى جميع اجزاء جسده ، وكان يقف بكعبيه متلاصقين ، كانه جندي ، ويرفع رأسه فى استقامة مرحة ، كان يبدو كرياضى كبير ، او كابتن فرقة رياضية .
واستأنف مستر جريرن حديثه قائلا : « عليك ان تذهب الآن أولا

الى الانسة كلارا ، فقد يسرك هذا ، كما انه يتناسب تماما مع ترتيباتى الزمنية ، فلدى فى الحقيقة امرهام سوف اخبرك به قبل ان تغادر هذا المنزل ، امر لعله يحسم أيضا مسألة عودتك الى نيويورك او عدم عودتك اليها ، الا اننى مضطر لسوء الحظ ، بناء على التعليمات التى تلقيتها ، الا افشى لك شيئا مما لدى قبل منتصف الليل ، وعليك ان تدرك اننى آسف انا نفسى لذلك ، ففيه اطلاق لراحتى هذه الليلة ، لكننى سالتزم بالتعليمات التى تلقيتها ، انها الحادية عشرة والرابع الآن ، ويمكننى ان افرغ فى خلال الفترة الباقية من الوقت من مناقشة اعمالى مع مستر بوللاندر ، تلك المناقشة التى قطعتها انت ، ويمكنك انت ايضا ان تقضى وقتا ممتعا مع الانسة كلارا ، وعليك ان توافينا هنا فى تمام الثانية عشرة ، حيث انهى اليك بما يتحتم عليك ان تلم به .

فهل كان فى وسع كارل ان يرفض هذا الطلب ، الذى يفرضه عليه التادب ، والعرفان بفضل مستر بوللاندر ، والذى توجه اليه به ، علاوة على ذلك ، رجل وقح ، فى حقيقة الامر ، ولا مبال ، بينما لم يتدخل مستر بوللاندر الذى يعنيه هذا الامر بكلمة ، ولا حتى بنظرة ؟ وماذا عساها ان تكون تلك الاخبار الهامة التى لم يكن له ان يعلمها قبل منتصف الليل ؟ ان لم تكن هذه الاخبار لتمجل بعودته فى خلال ثلاثة ارباع الساعة الباقية هذه على الاقل ، بدلا من تضيقها عليه كاملة ، فلا شك انها اخبار لا تهمه فى شيء . الا ان ما كان يحيره اكثر هو تفكيره فيما اذا كان سيجد الجراءة على زيارة كلارا اصلا ، على الرغم من عداتها له ، فلو كان معه الآن خنجر كذلك الذى اعطاه له خاله ، ليستعمله ثقلا للخطابات ! فلن تكون حجرة كلارا تلك دون شك سوى وكر خطير لا يعرف الامان . كان يستحيل عليه تماما ان يذكر شيئا سيء الى كلارا هنا ، فلقد كانت ابنة بوللاندر ، وخطيبة مارك ايضا ، كما عرف اخيرا ، فلو كانت قد سلكت معه سلوكا مغايرا بعض الشيء ، لكان قد اعجب بها فى الحقيقة لتلك الروابط التى تربطها ببوللاندر ، ومارك . كان لا يزال مستغرقا فى كل تلك الخواطر ، عندما أدرك ان احدا لم يكن ينتظر منه ردا على الاطلاق ، ذلك ان جرين قد فتح الباب ، وقال للخادم الذى هب واقفا من فوق القاعدة التى كان يجلس عليها « اصحب هذا الشاب الى الانسة كلارا ! » .

حدث كارل نفسه ، عندما هرول الخادم ، وهو يشن لضعفه ،

واقتراده في صمت تام ، نحو حجرة كلارا : « هذا هو اذن الاسلوب الذي يتم به تنفيذ الاوامر هنا ! » ، وعندما مر كارل من امام حجرته ، التي كان بابها مفتوحا لايزال ، سأل الخادم ان يتيسر له الفرصة لكي يدخلها للحظة ، على امل ان يجمع شتات نفسه ، الا ان الخادم لم يسمح له بذلك .

قال له : « لا .. يجب ان تاتي معي فورا الى الانسة كلارا ، لقد سمعت ذلك بنفسك ! » .

قال كارل : « ولكنني اريد دخول الحجرة لمدة دقيقة فقط ! » كان يتطلع الى الاسترخاء ، مستلقيا فترة وجيزة فوق الاريدة ، محاولا اضاءة الوقت حتى يحين منتصف الليل .

فقال الخادم : « لا تحاول ان تموقني عن اداء واجبي ! » . وحدث كارل نفسه ، قائلا : « يبدو انه يظن ان ذهابي الى الانسة كلارا هو نوع من العقاب » ، وسار بضع خطوات قليلة ، لكنسه توقف بعدها ثانية في عناد .

قال الخادم : « تقدم ايها السيد الصغير ، ما دمت لم ترحل ، انني اعلم انك ترغب في الرحيل الليلة ، الا اننا لا نحقق عادة ما نرغبه ، ولقد اخبرتك بالفعل ان رحيلك بكاد يكون مستحيلا ! » فقال كارل : « انني لا ارجب في الرحيل ، الا انني سارحل بالفعل رغم ذلك ، وانني ذاهب الى الانسة كلارا فقط ، لكي اقول لها .. الى اللقاء ! »

قال الخادم : « هل الامر كذلك ؟ ! » ، ولاحظ كارل ان الخادم لم يكن يصدق ما قال : « فلماذا اذن لا ترغب في ان تقول لها الى اللقاء ؟ .. هيا .. تعال ! » جاءهما صوت كلارا ، قائلة :

« من الذي في الردهة ؟ » ، وشاهداها وهي تنحني وتتطلع الى الردهة براسها ، خارج احد الابواب القريبة ، وفي يدها لمبة مكتب كبيرة لها غطاء احمر ، واسرع الخادم اليها ، وذكر لها سبب وجوده ، وتبعه كارل متباطئا . قالت كلارا : « لقد جئت متأخرا ! »

ولم يرد عليها كارل في الحال ، ولكنه قال للخادم في رفق ، لكن في لهجة آمرة فيها شيء من الحزم ، لانه كان قد فهم الآن شخصية هذا الرجل : « سوف تنتظرني امام هذا الباب » .

قالت كلارا : « لقد كنت على وشك الذهاب الى الفراش » ، ووضعت اللبة فوق المنضدة ، واغلق الخادم الباب من الخارج في

هدوء : « انها الحادية عشرة والنصف الآن تماما ! » .
فقال كارل متسائلا وكان هذا الخبر كان نذيرا له بالاسراع :
« بل تعدت الحادية عشرة والنصف ؟ » ، في هذه الحالة اذن ،
يجب على ان اقول الى اللقاء في الحال ، لاننى يجب ان اكون في
حجرة الطعام في تمام الساعة الثانية عشرة ! »

قالت كلارا : « وما هو هذا الامر الذى يدعوك الى هذه العجلة ! »
كانت تسوى في شرود طيات قميص نومها ، وكان وجهها متوردا ،
وكانت تبسم ، فرأى كارل انه لم يكن هناك ما يندر بوقوع اشتباك
في مشاجرة أخرى مع كلارا ؟ وأضافت قائلة : « هل يمكنك مع
ذلك ان تعزف لى قليلا على البيانو كما وعدنى بابا بالامس ، وكما
وعدت انت الليلة ؟ »

قال : « نعم ، ولكن اليس الوقت متأخرا لذلك الآن ! » ،
كان يحاول ان يرضيها ، لان سلوكها كان مختلفا الآن تماما عن ذى
قبل ، كما لو كانت قد ارتفعت الى مستوى رقة بوللاندر ، وماك ايضا .

قالت : « نعم ، ان الوقت متأخر بالفعل ! » . وبدأ وكان
رغبتها في الاستماع الى العزف قد تلاشت الآن ، لانها اضافت
تقول : « كما ان أى صوت يصدر الآن ، سيتردد صدها خلال
المنزل كله ، واخشى لو عزفت ان يستيقظ الخدم الذين ينامون في
الطابق العلوى ! »

- « لست كما ترين مصرا على العزف ، وآمل ان اعود مرة
اخرى ، في اى يوم آخر ، او اذا لم يشغل عليك ، ان تقضى بزيارة
خالى ، وتلقين نظرة على حجرتى أثناء وجودك ، فانا امتلك بيانو
رائعا ، اهداه لى خالى ، ولو شئت فسوف اعزف لك حينئذ كل
مقطوعاتى ، وان لم تكن كثيرة لسوء الحظ ، كما انها لا تليق ايضا
بذلك البيانو الرائع ، الذى يصلح لعازف بارع ، لكن ربما أتبع
لك الاستماع الى عزف لا بأس به ، لو حددت لى مقدما موعد قيامك
بهذه الزيارة ، لان خالى ينوى احضار مدرس مشهور لكى اتدرب
على يديه . . . ولك ان تتخيل الى حد اترقب حضور ذلك المدرب ،
ولا شك ان عزفه سيكون جديرا بان تشرفينى بزيارتك للحظات
خلال درس من هذه الدروس ، وحتى اكون صريحا معك غاية
الصراحة ، فاننى اعترف لك بارتياحى لتأخر الوقت ، وبأننى لن
اعزف لك الآن ، فانا لا أجيد العزف فى الحقيقة ، ولو عزفت لك
الآن ، فسوف تدهشين لرداءة عزفى ، فاسمحي لى الان بالرحيل ،

كما ان موعد ذهابك الى الفراش ، فوق ذلك ، لابد أنه قدحان الآن! ،
واضاف قائلا بابتسامة ، عندما كانت كلارا تتطلع اليه في رقة ،
ويبدو كأنها لا تضر له أية ضفينة بسبب المشاجرة ، ومد لها يده:
« في بلدى يقول الناس ، نوما هنيئا ، وأحلاما سعيدة ! »
قالت دون ان تتناول يده : « انتظر ، فلعلك تريد أن تعزف لى
رغم ذلك » . واختفت خلال باب جانبي صغير ، كان البيانو بجانبه
وحدث كارل نفسه قائلا : « وما هو الحل فى هذه الحالة ..
لا يمكننى ان ابقى طويلا ، حتى ولو بدا سلوكها مسمى بهذه الرقة ! »
وانبعثت طريقة على باب الحجرة ، وهمس الخادم من خلال فرجة
الباب الضيقة ، دون ان يجرؤ على فتحه : « اسمح لى ، لقد دعت
الآن ، ولا يمكننى ان انتظرك اكثر من ذلك ! »
فاجابه كارل ، وكان يحس الآن بالثقة فى قدرته على ان يجد
الطريق الى حجرة الطعام بمفرده : « يمكنك الذهاب اذن ، لكن
اترك لى فانوسك امام الباب ، كم الساعة الآن ؟ ! »
قال الخادم : « الثانية عشرة الا الربع تقريبا ! »
قال كارل فى نفسه : « ان الوقت ينقضى فى ببطء » ، وتذكر
كارل حين هم الخادم باغلاق الباب انه لم يمنحه بقشيشا ، فخرج
شلتنا من جيبه - كان يحمل قطع الفكة المعدنية الآن تشخلل فى
جيب بنطلونه على الطريقة الامريكية ، اما اوراق البنكنوت فكان
يضعها فى جيب صديريه - ، وناول الشلن للخادم قائلا: « خذ هذا
مقابل عطفك ! »
وكانت كلارا قد عادت ، وهى تربت على شعرها المرتب باصابعها
عندما خطر لكارل الا يترك الخادم ينصرف ، والا فمن الذى
سيبدله على الطريق الى محطة السكة الحديد ؟ حسنا ، لا شك ان
مستر « بوللاندر » سيتمكن من ان يتصيد خادما من مكان ما ،
وربما كان ذلك الخادم المجوز قد دعى الى حجرة الطعام ، وعلى
هذا فسوف يعود الى جلوسه فوق القاعدة التى جلس عليها من قبل
- « ان تعزف لى حقا على البيانو ولو قليلا ؟ ! ان المرء نادرا
ما يستمع الى الموسيقى هنا ، فمن المؤسف أن يفقد المرء فرصة
تتاح له بالاستماع الى قليل من العزف ! »
قال كارل : « ان على اذن أن ابدا العزف فى وقت غير
مناسب ! » ، وجلس الى البيانو فى الحال ، دون أن يضع فى اعتباره
شيئا آخر سوى تأخر الوقت .

وسأله كلارا : « هل تحتاج الى نوتات موسيقية معينة ؟ ! »
فاجابها قائلاً : « لا .. شكراً ، اننى حتى لا اجيد قراءة الموسيقى
قراءة صحيحة » .

وبدا يعزف ..
كانت قطعة صغيرة تلك التى كان يجيد عزفها ، وكان يجب ان
يعزفها فى ببطء ، حتى يمكن فهمها ، وخاصة بالنسبة للغرباء ،
الا انه عزفها مسرعاً فى مارش واحد صاخب ، وهبط السكون الذى
كان قد تشوش فى كل انحاء المنزل مرة اخرى ، عندما فرغ كارل
من العزف . وظلا جالسين فى مكانهما ، وكأنهما قد تجمدا من
الارتباك ، فلم يأتيا بأية حركة .

ثم قالت كلارا : « عزف جيد بالفعل ! » ، لم يكن يوجد أى
شكل من اشكال المجاملة يصلح لاطراء كارل بعد ذلك العرض
الموسيقى الذى فرغ منه بأقصى سرعة .
سأله قائلاً : « كم الساعة الآن ؟ » .
- « الثانية عشرة الا الربع ! »

قال : « اذن فلا يزال امامى قليل من الوقت ! » ، وحدث
نفسه قائلاً : « ترى ما هى تلك القطعة الاخرى ؟ » ، ثم اضاف
قائلاً : « لايمكننى ان اعزف القطع العشر التى أعرفها جميعاً ، الا
اننى يمكننى ان اعزف من بينها لحناً واحداً على الاقل بصورة جيدة
قدر المستطاع ! وبدا فى عزف لحنه المفضل ، وهو « انشودة
الجندي » ، فى ببطء شديد ، حتى اثار فى نفس من تستمع اليه ،
الرغبة فى الاستماع الى قطعة اخرى ، رفض كارل ان يعزفها فى
البداية ، ثم اضطر الى ان يعزفها اخيراً على مضض ، كان عليه
اولاً ان يبحث عن المفاتيح بعينه كما يفصل عند عزف أى من
مقطوعاته ، ثم تذكر قطعة اخرى كانت تنتهى بنفس نهاية القطعة
التي يعزفها ، فاستغرق فى تذكر النهاية الصحيحة . ثم قال بعد
ان فرغ من العزف : « لست عازفاً مجيداً ! » ، وهو يتطلع الى
كلارا ، والدموع تترقرق فى عينيه !

ثم انبعث صوت تصفيق من الحجرة المجاورة ، فصاح كارل
قائلاً وهو يتراجع فجأة الى الخلف : « يوجد شخص آخر كان
يستمع ! »

فقالت كلارا برقة : « انه ماك ! » ، وسمع كارل بالفعل صوت
ماك ، وهو يهتف : « كارل روسمان .. كارل روسمان ! »

فقفز مطوحا ساقيه من فوق مقعد البيانو ، وفتح الباب ! رأى ماك شبه مضطجع في فراش ثنائي ضخيم ، بينما تنتشر البطاطين فوق ساقيه في اضطراب ، ورأى كذلك ستارة من الحرير الأزرق كانت هي الديكور الوحيد للفراش ، كانت تشي بدوق تلميذات المدارس ، وكان الفراش بسيطا فيما عدا ذلك غاية البساطة ، شائع الطراز ، ومصنوعا من الخشب الرخيص ، وكانت ثمة شمعة تحترق فوق المنضدة التي بجوار الفراش ، لكن الملاءات ، وذياب ماك الليلية كانت بيضاء ناصعة كلها ، حتى ان ضوء الشمعة الساقط عليها كان ينعكس على نحو يبهر الابصار ، وكانت الستارة تشع هي ايضا ، عند حوافها على الاقل ، بتموجاتها الخفيفة الحريرية ، المتهدلة . وكان باقى الفراش الى جوار ماك مباشرة فارقا ، كما كان يفرق كل شيء آخر في ظلام حالك ، ومالت كلارا تستند الى عمود الفراش ، وعيناها مثبتتان لحظتها على ماك .

هتف ماك وهو يمد يده الى كارل قائلا : « هالو .. انك تعزف عزفا جيدا جدا ، ولم اكن اعلم حتى الآن الا بموهبتك في ركوب الخيل فقط ! »

قال كارل : « لست اجد لا هذا ولا ذاك ! » ، ولو كنت اعلم انك كنت تسمع لما كنت قد عزفت ، لاشك في ذلك ، الا ان هذه السيدة الصغيرة .. » ، وتوقف كارل عن متابعة حديثه ، كان قد تردد في ان يقول (خطيبتك) بعد ان رأى ماك وكلارا يشتركان بالفعل في نفس الفراش !

ورد ماك قائلا : « الا اننى ادركت وجود تلك الموهبة ، وهكذا تحتم على كلارا ان تفريك بالمجيء من نيويورك الى هنا ، والا ما اتيح لى ان استمع الى عزفك بالمره ، ولا شك انه عزف هواة ، واضح جدا ، وخاصة في المقطوعتين الاخيرتين ، وقد كانتا بسيطتين غاية البساطة ، وتمرننت انت جيدا على عزفهما ، ولقد ارتكبت خطأ او اثنين ، الا انهما قد سببا لى سرورا زائدا ، مع تجاوز حقيقة اننى عادة لا استخف بالمعازفين مهما كان مستوى عزفهم ، لكن الا تجلس ؟ الا تمكث معنا فترة قصيرة ؟ ! قدمى له مقعدا يا كلارا ! »

قال كارل في خشونة : « شكرا ، لا يمكننى ان ابقى ، وان كان يسعدنى ذلك ، ولقد قضيت وقتا طويلا في هذا المنزل قبل ان اكتشف وجود مثل تلك الغرفة المريحة ! »

قال ماك : « سوف اعيد بناء كل شيء على هذا الطراز ! »

وفي تلك اللحظة دق جرس ما اثنتا عشر دقة في تتابع سريع ، كل دقة منها في أعقاب الأخرى ، وكان كارل يكاد يحس بهبات الهواء الذي حركته ذبذبة دقات ذلك الجرس الهائل فوق خديه ، أي نوع من القرى تلك القرية التي يوجد بها مثل ذلك الجرس ؟ .. قال كارل مندفعاً إلى الردهة ، وهو يمد يده لملك وكلارا ، دون أن يشد على أيديهما : « لقد حان وقت ذهابي ! »

لم يجد الفاتوس أمام الباب ، وندم على تسرعه في منح الخادم بقشيشاً ، وراح يتحسس طريقه بطول الحائط إلى حجراته ، لكنه ما كاد يقطع نصف المسافة إليها ، حتى رأى مستر جرير ، وهو يتطوح مسرعاً نحوه ، وقد رفع يده إلى أعلى بشمعة ، بينما تقبض أصابع يده نفسها على خطاب .

— « روسمان ، لماذا لم تأت ؟ لماذا تركتني أنتظر ؟ وما الذي أبقاك بحق الجحيم كل هذا الوقت مع الأنسة كلارا ؟ » حدث كارل نفسه قائلاً : « يا لها من أسئلة لا حصر لها ! » ، ثم ها هو الآن يدفعني إلى الحائط ! » ، وكان جرير حقاً قد توقف ملتصقاً بكارل ، الذي كان عليه أن يستند بظهره إلى الحائط ، وكان جرير قد بدا في هذه الردهة في حجم بالغ الضخامة ، فتساءل كارل بينه وبين نفسه ، ساخراً ، أن كان جرير قد التهم مستر بوللاندر أيضاً ؟

— « أنك لست رجلاً يعول على كلمته دون ريب ، فلقد وعدت أن تهبط إلى في الطابق الأسفل ، في تمام الساعة الثانية عشرة ، وبدلاً من أن تفعل ما وعدت به ، بقيت هنا تحوم حول باب الأنسة كلارا ، لكنني كنت قد وعدت باطلاعك على بعض الأخبار الهامة ، وها هي . »

ثم سلم كارل الخطاب . وقرأ كارل فوق مظهره : « إلى كارل روسمان ، يسلم له شخصياً ، عند منتصف الليل ، حيثما وجد »

قال مستر جرير ، بينما كان كارل يفض الخطاب : « اظن أنني كنت أستحق أن تتقدم إلى بالشكر ، لمجرد حضوري بالعربة إلى هنا من نيويورك بسببك ، بدلاً من أن تنتظر مني أن أطارذك أيضاً في هذه الردهات ! »

قال كارل ، وهو يستدير إلى مستر جرير ، بمجرد أن نظر إلى الخطاب : « أنه من خالي ، لقد كنت أتوقعه ! » ورد عليه مستر جرير قائلاً ، وهو يرفع الشمعة إلى أعلى :

« سواء كنت تتوقعه أو لا تتوقعه ، فشيء لا يهمنى بالمرّة ، عليك فقط أن تقرأه ! »
وقرا كارل على ضوء الشمعة :
ابن اختى العزيز ..

اننى فى حقيقتى ، كما لملك قد تحققت الآن خلال فترة صداقتنا البالغة القصر ، رجل أعمال ، وربما كان هذا أمرا لا يسر ، بل لعله أن يكون شيئا محزنا ، لا يحزن فقط هؤلاء الذين يتصادف احتكاكهم بى ، بل انه ليحزننى أنا نفسى أيضا ، الا أن أعمالى هى التى صنعتنى ، وليس لاحد أن يطلب منى أن اتخلّى من طبيعتى ، ولا حتى أنت يا ابن اختى العزيز ، ولقد كنت أنت اختيارى الاول فلو كان لى أن أقبل شيئا من قبيل هجومك الشامل على طبيعتى ، لكنت انتزعتك عندئذ من وسط الناس جميعا ، بيدى هاتين اللتين تمسكان الآن بهذا الخطاب ، واجلستك فوق رأسى ، لكن لما لم يكن لى أن أفعل شيئا من هذا ، فيجب على بعد حادثة اليوم ، أن أقصيك عنى فى الحال ، واننى أرجو منك ألا تزورنى بنفسك ، ولا أن تحاول أن تتصل بى كذلك لا بالكتابة ، ولا عن طريق الوسطاء . ولقد قررت أنت هذه الليلة أن تفارقنى ، على غير رغبتى ، فاثبتت اذن عند قرارك هذا مدى الحياة ، فمنئذ فقط يكون قرارا جديرا برجل . ولقد اخترت مستر جرّين ، افضل أصدقائى ، ليحمل اليك هذه الاخبار ، ولا شك أنه سيجد شيئا من الكلمات المشجعة لكى يقولها لك ، ولا تحضرنى أنا الآن مثل تلك الكلمات . انه رجل قادر على التأثير فى الآخرين ، وميزودك ولو كمجرد مجاملة لى فحسب ، ببعض نصائحه ، ومعونته فى خطواتك الاولى المستقلة التى تخطوها . وسيفسر لك انفسا لنا الذى يبدو لى الآن ، مرة أخرى ، مستمصيا على الفهم وأنا أنهى هذا الخطاب . ان على يا كارل أن أقول لنفسى المرة بعد الاخرى ، انه ليس لى أن أتوقع خيرا من أسرتك . فلو نسى مستر جرّين أن يسلمك صندوقك ومظلتك ، فذكره بهما .
مع افضل تمنياتى بتوفيقك المقبل .

المخلص لك
خالك جيكوب

تساءل جرّين : « هل انتهيت من القراءة ؟ »
قال كارل : « نعم .. هل أحضرت معك الصندوق والمظلة ؟ »

قال جرير : « ها هو » ، ووضع صندوق كارل السفري القديم ، الذي كان يخفيه خلف ظهره حتى الآن بيده اليسرى ، على الأرض بجوار كارل .

وعاد كارل فسأله مرة أخرى : « والمظلة ؟ »
قال جرير : « كل شيء هنا ! » ، وأخرج كذلك المظلة التي كانت مدلاة من أحد جيوب بنطلونه ، ثم أضاف قائلا : « لقد أحضر هذه الأشياء ، رجل يدعى شوبال ، وهو مهندس في خط هامبورج - أمريكا الملاحي ، وذكر أنه كان قد وجدها فوق ظهر الباكسة ، ولعلك تجد وسيلة لكي تتقدم إليه بالشكر في فرصة ما ! »

فقال كارل ، وهو يضع المظلة فوق الصندوق : « لقد حصلت الآن ثمانية على اثني القديمة على الأقل ! »

ورد عليه مستر جرير قائلا : « لكن عليك أن تهتم بها أكثر من هذا في المستقبل ، ولقد طلب مني السناتور أن أنبهك إلى ذلك ! ثم أضاف متسائلا بدافع الفضول الخالص فيما يبدو : « يا له من طراز غريب من الحقائق ، هذا الصندوق ؟ ! »

فأجابه كارل قائلا : « أنه واحد من تلك الحقائق التي يصحبها الجنود في بلدي معهم عند انضمامهم إلى الجيش ، لقد كان حقيبة الجيش القديمة الخاصة بأبي ، أنه صندوق مفيد أيضا للغاية ، وأضاف بابتسامة ، وهو يتطلب منك لهذا ألا تتركه خلفك في مكان من الأماكن ! »

فقال مستر جرير : « لقد تلقيت درسا كافيا بمد كل شيء ، واطن أنه ليس لك خال آخر في أمريكا ، وثمة شيء آخر بقي لك ممي ، هو تذكرة سفر بالدرجة الثالثة إلى سان فرانسيسكو ، وقد قررت أن أرسلك إليها ، أولا لأن فرص كسب الجيش تتاح لك بوفرة في الغرب ، ولأن لخالك ، من ناحية أخرى ، بدا في كل شيء هنا ، ستجد له بدا في أي عمل تراه مناسباً لك ، ويجب ألا يقع أي لقاء بينكما مطلقاً . ويمكنك في سان فرانسيسكو أن تقوم بما يروق لك من الأعمال ، فابداً اذن من القاع ، وحاول أن تشق طريقك شيئاً فشيئاً ، صاعداً إلى أعلى ! »

لم يجد كارل أي نوع من الخداع في هذه الكلمات ، ولقد بلفته الأخبار السيئة ، التي ظلت مخبأة في جراب جرير طوال الليل ، وبدأ له جرير الآن شخصاً مسالماً ربما أمكن له أن يتحدث إليه في صراحة ، لعله لا يستطيع أن يتحدث بها إلى أي شخص آخر .

كما انه كان افضل شخص امكن اختيساره ، على الرغم منه ، ليحمل اليه مثل ذلك السر ، وتلك الرسالة المؤلة ، وقد كان حتما عليه ان يبقى شخصا مريبا طالما كان عليه ان يحتفظ بها بينه وبين نفسه !

قال كارل : « سوف اغادر هذا المنزل في الحال ! » ، وكان يأمل ان يجد قراره هذا تأييدا من مستر جريرن لخبرته في هذا الشأن ، ثم اضاف قائلا : « ذلك اننى كنت قد دعيت الى هذه الزيارة مجاملة لخالى ، ولا محل الآن لوجودى هنا كشخص غريب ، فهل تتكرم بان تدلنى على الطريق الى خارج هذا المنزل ؟ وان تخبرنى كيف اصل الى اقرب فندق ؟ ! »

قال جريرن : « يمكننى ان افعل ذلك بأسرع مما تتسوقع ، واعتقد انك لا تخرج من التصريح لى بما تريدنى ان انفصله من أجلك ، اليس كذلك ؟ ! »

توقف كارل فجأة ، وهو ينظر الى الخطوات الواسعة التى كان جريرن يخطوها .. ان مثل هذه الصجلة تبدو مريبة للغاية ، فأمسك لهذا بذيل ممطف جريرن ، وقد ادرك فجأة حقيقة الموقف ، قائلا : « هناك شيء آخر يجب عليك ان تفسره لى ، فعلى المظروف الذى سلمته لى ، قد كتب ان على ان اتسلسله عند منتصف الليل ، حيثما تصادف وجودى ، فلماذا اذن والامر كذلك ، حجزتنى هنا من الرحيل فى الساعة الحادية عشرة والربع ؟ لقد خالفت بذلك ما وجه اليك من تعليمات ! » .

وشوح جريرن بيده ، وهو يجيب قائلا ، فى ضيق بالغ ، اوضح منه مدى سخافة سؤال كارل : « هل كان مكتوبا فوق المظروف ان على ان اقتل نفسى من الاجهاد فى مطاردتك ، والسعى فى الترك ، وهل تشير محتويات الخطاب ادنى اشارة الى ان التعليمات التى تتضمنها يمكن ان تفسر على هذا النحو ؟ ! » اننى لو لم اكن قد حجزتك هنا ، لكان على حينئذ ان اسلمك الخطاب بالتحديد ، فى الطريق العام !

فقال كارل فى غير اقتناع : « لا .. ان الامر ليس كذلك ، فلقد كتب على المظروف : « يسلم عند منتصف الليل » ، وربما يكون التصب قد نال منك عندئذ ، فلم يسلمك ان تتمقبنى بالمرّة ، ولملنى كنت قد وصلت الى منزل خالى عند منتصف الليل ، ولنفرض مثلا ان مستر بوللاندر لم يخطر بباله ان شيئا من هذا يمكن ان يحدث ،

أو أنه كان من واجبك أنت ، باختصار ، إن تعيدنى الى خالى بعربتك التى تجاهلت وجودها بالمرّة بتلك الصورة المتعمدة ، وخاصة اننى كنت متشبثا بالعودة ، ألم يذكر نص الخطاب فى غاية الوضوح ان منتصف الليل كان هو الموعد المحدد لى ؟ وانك الملوم وحدك ، بعد ان فاتنى هذا الموعد ؟ ! »

نظر كارل الى جرّين نظرة مأكرة ، وراى ان الخجل امام هذه المواجهة كان قد علا وجه الرجل مختلطا بالفرح لنجاح تدبيره ، حتى تمالك نفسه فى النهاية ، ليقول محتدا ، وكأنه يضع حدا لاتهامات كارل ، رغم ان كارل كان قد لاذ بعد ذلك بالصمت لفترة طويلة : « لا تنفوه بكلمة أخرى ! »

ورفع كارل مرة أخرى صندوقه ، ومظلته ، وسار بهما نحو باب صغير دفعه ، فانفتح امامه .

ووجد كارل نفسه فى الخلاء لدهشته ، وراى درجات سلم خارجى بلا درابزين كان يؤدى الى الحديقة ، كان عليه فقط أن يهبط درجاته ، ثم يستدير نحو اليمين حتى يبلغ الممر الذى يؤدى الى الشارع .

وفى ضوء القمر الساطع استطاع فى سهولة ان يتبين طريقه ، وكان يصله نباح الكلاب المتزايد التى كانت تنطلق بلا قيد فى ارجاء الحديقة تحت ضوء القمر ، وتقفز هنا وهناك بين ظلال الاشجار ، وكان يسمع فى السكون صوت ارتطام تلك الكلاب فوق العشب بعد قفزاتها الهائلة .

وتمكن كارل من مغادرة الحديقة ، دون ان تتعرض له الكلاب ، ولم يكن يدري على وجه اليقين ، فى أى اتجاه كانت تقع نيويورك . الا انه لم يكن عندما غادر الحديقة ، قد انتبه الى شيء من التفاصيل التى قد تصبح ذات نفع له الآن ، ثم قال فى نفسه أخيرا انه لا يوجد الآن ما يدفعه الى الذهاب الى نيويورك ، حيث لا يتوقع مجيئه احد ، وحيث يوجد بالتأكيد رجل معين لا يتوقع مجيئه مطلقا ، وعلى هذا فقد اختار اتجاهها صادفه ، وانطلق سائرا فيه .

الفصل الرابع

الطريق الى رمسيس

في الحانة الصغيرة التي بلفها كارل بعد فترة قصيرة من السير، والتي كانت عبارة عن مجرد مطعم صغير، كان سائقو لوريات وعربات نيويورك يتناولون طعامهم فيها، وكانت تستعمل أحيانا كمأوى ليلي، طلب كارل أرخص فراش يمكنه أن يقضي فيه ليلته، وكان قد رأى أنه يجب عليه أن يبدأ فوراً في التقشف. وعندما كان يقف في انتظار تلبية طلبه، لوح له صاحب الحانة طالباً منه أن يصعد إلى أعلى الدرج، كما لو كان خادماً بسيطاً، واستقبلته في أعلى الدرج عجوز شمطاء، شمشاء الشعر، كانت متجهمة لأنها كانت قد نهضت من نومها، وراحت تحذره - دون أن تستمع إليه مطلقاً - لا يحدث أية ضوضاء، وإن يتقدم في هدوء بينما كانت تتقدمه حتى بلغت حجرة، أغلقت بابها خلفه، بعد أن همست له قائلة: «هست»!

ولم يتمكن كارل في البداية من أن يدرك هل كانت ستائر النافذة مسدلة أو أنه لم تكن توجد بالفرفة نافذة على الإطلاق، فقد كان الظلام حالكا، لكنه تبين في النهاية كوة جذب غطاءها، فانتشر بداخل الحجرة قليل من الضوء، ورأى بالحجرة فراشين، كانا مشغولين كليهما بالفعل، فقد كان يستلقي فوقهما شابان، مستغرقين في نوم عميق، لم يكن شكلهما يوحي بالاطمئنان للوهلة الأولى بلا سبب مفهوم. كانا مستغرقين في النوم بملابسهما كاملة، وكان أحدهما ينتمل حذاءه أيضاً.

رفع أحد الشابين المستغرقين في النوم، عندما كشف كارل غطاء الكوة، ذراعيه وساقيه قليلاً إلى أعلى فبدأ منظره قريباً، حتى أن كارل لم يستطع إلا أن يضحك في نفسه بالرغم من حذره. وسرعان ما تحقق كارل من أنه - على الرغم من عدم وجود أي شيء بالفرفة يمكنه أن ينام فوقه، لا فراش ولا أريكة، ولا أي شيء - لن يمكنه أن ينام هنا بحال من الأحوال. فلم يكن في مقدوره أن يجازف بفقدان صندوقه الذي مثر عليه أخيراً، وبفقدان النقود التي يحملها. إلا أنه لم يرغب في مفارقة المكان أيضاً، فلم يكن

يدري كيف يواجه المرأة المعجوز وصاحب الحانة اذا غادر المكان بهذه السرعة ، ولعله بعد هذا كله ، ان يكون آمنا هنا على الاقل ، نفس الامان الذى قد يتاح له فى الخلاه ، اذا هو غادر المكان فى هذا الوقت المتأخر من الليل ، ولا شك أنه كان من الضريب الا يجد بالحجرة اى اثاث بقدر ما امكنه الرؤية فى ذلك الضوء الخافت ، لكن ، ربما كان هذان الشابان خادمين بالحانة ، وعليهما ان ينهضا من نومهما فى وقت مبكر استعدادا لخدمة النزلاء ، ولعلهما لهذا السبب كانا ينامان بملابسهما . فلم يكن امامه ما يدعو للفخر فى هذه الحالة ايضا دون شك ان كان عليه ان ينام فى حجرتهما بعد ان يفادراها ، لكنه على اية حال امر يقل فيه عنصر المجازفة . ومع ذلك فليس له ان يستغرق فى النوم استغراقا تاما ، مهما كانت الاحوال ، حتى يتأكد من صحة افتراضاته هذه بصورة لا تقبل الشك .

وتحت الفراش كانت توجد شمعة بجوارها بضمة اعواد من الثقاب ، زحف كارل فى حذر ، وتناولها ، لم يكن يخشى اشغال الشمعة ، فقد كانت الحجرة تخصه كما تخص الشابين الآخرين ، اللذين كانا قد نهما بالنوم الى ما بعد منتصف الليل ، بالاضافة الى انفرادهما بالفراشين اللذين كان يعدهما ميزة لا تعدلها ميزة اخرى فى تلك اللحظات ، ومع ذلك فقد كان يتجول فى انحاء الحجرة بغاية الحذر حتى لا يتسبب فى ايقاظهما

كان يود أولا ان يفحص محتويات صندوقه ، ويجرد اشياءه التى لا يكاد يذكرها الآن بصورة واضحة ، تلك الاشياء التى لاشك قد اختفى أهمها بالفعل . فما ان تمتد يد شوبال الى شيء حتى يكاد يتلاشى الامل تقريبا فى ان تسترده ثانية كما كان . وربما كان قد توقع بالطبع بقشيشا كبيرا من الخال جيكوب ، لكن لو ان شيئا قد فقد بالفعل من محتويات الصندوق ، فعليه ببساطة ان يلقي لومه على الحارس الاصلى للصندوق ، مستر باتربوم !

ولقد انزعج كارل عندما نظر فى داخل الصندوق للوهلة الاولى . كم من الساعات انفقها خلال رحلته ، فى ترتيب ، واعادة ترتيب اشياءه ، لكى يجد كل شيء الآن مضطربا بداخله ذلك الاضطراب الشنيع ، حتى أنه لم يكد يدير المفتاح فى القفل حتى قفز الفطاء الى أعلى تلقائيا

ثم اكتشف فى التو لفرحته ، ان السبب الوحيد فى تلك الفوضى،

هو ان شخصا ما كان قد اضاف الى محتويات الصندوق ايضا بدلته التي كان يرتديها خلال الرحلة ، ولم يكن الصندوق بالطبع ، ليتسع لها الا بصعوبة . لم يكن اى شيء من محتويات الصندوق قد فقد ولم يجد في الجيب السرى لجاكتته جواز سفره فقط ، بل وجد ايضا النقود التي كان والداه قد زوداه بها ، واصبح لهذا ، بالاضافة الى ما كان يحمل من نقود ، مزودا الآن بقدر كاف من المال ، وحتى الملابس الداخلية التي كان يرتديها عند وصوله كانت موجودة كذلك بداخل الصندوق وكانت قد هُسلت ، وتم كيها . وضع نقوده وساعته في داخل جيبه السرى الامين من فوره . وكان الشيء الوحيد الذى اسف له كارل هو ان قطعة لحم السالامى الفيرونيزية التي كانت موجودة في الصندوق ، كانت قد خلفت رائحتها على كل الملابس ، فلو استطاع ان يجد طريقة لازالة تلك الرائحة من الملابس التي كان عليه ان يتجول بها في كل مكان لعدة شهور ؟

وبينما كان يبحث عن شيء ما في قاع الصندوق - وهو كتاب مقدس في حجم الجيب ، وبعض اوراق الخطابات ، وصور فوتوغرافية لوالديه - سقطت القبعة من فوق راسه الى داخل الصندوق ، وتبينها على الفور من حروفها المتأكلة ، كانت هي قبعة نفسه ، التي كانت والدته قد اعطته اياها ليرتديها في اثناء الرحلة ، ولم يكن قد استعملها رغم ذلك على الباخرة من قبيل التوفير فقد كان يعلم ان الناس في امريكا يرتدون القبعة المستديرة بدلا من القبعة العالية ، ولم يكن يريد ان يستهلك هذه القبعة لذلك قبل ان يصل الى امريكا ، وها هو مستر جرين قد استعملها فقط لمجرد استئفاله ، فهل كان الخال جيكوب قد نبه عليه بان يفعل ذلك ايضا ؟ وبحركة حائقة لا شعورية جذب كارل غطاء الصندوق ، فانطلق مدويا في عنف .

لم يعد امامه الان اية حيلة في الامر ، فقد استيقظ النائمان ، تمدد اولهما وتشاءب ثم تبعه الآخر في الحال ففعل نفس الشيء . كانت كل محتويات الصندوق مكومة فوق المنضدة ، فلو كان هذان الرجلان لصين ، فلم يكن عليهما الا ان يتقدما نحوه ، ويضما ايديهما على ما يروق لهما . وتقدم كارل وهو يحمل الشمعة في يده نحو الفراشين ، كمحاولة لمواجهة هذا الاحتمال ، والتأكد من حقيقة وضعه وفسر لهما كيف دخل هذه الحجرة فلم يبد عليهما

انهما كانا ينتظران اى تفسير ، فقد ظلا يحدقان اليه فحسب دون ان يتمكننا من الرد عليه ، فقد كان النوم يظلبهما ، ولم يجد كارل على وجهيهما أثرا للدهشة أو استنكارا لوجوده . كانا شابين ، إلا ان العمل الشاق ، أو الفقر كان قد ابرز عظام وجنتيهما بصورة ملحوظة ، وكانت تتهدل من ذقنيهما خصلات لحيتين شعثاوتين وكان شعرهما أشعث كذلك ، وبدا انه لم يحلق منذ فترة طويلة ، لانه كان متلبدا فوق فروتي رأسيهما . ودعكا أعينهما الفائرة التي كان النوم لايزال يغلقهما

وقرر كارل ان يستغل جيدا حالة الضعف المؤقت التي كانا يبدوان عليها في تلك اللحظة فقال : « ان اسمى هو كارل روسمان . واننى المانى الجنسية ، فاذكرا لى اسميكما لو تفضلتما بذلك ، بما اننا نشغل معا نفس الغرفة ، ومن اى بلد جئتما ، وأصرح لكما كذلك بأننى لا اتطلع الى مزاحمتكما فى فراشيكما . فلقد وصلت متأخرا . وليست لدى أدنى رغبة فى النوم ، على أية حال ، كما انه لاينبغى لكما ان تسيئا فهم حالى نظرا للبدلة الحسنة التي ارتديها ، فانا معدم تماما ، وبلا أدنى أمل . »

وأشار اصفر الرجلين - وهو ذلك الذى كان ينام منتعلا حذاءه - بيديه وساقيه وحركة جسده ، بما يدل على عدم اهتمامه بهذا كله وبأنه لا يملك وقتا للاستماع الى هذه المعلومات ، واستلقى ثانية على الفراش ، متأهبا لاستئناف نومه فى الحال ، لكنه قال ملوحا بيده قبل ان يعود الى النوم : « هذا الشاب الذى هناك يدعى روبنسون ، وهو ايرلندى ، أما انا فأدعى ديلا مارش ، وأنا فرنسى ، والآن أرجوك ان تلتزم الهدوء ! » وما أن فرغ من ذلك ، حتى اطفأ شمعة كارل بنفخة شديدة من فمه ، وألقى برأسه فوق الفراش .

قال كارل فى نفسه : مستديرا نحو المنضدة « حسنا لقد زال الخطر الآن مؤقتا ! ، ، فاذا لم يكن نومهما الان مفتعلا ، لكان كل شىء على ما يرام . وكان الشىء الوحيد الذى لم يرجع اليه ، هو ان احدهما كان ايرلنديا ، ولم يكن فى امكان كارل ان يتذكر فى اى كتاب كان قد قرأ ذات مرة ، عندما كان فى بلده ، ان على المرء اذا قدر له ان يذهب الى امريكا ، ان يحذر الايرلنديين ، وقد كانت أمامه ، عندما كان يقيم فى منزل خاله ، فرصة ممتازة بلا شك ، كان يمكنه ان يستفسر فيها عن ذلك الخطر الايرلندى ، لكنه

كان قد اعتقد حينذاك بأنه كان قد تحصن تماما ضد كل الاخطار حتى نهاية حياته . فقد أهمل بحث ذلك الامر تماما ، ورأى كارل ان عليه أن يلقي الآن على الاقل نظرة فاحصة ، على الرجل الايرلندى فى ضوء الشمعة ، التى اشعلها ثانية ، ووجد ان الرجل يبدو محتملا فى حقيقة الامر اكثر من الرجل الفرنسى ، كانت وجنتاه لا تزالان تحملان اثرا من الاستدارة ، وكان يتنسم فى نومه ، بصورة ودود ، بقدر ما أتيح لكارل ان يرى ، عندما كان يقف على أطراف أصابعه على مسافة بعيدة من الرجل وهو يتطلع اليه .

وقرر كارل بصورة قاطعة الا ينام على الرغم من كل شيء ، وجلس فوق المقعد الوحيد بالحجرة ، وأجل إعادة ترتيب اشيائه بداخل الصندوق لبعض الوقت ، ثم تناول صورة فوتوغرافية لوالديه ، كان يقف فيها والده الشاب منتصب القامة خلف والدته ، التى جلست فوق مقعد ذى مسندين ، منظوية على نفسها الى حد ما ، وكانت احدى يدي والده تستند على ظهر المقعد ، بينما كانت يده الاخرى المضمومة تستقر فوق كتاب مصور فوق ترابيزة صغيرة كانت بجانبه ، وكانت ثمة صورة فوتوغرافية اخرى كانت تضم كارل مع والده ، وكانا يتطلعان اليه فيها باهتمام ، بينما كان هو يحمل فى الكاميرا كما طلب منه المصور ، الا انه لم يحضر معه هذه الصورة عند رحيله .

وتفحص الصورة التى أمامه فى تركيز ، وحاول ان يواجه نظرة والده من مختلف الزوايا ، الا ان والده لم يتجسد أمام عينيه ، مهما كان يحاول ان يعدل تعبير وجهه فى الصورة بتحريك الشمعة فى اتجاهات مختلفة ، ولا كان شارب الكيف الاقى ، يبدو حقيقيا هو أيضا . لم تكن صورة جيدة الا ان والدته رغم ذلك كانت قد تبدت له على نحو افضل ، كان فمها مزموما كما لو كانت تعاني الما ، ولا بد لها مع ذلك ان ترفم نفسها على الابتسام ، وبدا لكارل ان أى شخص ينظر الى هذه الصورة لابد سيسفاجا بهذا الشهور ، حتى لقد بدأ يدرك انه كان تفسيرا مبالغا فيه ، فكيف يمكن لصورة فوتوغرافية ان تشي بالمشاعر الدفينة بهذا الوضوح ؟ وحول نظرتة قليلا ، بعيدا عن الصورة وعندما تفحصها ثانية لاحظ يد والدته التى امتدت الى الامام ، تركت مسند الكرسي وتحركت الى مقدمة الصورة ، فبدت قريبة منه جدا حتى بدا فى امكانه ان يتناولها ويقبلها ، وفكر هل من الواجب عليه ان

يكتب الى والديه ، مع انهما قد حذراه الا يكتب اليهما ، (وخاصة والده الذي نبه عليه في حزم بالغ بالا يفعل ذلك وهو يودعه في هامبورج) . في تلك الليلة الاليمه ، كان قد اتخذ قرارا حاسما بالا يكتب اليهما ، عندما اخبرته والدته وهي تقف الى النافذة بأن عليه ان يرحل الى امريكا ، لكن ماذا يهم قرار صبي عديم الخبرة ، في مثل تلك الحالة ؟.. وبعد تلك التطورات الجديدة ولعله كان قد قرر أيضا حينئذ ان شهرين في امريكا سوف يتسلمان له لكي يبلغ منصب قائد الجيش الامريكى المرباط ، لا ان يقبع الآن هنا في مثل هذا الوكر الى جانب اثنين من المشردين ، في مطعم خارج نيويورك ، هذا المكان الذى كان يناسبه تماما ، طالما لم يكن أمامه سوى ان يقبله ، وتفحص وجهى والديه بابتسامة كما لو كان يحاول ان يقرأ في ملامحهما مدى استعدادهما لان يتلقيا اخبارا من ابنتهما .

وشغله مقدما خوفه من ان يدركه الارهاق في النهاية ، والا يتمكن من البقاء مستيقظا طوال الليل ، و .. سقطت الصورة من بين يديه ، فوضع وجهه فوقها ، واستمتع بلمسها البارد تحت خده ، وفي شيء من الارتياح استغرق في النوم . واستيقظ في الصباح المبكر عندما احس بلسكة تحت ابطه ، كان الرجل الفرنسى قد سمع لنفسه بأن بلسكه تلك اللسكة ، الا ان الايرلندى كان يقف ايضا الى جانب المنضدة ، وكانا يتطلمان اليه بلا مبالاة ، كذلك التى ابدياها تجاهه في اثناء الليل ولم يدهش كارل لانهما لم يوقظاه معهما عندما استيقظا ، فلم يكن هنالك ما يدعو الى الارتياح في حركاتهما المتلصصة لانه كان غارقا تماما في نومه وبدا له انهما لم يبدلا مطلقا ادنى مجهود في ارتداء ثيابهما ، كما بدا له من مظهرهما انهما لم يفتسلا كذلك .

وقدما اليه نفسيهما الآن في شيء من التكلف على انهما ميكانيكيان ظلا متمطين لمدة طويلة في نيويورك ، ولهذا كان الحال قد انحدر بهما الى هذه الصورة ، ولكي يبرهن له روبنسون على ذلك ، فك أزرار سترته ليبين له انه لم يكن يرتدى قميصا فوق جسده ، الا أن المرء كان يسهه أن يخمن ذلك من تهدل ياقة السترة التى كانت قد أحكمت فقط الى العنق ! وقد كانا في طريقهما الى مدينة صغيرة هى باترفورد ، وتبعد مسافة يومين سيرا على الاقدام من نيويورك ، حيث اشيع أن فرص العمل تتوفر بها . ولم تبدر

منهما اية اعتراضات على انضمام كارل اليهما ، ووعدا بان يتبادلا حمل صندوقه ، وان يجدا له عملا ايضا كصبي اذا تمكنا من المشور على عمل لهما ، وهو امر يسهل تدبيره اذا توفر المصمل اساسا ، ووافقهما كارل على ذلك ، فنصحاه في لهجة ودية ان يخلع بدلته الجيدة التي يرتديها ، والتي ستوقه في بحثه عن عمل ، وقد كان في تلك الحانة نفسها فرصة صالحة للتخلص من تلك البدلة ، لان المرأة المجوز تنجر في الملابس القديمة ، وفي الحال ، عاونا كارل - الذي لم يكن قد قرر بصورة نهائية ما سيفعله في امر البدلة - على خلعها ، واختفيا بها ، وعندما خلا كارل الى نفسه . وكان لايزال تحت تأثير النعاس ، ارتدى في تكاسل بدلته القديمة ، وهو يلوم نفسه لانه قد وافق على بيع البدلة الجيدة ، التي قد تموقه الآن بالفعل عن الحصول على عمل كصبي ، الا انها تتيح له ان يظهر في صورة حسنة الى حد كاف ، عندما يتطلع الى وضع افضل في فرصة اخرى ، وفتح الباب في الحال لكي يدعو الرجلين الى العودة بالبدلة ، ليواجههما عندما فتح الباب واقفين امامه ، مزودين بنصف دولار وضماه فوق المنضدة امامه ثمنا لبدلته ، وفي الوقت نفسه كان يبدو عليهما الانشراح الى حد انه كان يصب على المرء الا يعتقد بأنهما قد استفادا بشيء من الثمن ، وانهما قد استفادا فائدة كبيرة ايضا ، لشدة قرف كارل !

لكن ام يكن هناك متسع من الوقت حتى يتحدث اليهما كارل في هذا الشأن ، فقد اندفعت المرأة المجوز الى داخل الحجرة ، وهي تغالب نومها كما بدت في الليلة السابقة ، وراحت تدفهم جميعا امامها الى خارج الحجرة وهي تقول لهم ان الحجرة يجب ان تخلو الآن لوجود بعض النزلاء الجدد ولم يكن هناك مجال لبحث هذا الامر ، ولم تكن هناك حاجة الى القول بأنها كانت تفعل ذلك كمجرد خدمة ، وكان على كارل عندما شرع في جمع اشيائه في داخل الصندوق ، ان يتطلع اليها ، وهي تجمعها بدلا منه بكلتا يديها وتقذف بها في عنف الى داخل الصندوق ، كانت تحاول التخلص منهم كما لو كانوا ثلاثة من الحيوانات الكاسرة ، تريد ان تطردهم خارجا بأسرع ما يمكنها ، وظل الميكانيكيان يراوغانها ، ويدوران حولها ويجذبان طرف ردائها ، ويلطمانها فوق ظهرها ، لكن لو انهما كانا يعتقدان انهما بذلك يساعدان كارل لكانا مخطئين في ظنهما خطأ بالفا ! وعندما اغلقت المجوز الصندوق ، اقلت

بمقبضه بين اصابع كارل ، ودفعت الميكانيكيين ، وسافتهم جميعا امامها الى خارج الحجسرة وهى تهدد ، بانهم ان لم يسارعوا بالخروج ، فانها لن تقدم لهم القهوة ، وبدا واضحا انها قصدت تناسل تماما ان كارل لم يكن فى صحبة الميكانيكيين من البداية ، لانها كانت قد طاردتهم جميعا ، ولما كان الميكانيكيان قد باعا لها بدلة كارل ، فوق ذلك ، فقد وشى ذلك كله بشيء من التضامن بينهما وبينها .

كان عليهم ان يدرعوا الممر ذهابا وجيئة وقتا طويلا ، واقسم الرجل الفرنسى الذى كان قد امسك بذراع كارل ، فى وضوح منقطع النظر مهددا بان يطرح صاحب الحانة ارضا لو جرؤ على الظهور ، وضرب قبضتيه المطبقتين فى هياج ، كما لو كان يستعد للمواجهة . واخيرا ظهر صبي ضئيل برىء المظهر ، كان صغيرا للغاية حتى لقد كان عليه ان يقف على اطراف اصابعه لكى يتناول القهوة للرجل الفرنسى ، ولم يكن هناك لسوء الحظ شيء سوى العلبة الصفيح ، ولم يكن فى مقدورهم ان يوضحوا للصبي حاجتهم الى الاكواب . وهكذا لم يكن عليهم سوى ان يتناوبوا تناول القهوة من العلبة الصفيح ، الواحد منهم بعد الآخر بينما يقف الاخران فى انتظار دورهما ولم يكن كارل ليقبل تناول القهوة على هذا النحو ، لكنه لم يرغب ايضا فى اهانة الآخرين ، ولهذا رفع العلبة الصفيح الى شفتيه عندما حان دوره ، الا انه لم يشرب شيئا منها رغم ذلك .

وطوح الرجل الفرنسى بالعلبة على الدرجات الحجرية ايدانا بالرحيل وغادروا الحانة دون ان يلحظهم احد وتقدموا نحو ضباب الصباح الكثيف الضارب الى الاصفرار ، وساروا فى صمت جنبا الى جنب على حافة الطريق ، وكان على كارل ان يحمل صندوقه لان الآخرين لم يظهروا ما يدل على استعدادهما لحمله ليتيحوا له ان يرتاح قليلا . الا عندما كان كارل يطلب منهما ذلك ، وكانت تندفع من حين لآخر سيارة من خلال الضباب وكان الثلاثة يديرون رؤوسهم ، ليتطلعوا نحو السيارة التى تبسدهم هائلة الحجم ، ثم تنطلق كالسهم ، حتى انهم لم يتمكنوا من رؤية احد بداخلها ، ثم اخذت تقابلهم صفوف من العربات التى تحمل التموين الى نيويورك ، تلك العربات التى كانت تندفع فى عكس اتجاههم فى صفوف خمسة تشغل عرض الطريق ، ويستمر ذلك التابع الذى لا ينقطع ، حتى ان احدا لم يكن يمكنه ان يعبر الطريق الى الجانب الآخر ، وكان

الطريق يتسع احيانا حتى يبدو اشبه بميدان ، كان يقوم في منتصفه هيكل شبيه بالبرج ، يقف بداخله رجل بوليس مهمته الاشراف على حركة كل شيء ، وكان يوجه تلك الحركة في الطريق الرئيسي ، والطرق الجانبية التي تتصل به ، بمؤشر صغير في يده وكان هذا الرجل هو المشرف الوحيد على حركة المرور الى أن تصل تلك الحركة الى الميدان التالي ، والى عسكرى المرور التالي ، ويتم توجيهها في اثناء ذلك بكفاءة ، وتلقائية باليقظة الصامتة التي يبدونها سائقو اللوريات والعربات ، ولقد دهش كارل اشد الدهشة للهدوء الشامل ، فلولا خوار القطيع اللامبالي الذي كان في طريقه الى المجزر ، فلعلك لم تكن لتسمع سوى وقع الاقدام ، وطنين موتورات العربات ، ولم تكن سرعة تلك العربات بالطبع واحدة على الدوام ، وكانت تقوم حركة تنظيم واسعة النطاق للمرور في بعض الميادين بسبب اندفاع حركة السيارات من الشوارع الجانبية ، فكانت صفوف طويلة من العربات تتوقف فجأة عندئذ ، وهي تهتز عدة بوصات الى الامام ، لكن بعد لحظات قصيرة ، كان كل شيء يندفع الى الامام مرة اخرى بسرعة الضوء . ثم تتوقف الحركة كلها ثانية دفعة واحدة ، كما لو كانت قد توقفت كلها بفرملة واحدة ، وتمضي تلك الحركة كلها في جو رائق ، بلا ادنى اثر للضباب الذي يرتفع تحت العجلات من الطريق ، لم يكن هناك مارة ، ولا بائعات بسرن وحيدات بطول الطريق نحو المدن كما في بلد كارل ، لكن من حين لآخر كانت تظهر عربات لورى ضخمة ، كانت تقف فوقها ما يقرب من العشرين امرأة بالسلال على ظهورهن ، ولعلمن كن بائعات ، فقد كن يمددن اعناقهن لينظرن الى حركة المرور في صبر نافذ للاسراع بالسير ، وكانت ثمة لوريات تحمل رجلا يتظلمون حولهم وايديهم في جيوب بنطلوناتهم ، وكانت تلك اللوريات تحمل دائما بعض الكتابات المختلفة ، وعلى احدها قرا كارل بصيحة دهشة :

« مطلوب عمال ميناء لوكالة جيكوب للتصدير » ، وتصادف ان كانت تلك السيارة تسير في بطء على نحو ما ، وكان رجل ضئيل الحجم ، محنى الظهر ، ودود بصورة ما ، يقف على سلمها ، وقد وجه هذا الرجل الدعوة اليهم لاعتلاء سطح العربة ، واختبا كارل خلف الميكانيكيين كما لو كان خاله في اللورى ، ومن الممكن ان يراه ، ولقد ارتاح لرفض زميله لتلك الدعوة ، على الرغم من انه قد وجد ظلا من الاهانة في الطريقة المستهترة التي رفضها بها . فهل

كان لهما ان يعتبرا نفسيهما قد بلغا من السمو حدا يمنهما من العمل لخاله . . . ولقد قال لهما شيئا من هذا في كلمات مقتضبة بالطبع ، واستدار ديلامارش اليه وطلب منه عدم التدخل في الامور التي لا يفهمها لان تلك الطريقة في جميع الرجال هي احتيال شنيع ، كما ان شركة جيكوب شركة سيئة السمعة في جميع انحاء الولايات المتحدة ، ولم يجب كارل بشيء ، الا انه ، منذ تلك اللحظة ظل ملتصقا بالرجل الايرلندي ، وطلب منه ان يحمل منه الصندوق قليلا ، وقد فعل الرجل ما طلبه منه ، بعد ان توجه اليه كارل بهذا الطلب عددا من المرات من قبل ، الى ان اتضح ان كل ما كان يريده من الصندوق هذه المرة عندما قبل ان يحمله ، كان لحم السلاسل الفيرونيزي ، الذي يبدو انه كان قد لاحظ وجوده قبل ان يغادر الحانة ، وكان على كارل ان يفض لفة اللحم لكن الرجل الفرنسي ، اختطفها ، وشرحها قطعا قصيرة بسكين اشبه بالخنجر ، والتهم الجزء الاكبر منها ، وحصل روبنسون على قطعة من حين لآخر لحسب ، ولم يحصل كارل الذي اجبر بعد ذلك على حمل الصندوق ، على شيء مطلقا ، ولطما قد افترضنا انه كان قد حصل على نصيبه من لفة اللحم مقدما ، وقد بدا له من السخف ان يرجوهما التفضل عليه بشريحة منه ، فلم يطلب شيئا ، لكنه كان يشعر بالمرارة مع ذلك لسلوكهما نحوه .

وكان الضباب قد تلاشى منذئذ ، وتالق على البعد جبل شاهق ، كان يتراجع كقمم الامواج ، الى الخلف ، صاعدا نحو قمة متباعدة يطلها غبش ضوء الشمس ، وعلى جانبي الطريق كانت تمتد حقول مهملة تحيط بالمصانع الكبيرة ، التي كانت ترتفع مجللة بالدخان ، في الريف الرحب ، وكانت قطاعات من المساكن المنعزلة قد شيدت جرافا هنا وهناك ، وكانت نوافلها التي لا حصر لها تموج بالحركة المتزايدة والاضواء ، بينما فوق الشرفات الصغيرة نساء واطفال مشغولون باشياء جديدة ، نصف مختبئين ، ونصف ظاهرين خلف الملابس المفضولة ، المعلقة من مختلف الانواع ، المنشورة لكي تجف والتي كانت ترفرف حولهم عند هبوب نسيم الصباح ، وتموج بشدة ، ولو شردت عيننا المرء من البيوت ، لرأى المصانير في اعلى النضاه ، وطائر السنونو في اسفل ، ينطلق فوق رؤوس المارة

كان هناك الكثير مما كان يذكر كارل ببلده ، ولم يكن يمكنه ان يقرر هل اصاب بمفادته نيويورك ، وتجوله في الداخل ام اخلا .

ففى نيويورك يوجد البحر ، الذى يعنى الفرصة للعودة فى أية لحظة الى بلده ، ولهذا توقف فجأة ، وقال لرفيقيه انه يشعر برغبته فى العودة الى نيويورك اخيرا وعندما بدأ له ان ديلامارس كان يسحبه باستخفاف الى الامام ، رفض ان يساق الى السير ، واحتج قائلا ان من شأنه هو ان يقرر بنفسه ان كان يرغب فى السير او يرغب فى العودة ، وكان على الرجل الايرلندى ان يتدخل ، وان يوضح ان باترفورد هى مدينة افضل من نيويورك ، وكان عليهما ان يعاملاه باللين البالغ فترة من الوقت ، قبل ان يواصل السير معهما فى النهاية ، وحتى عندما سار معهما لم يكن قد اذعن الا لانه كان قد قال فى نفسه انه ربما كان من المستحسن ان يوغل فى الاعتماد من نيويورك حتى لا يعود التفكير فى العودة الى وطنه امرا سهلا ، وانه سوف يعمل بلا شك ، ويحاول ان يتقدم من حالة الى حالة افضل منها ، ما لم تعقه تلك الافكار المثبطة التى توسوس له احيانا بالعودة .

واصبح الآن هو الذى يتقدم الآخرين فى السير ، وكانا مفتبطين لحماسه ، حتى لقد حملا عنه الصندوق بالتناوب دون ان يطلب اليهما ذلك ، ولم يستطع كارل ان يتبين كيف امكنه ان يحقق لهما تلك السعادة ، وكانوا قد بلغوا الآن مكانا مرتفعا ، وعندما كانوا يتوقفون هنا وهناك ، كانوا ينظرون خلفهم الى مشهد نيويورك ومينائها ، وهو يمتد متسما تحتهم ، وشاهدوا الجسر الذى يربط نيويورك ببروكلين وكان معلقا فى رشاقة فوق النهر الشرقى ، ولو ضيق المرء حدقتى عينيه لبدأ له ذلك الجسر وكأنه يرتعش وكان يبدو خاليا من الحركة ، ونحته امتد لسان أملس من الماء ، وكانت كلتا المدينتين الهائلتين تقومان هنالك خاليتين ، وبلا معنى ، وكان من الممكن تمييز المنازل الهائلة من المنازل الصغيرة المنخفضة وربما كانت الحياة تمضى على عاداتها فى أعماق الشوارع غير المرئية ، الا انهم لم يكونوا يشاهدون فوقهم فى السماء سوى دخان خفيف ، بدأ مع ذلك وكأنه واقف لا يتحرك ، وكان يتبدد فى سهولة ، وكان الهدوء قد هاد الى الميناء ، الذى يعد اكبر موانئ العالم ، وكان فى مقدور المرء ان يتوهم من حين لآخر ، ربما تحت تأثير تذكره لمنظر قريب العهد ، انه يرى باخرة تمخر الميناء على مسافة قريبة من الميناء ، الا انه كان من الصعب تتبع تلك الباطرة وقتنا طويلا ، لانها كانت تخرج عن مجال الرؤية ، ولا يعود فى الامكان رؤيتها ثانية

وقد رأى ديلا مارش وروبينسون أشياء كثيرة في وضوح ، وكانا
يشيران إلى اليمين وإلى اليسار ، وأذرعهم ممتدة تتحرك فوق
الميادين والحدائق التي ذكروها بأسمائها ، ولم يفهما كيف قضى
كارل شهرين في أمريكا ، ولم يكذب يرى رغم ذلك سوى شارع واحد
فقط من المدينة ، وقد وعداه بأن يصحباها إلى نيويورك ، عندما
يحصلان على المال في باترفورد ، وأن يتيحاً له رؤية كل المشاهد
التي تستحق الرؤية ، وأماكن التسلية والمتعة بالطبع أيضا ،
وعندما بلغ به التفكير إلى هذا الحد ، بدأ روبينسون يتفنى بأعلى
صوته بأغنية شاركه فيها ديلا مارش بالتصفيق ، وأدرك كارل أنها
كانت أحد الحان الاوبرا المعروفة في وطنه ، وقد سره سماعها
في ترجمتها الانجليزية كما لم يتمتع بسماعها من قبل في بلده ،
وهكذا فقد كونوا جوقة صغيرة في الهواء الطلق ، اشتركوا فيها
جميعا وبقيت المديونة التي كان عليها ان تشاركهم الاستمتاع بذلك
اللحن في لا مبالاتها تحت اقدامهم .

وسأل كارل في إحدى المرات عن موقع وكالة جي كوب ، فدفع
ديلا مارش وروبينسون بأصبعيهما في الهواء مباشرة يشيران إلى
الموقع ، وربما إلى موقع آخر يبعد عنه بعيد من الأميال وعندما
استأنفوا سيرهم ثانية سألهما كارل : متى يمكنهم ان يعودوا إلى
نيويورك ، اذا تمكنوا من الحصول على عمل ؟ وأجابته ديلا مارش
قائلا : ان بإمكانهم ان يعودوا إليها في خلال شهر ، فالعمل متوفر
في باترفورد والاجور مرتفعة ، وسيضعون نقودهم بالطبع في رأسمال
مشترك ، حتى يمكن ان يختفى الفرق الذي قد تسببه الصدفة
بين دخولهم ، كما ينبغي ان يحدث بين الاصدقاء . ولم ترق لكارل
فكرة الرأسمال المشترك ، على الرغم من ان أجره كصبي سيقل
كثيرا بالطبع من أجر العامل الماهر ، واستأنف روبينسون الحديث
قائلا : انهم على أية حال اذا لم يوفقوا في الحصول على عمل في
باترفورد ، فسوف يتجولون بطبيعة الحال في أماكن أبعد من
باترفورد ، وربما وجدوا عملا في المزارع ، أو ربما حاولوا الحفر
بحثا عن الذهب في كاليفورنيا ، وقد أعجب كارل بهذه الفكرة
الآخرة ، بعد ما سمعه من حكايات روبينسون عن مناجم الذهب

سأمل كارل الذي لم يكن مستعدا لمزيد من الرحلات المرهقة
المشكوك في نتائجها قائلا لروبينسون : لكن لماذا تعمل ميكانيكيا
اذا كنت ترغب في العمل في حقول التنقيب عن الذهب ؟

فاجابه روبنسون قائلا : « لماذا تعمل ميكانيكا ؟ لكيلا اموت جوعا ، ومع ذلك فالاموال تتدفق وفيرة في حقول التنقيب عن الذهب » .

قال ديلامارش : « كانت تتدفق في وقت من الاوقات ! »

فقال روبنسون : « ولا تزال تتدفق للآن ! » وراح يحكى حكايات عن اناس لا حصر لهم من معارفه ، أصبحوا هناك الآن من الاثرياء ، وما زالوا يقيمون هناك ، الا انهم لم يعودوا في حاجة بالطبع الى ان يعملوا الآن ، لكنهم سيساعدونه على ان يحققوا الثراء ، لصداقتهم القديمة به ، وسيساعدون أصدقاءهم أيضا بالطبع .

قال ديلامارش : « سنجد اعمالا في باترفورد دون شك ! » وعبر بقوله هذا عن رغبة كارل ، مع ان هذا القول لم يكن أمرا مؤكدا كل التاكيد .

وتوقفوا في اثناء اليوم مرة عند احد المطاعم ، وجلسوا خارجه في الهواء الطلق ، الى مائدة بدت لكارل وكأنها قد صنعت من الحديد ، واكلوا لحما مسلوقا كان من الصعب تقطيعه الى شرائح ، فكانوا يفرمونهم بسكاكينهم وشوكاتهم ، وكان الخبز مصنوعا على هيئة اسطوانة ، وقد انفرزت في كل من الرغيفين سكين كبير ، وقد ضمت الوجبة ايضا خمرا اسود اللون كان يحرق الحلق ، الا ان ديلامارش وروبينسون كانا يستسيغان شربه ، وقد ظلا يرفمان كوبيهما بعدد من الانخاب ، ويقرعان الكوبين عاليا في الهواء من حين لآخر ، والى مائدة مجاورة كان يجلس بعض العمال في قمصان صفراء ، يتناولون نفس الشراب ، وكانت المرببات تمر من امامهم بأعداد كبيرة ، وتشير القبار فوق المائدة ، وكانت صحف كبيرة توزع على الجالسين ، وتثور مناقشات حادة حول اضراب قام به عمال البناء ، وكان اسم « ماك » يتردد كثيرا في خلال تلك المناقشات وتساءل كارل عن صاحب الاسم ، وعلم انه والد « ماك » الذي يعرفه ، وانه اكبر مقاول للمباني في نيويورك ، وقيل ان هذا الاضراب قد يكلفه عدة ملايين وانه يهدد وضعه المالي بالخطر ، ولم يصدق كارل كلمة واحدة مما كان يقوله هؤلاء الناس المضللون ، الحانقون .

وقد أشد استمتاع كارل بتلك الوجبة قلقة لفكرة دفع ثمن تلك الوجبة بأكملها ، وايهم سوف يدفع وكان من الطبيعي في رايه ان

بدفع كل منهم ثمن وجبته فقط ، الا ان ديلا مارش وروبينسون كانا قد اشارا عرضا الى ان اجر مبيتهم عن الليلة الماضية قد افرغ جيبيهما ، ولم يكن لديهما ساعة او خاتم او اى شئ لبيعهما . ولم يستطع كارل ان يواجههما بأنهما كانا قد احتجزا لنفسيهما جانبا من ثمن بدلتة فقد كانت مواجهتهما بذلك تعد اهانة ، وفراقا الى الابد .

الا ان ما اثار دهشة كارل اكثر هو ان ديلا مارش وروبينسون ، لم يزعجا نفسيهما بأمر الدفع ، بل على العكس كانا في حالة معنوية مرتفعة ، حتى انهما راحا يحاولان مغازلة الجرسونة التى كانت تتحرك في خيلاء متبخثرة من مائدة الى اخرى ، وكان شمرها يتهدل على كتفها ، وفوق حاجبيها وخديها ، فكانت ترميه الى الخلف بيدها ، حتى تقدمت اخيرا نحو مائدتهم ، فظننا انهما سيفوزان منها ببعض الكلمات الودية ، لكنها وضعت يديها فوق المنضدة ، وتساءلت : « من الذى سيدفع ؟ » فاشارت بدا ديلا مارش وروبينسون بغاية السرعة الى كارل ، ولم يفاجأ كارل لانه كان يتوقع ذلك ، ولم يجد بأسا من ان يدفع مرة حساب رفيقيه اللذين ينتظر منهما المساعدة بدوره ، على الرغم من انه كان يفضل بالطبع لو ناقشا معه الامر بصراحة قبل اللحظة الحاسمة وشغله كذلك امر اخراج النقود من جيبه السرى ، فقد كان ينوى الاحتفاظ بنقوده لتنفعه في حالة الاحتياج البالغ ولكي تنفعه الان ايضا فيتمكن من ان يبدو ندا لصديقيه ، كان التفوق الذى يتفوق به عليهما لامتلاكه هذا المال ، واخفائه كذلك عنهما ، يبدو في وضوح تفوقا راجحا ، لانهما على عكسه ، كانا قد عاشا في امريكا منذ طفولتهما ، ولانهما كانا يتمتعان بالمهارة الكافية والخبرة التى تعينهما على كسب المال ولانهما لم يتعودا على حياة افضل من المحياة التى يمارسانها الان . ورأى كارل ان خطته فى التوفير يجب الا تتأثر لاضطراره الى دفع الحساب الان فيمكنه ببساطة ان يستغنى عن ربع دولار ، يضعه امامهما فوق المنضدة ، ويخبرهما بأنه هو كل ما يملك ، وأنه كان ينوى ان يقتصمه معهما في طريقهم الى باترفورد . ذلك ان ربع دولار يكفى جدا لرحلة على الاقدام ، الا انه لم يكن يدرى هل كان ما يحمله من العملات الصغيرة يكفى حتى يخرج من بينها الربع دولار . ولقد كانت العملات الصغيرة التى يحملها موجودة على اية حال فى تجويف جيبه السرى هى ايضا

الى جانب اوراق البنكنوت ، وكان من الصعب ان يخرج ما يريده دون ان يفرغ كل محتويات جيبه فوق المنضدة ولم يكن يريد ان يعرف رفيقاه شيئاً عن الجيب السرى على الاطلاق وبدأ صديقه مشغولين رغم ذلك لحسن الحظ بأمر الجرسونة ، دون ان يشغلها مطلقاً بالطبع كيف سيتمكن كارل من اخراج النقود لدفع الحساب ، وكان ديلا مارش قد مد يده وسحب الجرسونة بينه وبين روبنسون متعللاً بأن عليها ان تكتب فاتورة الحساب ، فلم يكن أمامها سوى التخلص من توددهما العنيف الا ان دفعت وجهيهما بعيداً بباطن راحتيها ، عندئذ جمع كارل وهو يتصبب عرقاً باحدى يديه تحت المنضدة قطع النقود التي تحسبها ، وأخرجها من جيبه السرى قطعة بعد قطعة بيده الاخرى .

وظن بعد فترة طويلة ، لانه لم يكن قد اعتاد بعد على العملة الامريكية ، انه قد اخرج من قطع العملة الصغيرة ما يساوى المبلغ المطلوب ، فوضعها فوق المنضدة ، ووضع رنين النقود فوق المنضدة في الحال حدا لماكستهما للجرسونة ، واتضح لشدة غيظ كارل ولدهشة الجميع ان دولارا كاملا قد وضع فوق المائدة . ولم يتساءل اى منهما لماذا لم يذكر كارل شيئاً عن هذه النقود التي كانت تكفى لدفع اجر رحلة مريحة لثلاثتهم بالقطار الى باترفورد ، الا ان كارل شعر بالارتباك الشديد لخطئه رغم ذلك ، واعاد كارل بقية النقود الى جيبه بعد دفع الحساب الا ان ديلا مارش كان قد اختطف من بين اصابعه احدى قطع العملة ، وأعطاهما كبقيش للجرسونة التي احتضنها بيد بينما ناولها قطعة العملة بيده الاخرى

وشعر كارل بالامتنان لهما ، لانهما لم يذكرأ شيئاً عن نقوده عندما غادر ثلاثتهم المطعم ، وقرر كارل في احدى اللحظات ان يمتدح لهما بما يحمله من المال ، لكنه تراجع عن ذلك في الحال لانه لم يجد ما يدعو به الى هذا الاعتراف وبلغوا عندما اوشك الليل على الحلول منطقة خلوية خصيبة وكانت الحقول حولهم على امتداد الرؤية لا نهاية لها كانت تمتد فوق تلال منخفضة تكتسى بالخضرة الزاهية ، وفي سلاسل ريفية فاخرة تزين الطريق على الجانبين ، وساروا عدة ساعات بين أسوار الحدائق المذهبة وعبروا نفس المجرى البطيء عدداً من المرات ، وكثيراً ما كانوا يسمعون ضوضاء القطارات التي كانت تنطلق فوق الكبارى المرتفعة .

كانت الشمس قد اوشكت ان تختفى خلف قدم الغابات البعيدة ،

عندما صعدوا مرتفعاً مدرجاً ، يعلوه دغل من الاشجار الكثيفة ، ومددوا أنفسهم فوق العشب لكي ينالوا شيئاً من الراحة بصد رحلتهم الطويلة . استلقى ديلا مارش وروبينسون فوق العشب في استرخاء تام ، وجلس كارل واخذ يرقب الطريق الذي كانوا يرتفون فوق مستواه ببضع ياردات والى السيارات التى كانت تنطلق فوقه بخفة ، الواحدة خلف الاخرى ، كما كانت تنطلق طوال اليوم ، وكان عددا هائلا منها ينطلق باستمرار من مكان ما بعيدا كل البعد ، بينما تنتظر سيارات اخرى فى مثل عددها فى مكان بعيد آخر ، ولم ير كارل طوال اليوم كله ان سيارة منها قد توقفت ولا رأى راكبا واحدا هبط من احدى تلك السيارات .

واقترح روبينسون ان يقضوا الليل فى هذا المكان ، لانهم كانوا مجهدين غاية الاجهاد ، ولانهم سيتمكنون بمبيتهم هنا ان يواصلوا رحلتهم فى الصباح الباكر ، كما انهم لن يجدوا علاوة على ذلك ، مكانا مناسباً ارخص من هذا المكان لقضاء الليلة ، قبل ان يهبط الظلام ، وكان ديلا مارش يرى نفس الراى ، فاضطر كارل الى التصريح بأنه يحمل نقودا تكفى لدفع اجر مبيتهم جميعا فى احد الفنادق ، واجابه ديلا مارش قائلاً : انهم لا يزالون فى حاجة الى النقود ، وانه يحسن الاحتفاظ بها فى الوقت الحاضر ، لم يحاول اخفاء حقيقة انهما كانا يتطلعان الى الاستعانة بنقود كارل ، ومضى روبينسون بعد قبول اقتراحه الاول ، فاقترح اقتراحاً آخر ، قائلاً ان عليهم قبل ان يتأهبوا للنوم ، ان يتناولوا وجبة كاملة ، لكي تجدد نشاطهم فى الصباح ، وان على احدهم ان يذهب ليحضر طعاماً لثلاثتهم من الفندق القريب الذى يقوم فى الطريق الرئيسى ويحمل اللافتة المضاءة التى كتب عليها « الفندق الغربى » .. ولما كان كارل اصفر الثلاثة . ولم يبد اى من الآخرين استعداداً للقيام بهذه المهمة ، فقد تطوع كارل من فوره بأن يقوم هو بها وانطلق عبر الشارع فى طريقه الى الفندق ، بعد ان اعلن الاخران انهما يريدان لحم خنزير ، وخبزا ، وبيرة .

ولابد انهم كانوا على مقربة من احدى المدن الكبيرة ، لان اول حجرات الفندق التى دخلها كارل كانت تمتلىء بضوضاء حشد صاخب ، وكان يقف بداخل البوفيه الذى كان يمتد بطول تلك الحجرة على الجانبين عدد كبير من السفرجية كانوا يرتدون مرايل بيضاء ، ويندفعون بلا توقف هنا وهناك ، دون ان يتمكنوا من

قلبية كل طلبات زبائنهم الذين نفذ صبرهم فارتفعت اللصنات في
أسوات صاخبة ، وكانت دقات القبضات فوق المائدة تتعالى دون
توقف من جميع الجهات ولم يلق أحد بالا الى كارل ، ولم يوجد
أى نوع من أنواع الخدمة في الصالون بأكمله . وكان على الزبائن
الذين تجمعوا الى موائد صغيرة كانت تتسع كل منها لثلاثة اشخاص
تقريبا ان يبحثوا بانفسهم عما يريدونه في البوفيه ، وفوق كل مائدة
كانت تستقر زجاجة كبيرة ممتلئة بالزيت او الخل او شيء من هذا
القبيل . وكان الزبائن يصبون شيئا من تلك الزجاجة فوق الطعام
الذى يحضرونه من البوفيه قبل ان يتناولوه ، فلو استطاع كارل ان
يبلغ ذلك البوفيه أولا ، حيث ستواجهه الصعوبات الحقيقية بمد
ذلك ، لكثرة عدد الزبائن الذين كانوا يتزاحمون عليه ، فربما
استطاع ان يشق لنفسه طريقا بين تلك الموائد التى لا حصر لها .
ولم يكن ليصل الى شيء من هذا بالطبع مهما حرص دون ان يتسبب
فى كثير من الازعاج للزبائن ، الذين كانوا يتقبلون مع ذلك أى ازهاج
بتبلى تام . وحتى عندما اندفع كارل بعنف بجانب إحدى تلك الموائد
فقلبها رأسا على عقب ، مع ثقته بأنه لم يكن هو السبب فى انقلابها .
ثم اعتذر دون ان يفهم أحد على ما يبدو معنى لهذا الاعتذار ، كما
انه لم يتمكن هو أيضا من ادراك هدف تلك الصيحات التى حاصرتة
فى هياج . لم يجد عند البوفيه مكانا غير بضع بوصات قليلة فى
صعوبة بالغة ، وظل مختفيا فى الزحام لفترة طويلة لان مرافق
الرجال كانت تدفعه من كلا الجانبين . وبدا كما لو كان التقليد
المتبع هنا هو ان تضع مرفقك على افريز البوفيه ، وتسند رأسك
على يدك . ولم يستطع كارل ان يدفع ذكرى الدكتور كرامبال
مدرس اللغة اللاتينية من خياله وكيف كان يكره ذلك الوضع ،
وكيف كان يتسحب فى هدوء ويضرب على غير توقع . مرفقك من
فوق الدرج مازحا ، بالمسطرة التى كانت تظهر فجأة من حيث لا تدرى .
كان كارل قد انضبط الى حافة افريز البوفيه ، لانه ما كان
يبلغه حتى وضعت مائدة خلفه وظلت إحدى القبضات تتحرك
خلف ظهره كلما انحنى صاحبها الى الخلف قليلا فى أثناء حديثه .
وبدا كذلك ان الامل فى حصوله على أى شيء من هؤلاء الجرسونات
كان قد تلاشى ، حتى بعد ان انصرف جراه الشرسان ، وهما
يحملان ما طلباه وتمكن كارل مرة او مرتين من ان يجذب مريلة
أحد الجرسونات عبر حاجز البوفيه ، الا ان الجرسون كان يندفع

مخلصا مريسته من بين اصابع كارل في ضيق . ولم يتوقف واحد منهم ليستمع اليه ، مع انهم لم يكونوا مشغولين الا بمجسرة الاندفاع هنا وهناك ، فلو كان امكن وجود شيء من المأكولات المطلوبة في متناول يد كارل ، لحمل ما يريده منها ، وسأل عن الثمن ، ثم دفعه وتخلص من ذلك الزحام وهو يتنفس الصعداء لكن لم يكن امامه سوى الاطباق التى تمتلىء بالاسماك الشبيهة بالرنجة بجوانبها القاتمة ، التى تشع بلون ذهبى عند حوافها ، وربما كانت تلك الاطباق مرتفعة الثمن ، مع انها لم تكن لتغنى من جوع وكان امامه كذلك كثير من زجاجات الروم ، الا انه لم يرغب فى ان يحمل الروم الى صديقيه ، لانهما كانا يتناولان المشروبات الروحية الشديدة كلما واتتهما الفرصة ، ولم تكن عند كارل ادنى رغبة فى تشجيعهما على التمدادى فى ذلك .

وهسكدا لم يبق امام كارل الا ان يبحث عن مكان آخر يمكنه ان يحصل منه على طلبه ، فعاد ادراجه ثانية ، الا ان الوقت كان قد تقدم بصورة واضحة ، وكانت الساعة المعلقة على الحائط المواجه ، تلك الساعة التى كان على المرء ان يدقق النظر اليها حتى يتبين فى وضوح عقربيهما من خلال الدخان المتكاثف ، كانت تشير الى ما بعد التاسعة . الا ان بقية الحاجز الذى امام البوفيه كان اكثر ازدحاما بالزبائن من المسكان الذى كان يقف فيه من قبل ، ذلك المسكان المنعزل فى ركن الحجرة ، وظلت الحجرة مزدحم اكثر فاكثر كلما تقدم الوقت وظل الزبائن الجدد يتدافعون وهم يشقون طريقهم عبر الباب الرئيسى وتتزايد بازديادهم صيحات التهليل المرتفعة ، وفى اماكن متعددة اخلى بعض الزبائن الافريز الذى امام البوفيه فى جراءة ، وجلسوا فوقه وراحوا يتبادلون الشراب ، وقد كان ذلك الافريز الذى جلس فوقه هؤلاء ، هو افضل الاماكن فى تلك الحجرة على الاطلاق فمن فوقه كان يمكنك ان تشمل الحجرة كلها بنظرتك .

وظل كارل يتقدم تحت ضغط الزحام الا ان امله فى الحصول على اى شيء كان قد تلاشى تماما ، ووجه كارل اللوم الى نفسه ، لانه تطوع باداء هذه المهمة ، دون ان يكون على دراية بالاحوال هنا على الاطلاق ، ولسوف يصرخ صديقه فى وجهه - رمن حقهما ان يفعلا ذلك - وربما تبادر الى ذهنهما الظن بانه لم يحضر معه شيئا فقط لمجرد الاحتفاظ بنقوده لنفسه ، وكان قد بلغ جانبا من جوانب الحجرة راى فيه اطباقا ممتلئة باللحم الساخن ، والبطاطس

المسلوقة تغطي كل الموائد ، وينهمك الزبائن في التهامها ، فلم يفهم كيف تمكن هؤلاء الزبائن من الحصول على تلك الأطباق .

ثم لمح امامه على بعد بضعة خطوات سيدة مسنة ، كان يبدو عليها بوضوح انها تتبع هيئة موظفي الفندق ، كانت تلك السيدة تتحدث وتضحك مع احد الزبائن ، وظلت في اثناء حديثها تفرز دبوسا في شعرها ، وقرر كارل في الحال ان يتقدم الى تلك المرأة بطلباته ، لانها كانت تقف متميزة كاستثناء وسط الهرج المخلط ، ولانها كانت هي المرأة الوحيدة في الحجرة كلها لسبب بسيط آخر هو انها كانت هي الوحيدة من بين موظفي الفندق التي استطاع كارل ان يصل اليها ، هذا اذا لم تندفع مبتعدة عنه لشئونها الخاصة عند اول كلمة يتوجه بها اليها الا ان العكس تماما هو ما حدث . فما كاد كارل يهم بالحديث اليها بل يحوم حولها فحسب للحظات ، عندما نظرت جانبا ولمحته حتى قطعت حديثها - كما يحدث غالبا في خلال مناقشة من المناقشات لتسأله في رقة . وفي لغة انجليزية واضحة كروضح الانجليزية التي في « كتاب القواعد » ان كان يريد شيئا . قال كارل : « نعم ، في الحقيقة » فلا يمكنني ان احصل على شيء من اى مكان في هذه الحجرة .

قالت : « اذن تمال معي يا بنى » ثم ودعت محدثها الذي رفع لها قبعته كدلالة على التادب ، لم تكن معقولة مطلقا في هذه الحجرة ثم اخذت كارل من يده ، ومضت نحو البوفيه فدققت احد الزبائن جانبا ، ورفعت مصراعا الى اعلى ، وتقدمت بطول ممر خلف البوفيه حيث كان عليهما ان يتفاديا الاصطدام « بالجرسونات » الذين كانوا يندفعون هنا وهناك بلا كلل ، وفتحت بابا مزدوجا كان مخبئا في الحائط ، ادى بهما مباشرة الى مخزن واسع رطب ، وقال كارل لنفسه : « عليك ان ترقب كيف تجري الامور في هذه الاماكن »

وسأله المرأة وهي تنحنى اليه في حنان : « حسنا ماذا تريد ؟ » كانت غاية في البدانة حتى ان جسدها ارتعش عندما انحنت ، الا ان وجهها كان بالمقارنة الى جسدها رقيق التكوين ، واحس كارل وهو يتطلع الى الانواع التي لا حصر لها من المأكولات التي رصت في عناية فوق الارفف ، والمناضد ، باغراء هذه الاصناف العديدة يدفعه الى محاولة التفكير في وجبة أخرى يختارها من وحي اللحظة وان يحملها بدلا من طلبه الاصلى ، خاصة أنه قد يحصل عليها بثمن رخيص الى حد ما من تلك السيدة الواسعة النفوذ ، الا انه في

النهاية لم يذكر شيئا سوى لحم الخنزير ، والخبز ، والبيرة ، ولم
يمكنه ان يذكر شيئا آخر افضل من هذه الاشياء .

تساءلت المرأة ، « الا تريد شيئا آخر ؟ »
فاجابها كارل قائلا : « لا شكرا .. الا اننى اريد كمية تكفى
ثلاثة اشخاص »

وعندما سألته المرأة عما يكون الاخران ؟ اخبرها كارل فى كلمات
قليلة مختصرة عن رفيقيه واحس بشيء من السرور لتوجيهها ببعض
الاسئلة اليه .

قالت المرأة : « لكن هذا الطعام هو وجبة السجنون » كانت
تنتظر منه فيما يبدو أن يطلب شيئا آخر ، الا أن كارل الذى
أصبح يخشى أن ترفض هذه المرأة ثمن الوجبة وان تمنحه اياها
كهدية ، ظل صامتا .

قالت المرأة : « لن يستغرق اعداد هذا الطلب وقتا طويلا .
وتقدمت نحو احدى المناضد فى نشاط غريب على سيدة فى مثل
بدانتها وقطعت بسكين طويل رفيع حاد قطعة كبيرة من لحم
الخنزير تمتلىء فى غزارة ببقع الدهن ، وتناولت رغيفا من فوق
أحد الرفوف ورفعت ثلاث زجاجات بيرة من الارض ووضعتها
جميعا فى سلة خفيفة من القش ناولتها الى كارل ، وأوضحت له
بينما كانت تفعل ذلك انها قد أحضرته الى هنا لان طعام البوفيه
على الرغم من انه طعام دسم بالفعل ، الا انه يفقد طزاجته بسبب
الدخان والبخار اللذين تمتلىء بهما الحجرة ، الا ان أى طعام يعد
طعاما جيدا بالنسبة لهؤلاء اللذين فى الخارج . وقد أصيب كارل
بالدهول البالغ عندئذ ، لانه لم يكن يدرى كيف تمكن من ان يحوز
مثل تلك المعاملة الخاصة . وفكر فى رفيقيه اللذين لم يكونا ليلفا
هذا المخزن على الاطلاق . على الرغم من كل خبرتهما الأمريكية .
بل كان عليهما ان يقنعا بطعام البوفيه الذى لا طعم له . لم تكن
ضوضاء حجرة الصالون تصل مطلقا الى هنا . وربما كانت الجدران
سميكة للغاية حتى تحتفظ تلك الحجرة المظلمة بهذه الرطوبة . وكان
كارل يمسك الآن بالسلة المصنوعة من القش فى يده . وكانت قد
انقضت بضع لحظات . الا انه لم يفكر لا فى الدفع ولا فى الانصراف
الا عندما همت المرأة بأن تضيف الى السلة - كهبة - زجاجة شبيهة
بتلك الزجاجات التى تستقر فوق الموائد فى الخارج . عندئذ تحرك
كارل ، وهو يرفضها فى رجفة .

وتساءلت المرأة : « هل أمامك رحلة طويلة أخرى أبعد من هنا ؟ »
فأجابها كارل قائلا : « الى باترفورد » .
فقالت المرأة : « لكن هذه الرحلة رحلة شاقة أخرى عليك ان
تقطعها » .

قال كارل : « انها رحلة تستغرق يوما آخر » .
فقالت المرأة : « الا تستغرق اكثر من ذلك ؟ » .
قال كارل : « اوه .. لا » .

وربتت المرأة بعض الاشياء فوق المنضدة ، ودخل احد السفرجية
وتطلع حوله متسائلا ، فأشارت له الى قصعة هائلة كانت تستقر
فوقها كومة عالية من السردين ، وقد نشر فوقه قليل من البقدونس
فحملها السفرجى عندئذ الى داخل الصالون بين يديه المرفوعتين .

وتساءلت المرأة قائلة : « ولماذا تقضى الليلة في الهواء الطلق ،
لدينا هنا متسع لك ، فتعال واقض الليلة معنا في الفندق » .
وبدت الفكرة مفرية لكارل جدا ، وخاصة بعد ان قضى الليلة
السابقة مرهقا غاية الارهاق ، فقال في تردد لكن في شيء من
الفخر : « ان امتعتى هناك في الخارج » .
فقالت المرأة : « عليك اذن ان تحضرها الى هنا ، فليست عقبة
تعوقك عن المجيء » .

فقال كارل : « لكن ماذا عن رفيقى ، وكان يدرك بالفعل انهما
عقبة دون ادنى شك » .

قالت المرأة : « يمكنهما ان يقضيا الليلة هنا ايضا ، بالطبع ،
فتعال لا تكن متعبا الى هذا الحد » .
قال كارل : « ان صديقى رفيقان لا بأس بهما . انهما الآن ليسا
في غاية النظافة » .

فتساءلت المرأة في تجهم : « ألم تلاحظ القذارة في الصالون ،
اننا مستعدون تمام الاستعداد لاسوأ الحالات » .. حسنا ، سوف
اخلى ثلاثة اسرة في الحال ، فقط أخشى الا يوجد مكان الا فوق
السطح ، لان الفندق مكتظ بالنزلاء ، ولقد كان على ان انتقل الى
حجرة بالسطح أنا ايضا ولكنها على اية حال افضل من قضاء
الليلة في الخارج .

قال كارل : « لا يمكننى ان احضر صديقى هنا ، وتخيل بنفسه
الضجة التى سوف يحدثها الرجلان في ممرات الفندق الفخم ،
وسوف يتسبب روبنسون في تلطيف كل شيء ، ولن يتردد ديلامارش

في معاكسة هذه المرأة نفسها .
قالت : « لست أدري لماذا لا يبدو ذلك ممكنا ، ولكن اذا كنت
تصر على ذلك ، فاترك اذن صديقك ، وتعال بمفردك » .
قال كارل : « لن يحدث ذلك ، انهما صديقاي ولا يمكنني الا
ان اربط بهما » .
قالت المرأة وهي تدير عينيها بعيدا عنه : « ائك عنيد جدا ،
فعندما يعاملك الناس معاملة طيبة ، ويبسدون شيئا من الاهتمام
بأمرك ، تفعل انت كل ما في وسعك لكي تموتهم عن ذلك » .
وادر كآرل ذلك كله ، الا انه لم يجد مخرجا ، وعلى هذا ،
فقد قال :

- اشكرك غاية الشكر على كرمك ثم تذكر انه لم يدفع ثمن
طلباته ، فسأل عن المبلغ الذي عليه ان يدفعه ؟
قالت المرأة : « يمكنك ان تدفع لى عندما تعيد الى السلة ،
ولا بد ان تعيدها الى في صباح الغد على الاكثر » .

قال كارل : « اشكرك .. وفتحت له بابا يؤدي مباشرة الى
الخارج ، وقالت له وهو يهم بالخروج منحنيا : « طابت ليلتك ..
وان كنت لم تفعل ما كان يجب عليك ان تفعله » .. وعندما أصبح
على بعد بضع ياردات قليلة ، صاحت خلفه مرة اخرى قائلة :
« الى صباح الغد » .

وعندما أصبح في الشارع سمع مرة اخرى الصخب الشديد
الصادر من الصالون ، وكان يختلط الآن بزئير الرياح ، وكان
سميدا لانه لم يخرج عن طريق الصالون المزدحم ، وكانت طوابق
الفندق الخمسة مضادة لحظتها وقد انارت الطريق امام الفندق حتى
الجانب الآخر وكانت السيارات تمرق في الطريق ، وان لم تكن
تتابع في استدرار الا انها كانت تبدو أسرع منها في أثناء النهار ،
وهي تتحسس طريقها بواسطة الاشعة البيضاء التي تصدر عن
مصابيحها الامامية ، تلك المصابيح التي كان ضبوؤها يشحب في
المنطقة المضادة امام الفندق ، لكي تتوهج مرة اخرى عندما تندفع
بعيدا في داخل الظلام .

وجد كارل صديقيه مستفرقين في النوم ، الا انه كان منشغلا
بما هو اهم من ذلك ، وبينما كان يهم لحظتها بوضع الطعام الذي
أحضره بصورة مغرية فوق قطعة من الورق ، وبعد كل شيء بصورة
كاملة قبل ان يوقظ صديقيه ، لمح في فزع صندوقه الذي كان قد

تركه مفلقا في سلام ، مفتوحا وحوله فوق المشب تتناثر حوالى نصف محتوياته .

صاح قائلا : « انهض ، لقد مر اللصوص من هنا ، وانتما مستغرقان في النوم ! » .

تساءل ديلامارش : « لماذا ؟ هل فقد شيء ؟ ! » لم يكن روبنسون قد استيفظ تماما ، لكن امتدت يده على الرغم من ذلك الى البيرة !

صاح كارل : « لست ادري ، الا ان الصندوق مفتوح ، وانه لاهمال بالغ ان تستغرقا في النوم ، وتتركا الصندوق هنا تحت رحمة من يشاء ! »

وضحك ديلامارش وروبنسون ، و . . قال ديلامارش : « اذن فلا تنقيب طويلا مرة اخرى في اى مكان ، انها لم تكن سوى خطوة او خطوتين الى الفندق ، ومع ذلك فقد استغرقت منك ثلاث ساعات ، انفقتها لكى تذهب الى الفندق وتعود ثانية ، ولقد كنا جائعين ، وظننا انك ربما كنت تحتفظ بشيء من الطعام في داخل الصندوق ، ولهذا فقد داعبنا القفل حتى انفتح ، الا اننا لم نجد شيئا بداخله في النهاية ، ومن السهل اعادة اشيائك الى داخله مرة اخرى » .

قال كارل : « هذا هو الامر اذن ، كان يحدق في السلة التى افرغت في الحال ، ويستمع الى الضجة الغريبة التى كان يحدثها روبنسون ، وهو يشرب ، لان البيرة بدت وكأنها تغطس الى اسفل حلقه ، ثم تفور الى اعلى مرة اخرى في صوت كالصغير قبل ان تهبط الى معدته ! »

تساءل عندما هذا الاخران ليلتقطا انفاسهما : « هل نلتما كفايتكما الان ؟ ! » .

تساءل ديلامارش : « لماذا . . لم تناول عشاءك في الفندق ؟ » كان قد اعتقد ان كارل يطالب بنصيبه من الطعام .

وقال كارل ، وهو يتجه نحو صندوقه : « اذا اردتما المزيد ، فاسرعا اذن ! » .

قال ديلامارش لروبنسون : « يبدو عليه الحنق ! » .

فقال كارل : « لست حائقا ، لكن هل تعتقد انه من الصواب ان تفتح صندوقى عنوة ، وتطوحا بحاجياتى هنا وهناك في اثناء غيابى ؟ اننى اعلم ان على المرء ان يتوقع الكثير من اصدقائه .

وكنت قد تهيأت لذلك ، الا ان هذا قد فاق كل ما توقمته وسوف اذهب لقضاء الليلة في الفندق ولن ارافقكما الى باترفورد ، فافرغا من تناول العشاء بسرعة لاننى يجب ان ارد السلة ! » .

قال ديلامارش : « استمع اليه الآن يا روبنسون ، ان اسلوبه في الحديث الينا اسلوب رائع ، انه المانى بالفعل ولقد حذرتنى انت منه في البداية ، الا اننى احمق طيب القلب ، وعلى هذا فقد سمحت له بالحضور معنا رغم ذلك ، لقد منحناه ثقتنا ، وصحبناه معنا طوال النهار ، واضعنا نصف يوم على الاقل بسببه ، والان - لمجرد ان شخصا ما في الفندق قد خدعه - يدير لنا ظهره ، يدير لنا ظهره ببساطة ، لكن لانه المانى كاذب فهو لا يفعل ذلك صراحة ، لكنه يتخذ صندوقه علة ، ولانه المانى خبيث فهو لا يتركنا دون ان يطعننا في شرفنا ، ويتهمنا بالصوصية ، لمجرد اننا لهونا قليلا بصندوقه .

قال كارل ، وهو يعيد اشيائه داخل الصندوق ، دون ان يستدير نحوهما :

- كلما تحدثت اكثر ، بدا لى فراقى لكما يسيرا ، اننى اعرف تماما معنى الصداقة ، ولقد كان لى اصدقاء فى أوروبا ايضا ، الا ان احدا منهم لم يحدث ان اتهمنى باننى قد سلكت معه سلوكا زائفا او حقيرا ، ولست على اتصال باى منهم الآن بالطبع ، لكن لو اتيح لى الرجوع مرة اخرى الى أوروبا فسوف يسرون لرؤيتى ، وسوف يرحبون بى فى الحال كصديق ، اما بالنسبة لكما يا ديلامارش وروبينسون فانا ابدو وكأننى قد خدعتكما ، هل فعلت بعد ان تصرفتما معى بهذا الكرم - ولن انسى ذلك ابدا - فاصطحبتمانى ، ووعدتمانى بالعمل كصبرى فى باترفورد ، الا ان هذا ليس هو الامر بالمرة ، واننى لا انظر اليكما نظرة سيئة لانكما لا تملكان شيئا ، الا انكما تحقدان على الاشياء القليلة التى امتلكها ، وتحاولان ان توجهنا الى الاهانة بسببها ، ولا يمكننى ان احتمل ذلك . لقد فتحتما صندوقى عنوة ، ولم تقدما كلمة اعتذار واحدة بل انكما توجهنا الى الشتائم بدلا من ذلك ، وتسبان جنسى ايضا ، وهذا ببساطة يجعل بقائى معكما مستحيلا ، وعلى الرغم من كل شىء فلا ينطبق عليك هذا الكلام يا روبنسون . فى الحقيقة فلست ألومك على شىء سوى اعتمادك البالغ على ديلامارش

قال ديلامارش : «والآن نراك .. وهو يتقدم نحو كارل، ثم يدفعه

دفعة خفيفة ، كما لو كان يؤكد قصده . . « والآن نراك على حقيقتك
لقد ظللت طول اليوم تركض خلفي ، متملقا بدليل ممطفي ، وتفعل
كل ما افعله ، وظللت صامتا كالقار ، لكن الآن ، لان شخصا
ما في الفندق يؤازرك ، بدأت في استعراض قوتك ، انك مخادع
تافه ، ولست واثقا من اننا سنتحمل هذا النوع من الخداع ،
لست متأكدا تماما من اننا سنضطر الى دفع ثمن ما تعلمته من
مراقبتك لنا طوال اليوم اننا سنتحمل هذا النوع من الخداع ،
اننا نحسده يا روبنسون ، نحسده - هذا ما يقوله - على ممتلكاته .
ان اجر يوم عمل واحد في باثرفورد - ولا داعي لذكر كاليفورنيا -
يتيح لنا ان نحصل على عشرة اضعاف ممتلكاتك الظاهرة لنا حتى
الآن ، وتلك التي تخفيها ايضا في بطاقة ذلك المطف ، فاحفظ
لسانك تماما .

ونهض كارل من امام صندوقه ، وراى روبنسون يتقدم نحوه
هو ايضا وهو لا يزال تحت تأثير النعاس ، الا انه كان منتششا
قليلا بتأثير البيرة ثم قال : اذا بقيت هنا اكثر من ذلك ، فربما
حدث ما سوف يزيدنى دهشة فوق دهشتى ، ويبدو لى انكما
تنويان ضربى .

قال روبنسون : « لا يمكن ان يستمر صبر المرء الى الابد » .
فقال كارل دون ان يرفع عينيه عن ديلامارش : « يجب عليك
ان تظل بعيدا عن هذا الموضوع يا روبنسون ، فانك فى اعماقك تعلم
اننى على حق ، الا انك قد نهضت لتتظاهر بتأييدك لديلامارش » .
تساءل ديلامارش : « لعلك تفكر فى ان ترشوه » .

قال كارل : لم يخطر ذلك ببالى ، اننى سميد لاننى ساترككما ،
ولا اريد ان ارتبط أكثر من هذا باى منكما ، ثمة شىء واحد فقط ،
اريد ان اقله لكما وهو انكما تلومانى لاننى امتلك نقودا اخفيها عنكما ،
فلنفرض اذن ان ذلك كان صحيحا ، فهل ليس من حقى ان افصل
ذلك مع اناس لم اعرفهم الا منذ بضع ساعات قليلة فقط ، واليس
السلوك الذى تسلكانه نحوى الآن هو الدليل الواضح على مدى
صحة تدبيرى .

قال ديلامارش لروبنسون : « اصمت » على الرغم من ان روبنسون
لم يكن قد تحرك ، ثم قال لكارل : « بما انك تستعرض تقديرى
للأمانة هذا الاستعراض الزائد ، فلماذا لا تدعم قليلا ايضا هذا
التقدير بأن تفتح قلبك لنا على نحو ودى ، وتخبرنا بصراحة لماذا

تريد ان تذهب الى الفندق ؟

وكان على كارل ان يتراجع خطوة نحو الصندوق ، فقد اندفع ديلامارش حتى لاصقه ، ولم يكن ديلامارش ليحيد عن فرضه ، لهذا ركل الصندوق جانبا ، ثم تقدم خطوة اخرى ، ودق قدمه فوق فوطة بيضاء ، كانت ملقاة فوق المشب وردد سسؤاله مرة اخرى .

وصعد المرتفع رجل يحمل في يده بطارية كهربائية قوية الضوء ، وكان ظهوره اجابة مباشرة على سؤال ديلامارش ، كان قادما من ناحية الطريق ، ومتجها نحو الثلاثة . كان الرجل واحدا من سفرجية الفندق ، وعندما لمح كارل هتف قائلا: لقد بحثت عنك ما يقرب من نصف الساعة. وقد طفت بكل الاشجار التى على جانبي الطريق ، فقد ارسلتنى المديرية لاقول لك انها تريد السلة التى اعارتك اياها . قال كارل في صوت يرتمش من الهياج : ها هي ..

وانتحي ديلامارش وروبينسون جانبا متصنمين الوداعة ، كعادتهما دائما عند ظهور احد الغرباء ذوى المظهر الرقيق ، والتقط السفرجى السلة وقال : « ولقد طلبت منى المديرية ايضا ان اسالك ان كنت قد غيرت رايك ، وترغب في قضاء الليلة بالفندق ، والسيدان ايضا مسموح لهما ايضا بالمبيت ، اذا رايت ان تصحبهما معك .. ان السرر قد اعدت بالفعل لثلاثتكم ، ان الجو دافئ الليلة بالفعل ، لكن المزم يجب الا يامن المبيت في مكان كهذا ، فانت معرض دائما للثعابين . »

قال كارل : « بما ان المديرية قد تكرمتم بهذه الدعوة ، فانتى اقبل دعوتها في النهاية » ... وانتظر ان يقول رفيقاه شيئا ، الا ان روبينسون ظل واقفا هنالك في صمت تام ، وكان ديلامارش يتطلع الى النجوم ، ويداه في جيبى بنطلونه ، وكانا ينتظران ان يصحبهما كارل معه دونما جلبة .

قال السفرجى : « في هذه الحالة ، فانه على ان اصحبك الى الفندق بمفردك ، وان احمل امتعتك الى هناك » .

قال كارل : « ارجو ان تنتظر لحظة من فضلك » ، وانحنى كارل ليعيد الاشياء القليلة التى كانت متناثرة فوق المشب ، الى داخل الصندوق .

واعتمد فجأة ، كان يبحث عن الصورة الفوتوغرافية التى كان قد وضعها فوق ملابسه في داخل الصندوق ، دون ان يمشر لها على

اثر، كل شيء آخر كان موجودا بداخل الصندوق ماعدا تلك الصورة .
قال ديلامارش في توسل : « اننى لا اجد الصورة الفوتوغرافية »
وتساءل ديلامارش قائلا : « اى صورة ؟ »
قال كارل : « صورة والدى »

فقال روبنسون : « اننا لم نر صورا بداخل الصندوق مطلقا
يا مستر روسمان »

قال كارل : « الا ان هذا مستحيل بالفعل » ، واجتذبت نظراته
الضاربة السفرجى فاقترب منه : « لقد كانت فوق السطح ،
والآن لا اثر لها ، وارجو الا تكونا قد عثمتا بصندوقى هنا وهناك »
قال ديلامارش : « اننا لم نرتكب اى خطأ ، ولم يكن هناك اى
صور فى الصندوق »

قال كارل للسفرجى الذى كان يبحث عن الصورة فوق المشب :
« لقد كانت اهميتها بالنسبة لى تفوق كل ما عداها ، ذلك لانه
لا يمكن تعويضها ، فليس فى امكانى ان احصل على صورة اخرى » ،
وعندما توقف السفرجى عن البحث اليأس ، اضاف كارل قائلا :
لقد كانت الصورة الوحيدة التى كنت احملها مئى لوالدى »
فقال السفرجى عندئذ فى صوت مرتفع ، دون ادنى محاولة
لتلطيف الالفاظ :

— ربما امكننا ان نفتش جيوب هذين السيدين
قال كارل فى الحال : « نعم » لا بد لى من العثور على الصورة ،
لكن قبل تفتيش جيوبهما ، دعنى اقل لهما ، ان من يمسك الى
تلك الصورة طائما ، ففى امكانه ان ياخذ صندوقى بكل ما فيه »
وبعد لحظة من الصمت التام ، قال كارل للسفرجى : « يبدو
ان صديقى يفضلان تفتيش جيوبهما ، الا اننى ما زلت مند وعدى
باعطاء الصندوق بكل ما فيه لمن توجد فى جيبه الصورة ، ولا
يمكننى ان افعل شيئا اكثر من ذلك »

وشرع السفرجى فى تفتيش ديلامارش الذى بدا ان مهمة تفتيشه
اصعب من مهمة تفتيش روبنسون ، الذى ترك كارل يفتش جيوبه
بنفسه ، قائلا لكارل ، انه يجب ان يتم تفتيشهما فى وقت مما ،
والا تخلص احدهما من الصورة خلسة ، وما ان وضع كارل يده
فى جيب روبنسون حتى عثرت اصابعه على تليفنة تخصه لكنه لم
يخرجها ، ونادى على السفرجى قائلا له : « لا تنتزع اى شيء
يتصادف ان تجده فى جيوب ديلامارش ، بل اتركه له فى مكانه ،

فلست أريد سوى الصورة ، الصورة فقط »
ولامست يد كارل وهو يقوم بتفتيش جيب الصدر في سترة روبنسون ، صدر الرجل المسترخى ، الساخن فانتابته الخشبة من أن يكون قد ظلم رفيقيه ، وقد دفعه هذا الخاطر الى أن يسرع في مهمته ما استطاع . لكن كان ذلك كله عبثا ، فلم يجد اثرا للصورة لا في جيوب روبنسون ، ولا في جيوب ديلامارش .
قال السفرجى : « شيء سيء » .

وأجابه كارل قائلا : « لعلهما قد مزقا الصورة والقيا بقصاصاتها بعيدا ، لقد كنت أحسبهما صديقين ، إلا انهما في أعماقهما لا يريدان لى سوى الشر ، ولا ينطبق شيء من هذا على روبنسون ، فلم يخطر له قط أن تلك الصورة تهمنى الى هذا الحد ، وإنما يقع اللوم على ديلامارش »

وكان كارل يرى الآن السفرجى وحده بلمبته التى تضيء دائرة صغيرة أمامهما ، فى حين اختفى ديلامارش وروبنسون وكل شيء آخر خلفهما فى ظلام حالك

ولم يعد هناك مجال لدعوة الرجلين الى الفندق مع كارل

ورفع السفرجى الصندوق فوق كتفه ، والتقط كارل السلة ، وانطلقا فى السير ، وكان كارل قد بلغ الطريق عندما افاق فجأة من أفكاره ، فتوقف ؛ وصاح فى الظلام : « استمعا الى ، لو كانت الصورة مع أحكما ورأى أن يحضرها الى فى الفندق ، فما زال وعدى باعطائه الصندوق قائما أيضا فى هذه الحالة ، وأقسم أنى لن أهاجمه إطلاقا »

لم يتلق ردا على ذلك ، فقط كلمة مكتومة كان من الممكن سماعها كانت بداية صيحة كان روبنسون سيطلقها ، إلا أن فمه اغلق فى الحال ، أغلقه ديلامارش فيما يبدو ، وانتظر كارل طويلا ، لمل الرجلين اللذين فوق المرتفع يفران رايهما ، وصاح مرة ، بعد مرة : « اننى ما زلت هنا »

لكنه لم يتلق ردا ، فيما عدا أن حجرا تدحرج الى اسفل لعله لم يكن قد سدّد بأحكام ..

الفصل الخامس

الفندق الغربى

واقف كارل عندما بلغ الفندق الى احد المكاتب ، حيث كانت المديرية تملئ خطابا ، وهى تمسك بمفكرة فى يدها ، على سكرتيرة شباك ، كانت تجلس الى آلة كاتبة . وكان الاملاء بالغ الدقة ، والدقات الواثقة الخفيفة تتتابع فوق مفاتيح الآلة الكاتبة التى كانت تتسابق مع دقات الساعة المطلقة فوق الحائط المقابل التى كانت تسمع فقط من حين الى آخر ، بينما مقرباها يشير ان الى ما بعد العاشرة والرابع .

— هذا انت ! قالتها المديرية ، وهى تطلق مفكرتها ، وتنفذت السكرتيرة واقفة ، ووضعت الفطاء فوق الآلة الكاتبة ، دون ان ترفع عينها عن كارل فى اثناء قيامها بتلك الحركات الآلية . كانت تبدو كتلميذة صغيرة ، وكان مصطفها مكويا فى عناية ، ومشيا بالمكواة كذلك عند الكتفين ، وكان شعرها مكوما ، ومرفوعا الى أعلى ، وكان مما يثير الدهشة الى حد ما ، بعد ملاحظة هذه التفاصيل ، ان ترى جاذبية وجهها ! وبعد ان انحنت للمديرية اولا ، ثم لكارل ، غادرت الحجرة ، والقى كارل نظرة لا ارادية مستفسرة نحو المديرية

قالت المديرية : ان مجيئك شئ رائع فى النهاية ، وماذا عن صديقك ؟

قال كارل : اننى لم احضرهما معى !

قالت المديرية ، وكأنها تفسر الامر لنفسها : انهما سيرحلان فى الصباح المبكر جدا فيما اعتقد

قال كارل فى نفسه : لكن الا تمتد ان على ان ارحل مبكرا انا ايضا فى تلك الحالة ؟ ولكنى يضع حدا لهذا الالتباس ، قال : لقد افترقنا فى ظروف سيئة !

وبدا ذلك للمديرية خبرا سارا ، فقد قالت : اذن فانت حر الان ؟

قال كارل : نعم ، اننى حر ! وبدا وكأنه لا يوجد اى شئ آخر أتفه من حريره تلك

تساءلت المديرية قائلة : قل لى ، الا تحب ان تحصل على وظيفة هنا فى الفندق ؟

قال كارل : احب جدا ، الا اننى لا اكاد اعرف شيئا ، فانا مثلا ،

لا يمكننى ان استعمل الآلة الكاتبة !
قالت المديرية : لا أهمية لهذا ، فسوف تعطى لك وظيفة صغيرة
تبدأ بها حياتك العملية ، وسوف يكون شأنك بعد ذلك ان تشق
طريقك الى أعلى عن طريق الكد والانتباه ، لكن مهما تكن
الاحوال ، فأننى اعتقد انه من الخير لك ، ومن الاصول ان تستقر
في مكان ما ، بدلا من التجول على غير هدى ، كما تفعل الآن ،
فلست اعتقد أنك قد خلقت لشيء من هذا !

قال كارل في نفسه : سوف يرضى خالى من هذا أيضا ، وأوما
موافقا ، وتذكر في تلك اللحظة نفسها بأنه لم يقدم لها نفسه بعد ،
على الرغم من ان المديرية قد أبدت مثل هذا الاهتمام بأمره ، فقال :
أرجو ان تغفرى لى ، لأننى لم أقدم لك نفسى حتى الآن ، ان
اسمى هو كارل روسمان !
- أنك المانى ، ألسنت كذلك ؟

قال كارل : نعم ، لم يمض على وقت طويل في أمريكا !
- من أى مكان أتيت الى أمريكا ؟

قال كارل : من براغ ، في بوهيميا !
صاحت المديرية قائلة بالانجليزية في تحيز بالغ للألمان ، وهى
تفرد ذراعها في الهواء :

لقد توقعت هذا ، اذن فنحن مواطنان ، فاسمى هو جريتا
ميتزلباخ وائنى من فيينا ، وأعرف براغ جيدا ، فقد عملت نصف
عام في « الاوزة الذهبية » في ميدان فنسلاوس ، لقد توقعت
ذلك بالفعل !

تساءل كارل قائلا : متى كان ذلك ؟ !

- منذ سنوات بعيدة ، بعيدة مضت !

قال كارل : لقد هدم مبنى « الاوزة الذهبية » المتبق منذ عامين !

قالت المديرية : حسنا ، حسنا ، وهى مستفرقة تماما في أفكارها
عن الايام الماضية ! لكنها فجأة انتعشت ثانية ، فامسكت بكلتا
يدي كارل ، وصاحت : والآن وقد ظهر أنك مواطن من نفس
وطنى ، فليس لك ان ترحل من هنا بأى حال من الاحوال ، يجب
الا تسمى الى بلدك ، فما رأيك مثلا في ان تعمل كمامل مصعد ؟
فقط قلها تكن قد أصبحت عامل مصعد ، ولو كنت قد اطلعت
على شيء من طبيعة هذا البلد ، لتحققت من انه ليس من السهل
الحصول على مثل هذه الوظيفة ، فوظيفة عامل مصعد هى افضل

بداية في الحياة يمكن ان تحلم بها ، فهي تتيح لك الاتصال المباشر بكل ضيوف الفندق ، والناس تراك دائما ، وتمهد اليك بالقبام ببعض المهام الصغيرة ، وباختصار فلديك الفرصة كل يوم لتحسين وضعك ، وسوف ارتب كل شيء بنفسى فاترك الامر لى !
قال كارل ، بعد وقفة قصيرة : احب جدا ان اكون عامل مصعد بالفعل ! كان من الحمق ان يتردد فى قبول وظيفة عامل مصعد ، نظرا لدراسته الثانوية ، فلديه هنا فى امريكا اكثر من سبب يدفعه الى ان يخجل من دراسته الثانوية ، وبالإضافة الى ذلك ، فكارل كان يعجب دائما بعمال المصاعد ، وكان ينظر الى وضعهم باعترابه مجرد زينة !

تساءل بعد ذلك قائلا : الا يتطلب هذا العمل الالمام باللغة ؟ !
- انك تتحدث الالمانية ، ولغتك الانجليزية سليمة ، حسنة . وهذا يكفى تماما !

قال كارل ، الذى راي انه من الافضل الا يتجاوز من هذا العمل الوحيد الذى يدموه للفخر : لقد تعلمت اللغة الانجليزية فقط فى خلال الشهرين ونصف الشهر التى انقضت على وجودى فى امريكا !
قالت المديرية : ان هذا فى حد ذاته يعد تزكية كافية ! تذكرنى بالصعوبات التى واجهتنى عند بدء تعلمى اللغة الانجليزية ، كان ذلك بالطبع منذ ثلاثين عاما ، ولقد كنت اتحدث من ذلك بالامس فقط ، ذلك ان الامس كان عيد ميلادى الخمسين ، وحاولت بابتسامة ان تقرا فى وجه كارل انطباعه من مثل هذه السن الوقور !

قال كارل : اننى اتمنى لك اذن مزيدا من السعادة !

قالت وهى تهز يد كارل ، وتتطلع فى كآبة الى تلك الجملة الالمانية العتيقة التى جاءت تلقائيا على طرف لسانها : حسنا ، ان السعادة هى دائما النفع ، ثم صاحت فجأة : اننى احتجزك هنا ، ولا بد انك متعب .. ويمكننا ان نتحدث غدا عن كل شيء بصورة افضل ، ان سرورى بلقاء احد مواطنى قد جعلنى انسى كل شيء آخر ، هيا ، سوف أدلك على حجرتك !

قال كارل : أرجو ان تسمحى لى بخدمة اخرى - وهو يتطلع الى التليفون الذى يستقر فوق المنضدة - من الممكن فى صباح الفد أن يحضر لى صديقائى المابران هذان ، صورة فوتوغرافية احتاجها جدا ، فهل تفضلين بأن تبلى البواب تليفونيا بأن يرسل الرجلين

الى ، او ان يطلبنى عندئذ حتى اهبط للقائهما ؟
قالت المديرية : بلا شك ، لكن ماذا لو سلما الصورة الى البواب ؟
وما هى هذه الصورة ، لو كان لى ان اسأل ؟
قال كارل : انها صورة لوالدى ، ولكننى يجب ان اتحدث بنفسى
الى الرجلين !

ولم تجب المديرية بشيء اكثر من ذلك ، وابلغت امرها تليفونيا الى
البواب الذى ذكرت له رقم ٥٣٦ ، على انه رقم حجرة كارل !
ثم سارا بعدئذ عبر باب يواجه باب المدخل ، وعبر ممر قصير ،
حيث كان صبي مصعد ، صغير السن يستند الى درابزين احد
المصاعد ، مستغرقا فى النوم ! قالت المديرية فى رقة ، وهى ترافق
كارل الى داخل احد المصاعد : قد نفعل ذلك نحن ايضا ! ثم
اضافت بينما يرتفع بهما المصعد الى اعلى : فيوم عمل يتراوح بين
عشر واثنى عشرة ساعة ، هو بالفعل شيء كثير بالنسبة لطاقة
صبي كهذا ! الا ان امريكا بلد غريب ، ولتاخذ هذا الصبي مثلا ،
لقد اتى الى هذا المكان منذ نصف عام فحسب ، فى رفقة والديه ،
وهو ايطالى ، وهو يبدو الآن ، وكأنه لا يتحمل العمل ببساطة ،
فعلى وجهه يرتسم الارهاق ، وهو ينام فى أثناء أداء عمله ، مع انه
بالطبع صبي مجتهد جدا .. لكن عليك فقط ان تمهله ستة أشهر
اخرى ، فسوف تراه قادرا على احتمال عبء العمل فى بساطة ،
وسوف يغدو رجلا قويا ، فى خلال خمس سنوات اخرى ، وفى
وسمى ان أنفق الساعات الطوال فى سرد مثل تلك الحالات ،
ولست انت واحدا من هؤلاء ، لانك بالفعل فتى قوى الآن ، فانت
فى السابعة عشرة ، اليس كذلك ؟ !

فاجاب كارل : سوف اتم السادسة عشرة فى الشهر القادم !
فقالت المديرية : لم تبلغ السادسة عشرة بعد ايضا ؟ اذن فليست
فى حاجة الى ان تخشى شيئا ! وفى اعلى المبنى قادت كارل نحو
حجرة كانت تبدو واحدة من غرف السطح ، ذات سطح مائل الا
انها كانت تبدو مريحة بالفعل ، وتضيئها لمبتان

قالت المديرية : « لا تدهش لللاث الذى فى الحجرة ، فليست
هذه واحدة من غرف الفندق ، لكنها احدى غرفى الخاصة ،
ولدى ثلاث غرف منها ، وعلى هذا فلن تسبب لى مطلقا أى ازعاج ،
وسوف أغلق الابواب الداخلية التى توصل هذه الغرف بعضها
ببعض ، وهكذا يمكنك ان تخلو الى نفسك وغدا ستحصل بالطبع

على غرفة خاصة بك ، كموظف جديد في الفندق ، فلو كان صديقك قد جاءا معك ، لكنت قد وضعتكم معا في الغرفة العلوية الواسعة ، حيث ينام خدم الفندق ، لكن لانك بمفردك ، فأنى أرى من الافضل لك ان تبقى هنا ، على الرغم من انه لا يوجد سوى الاريقة لتستلقى فوقها ، والآن نم في راحة ، واستجمع نشاطك لعملك ، ولن يكون الغد في مثل شدة اليوم ، وقسوته ! »
- اشكرك شكرا بالفا حقا على عطفك !

قالت وهى تتوقف عند باب الحجرة : « انتظر ، سوف اعمل ترتيبى بحيث لا يوقظك أحد في الصباح المبكر ! » واتجهت الى باب جانبي يفتح الى خارج الحجرة ، وطرقته ، صائحة : « تيريز ! »
فاجاب صوت السكرتيرة : « نعم يا مدام ! »

- عندما توقظيننى في الصباح ، فاذهبى الى حجرتى عن طريق الممر ، فثمة ضيف ينام في هذه الحجرة ، وهو مرهق غاية الارهاق ، وابتسمت لكارل وهى تقول ذلك : « هل تسمعين ! ! »
- نعم يا مدام !

- حسنا اذن ، طابت ليلتك !

- طابت ليلتك !

قالت المديرية ، وهى تحاول ان تفسر الامر لكارل : « لقد عانيت من النوم السيئ لعدة سنوات ، ولى في وضعى الحالى كل الحق في أن ارتاح ، ولست احتمل الازعاج في الحقيقة بآية صورة من الصور ، لان كل مخاوفي القديمة لا تزال تنتابنى حتى الآن ، وتحرمنى من النوم ، فلو قدر لى ان استفرق في نومى في الساعة الثالثة صباحا ، فأننى أعتبر نفسى سعيدة الحظ ، لكن لما كان على ان انهض بأعباء عملى في الخامسة .. او الخامسة والنصف على الاكثر ، فلا بد من ان يوقظنى شخص ما ، ولا بد له من ان يحاول ايقاظى في رفق بالغ ، حتى لا يسبب لى مزيدا من تلف الاعصاب ، فأعصابى تالفة بالفعل غاية التلف . »

وهكذا .. فتيريز توقظنى ، الا اننى قد اخبرتك الآن بالفعل بكل شيء يمكن ان أخبرك به ، ولم اذهب حتى الآن .. طابت ليلتك ! ومرقت الى خارج الحجرة ، على الرغم من ضخامة حجمها ! وكان كارل يريد ان ينام ، فقد كان مرهقا غاية الارهاق طوال اليوم ، ولم يكن ليتطلع الى مكان مريح لينام فيه ، افضل من هذا المسكان ، لم تكن الغرفة غرفة نوم بلا شك ، بل كانت غرفة معيشة

المديرة ، أو حجرة استقبالها على وجه التحديد ، وكان ثمة وعاء للفسيل قد وضع خصيصا من أجل استعمال كارل في تلك الليلة ، الا انه لم يشعر برغبة في ان يمس أى شيء من محتويات الحجرة في تلك الليلة ، كان يتطلع فقط الى شيء من الاحساس بوجوده وكان صندوقه هنالك في انتظاره ، ولا شك انه لم يوضع في مكان آمن كهذا المكان لمدة طويلة وفوق بوفيه منخفض لذي ادراج ينتشر فوقه غطاء من الصوف كالشبكة كانت تستقر بضلع صور فوتوغرافية في اطاراتها ، وتوقف كارل اثناء تجوله في انحاء الحجرة ليتطلع اليها .

كانت صوراً قديمة كلها تقريبا لفتيات في ملابس عتيقة الطراز ، غير مريحة ، وكانت قبعة صغيرة محلاة بتاج تزين في اهمال رأس كل فتاة من تلك الفتيات ، بينما كانت اليد اليمنى لكل منهن ، تستند فوق مقبض شمسية ، وكانت تلك الفتيات يواجهن من ينظر الى صورهن الا ان هيونهن لم تكن لتلتقى بعينييه ، وبين صور الرجال اصطدمت عينا كارل بصفة خاصة بصورة جندي شاب كان قد وضع قبعته فوق منضدة ، وكان يقف منتصباً بخصلات شعره الشائر ، الاسود ، ونظرة رضا مكبوتة ، تنم عن عنجهية ، ويبدو ان شخصا اعاد تلوين ازرار ردائه بنقط من طلاء ذهبي . لعل هذه الصور كلها تكون قد جاءت من أوروبا ، وكان من الممكن ان يتأكد كارل من ذلك بالتطلع الى ظهر تلك الصور ، الا انه لم يرغب في ان يمد يده اليها ، وكان يود لو يضع صورة والديه في الغرفة التي سيشغلها ، على نحو تلك الصور الموضوعة هنا .

وكان كارل قد تمدد فوق الاركة ، وتاهب للنوم بعد ان اغتسل من قمة رأسه الى أصابع قدميه ، وكان قد فعل ذلك بغاية الهدوء نظرا لوجود الفتاة التي تجاوره في الغرفة ، عندما خيل اليه انه سمع طرقا خفيفا على أحد الابواب ، ولم يستطع ان يكتشف للوهلة الاولى على أى باب من الابواب كانت تلك الطرقات ، ولعلها كانت ضوضاء غير مقصودة ، الا انها قد تكررت في الحال ، ولم يكن كارل قد استغرق في النوم عندما تكرر ذلك الطرق فوق الباب وكانت طريقة واضحة الآن بكل تأكيد . . وظهر ان تلك الطريقة الاخيرة كانت على الباب المؤدى الى حجرة السكرتيرة ، ومشى كارل على أطراف أصابعه الى الباب ، وتساءل في رقة بالغة ، حتى اذا كانت الفتاة التي في الغرفة الاخرى نائمة رغم ذلك الطرق ، فلا

يتسبب في ان يوقظها من نومها : « هل تريدن شيئا ؟ »
وجاءه الرد في الحال في نفس الصوت الخافت البالغ الرقة :
« الا تفتح الباب ؟ » ان المفتاح في الجانب الذي امامك !
قال كارل : « بلا شك ، الا اننى يجب ان ارتدى شيئا من
ملابسى أولا ! »

مضت فترة قصيرة من الصمت ، ثم قالت الفتاة : « لست في
حاجة الى ان تفعل ذلك ، افتح الباب ، ثم عد الى فراشك ثانية ،
سوف انتظر قليلا امام الباب »

- حسنا ، قالها كارل ونفذ اقتراح الفتاة ، واضاء النور
الكهربائى كذلك ، ثم قال هندئذ : « اننى فى فراشى الآن ! » ،
في صوت مرتفع الى حد ما . ثم ظهرت السكرتيرة خارجة من
ظلام غرفتها في كامل ثيابها ، كما كانت عندما غادرت مكتب المدير ،
ويبدو انها لم تكن قد فكرت في النوم !

قالت : « ارجو ان تسمح لى » ، وهى تنهذى بصورة ما
امام اريكة كارل « وارجو الا تذكر شيئا من زيارتى هذه لك ،
ولست اريد ان ازعجك طويلا ، فأننى أعلم انك مرهق غاية الارهاق ! »
قال كارل : « لست مرهقا الى هذا الحد ، لكننى اعتقد انه
ربما كان من الافضل ان ارتدى شيئا من ملابسى ! » وكان عليه
ان يرقد متمددا تماما حتى يمكنه ان يسحب فوقه الفطاء ، حتى
عنقه ، لانه لم يكن لديه رداء للنوم !

قالت : « سابقى لحظة فقط ! » وهى تتطلع حولها باحثة عن
مقعد ، ثم اضافت تقول : « هل يمكننى ان اجلس بالقرب من
الاريكة ؟ ! » واوما كارل بالإيجاب ، فوضعت مقعدها لصق
الاريكة ، حتى كان على كارل ان يلتصق بالحائط لكي يتمكن من
رؤية وجهها جيدا . كان لها وجه مستدير ، رقيق التكوين ، فيما
هذا ان حاجبيها كانا يبدوان مرتفعين بصورة ملحوظة ، وربما كان
ذلك بتأثير تسريحة شعرها التى لم تكن تناسبها ، وكانت ملابسها
نظيفة جدا ، ومرتبطة ، وكانت تعتمر مندبلا في يدها اليسرى .

وتساءلت : « هل ستمكث هنا طويلا ؟ ! »
فاجابها كارل قائلا : « لم يستقر الراى في هذا الشأن بعد ،
لكننى اعتقد اننى سابقى ! »

قالت : « سيكون هذا رائعا » ، ومرت بمندبلا فوق وجهها ،
وذلك لاننى أشعر بالوحدة القاسية هنا !

قال كارل : « ان هذا يدهشنى ، ان المديرة تعطف عليك عطفًا زائدا ، اليس كذلك ؟ ! انها لا تعاملك كموظفة مطلقا ، ولقد ظننت بالفعل انك احدى قريباتها ! »

قالت : « اوه .. لا ، ان اسمى هو تيريز بيرشتوند ، وقد اتيت من بوميرانيا ! »

وقدم كارل ايضا نفسه ، وتطلعت اليه مباشرة للمرة الاولى ، وكأنه بدا فجأة غريبا اكثر مما كان عندما ذكر لها اسمه . وظلا صامتين لفترة قصيرة ، ثم قالت : « يجب الا تظن اننى ناكرة للجميل ! » ، فلولا المديرة ، لسكنت الآن فى حال اسوأ كثيرا من حالتى الحاضرة ، ولقد كنت اعمل بين فتيات المطبخ هنا فى الفندق ، وكنت ممرضة جدا للفصل من عملى هنا ، لاننى لم اكن احتمل العمل الشاق ، فانهم يتوقعون منك فى المطبخ ان تقوم بمجهودات خارقة ، منذ شهر اغمى على واحدة من فتيات المطبخ ، اغمى عليها ببساطة تحت ضغط الارهاق ، وكان عليها ان تمكث فى المستشفى اسبوعين ، وانا نفسى لست فى صحة جيدة ، ولقد كنت دائمة المرض فى طفولتى ، وكنت بطيئة فى النمو لهذا ، ولعلك لا تتخيل .. هل تتخيل اننى فى الثامنة عشرة ؟ الا اننى ازداد قوة الآن !

قال كارل : « لابد ان العمل هنا شاق بالفعل ، ولقد رايت صبي مصعد فى الطابق الاسفل ينام واقفا فوق قدميه ! »
قالت : « ان عمال المصاعد قد اعتادوا بالفعل على ذلك ! كما انهم يحصلون على مبالغ كبيرة من منح البقشيش ، ومع ذلك فليس عليهم ان يبدلوا جهدا من قبيل الجهد الذى يتطلبه العمل الذى تقوم به فتيات المطبخ . ولقد كنت سعيدة الحظ بالفعل مرة فى حياتى كلها فقد ارسلت المديرة ذات يوم فى طلب فتاة ، لتقوم بترتيب فوط السفارة استعدادا لمأدبة ، وكان هناك ما يقرب من خمسين فتاة فى المطبخ وتصادف ان كنت انا التى انطبقت عليها شروط المديرة ، فتم اختيارى ! حسنا .. ولقد قمت بالعمل الذى اسندته الى بصورة حازت رضاها ، فقد كنت ماهرة دائما فى ترتيب فوط السفارة ، وهكذا احتفظت بى الى جانبها منذ ذلك اليوم ، وقامت بتمرينى ، على مراحل ، حتى أصبحت سكرتيرتها ولقد تعلمت منها الكثير !

تساءل كارل : « هل توجد اعمال كتابية كثيرة هنا ! »

وأجابته قائلة : « اوه .. توجد اعمال كثيرة جدا اكثر مما يمكنك أن تتصور ، ولقد رأيت بنفسك اننى كنت أقوم بعملى حتى الحادية عشرة والنصف هذه الليلة ، وهذا امر عادى جدا ، ولست اكتب بالطبع على الآلة السكّابة طوال الوقت ، لكننى أقوم أيضا بعدد من المهمات فى المدينة ! »

تساءل كارل قائلا : « هل هى مدينة كبيرة ؟ »

فأجابته قائلة : « كبيرة جدا اننى لم اتمتع بمشاهدتها كلها ، لكن .. الا تريد الآن بالفعل ان تستغرق فى النوم ؟ »
قال كارل : « لا .. لا .. انك لم تذكرى لى بعد لماذا جئت لزيارتى الآن ؟ »

— لاننى لا اجد من اتحدث اليه . اننى لا اشكو ، لكن لا يوجد فى الحقيقة من يمكننى ان اتحدث اليه ، ويسعدنى اننى وجدت شخصا ما فى النهاية ، شخصا يسمح لى بأن احادثه .. ولقد رأيتك فى الصالون ، فى الطابق الأسفل .. كنت قد دخلت لحظتها أبحث عن المديرية عندما اصططحتك الى داخل المخزن .
قال كارل : « ان ذلك الصالون مكان مزعج ! »

أجابته : « اننى لا اراه الا نادرا فى هذه الايام ، لكننى أريد فقط ان اقول ان المديرية تعطف على كما لو كانت امى ، لكن هناك اختلافا هائلا بين وضمينا ، حتى اننى لا أستطيع ان اتحدث اليها فى شئ من الحرية . ولقد كانت لى صديقات من بين فتيات المطبخ ، غير انهن قد غادرن هذا المكان منذ زمن بعيد ، ولا اكاد اعرف الفتيات الجديديات اللاتى حللن مكانهن وبالإضافة الى ذلك ، فانه غالبا ما يبدو لى العمل الذى أقوم به الآن عملا مرهقا بصورة تفوق عملى السابق فى المطبخ ، حتى اننى لا اتمكن من القيام به على خير وجه ، كما كنت أفعل فى عملى السابق ويخيل لى غالبا أيضا ان المديرية تحتفظ بى فقط بدافع الشفقة ، وفوق هذا كله فان هذا العمل يحتاج الى دراسة أفضل من الدراسة التى تلقيتها ولا بد لى من ذلك لكى أصلح كسكرتيرة . من الخطأ ان اصرح بذلك لكننى غالبا ما أشعر بهذا كله . واحسه الى حد يوشك أن يؤدى بى الى فقدان عقلى ، « بحق الاله » واندفعت تتكلم فى سرعة وتلمس فى حركات خاطفة كتف كارل لانه كان يخفى يديه تحت البطانية .. لا تذكر للمديرة كلمة من هذا ، والا فاننى بهذا اكون قد قضى على ، فلو سببت لها ألما ، بالإضافة الى انشغالها

بأمري ، فسوف يكون ذلك شيئا يزيد عن طاقتها على أن تحتملني .
فاجابها كارل قائلا : لن اذكر لها بالطبع اى شيء ..
قالت : كل شيء اذن على ما يرام ويجب عليك ان تبقى هنا
فسوف اكون في غاية السرور لو بقيت ، ويمكننا ان نصبح صديقين
لو شئت . فعندما رايتك ، احسست بان في امكاني ان اثق بك ، الا
اننى - وتأمل الى اى حد ابدو ملمونة - كنت خائفة ايضا من ان
تجعلك المديرة سكرتيرها بدلا منى ، وتفصلنى . ولقد قضيت وقتا
طويلا وانا جالسة الى نفسى في الحجرة المجاورة ، اقلب الامر من
كل وجوهه بينما كنت انت في مكتب المديرة في الطابق الاسفل ،
حتى انتهيت اخيرا الى انه قد يكون من الخير لك ان تاخذ مكانى ،
لأنك ستؤدى هذا العمل ، دون شك بكفاءة لا تتوفر لى ، فلو لم
ترغب في القيام بالمهمات التى ترسل بسببها الى المدينة ، فسوف
اواصل انا القيام بهذه الخدمات ، لكننى فيما عدا ذلك ساكون
اكثر نفعا بعودتى الى المطبخ خاصة واننى قد اصبحت الآن اقوى
مما كنت ! ..

قال : لقد تقرر كل شيء الآن بالفعل فساكون انا حامل مصعد
وسوف تبقيين انت في عملك كسكرتيرة ، لو انك لمحت للمديرة
بخططك هذه فسوف اخبرها بما قلته لى الآن واننى آسف مقدما
على اننى سأقول لها هذا كله ..

واخافت لهجة كارل تيريز خوفا شديدا ، حتى انها ألقت نفسها
أرضا الى جوار الاريقة ، وهى تبكى وتخفى وجهها في ملابس نومه .
قال كارل : اوه .. سوف لا اخبرها بشيء ، لكن يجب الا
تقولى لها شيئا انت ايضا .

ولم يستطع ان يمنع نفسه الآن من ان يخرج الى حد ما ، من
تحت غطاءه ويتحسس ذراعها في رقة ، الا انه لم يلق الكلمات
المناسبة التى يمكنه ان يهدئها بها ، أمكنه فقط أن يدرك أن حياة
هذه الفتاة حياة مريرة ، وأخيرا واساها ما استطاع حتى لقد
خجلت من بكائها ، وتطلعت اليه في امتنان ، ونصحته بأن يستغرق
في النوم حتى الصباح ، ووعدته ان تأتى اليه في الساعة الثامنة
لتوقظه ان وجدت امامها متسعا من الوقت

قال لها كارل : « انك ماهرة غاية المهارة في ايقاظ الناس ! »
قالت : « نعم .. يمكننى ان افعل بعض الاشياء ، ومرت بيدها
في رفق فوق ملابس نومه ، وكأنها تصافحه مودعة ، ثم اندفعت
نحو حجرتها »

واصر كارل في اليوم التالي على ان يبدأ عمله في الحال ، على الرغم من ان المديرية كانت قد اشارت عليه بان يقضى اليوم في زيارة المدينة فأخبرها في صراحة انه سيجد امامه فرصا عديدة لرؤيتها فيما بعد الا ان اهم شيء امامه الآن هو ان يبدأ العمل فقد كان قد قطع دراسته في أوروبا بلا هدف ، وها هو ذا يبدأ الآن مرة أخرى حياته كعامل مصعد في سن لعل الطموحين من اقرانه ان يكونوا قد أصبحوا فيها مهيئين لعمل أكثر خطورة ، ولقد كان من الخير ، ومن الضرورة له ان يبدأ حياته كعامل مصعد، لكن من الضروري له أيضا ان يتقدم بغاية السرعة في مثل هذه الظروف .. لم يرق له مطلقا ان يتسكع في شوارع ومسييس ، ولم يقبل أيضا ان يتمشى قليلا مع تيريز عندما اقترحت عليه ذلك ، انه لم يكن يستطيع ان يطرد من رأسه تلك الفكرة الثابتة التي تتلخص في انه ربما هبط ان لم يعمل بكل قواه الى مستوى ديلا مارش وروبينسون .

وعدل ترزى الفندق على مقاس كارل زيا كان لواحد من عمال المصاعد ! وكان زيا مثقلا للغاية بالازرار المذهبة والشرايط الذهبية الا انه جعل كارل يرتجف قليلا عندما ارتداه ، فقد كانت الجاكته القصيرة ضيقة تحت الدرامين بوجه خاص وجامدة تفوح منها رائحة العرق الذي لا حيلة في ازالته ، ذلك العرق الذي نضح على الجاكته من أجساد الصبية العديدين الذين ارتدوها قبله ، وكان لا بد ان تعدل مقاسات الجاكته حتى تناسب كارل ، وخاصة بالنسبة للصدر ، لان جاكته واحدة من الجاكثات الثماني الاخرى لم تناسب مقاسه .. على الرغم من بعض الاصلاحات الضرورية ، ومع ان رئيس التريزية كان يراجع مقاييس تلك الجاكته ، ولقد طوحها الى الخلف مرتين داخل المشغل ، بعد ان كانت قد انتهت على ما يبدو - ورغم ذلك كله ، تم الاصلاح والتعديل في نحو خمس دقائق وغادر كارل حجرة التريزية مرتديا - بالفعل - بنطلونا ضيقا يناسبه ، وجاكته ، كانت محكمة عليه جدا بالرغم من كل التأكيدات القاطعة التي كان رئيس التريزية ينفى بها ذلك فأغرت كارل على الانهماك في القيام بتمرينات التنفس ، لانه كان يريد ان يطمئن ان كان في وسعه ان يتنفس بالفعل وهو يرتديها .

ثم اوضح كارل ذلك لرئيس السفرجية ، الذي كان يراسه ، وهو رجل نحيل وسيم ، له أنف كبير ، ويبدو في العقد الخامس

من عمره ، ولم يكن لدى رئيس السفرجية وقت لتبادل كلمة واحدة معه ، ودق الجرس ببساطة طالبا احد عمال المصاعد ، الذى تصادف ان كان نفس صبى المصعد الذى رآه كارل بالامس .

ناداه رئيس السفرجية باسمه الاول جياكومو الذى كان كارل قد قضى وقتا حتى يتبينه ، ذلك انه لم يكن يمكن تمييزه فى النطق الانجليزى ووجهت التعليمات الى الصبى بان يدل كارل على الواجبات التى على عامل المصعد ان يقوم بها الا انه كان صبيا خجولا ومتعجلا حتى ان كارل لم يكن يفهم شيئا من تلك المعلومات القليلة التى كان عليه ان يذكرها له . ولا شك فى ان جياكومو كان مستاء ايضا لانه كان قد نقل من عمله فى المصعد ، بسبب كارل فيما يبدو ، وتعين عليه ان يساعد الفتيات فى ترتيب الحجرات ذلك النقل الذى بدا له تخفيضا فى وضعه وكان يدرك هذا بسبب بعض الخبرات الخاصة التى لم يبع بها رغم ذلك . وكانت خيبة الامل التى اصاب بها كارل هى اكتشافه ان عامل المصعد لاشان له فيما يتعلق بميكانيكية المصعد لكن عليه فقط ان يحركه بالضغط فوق بعض الازرار ، على حين يقوم ميكانيكيو الفندق بأداء كل الاصلاحات التى يحتاج اليها اى مصعد فى حالة تعطله . فمثلا ، على الرغم من ان جياكومو قد قضى نصف عام فى الخدمة كعامل مصعد فانه لم ير مطلقا بعينه لا المحرك الموجود فى داخل القبو ولا اجزاء المصعد الداخلية التى تسهم فى حركته ، مع ان ذلك ، كما قال هو نفسه كان سيسره ! وكان العمل فى الحقيقة مملا ونوبات العمل التى تمتد اثنتى عشرة ساعة وتتغير نهارا مرة واخرى ليلا ، تعد نوبات مرهقة جدا ، حتى ان المرء لايمكنه ببساطة تبعا لقول جياكومو ، ان يحتملها اذا لم ينم واقفا على قدميه بضع دقائق من حين لآخر ولم يعقب كارل بشيء على هذا القول الا انه كان يدرك تماما ان هذه الحيلة نفسها هى التى كلفت جياكومو وظيفته .

وكان كارل فى غاية السرور لان المصعد الذى سيمثل به كان مخصصا للأدوار العليا لانه لم يكن عليه ان يتعامل مع الضيوف الاثرياء ، الذين يعدون اكثر الزبائن ارهاقا لعامل المصعد وتشديدا فى أوامرهم ولم يكن له ان يعرف الكثير من المصاعد الاخرى لهذا بدا له هذا العمل طيبا كمجرد بداية . وادرك بعد انقضاء الاسبوع الاول انه كان كفئا تماما للوظيفة

وكانت اللوحة النحاسية في مصعده اكثر لمعانا من مثيلاتها في المصاعد الاخرى ولم يكن يوجد في اى من المصاعد الثلاثين الاخرى اى شيء يجعله جديرا بان يقارن بمصعد كارل ، وربمابقى المصعد لامعا على الدوام لو ان الصبي الآخر الذى يتناوب معه العمل فيه بدل شيئا من الجهد يقرب مما يبذله كارل من الجهد الخارق دون ان يزداد اهمالا كلما ازداد انتباه كارل الى واجباته. كان ذلك الصبي مواطنا امريكيا يدعى رينيل وهو فتى مفرور ذو عينين سوداوين ، وخدود ناعمة مجوفة الى حد ما ، وكان يرتدى بدلة خاصة جميلة في الليالى التى كان يخلو فيها من العمل ، عندما كان يهرع الى المدينة متعطرا وكان اكثر من هذا يسأل كارل من حين لآخر ان يقوم بعمله امسية من الامسيات متعللا بان عليه ان يذهب الى مكان ما لظرف هائلى دون ان يلقى بالا الى تناقض تلك الحجج التى كان يلفقها مع مظهره المبتهج ، ورغم ذلك فقد احبه كارل ، وكان يسره ان يرى رينيل وهو يقف الى جانب المصعد يبذله الرائعة قبل ان يفادر الفندق في احد تلك الامسيات ، وهو يتعلل بالمعاذير مرة اخرى بينما يجذب قفازيه ثم يتسلل خارجا عبر الردهة وبلاضافة الى ذلك فقد رأى كارل انه من الطبيعى له ان يرضى زميلا اكبر منه على هذا النحو في البداية ولم يكن كارل ينوى ان يجعل ذلك تقليدا ثابتا ذلك ان تحريك المصعد الى اعلى والى اسفل ، كان عملا مرهقا في ذاته الى حد كاف ، وخاصة في الامسيات حيث لا يتاح له ان يتوقف لحظة واحدة عن الحركة .

وهكذا تعلم كارل ايضا كيف يؤدى تلك الانحناء العميقة السريعة التى يتعين على صبيصة المصاعد ان يؤدوها ، وان يتناول منح البقشيش بفاية الخفة ، فكانت تلك المنح تختفى فورا في جيب صديريه ، دون ان يتمكن احد من ان يستشف من تعبير وجهه ان كان البقشيش كبيرا او زهيدا وكان يفتح باب المصعد للسيدات في شيء من الرقة ، ويدخل الى المصعد خلفهن متباطئا لانهن في عنايتهن بقبعاتهن وملابسهن وزينتتهن ، يستفرقن وقتنا طويلا في الحركة ، بخلاف الرجال ، الى داخل المصعد. ويظل في اثناء تحرك المصعد ، ملتصقا ببابه لانه اكثر الاماكن حيادا ويمطى ظهره الى النزلاء ، ويظل ممسكا في يده بمقبض الباب لكى يكون مستعدا عند لحظة بلوغ الطابق المطلوب ، لان يفتح الباب على مصراعيه ، على كلا الجانبين دون تعطيل النزلاء او مفاجاتهم ، وما ان يربته

احدهم فوق كتفه ليساله في اثناء الصعود عن شيء ما ، حتى يستدير اليه في لباقة كما لو كان يتوقع السؤال ويجيبه في صوت مرتفع ، وفي احيان بعد انتهاء حفلات المسرح خاصة ، او وصول احد القطارات السريعة يكون الزحام شديدا ، على الرغم من وجود كل تلك المصاعد العديدة بالفندق فلم يكن كارل يفرغ من توصيل مجموعة من النزلاء الى الطابق الذي يريدونه ، حتى يقفل راجعا مرة اخرى الى هؤلاء الذين ينتظرونه في الطابق الاسفل ، وكان في مقدوره بجذب سلك كهربائي كان يمر خلال المصعد ، ان يزيد من سرعة المصعد العادية ، على الرغم من ان ذلك كان ممنوعا طبقا للتعليمات ، وكان يعد امرا على جانب كبير من الخطورة كذلك فلم يكن كارل يفعل ذلك عندما يكون المصعد مشغولا بالنزلاء لكنهم ما ان يغادروه الى الطابق الذي يقصدونه ، وتعين عليه العودة لاحضار عدد من النزلاء الآخرين حتى يجذب كارل ذلك السلك دون ادنى تردد مصعدا تنهيدات قوية منتظمة كالبحارة ، وكان يعلم بالاضافة الى ذلك ان صبية المصاعد الآخرين يفعلون ذلك هم ايضا. ولم يكن يريد ان يلجأ النزلاء الذين ينتظرونه اليهم ، وكان بعض الضيوف الذين يمكثون لفترات طويلة في الفندق - وهي عادة شائعة هنا - يقولون في ابتسامة ، عندما يلحقونه : انه هو عامل مصعدهم ! وكانت هذه البوادر التي تنم عن العطف تجد قبولا رزينا من كارل ، لا يفتقر الى الشعور تجاههم بالعرفان ، وكان يقوم احيانا اذا لم يكن متمجلا غاية المجلة كمعاده بأداء بعض الخدمات الصغيرة ، باحثا عن شيء او آخر يكون النزيل قد نسيه في حجراته ، ولا يريد ان يتكلف مشقة العودة الى الحجرة مرة اخرى للبحث عنه ، فكان كارل يحلق وحده عاليا بمصعده الذي يبدو مصعده الخاص بالفعل في تلك الحالات ، ويدخل الحجرة القريبة ، حيث تواجهه اشياء عجيبة لم يكن قد رأى شيئا مثلها من قبل متناثرة هنا وهناك او تتدلى من شموعات الملابس ، ويشم رائحة مميزة لنوع غير مألوف من الصابون او العطر ، او مصجون الاسنان ، ويسرع بالعودة ، فلا يتباطأ دقيقة واحدة دون داع ، وفي يده الشيء المطلوب مع انه لم يكن قد تلقى سوى معلومات غامضة في العادة لا يمكن ان تحدد على وجه الدقة ذلك الشيء المطلوب البحث عنه وكان كارل يأسف في احيان كثيرة لانه لم يكن يعهد اليه بقضاء خدمات تستغرق وقتا اطول ، من قبيل تلك

الخدمات التي كان يعهد بأدائها الى مساعدين بينهم ، او مسماة مزودين بالدراجات واحيانا بالموتوسيكلات ، وكان اقصى ما كان يكلف به هو عمل من الاعمال البسيطة في حجرة الطعام او حجرة القمار.

وبعد انتهاء نوبة عمل تستغرق اثنتى عشرة ساعة ، يفرغ من اداء عمله في الساعة السادسة مساء لمدة ثلاثة ايام ، وفي السادسة صباحا في الايام الثلاثة التي تليها ، كان كارل يفرغ من نوبة عمله حينئذ مرهقا غاية الارهاق حتى انه كان يتوجه مباشرة الى فراشه دون ان يلتفت الى أى شخص ، وكان فراشه في عنبر نوم صبية المصاعد ، وكانت المديرية التي تبين له انها لم تكن تتمتع بكل تلك السلطة التي تخيلها في ليته الاولى ، قد حاولت ان تخصص له غرفة مستقلة ، ولعلها كانت لتنجح في ذلك ، الا انه عندما رأى الصعوبات التي واجهت هذه الرغبة .. ورأى انه كان عليها ان تتصل برئيسه المباشر - رئيس السفرجية - بصورة متواصلة ، رفض هو ذلك بنفسه واقنعها بصدق نيته في رفض هذه الغرفة المستقلة قائلا لها انه لا يرغب في اثارة حسد الصبيسة الآخرين له لحصوله على ميزة لم يحققها بالفعل بمجهوده .

وكان العنبر ينقصه الكثير دون شك ، حتى يصبح مكانا هادئا صالحا للنوم ، فقد كان لكل صبي جدولته الخاص الذي يتضمن مواعيد اكله ، ونومه وتسليته والخدمات الطارئة التي قد يعهد بها اليه في خلال ساعات راحته الاثنتى عشرة ، وعلى هذا فقد كان المكان يعج دائما بالضجيج فكان البعض ينامون ، والبطاطين تغطى آذانهم محاولين ان يتفادوا الصخب الدائر ، ولو نهض واحد منهم فانما ينهض لكى يصرخ في غضب محتجا على الضوضاء التي يحدثها الآخرون ، حتى لقد كان النائمون يستيقظون على صراخه مهما كان نومهم عميقا ، وكان لكل صبي تقريبا غليون يستغرق في تدخينه كنوع من الرفاهية ، وحصل كارل ايضا على غليون لنفسه ، وسرعان ما اعتاد على تدخينه . وكان التدخين بالطبع ممنوعا في وقت العمل ونتيجة لذلك كان كل فرد يمارس التدخين في عنبر النوم ان لم يكن نائما بالفعل ولهذا كانت سحابة كثيفة من الدخان تحيط بكل فراش وكانت الحجرة كلها تكاد تفرق في ضباب شامل ومع ان الجميع كانوا قد اتفقوا على اضاءة المصابيح فقط في احد جانبي العنبر في اثناء الليل الا ان تنفيذ ذلك كان مستحيلا ، فلو كان لهذا الاقتراح ان ينفذ لكان في مقدور كل من يرغب في النوم ،

ان ينام في هدوء في جانب العنبر الفارق في الظلام .. وقد كان العنبر فسيحا يتسع لأربعين فراشا ، بينما يمكن للباقيين ان يلصبوا النرد او الورق ، او يفعلوا كل ما يحلو لهم من أمور أخرى يلزم الضوء لممارستها في الجانب الآخر المضاء ، وكان على كل من يرغب في النوم ، على حين يقع فراشه في دائرة الضوء ، ان يستلقي فوق أى فراش شاغر في نصف العنبر الفارق في الظلام ، فالاماكن الشاغرة تتوفر دائما ولا يمكن لاحد ان يعترض على ان يستعمل غيره فراشه الخاص بصفة مؤقتة ، لكن كان من المستحيل الالتزام بهذا النظام ، ولو لليلة واحدة ، فقد يصادف ان يدمى اثنان من الصبية الى مكان مظلم ليختطفنا لحظات يستغرقان فيها في النعاس ، ثم فجأة يشعران بالرغبة في ان يلعبا دورا من الورق فوق لوح من الخشب يمدانه في المساحة الخالية بين فراشيهما ، ويفتحان النور القريب منهما بالطبع فيتسبب الضوء في ايقاظ النائمين الذين يتصادف ان تتقابل وجوههم مع اشعة ذلك الضوء ، ويتلوى الواحد منهم بطبيعة الحال مستديرا على جانبه الآخر ليعتمد عن مواجهة الضوء لفترة قصيرة ، لكنه لا يجد امامه في نهاية الامر سوى ان ينهض ليشرع بدوره في لعب الورق مع جاره المرهق ، فيضيء ضوءا آخر ، وينتشر بهذا أيضا تدخين الغليون في كل مكان ويوجد - للحقيقة - بعض من يتعمدون النوم هنا وهناك - وكان كارل عادة من بين هؤلاء - وكان هؤلاء يضطرون الى دفن رؤوسهم تحت الوسائد بدلا من ان يضعوها فوق تلك الوسائد ، لكن من اين للنوم ان يتأتى لاي منهم ، اذا نهض من يشغل الفراش المجاور في منتصف الليل ، وتأهب للخروج لكي يعربد في المدينة بضع ساعات قليلة يختطفها قبل ان يحل موعد عمله فيفضل وجهه محدثا كثيرا من الضجة وينثر الماء حول حوض الفسيل المثبت عند رأس كل فراش ، ولا يرتدى فردتى حدائه أيضا الا في ضجة ، بان يدقهما بقدميه على الارض لكي يدخل فيهما قدميه جيذا ، وقد كانت اغلب احذية الصبية ضيقة جدا على الرغم من طرازاها الامريكي ، ولكي يتمكن في النهاية من استكمال تأهبه للهو ، لا يجد امامه بدا من ان يرفع وسادة من على وجه جاره ، تلك الوسادة التي حاول الجار ان يحتسب بها طويلا حتى يتمكن من النوم منتظرا ان ينهض ذلك الجار لكي يثور في وجهه محتجا ، وكان الصبية الذين يفرمون بالالعاب الرياضية ، صبية صفار السن ، مغممين

بالنشاط غالبا ، ويحرصون على الا تفوتهم الفرصة لاداء التمرينات في مثل ذلك الوقت ايضا فاذا حدث ان نهضت فزما من نومك في الليل ، على هدير اصوات صارخة فتأكد من انك ستواجه مباراة كاملة للملاكمة بجانب فراشك على ارضية الصبر بينما يتحلق تلك المباراة جمع من النظارة الخبيرين بقواعد اللعبة جالسين فوق السرر والنور مضاء في كل مكان .. وقد حدث ذات مرة في مباراة للملاكمة من تلك المباريات التي تحدث في منتصف الليل ان وقع احد الملاكمين فوق كارل عندما كان مستغرقا في النوم وكان اول ما وقعت عليه حينما كارل عندما استيقظ هو نهر من الدم كان يتدفق من انف الصبي فلطخ - قبل ان يجد كارل الفرصة ليتلاشى التلوث - ملابس كارل واغطية فراشه ، وكان كارل يقضي اغلب ساعات راحته الاثنى عشرة في محاولة الاستغراق في النوم .. وكان يجد نفسه معرضا لاغراء شديد في مشاركة الآخرين في استمتاعهم العميق بوقتهم ، لكن كان يشغل باله عندئذ ان هؤلاء الآخرين قد تمكنوا في حياتهم العملية من ان يبلغوا حدا لم يبلغه بعد ، وان عليه لهذا ان يلحق بهم عن طريق العمل الشاق والانصراف عن اللهو بقدر الامكان .. ومع هذا فعلى الرغم من شوقه وحاجته الملحة الى ان يحصل على كفايته من النوم لانهماكه في العمل بكل قواه الا انه لم يلجأ الى الشكوى للمديرة ولا لتبريز عن تلك الاحوال التي تجرى في عنبر النوم في الوقت المخصص للراحة . ذلك ان الآخرين كانوا يمانون جميعهم من تلك الاوضاع دون ان يتدمروا منها بالفعل وبالإضافة الى ذلك فقد رأى كارل ان صمودية الحصول على الراحة في عنبر النوم كانت جزءا من الوظيفة التي قبلها شاكرا عندما عرضتها المديرة عليه .

وقد حدث منذ اسبوع ، عند تغير نوبة عمله ، من النوبة النهارية ، الى النوبة الليلية ان حصل على فترة راحة لمدة اربع وعشرين ساعة ، قضى جانبها منها في زيارة المديرة مرة او مرتين ، وفي تبادل بضع كلمات قلائل مع تيريز في ركن او آخر كالمادة ، او في الردهة ، ونادرا ما كان يتحدث اليها - في الحقيقة - في داخل غرفتها ، كلما التقى بها بعد فراغها من عملها لدقيقة او دقيقتين . وقد رافقها في احيان اخرى كذلك الى المدينة ، حيث كانت تقوم باداء بعض المهام بها ، وكانت تلك المهمات تتم دائما في اسرع ما يمكن من الوقت ، فكانا يندفعان الى اقرب محطة من محطات

الانفاق ، في خطوات متعجلة تقارب الجري ، وكان كارل يحمل
السلة ، وكانت رحلة القطار تنتهي في لحظة ، وكان القطار يندفع
بهما في الفراغ ، فسرعان ما يفادرائه ، ويصعدان السلالم جريا في
الجانب الآخر من المحطة دون ان ينتظرا المصعد ، الذي كان يعد
بطيئا جدا بالقياس الى تعجلهما ، ثم تظهر الميادين الفسيحة التي
تتفرع منها الشوارع ، فيبدو الميدان اشبه بالنجمة ، بالشوارع
التي تتفرع عنه ، وتصلهما ضجة المرور المتدفقة على الفور من
كل جانب ، بلا توقف ، الا ان كارل وتيريز كانا يلتصقان ببعضهما
ويسرعان الخطا نحو المكاتب المختلفة ، ومحلات الفسيل والكي ،
ومخازن البضائع ، والمحال التجارية لينجزا المهمات التي لم يكن
في الامكان طلبها بسهولة بالتليفون ، وغالبا ما تكون عبارة عن
مشتريات بسيطة ، او مجرد تقديم شكوى عارضة ، وسرعان
ما لاحظت تيريز ان معونة كارل ، كانت معونة لا يستهان بها بالفعل
وانها كانت تسهل مهمتها في احيان كثيرة ، ففي صحبته لم تكن
تضطر الى الانتظار طويلا ، حتى يلتفت اليها البائعون المنهمكون في
العمل ، كما كان يحدث لها قبل ذلك ، لان كارل كان يتجه مباشرة
نحو طاولة البيع ويدق فوقها بقبضته حتى ياتي اليه اى شخص ،
فيتوجه اليه بالطلبات ، في انجليزته التي لم يتمكن منها بعد ،
والتي كانت تنسم لهذا بالحدقة الى حد ما ، فكان يسهل تمييزها
وسط مائة لهجة اخرى ، كان يلوح عبر حواجز عالية من البشر ،
ويتقدم دون تردد نحو الاشخاص الذين قد ينسحبون في غطرسية
الى اركان المحال الواسعة مبتعدين عنه ، فكان يتعقبهم . ولم يكن
يفعل هذا كله بدافع الفرور ، ولا لعدم تقديره للمصاعب ، بل
لانه كان يشعر بأنه في وضع مرموق يمنحه بعض الامتيازات ، فلم
يكن « الفندق الغربي » ، زبونا يستهان به ، وكانت تيريز فوق
هذا ، في اشد الحاجة الى المعونة على الرغم من خبرتها بهذه الاعمال .

كانت تقول له غالبا ، في سعادة ، عند مودتهما من مهمة ناجحة
نجاحا ملحوظا : « يجب عليك دائما ان تاتي معي ! »

وكان كارل قد دخل حجرة تيريز ، خلال فترة الشهر والنصف
التي انقضت على وجوده في رمسيس ، ثلاث مرات فقط ، في
زيارات طويلة ، كانت تستغرق كل منها بضع ساعات . وقد
كانت حجرة تيريز اصفر بالطبع من حجرات المديرية ، وكانت
محتوياتها القليلة مكومة حول النافذة ، لكن كارل كان قد استطاع

ان يتقدر مزايا العزلة ، في حجرة هادئة خاصة ، حق قدرها ، بعد خبرته بعنبر النوم ، ومع انه لم يعلن ذلك ، فقد لاحظت تيريز الى اى حد كان يحب البقاء في داخل حجرتها . ولم تكن تكتف عنه شيئاً من اسرارها ، ولم يكن من السهل عليها في الحقيقة ان تطلعه على شيء من اسرارها عند زيارته لها في الليلة الاولى . كانت طفلة غير شرعية ، وكان والدها ملاحظ عمال البناء ، قد ارسل في طلبها هي وامها من بوميرانيا . وبدا وكان كل واجب والدها قد انتهى عند هذا الحد ، او كما لو كان التقاؤه بالمرأة المنهمكة بالعمل ، والطفلة العليلة في الميناء قد خيبا كل توقعاته ، فقد رحل الى كندا بعد فترة قصيرة من وصولهما الى امريكا دون ادنى تفسير لرحيله ، ولم تتلقيا خطاباً منه ، ولا امكنهما ان تتصلا به بصورة من الصور ، ولم يكن ذلك يشير شيئاً من الدهشة ، في الحقيقة ، لانهما كانتا قد ضاعتا ، ولم يعد من السهل العثور على مقرهما وسط مساكن الحى الشرقى من نيويورك .

وفي احدى المناسبات روت تيريز لكارل - الذى كان يقف الى النافذة بجوارها ، يتطلع الى الشارع تحتها - قصة موت امها ، وكيف كانتا تهرولان هي وامها ذات ليلة شتوية - ولا بد انها كانت في الخامسة من عمرها عندئذ - خلال الشوارع ، وكل منهما تحمل صرة في يدها ، باحثتين عن ماوى تقضيان فيه ليلتهما ، وكيف أمسكت امها بيدها في البداية - فقد كانت عاصفة ثلجية قد هبت ، ولم يكن من السهل التقدم في السير ، حتى تخدرت يد تيريز ، ثم تركتها امها دون مبالاة بما قد يحدث لها ، حتى لقد تشبثت الطفلة بذيل رداء امها . وكانت تيريز تتمثر دائماً ، بل لقد كانت تسقط على الارض ، الا ان امها كانت تبدو وكأنها قد غابت عن الوعي ، وتابعت سيرها دون ان تتوقف ، واية قسوة تلك التى تواجهها في نهاية الامر ، خلال شوارع نيويورك المستقيمة في اثناء تلك العواصف الثلجية ! لم يكن لكارل عهد بالشتاء في نيويورك ، فلو سرت في عكس اتجاه الريح ، التى تظل تدوم ، وتدوم ، فلن يمكنك مطلقاً ان تفتح عينيك ولو للحظة ، فالريح تسوط وجهك بالثلوج طوال الوقت ، وتظل تسير ، وتسير ، الا انك لا تتمكن من ان تتقدم خطوة واحدة الى الامام ، كانت تلك الرياح تدفعك الى اليأس ، وتتميز الطفلة بالطبع من المرأة ، ففى امكان الطفلة ان تنحنى تحت الريح ، وتنفذ من خلالها ، ولعلها

تجد شيئاً من السرور في تلك المقايمة ، ولهذا فلم تكن تيريز تدرك حقيقة حال أمها في تلك الليلة ، وهي تعتقد الآن اعتقاداً راسخاً ، بأنها لو كانت قد سلكت سلوكاً أكثر تعقلاً تجاه أمها - لقد كانت بالطبع مجرد طفلة صغيرة جداً - فلمل أمها لم تكن تلقى مثل تلك الميئة البائسة . لم تكن أمها قد عثرت على أى عمل خلال يومين ، وكانت قد انفقت آخر ما معها من نقود ، وأمضيا اليوم في العراء دون أن تبلفا بشيء ، ولم تكن الصربان اللتان تحملانهما تحتويان على شيء سوى بضع نفايات لا نفع فيها ، ولم تجرؤا على القائمتما ربما تحت تأثير بعض الأوهام عن احتمال نفعهما . وكان لدى أمها أمل العثور على عمل في الصباح التالي ، في بناء جديد ، إلا أن والدته تيريز كانت تخشى - كما حاولت أن تشير إلى ذلك طوال النهار - من أنها قد لا تتمكن من أن تفيد من تلك الفرصة ، لأنها كانت تحس بالانهك الشديد ، ولأنها كانت قد تقيأت في ذلك الصباح نفسه كمية كبيرة من الدم في الشارع ، أثارت فزع المارة ، وكانت تأمل فقط في أن تبلغ مكاناً يتاح لها فيه شيء من الدفء والراحة ، وكان من المستحيل في تلك الليلة بالذات أن تجدا ركناً في أى مكان . وفي أحيان لم يكن البواب يسمح لهما بالدخول إلى مدخل أى منزل ، حيث تحتميان إلى حد ما من شدة البرد ، على الأقل ، لكنهما لو استطاعتا أن تغافلا البواب ، فقد كانتا تمرقان حينذاك خلال ردهات ثلجية ، مرهقة ، وتصعدان درجات لا حصر لها ، وتدوران حول شرفات ضيقة ، تطل على أفنية ، وتطرقان الأبواب عبثاً ، ولم تواتهما الجراة لحظة واحدة في التحدث إلى أى شخص ، ثم كانتا في أحيان أخرى تلحان في التوسل إلى كل من تلتقيان به ، وجلست أمها مرة أو مرتين ، فاقدة التنفس فوق إحدى درجات السلالم المنعزلة الصامتة ، وجلبت تيريز التي راحت تتمنع ، إلى صدرها ، وقبلتها في عنف مؤلم ، على شفيتها ، وعندما تحققت تيريز فيما بعد ، من أن تلك القبلات ، كانت هي آخر قبلات أمها لها ، دهشت جداً من غيابها البالغ حتى أنها لم تتمكن من أن تدرك ذلك في حينه ، على الرغم من أنها لم تكن في ذلك الوقت سوى مخلوقة صغيرة للغاية . وانفتحت بعض الأبواب التي مرا بها ، لكي يخرج منها ضباب مكبوت ، وفي البخار المشبع بالدخان الذي كان يملأ تلك الحجرات ، كما لو كانت تحترق ، لم يمكنهما أن تتحققا من وجود

شيء ، سوى مجرد شبح يلوح في الطريقة ، لم يشجعهما على ان يتوقعا شيئا من الضيافة في داخل المكان ، لا بصمته البليد ، ولا بغمغمته المقتضبة . وعندما تتأمل تيريز الماضي ، تذكر ان امها كانت تبحث فقط في الساعات الاولى من تلك الليلة عن مأوى بالفعل ، لانها لم تتحدث بعد منتصف الليل الى أحد مطلقا ، مع انها كانت لا تزال تقف على قدميها ، لم توجه حتى مجرد كلمة مقتضية الى اى مخلوق ، حتى الفجر ، ومع ان كل تلك المساكن لم تغلق ابوابها طوال الليل ، وكانت خطوات الناس لا تكاد تنقطع الا انها لم تكن تقوى على مواجهتهم ، ولم تكونا تسيران مسرعتين من مكان الى مكان ، الا انهما كانتا تتحركان بآخر ما في وسع قواهما الواهنة ان تسمحا به ، بنوع من الزحف المتثاقل في حقيقة الامر . ولم يسع تيريز ان تحدد ان كانا قد طافا بنحو عشرين مسكنا منذ منتصف الليل حتى الساعة الخامسة صباحا ، ام الثانية ، ام الواحدة فقط بعد منتصف الليل ، كانت ردهات تلك المساكن تتسع ، وتتسع في خبث ، ويبدو من الصعب ان يجد المرء طريقه عبر تلك المساحات الخاوية ، وكم بدا لهما انهما كانتا تزحفان المرة بعد المرة خلال الردهة نفسها التي لم تكن تتغير ، وكأنهما لم تنتقلا من منزل الى منزل آخر . ولا تكاد تذكر تيريز ، سوى ذكرى غامضة ، خروجهما من باب ذلك المنزل الذي طافا بردهاته بلا نهاية ، فقط لمجرد ان تقفلا راجعتين ، او هكذا بدت لهما نتيجة طوافهما ، حتى بلغا الشارع ، وغابا فيه ثانية . وكان ذلك بالطبع عذابا لا معنى له بالنسبة لطفلة مثلها ، فان تسحبها امها احيانا ، وتتشبث هي في احيان اخرى بذيل رداء امها ، دون كلمة تشجيع واحدة ، كان يبدو لها امرا محيرا ، وفي حيرتها تلك ، كان التفسير الوحيد الذي كان يسمها ان تتوصل اليه ، هو ان امها تريد ان تهرب منها ، ولهذا فان تيريز خوفا على نفسها شددت قبضتها على ذيل رداء امها باحدى يديها ، فلم تتركه ، حتى عندما كانت امها تمسك بيدها الاخرى .

وكانت تنخرط في البكاء من حين لآخر ، لانها لم تكن تريد ان تتركها امها وحيدة وسط هؤلاء الناس الذين كانت خطاهم تتردد فوق درجات السلالم امامهما ، او الناس الذين كانوا ياتون خلفهما ، او هؤلاء الذين يختفون في منحني السلم أسفلهما ، او هؤلاء الناس الذين يتساجرون في الردهات ، امام أحد الابواب ، ويدفعون

بعضهم بعضا الى داخله ، والرجال السكارى كانوا يتجولون كذلك حول المكان ، وهم يرفعون عقيرتهم بالفناء في كآبة ، وكانت أمها محظوظة وهى تنسل وتيريز في يدها من بين أذرعهم الممدودة التى كانت تكاد تسد الطريق . وفى مثل تلك الساعة المتأخرة من الليل ، عندما لا يلقى أحد انتباها بالفا الى أى شىء ، وعندما يصبح تشديد كل امرئ على حقوقه أمرا لا يستحق العناء ، كان يمكنهما دون شك أن تجدا لنفسيهما مكانا فى أحد الفساذق الرخيصة الشائعة التى يديرها أصحابها ، والتى كانا قد مرا بالعديد منها ، إلا أن تيريز لم تكن تدرك ذلك ، وكانت أمها أبعد ما تكون عن التفكير فى الراحة ، ووجدتهما الصباح ، مستندتين ، فى فجر يوم شتوى صحو ، الى جدار أحد المنازل ، وربما كانتا قد استفرقنا فى النوم لفترة قصيرة فى مكانهما ، وربما كانتا تحمقان حولهما بميسون مفتوحة ، واثضح أن تيريز كانت قد فقدت صرتها ، وراحت أمها تضربها عقابا لها على احمالها ، إلا أن تيريز لم تسمع ، ولم تحس بأية صفة من تلك الصفعات التى تلقتها ، ثم سارت مرة أخرى فى طريقهما فى الشوارع التى كانت قد بدأت تستيقظ ، وكانت أم تيريز تسير بجوار الحائط ، وعبرتا إحدى القناطر ، حيث ظلت كف أمها تمسح الصقيع من فوق الدرابزين ، وتوجهتا ، فى النهاية - وقتها واجهت تيريز ذلك كامر واقع ، إلا أنها الآن لايمكنها أن تفهمه - الى نفس المبنى الذى كان يتعين على أمها أن تتوجه اليه فى ذلك الصباح . ولم تخبرها أمها بما إذا كان عليها أن تنتظرها ، أو أن عليها أن تمضى الى حيث تشاء ، واعتبرت تيريز ذلك أمرا بالانتظار ، لان ذلك هو ما فضلت ان تفعله ، وهكذا جلست فوق كومة من الطوب ، وراحت تتطلع حولها بينما كانت أمها تفك صرتها ، وتأخذ منها قطعة زاهية من القماش ، شدتها حول ثوبها الذى قضت فيه ليلتها ، وكان الارهاق قد نال من تيريز حتى أنها لم تستطع أن تعاون أمها . ودون أن تدلى أمها للملاحظ عمال البناء باسمها ، كالعادة ، ودون أن تستفسر من أحد عن أى شىء ، شبت تصعد السلم ، كما لو كانت بالفعل تعلم العمل الذى يتعين عليها أن تقوم بأدائه . ودهشت تيريز لذلك ، لان حاملة المونة تعمل عادة على الأرض ، تخلط الجير ، وتحمل الطوب ، وتقوم ببعض الاعمال المتواضعة الأخرى . ولهذا فقد ظنت تيريز أن أمها سوف تضطلع اليوم بأداء نوع مختلف من العمل يعود عليها بأجر أكبر ، فابتسمت

لها وهي تغالب نعاسها !

لم يكن البناء قد ارتفع كثيرا ، كان قد بلغ الطابق الاول فوق الارضى فحسب ، ولهذا فقد كانت السقالة المرتفعة التي ترتفع الى باقى الهيكل ، لا تزال بدون تلك العوارض الخشبية التي تشدها الى بعضها البعض ، وكانت ترتفع عاليا نحو السماء الزرقاء . وعندما بلغت أمها قمة الحائط ، دارت بمهارة حول البنائين الذين راحوا فى بلادة يضعون الطوبة فوق الطوبة ، فلم يلقوا بالا اليها لسبب غير مفهوم ، وبأصابع رقيقة تحسست طريقها بحذر بطول حاجز خشبي كان يستعمل كدرازين ، وكانت تميز مندهشة ، وهي تغالب نومها أسفل البناء ، لتلك المهارة ، وتهيأ لها ان أمها كانت ترمقها فى عطف ، لكن أمها كانت قد بلغت الآن فى أثناء سيرها كومة صغيرة من الطوب ، كان الحاجز ينتهى خلفها ، ويبدو ان الحائط كان ينتهى أيضا بعدها ، الا انها لم تتوقف عند ذلك الحد ، بل سارت فى طريقها لا تلوى على شيء ، حتى تجاوزت كومة الطوب ، ويبدو ان مهارتها قد زایلتها بعد ذلك ، لانها أسقطت تلك الكومة من الطوب ، وسقطت خلفها الى الارض ، وسيل من قوالب الطوب فى أعقابها ، ثم بعد لحظات قليلة ، انفصلت كتلة كثيفة من الخشب من مكان ما ، وتهاوت فوقها الى الارض ، وكان آخر ما تذكره تميز عن أمها هي رؤيتها لها وهي ممددة هنالك فى رداها الذى شدت فوقه تلك الخرقه ، ذلك الرداء الذى كانت قد أتت به من بوميرنيا ، وكانت ساقاها منفرجتان على اتساعهما فى رقدتها ، تغطيهما تقريبا تلك الكتلة الخشبية الثقيلة التى كانت قد سقطت فوق الجزء الأعلى من جسمها ، بينما هرع الناس مسرعين من كل صوب ، وصاح رجل فى غضب ، من فوق قمة الحائط .

كان الوقت متاخرا عندما فرغت تميز من قصتها . وكانت قد روتها بفيض من التفاصيل ، على غير عاداتها ، وخصوصا فى بعض أجزائها القليلة الأهمية ، كما فعلت عند وصفها لاعمدة السقالة وكل منها ترتفع على حدة نحو السماء ، وكانت تضطر الى ان تتوقف من آن لآخر ، بينما تتفرق الدموع فى عينيها ، كانت ادق تفاصيل أحداث ذلك الصباح لا تزال ماثلة فى ذاكرتها فى قوة بعد مرور أكثر من عشر سنوات ، ولان رؤيتها لوالدتها فوق حائط المنزل غير الكامل ، كانت هي آخر ذكرى حية لها ، فقد أرادت ان تستحضرها بفاية ما يمكنها من الوضوح أمام صديقها ،

وحاولت ان تعود اليها بعد ان فرغت من قصتها ، لكن صوتها تهديج بعد ذلك ، ودفنت وجهها بين راحتيها، ولم تنفوه بكلمة اخرى وكانت امامهما ساعات مرحة كذلك في حجرة تيريز ، فقد راي كارل عند زيارته الاولى لها ، كتابا مدرسيا في المعاملات التجارية ملقى بداخل الحجرة ، فسألها ان تصيره اياه ، واتفقا في الوقت نفسه ايضا على ان يقوم كارل بحل التمرينات الواردة بالكتاب ، ثم يحضرها الى تيريز ، التي كانت قد درستها بالفعل من خلال ما املته عليها احتسيجات عملها ، لتقوم بتصحيحها . وكان كارل يستلقي في فراشه بعنبر النوم ، ليالى بطولها ، وقد وضع قطعتين من القطن في اذنيه ، وراح يتقلب بين الحين والاخر متخلدا كل ما يمكن تصويره من الاوضاع التي قد توفر له الراحة في استلقائه فوق الفراش ، ليقرأ في الكتاب ، ويكتب حلول التمرينات في سرعة ، في مفكرة صغيرة ، بقلم حبر كانت المديرية قد اعطته له . كتشجيع على قيامه بعمله بانتظام ، وقيامه كذلك بكتابة قائمة جرد طويلة منسقة كلفته بكتابتها ، وقد استطاع ان يستفيد من اغلب المضايقات المدهلة التي كان يسببها له الصبية الآخرون ، ذلك بأن راح يسألهم دائما عن تدليل بعض الصعوبات الصغيرة التي كانت تواجهه في استعمال اللغة الانجليزية ، حتى تمبوا من أسئلته وتركوه في سلام وغالبا ما كانت الدهشة تنتابه ، وهو يرى ان الآخرين . قد قنعوا بحظهم الحاضر من الحياة ، وانهم لا يشعرون بأن وضعهم هذا يجب ان يكون وضعاً مؤقتاً ، وانهم كانوا لا يستطيعون كذلك ان يدركوا معنى الحاجة الى اتخاذ قرار حاسم بشأن مستقبلهم ، وعلى الرغم من ان كارل كان قدوة لهم ، في هذا كله ، الا انهم لم يقرءوا شيئا مطلقا فيما عدا بضع نسخ قدرة ، وباليسة ، من الروايات البوليسية ، كانت تنتقل من فراش الى فراش .

وفي لقاءاتهما كانت تيريز تقوم بتصحيح تمرينات كارل ، ربما بشيء من العناء ايضا ، وكانت تقوم بينهما خلافات في الراى ، فكان كارل يستشهد بآراء استاذة العظيم الذى كان كارل يدرس على يديه في نيويورك لتدعيم رايه ، الا ان آراء هذا السيد لم تلق من اهتمام تيريز اكثر مما كان يلقاه من اهتمامها اختراعات صبيبة المصاعد - الذين كان كارل يستمعين بهم - في قواعد اللغة . ولهذا كانت تتناول القلم الحبر من يد كارل وتشطب الفقرات التي كانت مقتنعة بخطئها . لكن كارل كان في مثل تلك الحالات التي تحتمل

الشك ، لانه لم يكن له ان يعرض الامر على سلطة اعلى من تيريز ، يشطب لمجرد الاحتياط الخطوط التى كانت تخطها تيريز فى مفكرته ، على نقيض ما كتبه هو ، وكانت المديرية تظهر احيانا ، وتعطى قرارها فى المشكلة لصالح تيريز ، لسكن ذلك لم يكن ليحسم الخلاف بما ان تيريز كانت سكرتيرتها . وكانت تيريز تصدر مع ذلك فى الوقت نفسه عفوا عاما ، ذلك لان الشاي كان قد حان موعد اعداده ، كما يكون قد تم ايضا الارسال فى طلب الكعك ، ويلج كارل على ان يقص حكايات عن أوروبا كانت المديرية تقاطعه كثيرا فى اثنائها ، فتظل تستفسر ، وتندهش ، حتى لقد تحقق كارل من مدى التفسير الشامل الذى طرا على أوروبا فى وقت قصير نسبيا ، ومدى التفسير الذى لعله ان يكون قد حدث منذ رحيله هو عن أوروبا ، والتفسير الذى سوف يستمر دائما .

وربما كان كارل قد أمضى نحو شهر فى رمسيس ، عندما قال له رينيل ذات ليلة وهو يمر به ، ان رجلا يدعى ديلامارش قد استوقفه امام الفندق ، وسأله عن كارل ، ولما لم يكن ثمة سبب يدعو الى الامتناع عن التصريح له بالحقيقة ، فقد اجابه رينيل فى صدق ان كارل يعمل صبي مصعد ، وان كانت لديه آمال فى تحسين وضعه كثيرا ، الى الاحسن ، بسبب الاهتمام الذى تبديه المديرية نحوه ، ولاحظ كارل الاهتمام الذى ابداه ديلامارش نحو رينيل ، لانه كان قد دعاه بالفعل الى تناول الطعام فى تلك الليلة . فقال كارل : « لست اريد ان اعرف ديلامارش اكثر من ذلك ، ومن الافضل لك ان تحترس منه انت ايضا ! »

قال رينيل ، وهو يتمطى : « انا ؟ » ، ثم أسرع مبتعدا .

كان رينيل أحسن الصبية مظهرا ، فى الفندق ، وكان يشاع بين الصبية الآخرين - مع ان احدا لم يعرف من الذى بدا بسرده تلك القصة - ان سيدة كانت قد اقامت بالفندق فترة من الوقت ، كانت قد قبلته فى المصعد ، وهذا هو فقط الشيء الذى اوضح امره على الاقل حتى الآن ، بين السيدة وبين رينيل ، وكان الذين يعلمون بتلك الاشاعة يجدون لذة كبرى فى التطلع الى تلك السيدة المتحررة وهى تمر بخطواتها الهادئة ، الخفيفة ، ونقابها الرقيق ، وجسدها المحبوك فى ردائها الدانتيل ، ذلك ان مظهرها الخارجى لم يكن يشير اقل اشارة ، الى ان هذا التصرف من الممكن ان يصدر عنها . وكانت تلك السيدة قد اقامت فى الطابق الاول ، الذى لم يكن

يخدمه مصعد رينيل ، الا ان المرء لم يكن يسمعه بالطبع ان يمنع النزلاء من دخول اي مصعد آخر ، اذا كان مصعدهم مشغولا في تلك الاثناء ، وعلى هذا فمن حين لآخر كان يحدث ان تستعمل تلك السيدة مصعد كارل ورينيل ، لكن فقط عندما يكون رينيل في نوبة عمله ، وربما كان ذلك قد حدث مصادفة ، الا ان احدا لم يصدق ذلك ، وعندما تحرك المصعد بهما ، حدثت فتنة بين صبية المصاعد لم يسمعهم ان يضبطوا فيها جماح انفسهم ، وكان من الضروري ان يتدخل رئيس السفراجية ، وقد فعل ، ذات مرة ، واخيرا سواء كانت السيدة ، او الاشاعة هي السبب ، فقد بقيت الحقيقة الواقعة وهي ان رينيل كان قد تغير ، فأصبح اكثر ثقة بنفسه ، وترك تلميع المصعد كلية لكارل الذي كان ينتظر فقط حتى تتاح له الفرصة المناسبة لسماع تفسير جذري لهذه النقطة ، ولم يعد من الممكن رؤية رينيل في غير النوم ، لم يحدث ان هجر اي صبي آخر مجتمع صبية المصاعد بهذه الصورة ، لانهم كانوا بصفة خاصة - فيما يختص بالعمل على الاقل - يتكاتفون تماما مع بعضهم البعض ، وكانت لهم جمعية خاصة بهم كانت ترعاها ادارة الفندق

ومضى كل هذا في ذهن كارل ، في نفس الوقت ، مختلطا ببعض الافكار التي تدور حول ديلامارش ، الا انه مضى في عمله كالمعتاد . وعند منتصف الليل ، كانت تنتظره مفاجأة صغيرة ، فقد احضرت له تيريز ، التي كانت تدهشه دائما بهداياها الصغيرة ، تفاحة كبيرة ، وقالبا من الشيكولاتة ! تحدثا معا للحظات ، وهما منتبهان الى رحلات المصعد التي كانت تقطع حديثهما من حين لآخر ، ثم تحدثا عن ديلامارش ، وادرك كارل انه لابد ان يكون قد خضع لتأثير تيريز حقا ، عندما انتهى كما انتهت من الحديث عنه الى انه

رجل خطير ، لان هذا كان هو رأيها في ديلامارش ، بعد ان سمعت ما ذكره لها كارل . وكان كارل يعتقد انه كان مجرد انسان عديم التدبير ، قد سمح لعزيمته ان تنهار امام النحس الذي واجهه ، ومن السهل عليه ان ينقد نفسه من هذا الوضع . الا ان تيريز عارضته في عنف ، وأصرت ، بعد ان ألقت عليه خطبة طويلة ، على ان يعدها بالا يتحدث الى ديلامارش مرة أخرى . وبدلا من ان يعدها راح كارل يجادلها ، طالبا منها ان تذهب الى فراشها ، فقد جاوز الوقت منتصف الليل ، وعندما رفضت هدها بأن يترك عمله ، وبأخذها الى حجرتها ، وعندما أبدت استمدادها

أخيرا للذهاب ، قال : « لماذا تزعجين نفسك الى هذا الحد ، دون داع يا تيريز ؟ وعلى أية حال فأننى على استعداد لان اعدك بالآلاتحدث الى ديلا مارش ، ما لم يصعب على ان اتجنب ذلك ، ان كان وعدى هذا يساعدك على ان تنامى مرتاحة البال ! »

ثم وصل حشد من النزلاء ، وكان الصبى الذى يعمل بالمصعد المجاور قد دعى للقيام بمهمة اخرى ، فأصبح على كارل ان يعمل بالمصعدين معا ، وتذمر بعض النزلاء لتعطيلهم ، وربت سيد كان يرافق إحدى السيدات ، بالفعل على كتف كارل ، بعصاها التى يتوكأ عليها ، فى رقة ، يطلب منه الاسراع ! تنبيهه لم يكن ثمة ما يدعو اليه بالمرّة ! ولم يكن يضر هؤلاء النزلاء مطلقا ، اذا وجدوا مصعدهم معطلا ، ان يتوجهوا مباشرة الى مصعد كارل ، الا انهم بدلا من ذلك ، اندفعوا الى المصعد الآخر ، وتوقفوا امامه . وقد أمسك احدهم بمقبض الباب ، وفى احيان كانوا يدخلون المصعد مباشرة ، وهو تصرف كان صبية المصاعد ممنوعون من السماح به لأحد ، صراحة ، طبقا للتعليمات ، ومهما كانت الظروف .

وهكذا كان على كارل ان يندفع من هذا المصعد الى ذاك ، حتى اجهد غاية الاجهاد ، دون ان يتبادر الى ذهنه ، انه قد قام بالفعل بأكثر من واجبه ، وطلب منه فوق هذا كله ، فى حوالى الساعة الثالثة صباحا ، حمال عجوز كانت قد ربطته به صداقة وطيدة ، ان يؤدي له مساعدة بسيطة ، الا ان كارل لم يتمكن من تلبية طلبه ، لان النزلاء كانوا يقفون امام كلا المصعدين ، وكان ذلك يتطلب منه بديهة سريعة لكي يقرر فى الحال اى المجموعتين يبدأ بها أولا . ولهذا ارتاح كارل عند عودة الصبى الآخر ، وصاح فى وجهه ، موجها اليه بضع كلمات يلومه بها على غيابه طوال تلك الفترة ، على الرغم من انه ، ربما لا يكون مسئولاً عن ذلك التأخير وجاءت فترة من الهدوء بعد الساعة الرابعة صباحا ، كان كارل فى اشد الحاجة اليها ، فاستند مجهدا الى الدرابزين بجوار مصعده ، وراح يقضم التفاحة متأنيا ، وفاحت منها رائحة قوية عندما قضمها ، وراح يحرق امامه الى مدخل غارق فى الضوء ، تحيطه نوافذ المخازن المرتفعة ، التى كانت تتدلى خلفها كميات هائلة من الموز كانت تسطح فى خفوت وسط الظلام .

مرض روبنسون

ثم ربت شخص ما على كتفه ، فدرس كارل التفاححة مسرعا في جيبه ، وقد ظن انه لا بد بالطبع نزيل من نزلاء الفندق ، وهرول الى المصعد ، دون ان ينظر الى الرجل .

قال الرجل : « مساء الخير يامستر روسمان ، اننى روبنسون ! » فقال كارل وهو يهز راسه : « ولكنك تبدو مختلفا تمام الاختلاف ! »

قال روبنسون ، وهو يتأمل ملابسه ، التى كانت تتألف من قطع مختلفة ، قد تبدو كل منها ، فاخرة للغاية فى حد ذاتها ، لكنها كانت غاية فى التنافر مع بعضها البعض ، حتى لقد بدت رثة بالفعل ، وكان اول ما يسترعى الانتباه صديرية بيضاء ، كانت تستعمل للمرة الاولى فى وضوح ، وكانت محلاة بأربعة جيوب صغيرة ذات حروف سوداء ، حاول روبنسون ان يلفت اليها انتباه كارل بأن نفخ صدره : « نعم .. لقد تحسنت حالى ! »

فقال كارل ، وهو يتذكر عندئذ بدلتة البسيطة الجيدة ، التى ربما كان يبدو بها على قدم المساواة مع رينيل ، تلك البدلة التى باعها صديقه اللثيمان : « لكن ملابسك هذه ملابس غالية . »

فاجابه روبنسون قائلا : « نعم ، اننى اشترى لنفسى شسيئا تقريبا كل يوم ، ما رايك فى الصديرية ؟ ! » قال كارل : « انها جيدة جدا ! »

فقال روبنسون : « الا ان هذه الجيوب ، ليست جيوبا حقيقية لقد صنعت فقط لتبدو كذلك ! » ، وتناول يد كارل ، وأدناها من جيوبه لكي يتفحصها بنفسه ، الا ان كارل تراجع من فوره ، ذلك ان رائحة لا تطاق ، هى رائحة البراندى ، كانت تنبعث من فم روبنسون .

قال كارل ، وهو يتراجع الى الدرايزين : « لقد بدأت تشرب ثانية ! »

فقال روبنسون : « لا ، اننى لا أفرط فى الشراب ! » ، ثم اضاف قائلا فى لهجة أخرى ، تناقض حالة انبساطه السابقة :

« وای شيء آخر يمكن ان يفعله المرء في هذه الدنيا ؟ ! » ، وقطعت حديثهما رحلة للمصعد ، وما كاد كارل يعود ثانية الى الطابق الاسفل ، حتى تقدم نحوه عامل تليفون يطلب منه ان يبحث عن طبيب الفندق ، لان سيدة في الطابق السابع قد اغمى عليها ، وخلال قيامه بهذه المهمة ، تمنى كارل في نفسه ان يختفى روبنسون قبل عودته ، لانه لم يكن يحب ان يراه احد معه ، وعندما تذكر تحذير تيريز ، لم يرغب في ان يتصل به ديلامارش ايضا ، الا ان روبنسون كان في انتظاره ، بجمود الرجل الذي افراط في الشراب ، ومر في تلك اللحظة احد كبار موظفي الفندق ، وكان يرتدي الفراك ، والقبعة العالية ، الا انه لم يلتفت لحسن الحظ ، على ما يبدو الى ذلك الدخيل .

قال روبنسون ، وهو يغمز لكارل في اغراء : « الا ترغب في زيارتنا يا روسمان ؟ اننا نحيا حياة راقية الآن ! » فتساءل كارل قائلا : « هل هذه الدعوة موجهة الى منك ، او من ديلامارش ؟ ! »

قال روبنسون : « منى ومن ديلامارش ، من كلينا معا ! » - اذن دعنى اقل لك ، ويمكنك ان تنقل هذا الى ديلامارش ، ان ما بيننا ان لم يكن قد اتضح لك هذا حتى الآن ، قد انتهى ولقد سببتما لى ضررا لم يسببه لى غيركما من قبل ، فهل عزمتما على الا تتركاني في سلام ، حتى الآن ؟ ! قال روبنسون مشمئزاً ، وقد ترقققت في عينيه دموع سريعة : « ولكننا صديقاك ، وقد طلب منى ديلامارش ان اخبرك بأنه يترك لك حرية القبول او الرفض ، اننا نعيش الآن مع برونيلا ، وهى مفضية فائنة ، وعند ذكر اسمها ، شرع في الفناء في صوت راعش مرتفع ، الا ان كارل اسكتته في الحال ، هامسا : « اغلق فمك على الفور ، الا تدري اين انت ؟ ! »

فقال روبنسون فزعا غاية الفزع لغنائه بذلك الصوت المرتفع : - روسمان ، اننى صديقك ، اننى صديقك بالفعل ، فقل لى ما تشاء . ولكنك تشغل الآن تلك الوظيفة الممتازة هنا ، فهل يمكنك ان تقرضنى شيئا من النقود ؟ ! قال كارل : « سوف تشرب بها فقط ، ولماذا ؟ ، اننى ارى زجاجة براندى في جيبك ، ولا بد انك كنت تشرب منها عندما ذهبت أنا ، فقد كنت في تمام وعيك قبلها ! »

فقال روبنسون : « اننى اشرب فقط حتى يمنحنى الشراب شيئاً من العزم عندما اكون مكلفاً بمشوار خارج البيت ! »
فقال كارل : « حسناً ، لن اهتم بأمرك اكثر من هذا ! »

فقال روبنسون وهو يفتح عينيه على اتساعهما : « لكن ماذا عن النقود ؟ ! »

قال كارل متسائلاً ، وهو يضع يده فى جيب صدريته ، لانه كان قد قرر ان يضحى بما جمعه من البقشيش فى تلك الليلة : « اظن ان ديلا مارش قد كلفك بأن تعود اليه بالنقود ؟ حسناً ، سأعطيك شيئاً منها ، لكن فقط بشرط ان تنصرف فى الحال ، والا تعود ثانية الى هنا ، فلو اردت ان تتصل بى ، فيمكنك ان ترسل لى خطاباً ، « كارل روسمان ، عامل مصعد ، الفندق الغربى » ، وسيصلنى حتماً ، الا اننى اخبرك مرة اخرى ، بأنه لا يجب عليك ان تأتى مطلقاً الى هنا للبحث عنى ، فهذا مكان عملى ، ولا وقت لدى هنا للزوار ، حسناً ، هل تقبل النقود بتك الشروط ؟ ! »

وأطرق روبنسون فقط ، رداً على ذلك التساؤل الذى وجهه اليه كارل ، وهو يتنفس فى جهد ، فلم يفهم كارل معنى اطرافته تلك ، فعاد يسأله : « نعم ، أم لا ؟ ! »

عندئذ اوماً روبنسون اليه ، طالباً منه ان يقترب ، وهمس اليه وهو يتلوى بصورة تدل على حقيقة حالته : « روسمان ، اننى اشعر بوطأة المرض الشديد ! »

فصاح كارل : « يا للشيطان ! » ، وسحبه بكلتا يديه الى درابزين السلم ، واندفع سيل من القىء من فم روبنسون الى الارض ، وفى اللحظات التى كان يتمالك فيها نفسه ، كان يمد يده باحثاً عن كارل فى ضعف ، وتخبط !

وكان يقول عندئذ : « أنك فتى طيب القلب ! » او « لقد توقف الآن ! » ، ولم يكن يقصد بهذا مرضه ، رغم ذلك ، او يقول : « الخنازير ، أى نوع من الخمر هذا الذى صبوه فى جوفى ؟ ! » ، ولم يكن كارل يطيل البقاء الى جانبه لحيرته ، واشمئزازه ايضاً ، فراح يذرع المكان ذهاباً وجيئةً ، من الممكن الا يرى احد روبنسون لو بقى هنا فى ذلك الركن بجوار المصعد ، لكن ماذا يحدث لو تصادف وراه احدهم ، واحد من هؤلاء النزلاء الاثرياء الصحابين ، الذين يتأهبسون دائماً للشكوى كلما وقعت ميونهم على أى موظف من موظفى الفندق ، فيثور هذا ، ناقماً فى

ثورة غضبه على كل شيء ، وماذا لو رآه أحد مفتشى الفنادق ،
الذين يتفرون دائما ، ولا يكاد يتعرف عليهم لهذا سوى أعضاء
هيئة إدارة الفندق ، حتى ان المرء قد اعتاد أن يشتبه في أى شخص
يتلفت حوله ، ويحسبه مفتشا من مفتشى الفنادق ، مع أنه قد
لا يكون سوى مجرد شخص مصاب بقصر النظر ؟ وقد يتصادف ان
يمر أحد السفرجية الذين في الطابق الارضى ، في طريقه الى المخازن
ليحضر شيئا - ذلك ان البوفيه يعمل طوال الليل - فتصدمه رؤية
ذلك الخليط المقرز فوق أرضية المدخل ، فيتصل بكارل تليفونيا
ليسأله : « بحق الاله » مما حدث ! فهل يسمع كارل ان ينكر معرفته
بروبنسون في تلك الحالة ؟ ولو استطاع أن ينكر معرفته به ، فهل
يمكن الا يكون روبنسون من الضياء والانبياء ، بحيث لا يتعلق بخناق
كارل بدلا من ان يعتذر ؟ وهل من الممكن الا ينتهى ذلك بفصل كارل
من عمله في الحال ؟ بما انه كعامل مصعد ، ليس سوى شخص
بسيط لا يؤبه به ، لانه اقل هيئة موظفى الفندق الضخمة
كلها شانا ، واسهلهم جميعا استبدالا بغيره ، فهل يحتمل وضع
كوضعه ، ان يسمح لاحد أصدقائه بأن يلوث الفندق ؟ بالإضافة
الى ان هذا قد ينتج عنه أيضا هرب الزبائن ؟ فهل يمكن التسامح
مع صبى مصعد له مثل هذا الصديق ؟ ويسمح له فوق ذلك
بزيارته بالفعل في وقت عمله ؟ الا يبدو صبى مصعد على هذه
الصورة ، سكيراً هو نفسه ، وربما أسوأ من ذلك ؟ وقد لا يبدو
أى افتراض آخر معقولا ، كان يظنوا انه يتخم أصدقائه بطعام الفندق
حتى لا يتمكنوا من ان يمنموا أنفسهم من التقيؤ ، كما فعل
روبنسون في كل أنحاء الفندق البالغ النظافة ؟ وكيف يمكن ان
يحصر صبى كهذا نفسه في حدود سرقة الطعام والشراب ، طالما
أن فرص السرقة تتوفر له بالفعل بغير حد ، نظرا لاهمال النزلاء
البالغ ، فالدواليب تظل مفتوحة في كل مكان ، والأشياء الثمينة
تتناثر فوق المناضد ، وعلب المجوهرات تبقى مفتوحة ، والمفاتيح
تلقى حيثما اتفق ؟

وعند ذلك أحس كارل على البعد بخطوات عدد من النزلاء
يصعدون درجات مشرب البيرة في القبو ، حيث انتهت لحظتها جملة
من حفلات المنوعات ، فتوقف بجوار مصعده ، ولم يجرؤ على ان
يتطلع نحو روبنسون ، خوفا مما قد يراه .

وقد ارتاح كارل قليلا ، عندما لم يسمع صوتا ، ولا حتى نائمة

من الناحية التي كان يقبع فيها روبنسون ، فخف الى خدمة النزلاء ، وراح يصعد ، ويهبط في مصعده ، الا انه لم يتمكن من أن يتخلص من شروده ، وكان يتهاى ، عندما كان يهبط بمصعده الى الطابق الارضى ، في كل مرة ، لمواجهة كارثة مفاجئة .

واتسع لديه الوقت في النهاية ، للعناية بروبينسون الذى كان قد خر على ركبتيه في وضاعة ، في ذلك الركن ، وقد اكب بوجهه فوق ركبتيه ، وكان قد دفع قبضته المستديرة الجامدة الى مؤخرة راسه

قال له كارل في لين ، لكن بشيء من الحزم : « يجب ان تذهب الان بالفعل ، وها هي النقود ، فلو أسرعت ، فيمكننى ان اجد بعضا من الوقت لكى ادلك على اقصر طريق للخروج من هنا ! » فقال روبنسون وهو يمسح جبهته بمنديل صغير : « اننى لا اقوى على الحركة مطلقاً ، وسوف اقضى نحبى هنا ، فلا يمكنك ان تتصور مدى ما اشعر به من المرض ، لقد صحبني ديلامارش الى جميع اوكر الشراب الفاخرة التي يرتادها ، الا اننى لا اكاد اطبق ذلك الشراب الذى يقدمونه هنالك ، ولقد قلت له ذلك مرارا ! »

قال كارل : « حسنا ، لايمكنك ببساطة ان تبقى هنا ، تذكر اين انت ، ولو اكتشف احد وجودك هنا ، فسوف تواجهنى المتاعب ، وسوف افقد عملى ، فهل تريد لى ذلك ؟ ! »

قال روبنسون : « لا اقوى على النهوض فوق قدمى ، وسوف ازحف الى هذا المكان على أية حال ! » ، وأشار بيده الى المكان الخالى بين درابزين السلم ، وبشر المصعد : « سوف ابقى هنالك بقدر ما يمكننى ان ابقى في حالتى هذه ، يمكننى ان احتمل البقاء في هذا المكان ، الا اننى لا اقوى على النهوض ، ولقد حاولت ان انهض عندما صعدت بنزلائك ! »

فقال كارل وهو يجذب ساقى روبنسون قليلا ، لان روبنسون كان يبدو معرضا لخطر الاستفراق في النوم العميق في أية لحظة : « اذن فسوف ابحث عن تاكسى ليقلك الى المستشفى ! » ، فشرع روبنسون في البكاء ، عندما سمع كلمة « المستشفى » التي بدت وكأنها قد اثارت في نفسه مخاوف رهيبة ، ورفع ذراعيه نحو كارل ، وكأنه يسترحمه .

فقال كارل ، وهو يضرب يدى روبنسون المسدودتين نحوه : « اهدأ ! » ، واسرع نحو الصبى الذى كان قد قام بعمله في

تلك الليلة ، ورجاء ان يحل محله لفترة قصيرة بدوره ، وهاد مسرعا الى روبنسون الذي كان لا يزال ينشج بالبكاء ، ورفع بعنف على قدميه ، وهمس في اذنه قائلا : « روبنسون ، لو اردتني ان اساعدك ، فيجب عليك ان تمالك ، وتحاول ان تسير بمفردك في توازن ، لمسافة قصيرة ، سوف اصحبك الى فراشي ، حيث يمكنك ان تبقى الى ان تشمر بالتحسن ، وسوف تدهش للسرعة التي سوف تشفى بها ، لكن عليك ان تتعقل الآن بالفعل ، لان الناس يتجولون في الممرات ، كما ان فراشي يوجد في منبر كبير للنوم ، فلو اثرت انتباه هؤلاء الناس ، فلن اتمكن عندئذ من ان افعل لك شيئا آخر ، كما اننى لايمكننى ان احملك فوق كتفى ، ولو بدا عليك انك تشرف على الموت ! »

قال روبنسون : « سافعل كل ما تطلبه منى ، الا انك لن تتمكن من ان تسندنى وحدك ، فهلا استدعيت رينيل ايضا ليعاونك ؟ »

قال كارل : « رينيل غير موجود ! »

فقال روبنسون : « نعم ، بالطبع ، ان رينيل الآن مع ديلا مارش وقد ارسلنى كلاهما اليك ، لقد اختلط على الامر تماما ! » ، وراح كارل يدفعه في اثناء انشغال روبنسون بهذا الحديث ، وغيره من احاديثه غير المفهومة التي كان يحدث بها نفسه ، الى الامام ، وتمكن من ان يبلغ به احد الاركان في سلام ، ومن ذلك الركن كان يبدأ ممر خافت الاضاءة ، يؤدي الى منبر نوم صبية المصاعد ، وهرع احد الصبية مسرعا نحوهما ، وتجاوزهما باقصى سرعته لحظتها ، وكان كارل وروبينسون قد اشتبكا في بضغ مشاجرات بسيطة حتى الآن ، وكان الوقت عندئذ بين الرابعة والخامسة صباحا هو اشد الاوقات هدوءا ، وادرك كارل انه ان لم يتخلص من روبنسون الآن ، فلن يكون امامه مطلقا ادنى امل في التخلص منه في الصباح الباكر ، بعد ان تبدأ نوبة عمل النهار .

وفي اقصى نهاية منبر النوم ، كانت معركة هائلة ، او تسلية من نوع ما ، قد قامت على قدم وساق ، وكان يمكن سماع التصفيق ، ودقات الاقدام المتهيجة ، وصيحات التشجيع ، وفي الجانب الآخر من المنبر ، ناحية الباب ، كان عدد قليل جدا من الصبية المستفرقين في النوم في اسرتهم ، وكان اغلب الصبية الباقيين يستلقون فوق ظهورهم ، يحدقون في السقف ، بينما كان هنا وهناك ، صسبى

يرتدى ملابسه ، أو صبي يخلعها ، حيثما اتفق ، أو يقفز أحسد الصبية المستيقظين من فراشه ليتطلع عن قرب الى ما كان يجري في الجانب الآخر من العنبر . وهكذا تمكن كارل من أن يقود روبنسون الذي كان قد تعود الآن على السير ، حتى بلغا فراش رينيل دون أن يلتفتا اليهما الانظار ، فقد كان الفراش قريبا جدا من الباب ، وكان خاليا لحسن الحظ ، أما فراش كارل ، كما تبينه كارل من على البعد ، فقد كان يشغله صبي غريب لا يعرفه ، قد استغرق في النوم في هدوء ، وما أن احس روبنسون بالفراش تحته حتى تاهب للنوم في الحال ، وتدلّت إحدى ساقيه خارج الفراش .

وسحب كارل البطاطين حتى غطى بها وجه روبنسون تماما ، وظن انه ليس بحاجة الى أن يخشى شيئا الآن ، لان الرجل لم يكن ليستيقظ قبل السادسة ، على الاقل ، وسيكون هو بنفسه هنا وقتها ، وربما امكنه بمساعدة رينيل أن يجدا وسيلة من الوسائل لتهدئته الى خارج الفندق . لم تكن السلطة العليا في الفندق تقوم بأي تفتيش على عنبر النوم الا في حالات نادرة ، وكان صبي المصاعد قد نجحوا منذ سنوات عديدة في الغاء التفتيش النظامي الذي كان يحدث قبلها ، وهكذا فلم يكن ثمة ما يدعو الى الخوف من هذه الناحية .

وعندما عاد كارل الى مصعده ثانية ، تبين ان مصعده ، والمصعد الذي يجاوره كانه قد اختفيا في أعلى الفندق ، فانتظر في رجفة حتى يتضح الامر ، ووصل مصعده الى الطابق الارضي أولا ، وخرج منه الصبي الذي كان قد مرق بجانبه في الممر منذ فترة قصيرة . قال له متسائلا : « انت ، أين كنت يا روسمان ؟ لماذا تركت مصعدك ؟ ولماذا لم تبلغ عن غيابك ؟ ! »

قال كارل وهو يشير الى الصبي الذي يعمل بالمصعد المجاور ، والذي كان قد وصل لتوه : « لقد طلبت منه أن يعمل بمصعدي للحظات ، ولقد فعلت ذلك بدلا منه لمدة ساعتين كاملتين ، عندما كانت حركة النزلاء على أشدها ! »

فقال الصبي المقصود بهذا الكلام : « كل هذا لا بأس به ، الا انه خطأ ، الا تعلم انه يجب عليك ان تبلغ عن غيابك عن مكان عملك مهما قصر ، الى مكتب رئيس السفرجية ، لقد وضع التليفون هناك من أجل ذلك ، ولقد كان يسرني ان أقوم بمصعدك ، لكنك تعلم انت نفسك ان الامر لم يكن بهذه السهولة ، فقد كان هنا جمع

من النزلاء الجدد ، وصلوا بقطار الرابعة والنصف السريع ، وكانوا يقفون أمام كلا المصعدين ، ولم استطع ان استعمل مصعدك اولا واترك من يقفون أمام مصعدى فى الانتظار ، هل كان فى مقدورى أن افعل ذلك ؟ وهكذا فقد صعدت بمصعدى اولا ! »

قال كارل متوترا ، بينما لجأ الصبيان الآخرون الى الصمت ، « حسنا ! » .

فقال الصبى الذى يعمل بالمصعد المجاور : « حسنا ، وقد كانت تلك اللحظة بالذات هى اللحظة التى قدم فيها رئيس السفرجية ، ورأى الناس ينتظرون أمام مصعدك ، ولم يجدك ، فاستشاط غضبا ، وسألنى عن المكان الذى ذهبت أنت إليه ، ولما لم أكن موجودا وقت ذهابك ، فلم تكن لدى بالطبع أية فكرة عن مكانك ، لأنك لم تخبرنى حتى عن المكان الذى توجهت إليه ، وهكذا فقد اتصل تليفونيا بعنبر النوم مباشرة ، وطلب صبيا آخر ليحل محلك فى الحال ! » .

وتساءل الصبى الآخر قائلا : « لقد التقيت بك فى الطريقة ، اليس كذلك ؟ ! »
واطرق كارل .

واكد له الصبى الذى يعمل بالمصعد المجاور : « ولقد قلت له بالطبع فى الحال أنك قد طلبت منى ان أحل محلك ، لكن هل يستمع هو الى أى اعتذارات ؟ لا يبدو أنك تعرفه ، ولهذا علينا أن نخبرك بأن تتوجه الى مكتبه فى الحال ، ولا يجب عليك إلا تنتظر أكثر من ذلك ، اذهب الى حجرتة ، فلعله يعفو عنك فى النهاية ، فانك لم تترك مصعدك سوى دقيقتين بالفعل ، ويجب عليك ان تصر على أنك قد طلبت منى ان أحل محلك ، ومن الأفضل ألا تذكر أنك قد حلت محلى بالمثل قبلها ، هذه هى نصيحتى لك ، فلا شيء يمكن ان يحدث لى ، لأننى كنت قد استأذنت فى الغياب إلا انه لا داعى لذكر ذلك ، وخلطه بهذا الموضوع ، الذى لا علاقة له به ! »

قال كارل : « انها اول مرة اترك فيها مصعدى ! »

فاجابه الصبى الآخر ، قائلا ، وهو يهرول الى مصعده ، فقد كان البعض قد توجهوا نحوه : « ان الامر يحدث دائما على هذه الصورة ، إلا ان احدا لا يصدق ذلك ! »

وقال الصبى الذى حل محل كارل فى اثناء غيابه ، وهو يشمر

بالأسف الواضح ، من أجل كارل ، وكان صبيًا في جوالى الرابعة عشرة من عمره : « لقد فصلوا صبياننا من هذا العمل بالفعل ، مدد كبير منهم قد فصل في ظروف كهذه ، إلا أن المتسبب عادة هو أن يحولوك إلى عمل آخر . وعلى قدر علمي فقد حدث مرة واحدة فقط أن قاموا بطرد صبي ارتكب مثل هذا الخطأ الذي ارتكبه ، فيجب عليك أن تجد عذرا مقبولا ، لكن لا تحاول أن تقول له أنك شعرت فجأة بالمرض ، فسوف يدفعه ذلك إلى الضحك فقط ، ومن الأفضل أن تقول أن نزلا من النزلاء قد أرسلك في طلب عاجل إلى نزيل آخر ، وأنك لا تذكر النزيل الأول ، ولم تستطع كذلك أن تعثر على الآخر ! »

قال كارل : « حسنا ، لن يبلغ الأمر هذا الحد من سوء ! » لم يكن يمكنه أن يعتقد بعد كل ما سمعه أن الأمر سينتهي بسلام ، وحتى لو تم الصفع عن أهماله ، فإن روبنسون لا يزال يستلقي هناك في عنبر النوم ، كفلطة حية ، ومن المحتمل جدا ألا يقنع رئيس السفرجية المحب للانتقام بالتقصي السطحي للأمر ، ولا بد له أن يكتشف وجود روبنسون في نهاية الأمر ، ولم يكن هناك حقا حظر صريح يمنع استقبال الغرباء في عنبر النوم ، إلا أن هذا الحظر لم يوجد ببساطة ، لأنه لم يوجد ما يدعو للذكر شيء بعيد الاحتمال من هذا القبيل .

وعندما دخل كارل المكتب ، كان رئيس السفرجية يحتسى قهوة الصباح ، فكان يرتشف رشفة من حين لآخر ، وفي نفس الوقت يتفحص قائمة ، يبدو أن رئيس البوابين كان قد أحضرها إليه ، فقد كان بداخل الحجرة هو أيضا ، وهو شخص طويل ، أكرش ، كان رداؤه الفاخر المفرط الزينة - حتى الأكمام والاكتاف كانت مثقلة بالسلاسل الذهبية والأشرطة - يجعله يبدو أمرض منكبا مما هو في الحقيقة ، وكان شاربه الأسود اللامع مرفوع إلى قمتين مدببتين على الطريقة الهنغارية ، ولا يتحرك لأصنف حركة مفاجئة من رأسه ، وكانت ملابسه الثقيلة المنشأة تجعله هي أيضا يبدو بتلك الهيئة ، ولم يكن ذلك الرجل يستطيع الحركة إلا بصعوبة ، وكان يقف دائما وساقاه متباعدتان جدا ، حتى يتمكن من توزيع ثقل جسمه فوقهما في شيء من التوازن .

ودخل كارل في جراحة وسرعة كما اعتاد أن يفعل في الفندق ، ذلك أن التباطؤ، والوقت الضائع الذي ينقضي في المجاملات بين الأشخاص

الفارغين ، كان يعد تكاسلا يتصف به صبية المصاعد ، وبالإضافة الى ذلك ، فانه لا يجب ان يبدو كما لو كان يحس بالدنب في لحظة دخوله ، وتطلع رئيس السفرجية في سرعة الى أعلى ، عندما فتح الباب ، ثم عاد فورا الى احتساء قهوته ، والى قراءة القائمة دون ان يعير كارل ادنى التفات . الا ان رئيس البوابين الذى كان يتلقى بعض التعليمات السرية على ما يبدو ، او كان يكلف بإبلاغها ، قد بدا عليه الضيق لوجود كارل ، فحلق فيه في غضب ، وكان يعاود تلك النظرة الساخطة كل بضع دقائق نحو كارل ، برأسه المحنى في تصلب ، وعندما كانت عيناه تلتقيان بعيني كارل ، ويبدو انه كان يحرص على ذلك ، كان يديرهما في الحال نحو رئيس السفرجية ثانية . الا ان كارل ظن انه لم يكن يريد ان يدخل الحجرة لوجوده هو فيها ، ولان رئيس السفرجية لم يأذن له بالدخول . كان رئيس السفرجية لا يزال يقرأ القائمة ، ويتناول قطعة من الكعك في أثناء قراءته ، كان ينفض عنها السكر بين الحين والآخر دون ان يرفع عينيه عن القائمة ، وقد وقعت منه في مرة ورقة من أوراق القائمة على الارض ، فلم يحاول رئيس البوابين ان يلتقطها ، لانه كان يعلم انه لا يستطيع ان ينحني ، ولانه لم يكدر يري ما يدعو الى ذلك ، لان كارل كان قد انقض على الورقة ، وناولها لرئيس السفرجية ، الذى تسلمها في حركة عادية لا مبالية من يده ، وكأنها كانت قد ارتفعت تلقائيا من مكانها على الارض حتى بلغت يده ، ولم تنفع كارل تلك الخدمة البسيطة التى تطوع بها في شيء ، لان رئيس البوابين قد مضى في توجيه نظراته الفاضبة نحو كارل .

وكان كارل يشعر الآن برباطة الجأش على الرغم من ذلك . فلان خطاه قد بدا غير ذى أهمية بالنسبة لرئيس السفرجية الى هذا الحد ، رأى كارل انه قد يمكنه ان يعتبر هذا دليلا طيبا ، بالإضافة الى ان خطأ كهذا هو شيء تافه ، كما ان حامل المصعد كذلك يعد شخصا قليل الأهمية ، وليس له على هذا ان يتمتع بشيء من الحرية ، الا ان قلة شأنه بالذات هي النقطة التى يجب بناء عليها الا تقوم الدنيا لفلطة بسيطة يرتكبها ، وفوق كل هذا ، فلقد بدا رئيس السفرجية نفسه حياته العملية عامل مصعد - وان تقدمه في حياته العملية هو في الحقيقة فخر الجيل الحاضر من صبية المصاعد - ولقد كان هو اول من نظم جمعية عمال المصاعد ، ولاشك

انه هو ايضا كان يترك مكان عمله من حين لآخر ، دون اذن ، على الرغم من ان احداً لايمكنه الآن ان يرغمه على الاعتراف ، ومع انه لا يجب نسيان ان بداية رئيس السفرجية ، كصبى مصعد ، قد جعلته اشد قسوة في حفظ النظام بين صببة المصاعد ، ونزعت من قلبه الرحمة بهم ، الا ان كارل كان يداعب شيئاً من الامل في خلال تلك الدقائق التي كانت تمر في هدوء .

وكانت الساعة الآن حسب الساعة التي في مكتب رئيس السفرجية ، قد تعدت الخامسة والربع ، وربما عاد رينيل في اى لحظة ، ولعله ان يكون قد عاد بالفعل ، لانه لابد ان يلاحظ ان روبنسون لم يعد حتى الآن ، وعلى اية حال فلا يمكن ان يكون ديلامارش وروبنسون في مكان بعيد جداً عن الفندق الغربى ، وهذا ما خطر ببال كارل ، والا ما كان لروبنسون في حالته المنهارة ، ان يصل الى الفندق ، والآن ، لو وجد رينيل ان روبنسون ينام في فراشه ، وهذا ما قد يحدث ، فسوف يكون كل شيء عندئذ على ما يرام ، ذلك ان شخصاً عملياً كرينيل - وخاصة فيما يتعلق بالامور القريبة من اهتماماته - سوف يجد طريقة او اخرى لآخراج روبنسون من الفندق ، وسوف يسهل عليه ذلك ، لان روبنسون لابد ان يكون الآن قد شفى ، وربما كان ديلامارش في انتظاره أمام الفندق لكي يتولى امره ، وما ان يتم التخلص من روبنسون حتى يتسنى لكارل ان يواجه رئيس السفرجية ببال هادىء أكثر ، وربما اطلق سراحه عندئذ ، بعد شيء من التعنيف الذى سيوجهه اليه رئيس السفرجية ، والذى سيكون - بلا شك - تعنيفاً قاسياً ، ثم سيتشاور مع تيريز ان كان عليه ان يذكر للمديرة الحقيقة كاملة - فهو لم يكن يرى غباراً على دوره في هذا الامر - ولو امكن ان يتم هذا ، فسوف يتم انهاء الموضوع كله في النهاية دون ان يكون قد حدث له ادنى ضرر .

وكان كارل لحظتها يطمئن نفسه بهذه الافكار ، وراح يحصى في ارتياح المنح التي تلقاها في تلك الليلة ، فقد كان يحس بان قطع العملة كانت في جيبه الليلة أثقل من المعتاد ، عندما وضع رئيس السفرجية ، القائمة التي كان يقرأها أمامه على المنضدة ، قائلاً : « انتظر لحظة اخرى يا فيودور ، هل يمكنك ان تنتظر ؟ ! » ، ناهضاً على قدميه بقفزة واحدة ، وصرخ في كارل بأعلى صوته ،

حتى ان الصبي قد توقف فقط محملاً ، وقد جمده الرعب ، في فتحة فمه المظلمة .

— لقد تركت عملك بدون اذن ، فهل تدري ما معنى هذا ؟ ان معناه الفصل ، ولن استمع الى اية اعتذارات ، عليك ان تحتفظ باعتذاراتك الكاذبة لنفسك ، وتكفيني حقيقة انك لم تكن في مكان عملك ، فلو تهاونت معك هذه المرة ، واطلقت سراحك ، فان كل صبيان المصاعد الاربعين ، سيوف ينطلقون على هواهم في خلال اوقات العمل ، ويتركونني وحدي لكي احمل ضيوف القندق الخمسة آلاف ، فوق كتفي ، واصعد بهم درجات السلم ! »

لم يقل كارل شيئاً ، واقترب رئيس البوابين ، وجذب جاكته كارل من الخلف ، كانت متكرشة الى حد ما ، قاصداً بلا شك ان يلفت نظر رئيس السفرجية الى اهمال كارل في الصيانة بزيه . فتسائل رئيس السفرجية قائلاً في خبث : « ربما كان المرض قد دهمك فجأة ؟ ! »

فالتقى عليه كارل نظرة فاحصة ، واجابه قائلاً : « لا ! » فصاح رئيس السفرجية في صوت اكثر ارتفاعاً : « وهكذا فانت لم تكن مريضاً ايضاً ؟ لابد اذن في جيبك كذبة جديدة رائحة ، فبماذا ستعتذر ؟ هيا انطق ! »

— لم اكن اعلم ان على ان اتصل تليفونيا ، لكي احصل على اذن بترك مكان عملي ! »

قال رئيس السفرجية : « هذا بالفعل رد لا يكلف شيئاً ! » ، وقبض على كارل من ياقته ، ودفعه عبر الحجرة ، حتى واجه كلاهما لوحة التعليمات الخاصة بالمصاعد ، التي كانت مثبتة فوق الحائط ، وجاء رئيس البوابين في اعقابهما .

قال رئيس السفرجية : « ها هي ذى التعليمات ، اقراها ! » وأشار الى احدى الفقرات ، وظن كارل ان عليه ان يقرأها بينه وبين نفسه ، الا ان رئيس السفرجية صاح فيه قائلاً : « ارفع صوتك ! » .

وبدلاً من ان يقرأ كارل الفقرة في صوت مرتفع ، قال لرئيس السفرجية ، آملاً ان يهدئه : « اننى اعرف كل تلك الفقرات ، فقد حصلت على نسخة من التعليمات ، وقرأتها في عناية ، وهى تعليمات لا يمكن للمرء ان ينسى شيئاً من تفاصيلها ، ولقد عملت هنا لمدة شهرين حتى الآن ، ولم اترك مكانى مرة واحدة ! » .

فقال رئيس السفرجية : « حسنا ، سوف تتركه الآن ! » ،
وعاد الى المنضدة ، وتناول القائمة مرة أخرى ، كما لو كان ليواصل
قراءتها ، لكنه خبط قبضته فوقها ثانية فوق المنضدة ، وكان
شيئا ما قد ساءه عندما تناولها ، وتصاعد الدم فوق حاجبيه ،
وخديه ، وراح يدرع الحجرة بخطواته ذهابا وجيئة
- كل هذا الأزعاج بسبب صبي احمق سخيف ! كل هذا
التعطيل بسبب نوبة حمل الليل !

صاح بهذه الكلمات عديدا من المرات ، وقد ملأه العجب

- هل تعلم من الذى ظل واقفا ينتظر هناك امام المصعد ، عندما
غادره ذلك الشخص الذى يقف أمامك ، وذهب على هواه !
تساءل رئيس السفرجية ، مستديرا نحو رئيس البوابين ، وذكر
اسما ، أصيب رئيس البوابين ، الذى كان يعرف زبائن الفندق
جميعا دون شك ، ويعرف اوضاعهم كذلك ، أصيب بالرعب ،
حتى لقد وجد نفسه ينظر الى كارل نظرة خاطفة ، لكى يؤكد
لنفسه ان ذلك الصبي ، الذى غادر مصعده ، وترك صاحب ذلك
الاسم ينتظر دون ان يجد من يخف لخدمته ، يوجد بالفعل فوق
سطح الارض .

قال رئيس البوابين : « ان هذا مخيف ! » ، وراح يهز رأسه
ببطء فى ذهول نحو كارل ، الذى كان يرقبه فى شرود ، وهو يفكر
فى ان صدمة هذا الرجل الغبية ، خطأ آخر عليه أن يدفع ثمنه .
وواصل رئيس البوابين حديثه قائلا ، وهو يسدد أبهامه الضخم
السمين المتصلب نحو كارل :

- انك الصبي الوحيد الذى يرفض ان يؤدي لى التحية ، فمن
تظن نفسك ! ان كل صبرى يمر بمكتب رئيس البوابين يؤدي لى
التحية ، يمكنك ان تفعل ما يحلو لك مع باقى البوابين ، لكننى أصر
على ضرورة اتباع اصول اللياقة ، واننى أحيانا ما اصنع عدم
ملاحظة سلوكك هذا تجاهى ، لكن عليك ان تعلم اننى أعرف تماما
من الذى يقول لى طاب يومك ، ومن الذى لا يقولها ، أياها الجلف !
واستدار مبتعدا عن كارل ، وهو يخطو فى عظمة نحو رئيس
السفرجية ، الذى جلس ليكمل تناول فطوره ، ويتفحص جريدة
الصباح التى أحضرها له لحظتها احد المساعدين .

قال كارل ، وهو يدرك ان عليه أن يصفى حسابه أولا مع رئيس
البوابين ، بينما يتجاهله رئيس السفرجية ، ويدرك كذلك ان اللوم

الذى يوجهه اليه الآن رئيس البوابين قد لا يتمخض من أى ضرر ،
الا ان عداؤه له يضره بصفة عامة :

« سيدى ، لاشك اننى قد مررت بمكتبك على الاغلب دون ان
أؤدى لك التحية ، الا اننى ما زلت حتى الآن حديث المهد بالحياة
فى امريكا ، فقد قدمت منذ فترة قصيرة من اوروبا ، حيث يحيى
الناس بعضهم بعضا بافراط بالغ ، وهذا شيء معروف جيدا ،
وبالطبع لم اتمكن من ان اتخلص من تلك العادة ، لماذا ، لاننى فى
خلال شهرين فقط قضيتهما فى نيويورك ، حيث اتفق لى ان عشت
فى وسط راق ، نيهونى طويلا الى اننى افراط فى توجيسه تحياتى
للناس ، وهانت ذا تهمنى باننى لا احبك دون غيرك ، لقد
وجهت اليك تحياتى كل يوم ، حديدا من المرات فى اليوم الواحد ،
لكن بالطبع ، ليس فى كل مرة يتصادف ان اراك فيها ، لاننى
امر بمكتبك مئات المرات كل يوم ! »

— عليك ان تحينى فى كل مرة تمر فيها بمكتبى ، فى كل مرة
بالفعل ، دون استثناء ، عليك ان تقف وقبعتك فى يدك ، طوال
الوقت الذى تتحدث فيه الى ، ويجب ان تخاطبني دائما
« بياسيدى » ، عندما تتوجه الى بالحديث ، ولا تقل لى :
« انت ! » وعليك ان تفعل هذا كله دائما ، وفى كل مرة ، فى كل
مرة بالحرف الواحد !

فردد كارل قائلا فى لين : « فى كل مرة ؟ ! » بشيء من الحيرة ،
لانه تذكر الآن كيف كان يبدو له ، طوال فترة وجوده بالفندق ،
ذلك التعبير القاسى المفعم باللوم على وجه رئيس البوابين عندما كان
يواجهه ، منذ الصباح الاول ، وهو لا يزال عاملا جديدا بالفندق ،
ولا يزال حرا فى سلوكه ، ومنطلقا على سجيته الى حد ما ، فتقدم
اليه فى ذلك الصباح مندفا ، وراح يسأله فى الحاج ، وشيء من
التشديد ان كان ثمة رجلان قد سألا عنه ، أو تركا لديه صورة
فوتوغرافية ، ليسلمها له ؟ ! »

وقال رئيس البوابين مستأنفا حديثه : « وهانت ذا ترى الآن
ما جلبه عليك ذلك السلوك ! » ، بينما كان يتقدم ثانية نحو كارل ،
ملوحا بيده نحو رئيس السفرجية الذى كان لا يزال مستغرقا فى تصفح
جريدته ، كما لو كان ذلك السيد هو اداة انتقامه من كارل :

— سوف تتذكر فى عملك المقبل ان تتأدب فى معاملة البواب ،
ولو كان بوابا لحانة نتنة !

تحقق كارل الآن من انه قد فقد وظيفته ، فقد اشار رئيس
السفرجية الى ذلك منذ لحظات ، وها هو ذا رئيس البوابين ، يكرر
ذلك الآن كحقيقة واقعة . ولا يبدو ان هناك أهمية لتصديق إدارة
الفندق ، عندما يتعلق الامر بفصل عامل مصعد . الا ان الامر قد
حدث في سرعة خارقة لم يكن يتوقعها ، فقد عمل هنا لاكثر من
شهرين بكل طاقته على العمل ، وبصورة أفضل كثيرا بلا شك من
غيره من الصبية الآخرين ، لكن يبدو ان مثل هذه الاعتبارات ،
لا يلتفت اليها في اللحظات الحاسمة ، في كل مكان في العالم ، لا في
أوروبا ، ولا في أمريكا . ان الحكم متعمد ومدير منذ اللحظات الاولى ،
من أول كلمة تفوه بها القاضي في ثورة غضبه ، وربما كان من الأفضل
له ان يغادر المكان ، ويرحل في الحال ، وربما كانت المديرية وتيريز
نائمتين حتى الآن ، ويمكنه ان يودعهما بخطاب يرسله اليهما ، حتى
يجنبهما على الأقل الحزن والأسف اللذين ستشعران بهما عندما
يودعهما بنفسه ، ويمكنه ان يعد اشياء بسرعة في داخل الصندوق ،
ويتسلل خارجا في هدوء . فلو قدر له ان يمكث في الفندق سحابة
اليوم على الأقل - وقد يتسنى له ذلك بأن يأوى الى النوم بعض
الوقت - فلن يفيد هذا سوى تضخيم الحادث ، ليصبح فضيحة
ولو ما يوجه اليه من كل جانب ، كما أنه سيفرض عليه رؤية تيريز
التي لن يحتملها ، وربما بكت المديرية نفسها ، وربما وقع له فوق
كل هذا شيء ما على سبيل العقوبة أيضا ، الا ان اكثر ما احنقه
هو ان يجد نفسه الآن في مواجهة اثنين من الاعداء ، يغالطانه في
كل كلمة يتفوه بها ، فلو كف هذا ، فلن يفعل الآخر بدوره ما شاء
له العبث بكلمات كارل ، ويسئ تأويلها . ولهذا ظل صامتا ،
وارتاح في تلك الاثناء لهدوء الحجرة ، فقد كان رئيس السفرجية
لا يزال مستغرقا في قراءة الصحيفة ، بينما وقف رئيس البوابين
الى جوار المنضدة ، وانهمك في ترتيب أوراق قائمته المتناثرة ، تبعا
لتسلسل أرقامها ، وهي مهمة كانت تبدو شاقة جدا بالنسبة له ،
لقصر نظره الشديد .

ووضع رئيس السفرجية ، صحيفته جانبا في النهاية ، وتشاءب ،
وطمان نفسه الى وجود كارل في مكانه ، بنظرة سريعة اليه ثم ادار
قرص تليفونه ، وصاح قائلا عدة مرات : « هاللو .. » ، الا ان
أحدا لم يجبه ، فقال لرئيس البوابين :

- لا أحد يجيب ! وقال رئيس البوابين ، الذي كان يتابع

المكالمة التليفونية باهتمام زائد ، كما لاحظ كارل : « انها الساعة السادسة الا الربع الآن ، ولا بد ان تكون قد استيقظت من نومها ، فدى الجرس بشدة اكثر ! » ، الا ان التليفون رد لحظتها ، دون مزيد من الدق على الجرس ، فقال رئيس السفرجية :

— انا ايسبارى الذى يتحدث ! صباح الخير ، ارجو الا اكون قد اقلقت نومك ! اننى آسف ، نعم ، انها السادسة الا الربع ، الا اننى فى غاية الاسف حقا ، لو كنت قد ازعجتك ، ويجب عليك ان ترفعى سماعة التليفون من الجهاز عندما تاوين الى النوم ، لا .. لا .. لا عذر لى فى الحقيقة ، وخاصة ان الامر الذى اريد ان اتحدث اليك بشأنه ، امر تافه للغاية ، اننى اريد ان ابخسه معك ، لكن لى بالطبع متسع من الوقت لذلك ، وسوف انتظرك بالطبع ، فاتصلى بى لو تفضلت !

وقال رئيس السفرجية لرئيس البوابين مبتسما ، بينما كان الاخير ينحنى على التليفون وقد ارتسم على وجهه تعبير صارم : « لابد انها قد هرولت الى التليفون بقميص نومها ! لابد اننى قد ازعجتها بالفعل لان تلك الفتاة التى تكتب لها على الآلة الكتابة ، توقظها عادة ، لكن يبدو انه قد فاتها ان تفعل ذلك هذا الصباح لسبب او آخر ، اننى آسف لازعاجها ، فهى عصبية بطبيعتها الى حد كاف ! » .

— لماذا تركت التليفون ، وانصرفت ؟ !

فأجابه رئيس السفرجية ، وهو يرفع السماعة ثانية ، عندما رن جرس التليفون ، « لترى ماذا حدث للفتاة ! » ، ثم استأنف حديثه قائلا فى التليفون : « سوف تظهر الفتاة فى الحال : فلا تنزعجى لكل شىء الى هذا الحد ، انك فى حاجة الى الراحة التامة بالفعل ، والآن ، لتحدث فى موضوعى البسيط ، يوجد هنا صبي مصعد يدعى ، واستدار حوله بنظرة متسائلة ، وجهها الى كارل ، الذى كان يستمع بانتباه شديد ، فأدلى باسمه فى الحال ، يدمى كارل روسمان ، ولو كنت اذكر جيدا ، فهو الصبي الذى اوليته شيئا من اهتمامك ، ويؤسفنى ان اقول لك انه قد أساء رد جميلك ، فقد ترك عمله دون اذن ، وورطنى بهذا فى صعوبات خطيرة ، ولا يمكننى ان اذكر لك النتائج التى قد تترتب على ذلك ، وعلى هذا فقد فصلته الآن من العمل ، فأرجو الا يسيئك ذلك ، ماذا تقوين ؟ فصل ؟ نعم ، فصل ، الا اننى قد اخبرتك الآن بأنه قد ترك مصعده

لا .. هنا لا يمكننى فى الحقيقة ان اوافقك ياسيدتى العزيزة ، انها مسألة تتعلق بممارستى لسلطتى ، فتمة خطر كبير يترتب على هذا ، فصبى مثله من الممكن ان يفسد المجموعة كلها ، ولا بد من التشدد الذى لا يعرف الرحمة مع صببية المصاعد بالذات ، لا .. لا .. لا يمكننى فى هذه الحالة ان اجاملك ، على الرغم من رغبتي الشديدة فى ارضائك ، وحتى لو اننى سمحت له بالبقاء على الرغم من ذلك ، لمجرد ان اسيطر على اعصابى فحسب ، فلن يكون هذا فى صالحك ، نعم ، ليس فى صالحك ان تستبقه هنا ، انك تولينه اهتماما لا يستحقه ابدا ، واننى لاعرفه ، واعرفك ايضا ، واننى واثق من انه لن يجلب لك سوى خيبة الامل البالغة ، التى يجب ان تتجنبها باى ثمن اننى اقول لك هذا بغاية الصراحة ، وتحت سمع الصبى نفسه ، لانه يقف فقط على بعد خطوة واحدة منى ، فى ثبات هو الوقاحة بعينها ، لابد من فصله ، لا .. لا .. لا لابد من فصله نهائيا وفى الحال ، لا .. لا .. لا يمكن ان اعهد اليه بعمل آخر ، فلا فائدة لى منه على الاطلاق ، وبالإضافة الى ذلك فهنا من يشكون منه ايضا ، ان رئيس البوابين مثلا ، نعم فيودور بالطبع ! لقد اشتكى فيودور من عدم تأدبه ، ومن وقاحته ، ماذا ، ليس هذا كافيا ؟ يا سيدتى العزيزة انك تناقضين طبيعتك باستمرارك فى مساندة هذا الصبى ، لا .. لا يجب عليك فى الحقيقة ان تضيفى على الى هذا الحد ! »

وانحنى رئيس البوابين فى تلك اللحظة ، وهمس فى اذن رئيس السفرجية بشيء ما ، فتطلع اليه رئيس السفرجية مندهشا فى البداية ، ثم تحدث مسرعا فى التليفون ، حتى ان كارل لم يتمكن من ان يسمع ما كان يقوله ، فاقرب منه لهذا ، قليلا على اطراف أصابعه .

قال : « عزيزتى المديرية ، لسكى اكون صريحا معك غاية الصراحة فاننى اصرح لك باننى لم اكن اعتقد انك تخطئين الى هذا الحد فى حكمك على الاشخاص ، فلقد علمت الآن شيئا من ملاكك البريء شيئا لاشك فى انه سيقرب رايتك فيه رأسا على عقب ، ويؤسفنى ان اكون انا الذى أنهى اليك بهذا الخبر . ان هذا الصبى المدلل الذى تساندينه ، هذا المثال الرائع للفضيلة ، يندفع الى المدينة فى كل ليلة يخلو فيها من العمل ، ولا يعود الى الفندق قبل الصباح ، نعم .. نعم ، ان لدى الدليل على صدق ذلك ، وهو

دليل لا يرقى اليه الشك ، نعم ، والآن هل يمكنك ان تخبريني ، من اين له بالمال الذى ينفقه على تلك المفامرات الليلية ؟ او كيف يمكن ان نتوقع منه الالتفات الى عمله كما يجب فى هذه الحالة ؟ وهل تريد منى ان امضى فى ذكر تفاصيل ما يفعله فى المدينة ؟ ان صبيا كهذا لابد من التخلص منه بأسرع ما يمكن ، وارجو ان تعتبرى ذلك نذيرا بان تحذرى العناية بالصبيبة الذين يظهرون مثله ، فجأة من حيث لا يدري أحد ! »

صاح كارل ، وقد ارتاح لهذا الخطأ الذى تهبأ له انهم قسد وقموا فيه عندما ظنوا انه يفادر الفندق ليلا فى اوقات راحته ، ذلك لان هذا الخطأ قد يتمخض عن تقدم غير متوقع للموقف كله : « لكن ياسيدى ، لابد ان خطأ ما قد حدث ، لقد فهمت ان رئيس البوابين قد اخبرك باننى اخرج الى المدينة كل ليلة ، الا ان هذا ببساطة غير صحيح ، اننى اقضى كل ليلة فى عنبر النوم ، ويمكن ان يؤيد الصبية الآخرون جميعا كلامى هذا ، وعندما لا أكون نائما فأننى أنفق وقتى فى دراسة المعاملات التجارية ، لكننى لم اغادر عنبر النوم ليلة واحدة ، ان من السهل اثبات هذا ، ولا شك ان رئيس البوابين قد اخطأ فحسبى شخصا آخر ، وارى الآن ايضا لماذا ظن اننى امر به دون ان احبيه ! »

فصاح رئيس البوابين ، وهو يلوح بقبضته بدلا من اصبعه كما يفعل الآخرون عند التحذير ، قائلا : « هل يمكنك ان تمسك لسانك ؟! اذن فقد خلطت أنا بينك وبين شخص آخر ؟! هل فعلت ذلك حقا ؟ ! كيف لى اذن ان استمر فى عملى هنا كرئيس للبوابين ان كان لى ان اخلط بين شخص وآخر ؟ اننى أسألك يا مستر ايسبارى ، كيف يتسنى لى ان اكون رئيس البوابين هنا لو خلطت بين الناس ؟ اننى طوال مدة خدمتى التى امتدت ثلاثين عاما ، لم اخلط مطلقا بين شخص وآخر ، ويمكن ان يخبرك مئات السفرجية الذين كانوا هنا على مهدى ، بصدق ذلك ، فيبدو كما لو كان على ان اتعلم مهنتى من جديد على يدك ، ايها الصبي الحقير ! بوجهك هذا الناعم الذى لا يمكن ان يخطئه أحد ! وما شأن الخطأ ، على كل حال ، بهذا الأمر ؟ يمكنك ان تتسلل الى المدينة من وراء ظهري ، ولا يتطلب الأمر منى سوى ان انظر فى وجهك حتى اتبين انك جلف لا تصلح لشيء ! »

قال رئيس السفرجية الذى بدا ان حديثه مع المدير قد انقطع

فجأة : « كفى يا فيودور ، انه امر بالغ البساطة ، فلا يعنيها في الحقيقة كيف يمضي لياليه ، ولاشك انه يريدنا ان نقوم بمهمة التحري الشامل عن تفاصيل حياته الليلية ، قبل ان يغادرنا . يمكنني ان ادرك ان هذا يسعده جدا ، وفي وسع كل صبي من صبياننا الاربعة ان يستعرض نفسه ، لو توفرت لديه الرغبة في ذلك ، وسيقول لك بالطبع انهم قد خلطوا بينه وبين غيره ايضا ، وهكذا ، فلو حاولنا ان نقبل هذا الهراء ، لتعين علينا عندئذ ان نسحبهم جميعا واحدا واحدا كشهود ، وسيتوقف العمل بالطبع تماما في الفندق كله لبعض الوقت ، ومع انه سيطرد في نهاية الامر ، فلا بد له من ان يستمتع قليلا ، وعلى هذا فسنجاوز عن ذلك ، لقد خدع المديرة بالفعل حتى الآن ، تلك السيدة الطيبة القلب ، وسوف نوقفه عند هذا الحد . ولن استمع الى كلمة أخرى ، لقد فصلت الآن بسبب اهمالك لعملك ، وسوف اعطيك مذكرة للصراف الذي سيدفع لك اجره حتى اليوم ، ودعني اقل لك انه بعد الخطأ الذي ارتكبته اليوم ، فان موافقتي على ان تتناول اجره هو محض رحمة بك ، واننى افعل ذلك فقط ، مجاملة للمديرة ! »

وقطع حديث رئيس السفرجية ، رنين جرس التليفون مرة اخرى ، قبل ان يوقع المذكرة ، وبعد ان استمع الى الكلمات الاولى ، صاح في دهشة : « لا شيء اليوم سوى متاعب صبية المصاعد هؤلاء ! » ثم صاح بعد لحظة : « هذا ما لم نسمع به حتى الآن ! » ، واستدار بعيدا عن التليفون ، قائلا لرئيس البوابين : « ارجوك يا فيودور ، اقبض على هذا الصبي الآن ، فلدينا الكثير مما سنقوله له ! » ، ثم صاح قائلا في التليفون : « تعال في الحال ! » .

واستطاع رئيس البوابين الآن ، ان ينفس من غضبه الذي لم يكن قد اظهره شفها ، فقد قبض بذراعه اليمنى على كارل في عنف ، لكنه لم يتمكن من ان يحكم قبضته عليه ، فكان يخفف قبضته من حين لآخر ، ثم شيئا فشيئا كان يعود فيشددها على كارل بفاية القسوة ، فقد كان قويا جدا ، وبدا ضغطه على كارل وكأنه لن يتوقف ، حتى لقد غامت الاشياء امام عينيه ، وفوق ذلك فهو لم يكن يقبض فقط على ذراع كارل ، بل كان يضغط جسمه ايضا ، وكأنه قد أمر بان يفعل ذلك ، ويرفعه فوق قدميه بين الحين والآخر الى اعلى ، ويدفعه ، وهو يقول طوال الوقت في شبه

تساؤل لرئيس السفرجية : « هل يمكننى ان اخلط بينه الآن وبين
سواه ، هل يمكننى ان اخلط بينه وبين سواه الآن ؟ ! »

وقد تمكن كارل من ان يرتاح من ضسفظ رئيس البوابين على
جسده ، الى حد ما ، عندما دخل رئيس صبية المصاعد ، وهو
شاب سمين يدعى « بست » ، كان يلهث ، فلفت انتباه رئيس
البوابين لبعض الوقت ، وكان الارهاق قد نال من كارل حتى انه
لم يتمكن ، عندما حضرت تيريز لدهشته خلف الشاب ، يبدو
عليها الانهيار ، ووجهها شاحب كوجوه الموتى ، وملابسها متهدلة ،
وشعرها مصفف في اهمال ، لم يتمكن من ان يفتصب ابتسامة لها
الا بصعوبة بالغة ، وسرعان ما همست له وهى تقف الى
جواره :

— هل تعلم المدير ؟ !

فاجابها كارل : « لقد اخبرها رئيس السفرجية بالتليفون ! »
فقال فى سرعة ، وقد التهمت فيهاها : « اذن فكل شيء على
ما يرام .. كل شيء على ما يرام ! »

فقال لها كارل : « لا ، أنك لا تعرفين ما يهتموننى به ، لابد
لى من ان ارحل ، لقد اقتنعت المديرة نفسها بذلك فعلا . فارجوك
الا تبقى هنا ، اصعدى ثانية ، وسوف آتى لوداعك فيما بعد ! »

— ما الذى تعزمه ياروسمان ؟ يمكنك ان تبقى ما شاء لك
البقاء هنا . ان رئيس السفرجية يفعل ما تطلبه منه المديرة ، انه
عشيقتها ، ولقد اكتشفت ذلك بنفسى منذ وقت قصير ، فلا تخش
شيئا !

— أرجوك يا تيريز ، اذهبى من هنا ، فلا يمكننى ان ادافع عن
نفسى كما ينبغى فى اثناء وجودك هنا ، ولا بد لى من ان ادافع
عن نفسى دفاعا كاملا ، لانهم يلفقون لى الاكاذيب ، وبقدر ما يمكننى
ان اهزمهما دفاعا عن نفسى ، كلما اتسمت أمامى الفرصة للبقاء
هنا ، ولهذا يا تيريز .. لكنه عندئذ لسوء الحظ ، اضاف هذه
الكلمات لتقلص مفاجيء اصابه ، فتألم له لما بالغا ، وان كان قد
قالها فى صوت خفيض : « فقط لو يتركنى رئيس البوابين ! لم
تكن لى ادنى فكرة عن عدائه لى ، لكنه لا يكف عن ضسفظ ذراعى
وليه ! » ، وفى نفس الوقت كان يفكر قائلا فى نفسه : « لماذا أقول
ذلك ، لا يمكن الا تتأثر اى امرأة لسماع مثل هذه الشكوى ! » ،
وبالفعل ، وقبل ان يمنحها بدراعه الطليقة ، كانت تيريز قد تحولت

الى رئيس البوابين قائلة :

- أرجوك ياسيدى ، دع روسمان الآن ، انك تؤلمه ، ان المديرية سوف تصل الى هنا بنفسها ، بعد لحظة ، وسوف ترى همدئذ أن هذا كله كان مجرد خطأ ، دعه ، فما هي المتعة التى تجنيها من تعذيبه ؟ ! » ، وجذبت ذراع رئيس البوابين بالفعل ، فأجابها هذا قائلاً : « الاوامر يا فتاتى الصغيرة ، الاوامر ! » ، وجذب تيريز اليه ، بيده الطليقة فى تودد ، بينما اعتصر ذراع كارل بيده الاخرى بكل قوته ، وكأنه لم يكن يريد أن يؤذيه فحسب ، بل كانت لديه خطة معينة ، لم تكن قد أنجزت كما ينبغى بالنسبة للذراع التى كان يقبض عليها ! »

وناضلت تيريز بعضاً من الوقت لكى تخلص نفسها من احضان رئيس البوابين ، وكانت تتأهب لكى تلفت انتباه رئيس السفرجية الذى كان يواصل الاستماع الى « بست » المتباطيء ، الثرثار ، عندما دخلت المديرية بسرعة .

فصاحت تيريز : « حمدا لله ! » ، وساد السكون الحجرة للحظة ، سوى تلك الصيحة المدوية ، وقفز رئيس السفرجية ، واقفا على قدميه فى الحال ، ودفع « بست » جانبا .

- وهكذا جئت بنفسك ياسيدتى العزيزة ؟ بسبب هذا الامر ؟ ولقد كنت أخشى بعد حديثنا فى التليفون أن تأتى ، الا اننى لم أعتقد انك ستحضرين بالفعل ، ومنذ حديثنا ذاك فى التليفون تدهورت الحالة التى تساندينها اكثر فاكثراً ، وأخشى الا يكون فى وسمى ان افصله فقط ، بل قد ارسله الى السجن ايضاً ، فاستمى بنفسك الى تفاصيل الموضوع ، وأشار الى « بست » لكى يدلى بما عنده .

قالت المديرية ، وهى تجلس على مقعد اصر رئيس السفرجية على اخلائه لها : « اننى أريد أولاً أن اتحدث قليلاً مع روسمان ! » ، قالت : « اقترب منى يا كارل لو سمحت ! » ، فاقترب منها كارل ، او على الاصح ، جرجره رئيس البوابين الى مكانها .

قالت المديرية ساخطة : « اتركه ، الا تتركه ؟ انه ليس قاتلاً ، فتركه رئيس البوابين فى الحال ، لكنه قبل ان يتركه سحق ذراعه بضغطة أخيرة بغاية العنف ، حتى طفرت الدموع من عينيه هو نفسه ، تحت تأثير الجهد .

صاحت المديرية ، وهى تضع يداها المطويتان على صدرها فى

هدوء ، بينما أحنّت رأسها قائلة فى لهجة لم تكن تنم عن الاستجواب مطلقا : « كارل ؟ أريد قبل كل شيء أن أقول لك اننى مازلت أثق بك ثقة كاملة ، كما ان رئيس السفرجية هو أيضا رجل عادل ، ويمكننى أن أشهد له بذلك ، واننا نود من أعماقنا أن نستبقيك هنا ! » ، وهنا تطلعت الى رئيس السفرجية بنظرة سريعة ، كما لو كانت ترجوه الا يقطعها ، الا انه لم يفعل ، واستأنفت حديثها قائلة لكارل : « فانس لهذا كل ما قيل لك حتى الان ، وفوق كل هذا ، فلا يجب عليك ان تأخذ ماخذ الجد ما قد يكون رئيس البوابين قد قاله لك ، انه رجل سريع الهياج ، ولا يجب فى ذلك ، اذا نظرنا الى طبيعة عمله . الا ان له زوجة واطفالا أيضا ، وهو يعلم ان الصبى الذى يعول نفسه ، لا يحتاج الى مزيد من العذاب ، لان العالم كله سيتحقق من انه يشارك بمجهود ملحوظ فى أعبائه ! » .

كان السكون لا يزال يخيم على الحجرة ، ونظر رئيس البوابين الى رئيس السفرجية ، كما لو كان يتوقع منه أن يسأله ، وتطلع رئيس السفرجية الى المديرية ، وهز رأسه ، وابتسم « بست » رئيس صبية المصاعد فى سخرية بلهاء ، وهو يقف خلف ظهر رئيس السفرجية ، وكانت تيريز قد انخرطت فى البكاء بصوت غير مسموع ، وقد غلبها الاسى والفرح ، وكانت تحاول أن تخفى مشاعرها عن الآخرين !

الا ان كارل على الرغم من ان ذلك كان من الممكن تفسيره كدلالة سيئة ، لم يتطلع نحو المديرية ، التى كانت تتوقع منه بلا شك أن يفعل ذلك ، بل راح ينظر امامه نحو أرضية الحجرة ، وكانت ذراعه لا تزال تؤلمه ، وكان كم قميصه ملتصقا بالكدمات ، حتى انه كان عليه بالفصل ان يخلع جاكته لكي يتفحص تلك الكدمات . وكان ما قالته المديرية بالطبع ، شيئا بالغ المطف ، كما انه بدا له على هذا النحو بسبب الطريقة التى انتهجتها فى تناول الامر ، ولا بد ان الآخرين سيظنون أن عطفها مجرد حماقة ، وان كارل كان يحظى بصداقتها التى قامت على أسس زائفة طـووال شهرين ، وانه لهذا لم يكن يستحق شيئا اكثر من ان يقع بين يدي رئيس البوابين .

واستأنفت المديرية حديثها قائلة : « اننى أقول هذا ، حتى يمكنك ان تعطينى جوابا شافيا ، ولا شك انك ستتمكن من أن تفعل ذلك

مهما كانت الظروف ، لو كنت قد عرفت طباعك حقا ! »
قال « بست » رئيس صبية المصاعد فجأة في أدب بالغ ، لكن
في تشويش زائد في الوقت نفسه : « هل يمكنني لو سمحت أن
« اذهب ! » ، ثم تحول الى المديرية قائلا : « ان الامر يتلخص فيما
ينزف نزيفا قاتلا ! » .

قال رئيس السفرجية « بست » الذي اندفع خارجا في الحال :
« اذهب ! » ، ثم تحول الى المديرية قائلا : « ان الامر يتلخص فيما
يلي : ان رئيس البوابين لم يكن يقبض على هذا الصبي عبثا ، ففي
عنبر نوم صبية المصاعد في الطابق الاسفل ، يوجد شخص غريب
تماما ، وثمل للغاية ، ولقد اكتشفه الصبية مندسا في عناية في
أحد الاسرة في عنبر نومهم ، ولقد ايقظوه بالطبع ، وحاولوا ان
يطردوه الى خارج العنبر ، الا ان ذلك الشخص أحدث شغبًا بالغا ،
وصاح قائلا بأن الفراش الذي كان يرقد فوقه هو فراش كارل
روسمان ، وانه ضيف روسمان ، وان روسمان هو الذي ذهب به الى
هناك ، وانه سيسحق كل من يتجاسر على ان يلمسه ، وبالإضافة
الى ذلك ، فان عليه ببساطة ان ينتظر عودة كارل روسمان ، لانه
قد وعد بان يعطيه نقودا ، وانه ذهب لاحضارها ، فانتبه الى
ذلك لو تكرمت ياسيدتي العزيزة ، لقد وعد بان يعطيه نقودا ، وانه
قد ذهب لاحضارها ، وانتبه الى ذلك انت ايضا ياروسمان ! »
قال رئيس السفرجية هذا لروسمان ملتفتا اليه من فوق كتفه ،
بينما التفت كارل الى تيريز التي كانت تحقق بدورها في رئيس
السفرجية مأخوذة ، وهي تلقى بخصلة شمر من فوق جبهتها ، او
ترفع يدها بصورة آلية الى حاجبها ، لمجرد ان تفعل أى شيء :
« ولعلك لست في حاجة الى ان نذكرك بارتباطاتك ، ذلك ان الرجل
الموجود بالطابق الاسفل ، قال ايضا أنك بعد عودتك اليه سوف
تذهب بصحبته لقضاء الليلة مع إحدى المفضيات ، وهي مفضية لم
يتمكن أحد من معرفة اسمها ، وان كنت قد اقتنعت بذلك، لان الرجل
كان يرفع عقيرته بالفناء كلما خطر له خاطر الذهاب اليها ! »

وتوقف رئيس السفرجية عند هذا الحد ، ذلك ان المديرية كان
قد شحب لونها بصورة ملحوظة ، ونهضت من على مقعدها ودفعته
قليلا الى الخلف .

فقال رئيس السفرجية : « سوف اعفيك من ذكر بقية التفاصيل ! »
قالت المديرية وهي تمسك بيده : « لا .. أرجوك ، لا .. استمر

ارجوك ، لابد لى من ان اعرف كل شىء فهذا ما جئت من اجله : «
وتقدم رئيس البوابين الآن الى الامام ، وخبط بصوت مرتفع
على صدره ، اعلانا بأنه كان قد توقع كل شىء منذ البداية فى
الوقت الذى هـدأ فيه رئيس السـفرجية ، مقرا له بذلك بقوله :
« نعم ، يا فيودور ، لقد كنت على حق تماما ! » .

واستأنف رئيس السـفرجية حديثه قائلا : « لا يوجد ما يقال
اكثر من ذلك ، ولقد ضحك الصبية على عاداتهم من ذلك الرجل
فى البداية ، ثم اشتبكوا معه فى هـراك ، ولما كان يتوفر بينهم
كثيرون ممن يجيدون الملاكمة ، فقد انطرح الرجل ارضا ببساطة ،
ولم أجرؤ على ان اسأل حتى اين كان الرجل ينزف ، وفى اى
الاماكن العديدة كان نزيغه ، فلوث تلك الاماكن ، ذلك ان هؤلاء
الصبية هم ملاكمون فى غاية العنف ، ويعد رجلا سكيرا كهذا ، لعبة
طيبة فى متناول قبضاتهم ! »

وضعت المديرية يدها على ذراع المقعد ، ونظرت الى اسفل نحو
ذلك المقعد الذى كانت قد نهضت من فوقه لتوها ، ثم قالت بعد
ذلك : « اننى افهم ذلك الآن ، فارجوك ان تقول شيئا ياروسمان ! »
واندفعت تيريز عبر الحجرة ، وتشبثت بسيدتها ، وهو ما لم
يرها كارل تفعله من قبل ، وكان رئيس السـفرجية يقف خلف
المديرية ملتصقا بها ، وراح يرتب فى اناة ياقتها الصغيرة المزينة
بالدانتلة ، التى كانت قد تكرمشت على نحو ما ، وقال رئيس
البوابين الذى كان يقف بجانب كارل : « انطق ! » ، لكنه تفوه
بهذه الكلمة كـجـرد ان يطفى اللـكـمة التى كـالها له على ظهره .

قال كارل : « صحيح ! » ، فى قليل من الجـراة التى كان
ينويها ، بسبب تلك اللـكـمة : « لقد وضعت الرجل فى حـنـبر
النوم ! »

فقال رئيس البوابين موجهـا حديثه الى الحاضرين جميعا :
« هذا هو كل مانود ان نعرفه ! » ، واستدارت المديرية فى صمت
نحو رئيس السـفرجية ، ونحو تيريز .

ومضى كارل فى حديثه قائلا : « لم أستطع ان امنع نفسى ، كانت
قد سبقت لى معرفة ذلك الرجل من قبل ، ولقد حضر الى هنا
لزيارتى ، بعد غياب دام شهرين ، الا انه كان ثملا للغاية ، حتى
انه لم يتمكن من مغادرة الفندق بمفرده ، هائدا من حيث ائى ! »
قال رئيس السـفرجية الذى كان قد وقف الى جانب المديرية فى

نعومة ، كما لو كان يتحدث الى نفسه : « اذن فهو قد حضر لزيارتك ، وبعد ذلك ثمسل الى هذا الحد ، حتى لم يتمكن من مفادرة الفندق ! » ، فهمست المديرية من فوق كتفها ، بشيء الى رئيس السفرجية ، الذى بدا وكأنه سيعترض ، لكنه ابتسم لها ، ابتسامة لم تبد عليها ان لها صلة بموضوع كارل على الاطلاق ، وضغطت تيريز - ثبت كارل عينيه عليها - وجهها فى يأس تام الى جسد المديرية ، وتحاشت النظر الى أى شيء ، وكان الشخص الذى ارضاه توضيح كارل ، هو رئيس البوابين ، الذى ردد عديدا من المرات : « هذا صحيح تماما ، يجب عليك ان تساعد زميلك عندما يكون ثملا ! » ، وحاول ان يؤكد ذلك التفسير بالنظر الى الآخرين جميعا ، وتلويح يديه .

قال كارل : « اننى الملوم على هذا ! » ، وتوقف لحظة ، كما لو كان ينتظر كلمة طيبة من قضائه لتمنحه الشجاعة على اكمال دفاعه ، الا انه لم يسمع شيئا فقال : « اننى الملوم على هذا فقط لاننى اخذت الرجل الى غير النوم - انه يدعى روبنسون ، وهو ايرلندى - الا ان كل ما قاله بعد ذلك ، انما يرجع الى انه كان ثملا ، وهو غير صحيح كله ! »

فتسائل رئيس السفرجية قائلا : اذن فانت لم تصد بان تعطيه نقودا ! .

قال كارل : « نعم ! » ، فقد احس بالاسف لانه نسي ذلك فى عجلته واضطرابه ، فقد كان عازما تماما على ان يصرح بكل شيء لتبرئة نفسه : « لقد وعدته بان اعطيه نقودا ، لانه سألنى ان اعطيه شيئا منها ، لكن لم تكن لدى أدنى نية فى البحث عنها ، لاننى كنت سأعطيه فحسب المنح التى حصلت عليها الليلة ! » ، ولاثبات ذلك ، اخرج كارل النقود من جيبه ، ورفع يده بقطع العملة الصغيرة التى كانت معه .

قال رئيس السفرجية : « انك تورط نفسك اكثر فاكثر ، فلو قدر لنا ان نصدقك فعلينا ان نثناسى تماما ما قلته قبل ذلك ، فانت اولا قد اصطحبت الرجل الى غير النوم - واننى حتى لست مقتنعا بان اسمه روبنسون ، لانه لا يوجد ايرلندى بهذا الاسم منذ ان خلقت ايرلندا - اخذته اولا الى غير النوم ، ولهذا وحده ، يمكن ان نقدف بك خارجا ، لتدق عنقك خارج الفندق ، يمكننى ان اصرح لك بهذا - الا انك لم تعد بان تعطيه نقودا بالفعل ! »

ليست هذه لعبة محاوراة بالسؤال والجواب ، لان السؤال عندما طرح عليك ، اتضح انك وعدت بان تعطيه نقودا بالفعل ، ودعني اذكرك بهذا ، ويبدو انك في حاجة الى من يوضح لك طبيعة شخصيتك ، وفي البداية لم تكن لديك النية في البحث عن النقود ، لانك انتويت ان تعطيه المنح التي تلقيتها الليلة ، ثم يتضح الآن انك لاتزال تحتفظ بهذه المنح معك ، وهكذا فلا بد قد انتويت ان تحصل على مزيد من النقود لكي تعطيتها له ، وهو افتراض يدعمه غيابك الطويل . وبعد كل هذا ، فليس غريبا ان تأخذ بعض النقود من صندوقك لتعطيتها له ، الا ان ما يبدو غريبا بلا شك هو انك قد انكرت ذلك بشدة ، وانك ظلت تخفى حقيقة انك اتحت للرجل ان يشمل هنا في الفندق ، وهي حقيقة لا يمكن الشك فيها ، لانك قد صرحت انت نفسك بانه كان قد اتى بنفسه الى هنا ، ولكنه لم يتمكن من ان يغادر الفندق بمفرده ، كما انه قد اخبر كل من في غير النوم ، بانه ضيفك ، وعلى هذا فلا يبقى سوى شيئين فقط هما اللذان ينحصر فيهما الشك ، ولا يمكن تقريرهما بكل دقة دون معونتك ، أولهما : كيف تمكنت من ان تدخل المخازن ، وثانيهما : كيف وصلت يدك الى المال الكافي ، حتى توزعه على الغير ؟ » .

قال كارل في نفسه : « من المستحيل ان يدافع المرء من نفسه حيث لا تتوفر النية الحسنة ! » ، ولم يجر جوابا بعد ذلك ، على أسئلة رئيس السفرجية ، وقد آلم هذا تيريز أشد الألم ، وقد بدا هذا واضحا عليها ، كان كارل يعلم ان كل ما يمكنه ان يقوله يبدو مختلفا غاية الاختلاف في نظر الآخرين ، وسواء كان هذا حسنا ، أو سيئا ، فان النتائج التي يمكن استخلاصها من تصرفاته تعتمد أولا وأخيرا على أسلوب محاكمته .

قالت المديرية : « انه لا يرد ؟ ! »

فقال رئيس السفرجية : « ان هذا هو افضل ما يمكنه ان يفعله ! »

وقال رئيس البوابين : « سوف يفكر في الحال في شيء آخر يقوله ! » ، بينما راح يداعب شاربه بيد بدت حانية الآن ، مع أنها كانت قبل قليل في غاية العنف .

قالت المديرية لتيريز : « اهدئي ! » ، وكانت تيريز قد بدأت تنهنه ، وهي تقف الى جوارها : « انك ترين انه لا يجد شيئا يرد به على ما يوجه اليه من أسئلة ، فكيف يمكنني في هذه الحالة ان

افعل له اى شىء ؟ » ، وفوق هذا ، فلقد كنت انا التى اخطأت فى رأى رئيس السفرجية ، فاخبرينى يا تيريز ، اترين شيئا قد قصرت فى ادائه ، بينما فى مقدورى ان افعله من اجله ؟ »
كيف يتسنى لتيريز ان تعرف ذلك ، وما هو الهدف الذى يدفعها الى التسليم الى هذا الحد فى وجود هذين الرجلين بهذا السؤال العام ، وبدعوتها الفتاة الى ان تسلم هى ايضا ؟ ! » .

قال كارل متمالكا نفسه مرة اخرى : « مدام ! » ، دون اى غرض ، سوى مجرد ان يعفى تيريز من عناء الرد : « أعتقد اننى لم اسبب لك اى خزي ، ولو ان بحثا دقيقا قد قام ، فان كل شخص آخر سوف يوافقنى على كل ما قلته ! » .
قال رئيس البوابين : « كل شخص اخر ! » ، وهو يسدد اصبعه نحو رئيس السفرجية : « ان هذا يعنيتك يا مستر ايسبارى ! » .

قال مستر ايسبارى : « والآن ياسيدتى ، انها السادسة والنصف ، ولقد استغرقنا هذا الامر وقتا طويلا ، وأعتقد ان عليك ان تتركى لى الكلمة الاخيرة فى هذا الموضوع الذى هالجناه بكثير جدا من الصبر ! » .

ودخل جياكومو الصغير ، متجها نحو كارل ، لكنه وقد ارتاع للصمت المطبق ، توقف ، وانتظر .

ولم تكن المديرية قد رفعت عينها عن كارل ، منذ آخر كلمة تفوه بها ، كما لم يكن هناك اى دليل يدل على انها قد سمعت ملاحظة رئيس السفرجية ، كانت عيناها مثبتتين مباشرة على كارل ، وقد كانتا واسعتين وزرقاوين ، لكنهما كانتا كابيتين الى حد ما بفعل السنين ، والاحداث ، وبينما كانت تقف هناك وهى تدفع المقعد فى رقة امامها ، كانت تبدو كما لو كانت على وشك ان تقول فى اللحظة التالية : « حسنا يا كارل ، اننى عندما اتمعن فى الامر ، يبدو لى ان هذه المشكلة لم تتضح كما ينبغى لها الوضوح ، وهى تحتاج كما قلت انت بحق ، الى بحث كامل لكل دقائقها ، وسوف نشرع فى ذلك البحث الآن ، سواء وافق الجميع على ذلك ، او اعترضوا ، ذلك ان العدالة يجب ان تأخذ مجراها » .

الا ان المديرية قد قالت بدلا من ذلك بعد لحظة قصيرة من الصمت ، لم يجرؤ احد على ان ينتهكها ، كما ان الساعة دقت لحظتها معلنة السادسة والنصف تأكيدا لقول رئيس السفرجية ،

وبما لها ، كما يعرف ان جميع ، دقت كل الساعات الاخرى في
الفندق باكملة ، ورنّت دقاتها في الاسماع كالندير ، كضربة متضاعفة
كوقع الجزع البالغ : « لا يا كارل ، لا .. لا .. اننا لن نستمع
الى شيء أكثر مما استمعنا إليه حتى الآن ، ان الامور عندما تكون
على حق ، فانها تبدو كذلك منذ الوهلة الاولى ، وعلى ان اعترف
بان ملابس حالتك ، لا تبدو كذلك ، ان لى ان اقول ذلك ،
وعلى ان اقله ، على ان اعترف بذلك ، لاني كنت انا التي
حضرت الى هنا منحازة الى صفك انحيازا تاما ، وهانت ترى
ان تيريز تلتزم الصمت هي أيضا ! » الا انها لم تكن صامتة ،
كانت تبكي .

وتوقفت المديرية ، وكأنها قد انتهت فجأة الى قرار وقالت :
« كارل ، تقدم الى هنا » ، وعندما تقدم نحوها ، بدأ رئيس
السفرجية ، ورئيس البوابين في الحال حديثا نشطا خلف ظهره ،
وضعت ذراعها اليسرى حوله ، وقادته ، وتبعتهما تيريز المستسلمة ،
الى الجانب الآخر من الحجرة ، « والا فاني في الحقيقة لا اعرف
ماذا سأعرف بشائك ، ان بحثا ربما أمكنه ان يبرر موقفك ، في
بعض النقاط الصغيرة المنفصلة ، ولماذا لا يحدث ذلك ؟ ! » ،
وربما كنت قد قمت بتحيةة رئيس البوابين ، اننى احس دون شك
بانك قد فعلت ، كما ان لى رأيي الخاص في رئيس البوابين ، وها
أنت ترى اننى ما زلت في غاية الصراحة معك . الا ان هذه التبريرات
لن تساعدك مطلقا في شيء . وان رئيس السفرجية الذي تعلمت
طوال السنين ان اقدر حكمه على الناس ، والذي هو أكثر من
عرفتهم من الرجال استحقاقا للثقة ، قد أعلن في وضوح انك
مذنب ، ويجب على ان اقول ان حكمه يبدو لى غير قابل للانكار ،
وربما كنت قد تصرفت بلا تفكير ، لكن لعلك أيضا ، لست الصبي
الذي كنت اظنه ، الا ان .. ! » وبهذا قطعت حديثها ، والقت
نظرة عابرة من فوق كتفها الى الرجلين : « اننى لا يمكننى ان اواصل
الاعتقاد بانك صبي نبيل في جوهرك ! » .

قال رئيس السفرجية محذرا : « مدام ، مدام ! » ، لانه كان
قد لمح نظرتها اليهما .

قالت المديرية : « سوف ننتهى في خلال دقيقة واحدة ! » ،
وشرعت في انذار كارل في سرعة أكثر : « استمع الى يا كارل ، اننى
من خلال ما أمكننى ان استنتجه من هذا الامر ، فاني راضية

بالفعل لان رئيس السفرجية لا يريد أن يبدأ بحثا في مشكلتك ، لانه لو كان له أن يفعل ، لكان على أن أمنعه لصالحك ، فلا يجب أن يعلم أحد كيف ولا من أين حصلت على الشراب لذلك الرجل الذى لا يمكن أن يكون أحد صديقيك القديمين ، كما أعلنت ، لانك كنت قد اشتبكت في عراك عنيف معهما عندما تركتهما ، وعلى هذا فلا يمكن أن تكون على علاقة طيبة الى هذا الحد باى منهما الآن ،

وعلى هذا فلا بد أن تكون الصداقة قد ربطتك بهذا الرجل ذات ليلة في أحد أوكار الشراب في المدينة ، فكيف أمكنك أن تخفى هذه الامور عنى يا كارل ؟ ! فلو كنت حقيقة ، لا تحصل هدير النوم ، وشرعت في التجول هنا وهناك ليلا لأسباب غير بريئة كهذه الأسباب ، فلماذا لم تذكر كلمة واحدة عن ذلك ؟ أنك تعلم اننى قد رغبت فى ان اخصص لك حجرة خاصة بك ، واننى عدلت عن الفكرة فقط بناء على رغبتك ، ويبدو لى الآن أنك قد فضلت هدير النوم العمومى ، لانك احسست بأنك تتمتع بحرية أكثر هناك ، كما أنك دائما تضع نقودك معى ، وتسلمنى المنع التى تحصل عليها كل اسبوع ، فمن أين بحق السماء ، حصلت أبها الصبى على النقود لهذه الجولات ، ومن أين كنت تنوى أن تحصل على النقود

لصديقك ؟ وبالطبع هذه أمور لايمكننى أن اذكرها لرئيس السفرجية الآن على الاقل ، والا فان التحريات في هذه الحالة ، قد لايمكن تجنبها ، وعلى هذا فعليك ان تغادر الفندق ببساطة ، وبأسرع ما يمكن أيضا ، اذهب رأسا الى « بنسيون برينر » - ولقد ذهبت اليه بالفعل بصحبة تيريز ، عديدا من المرات من قبل - وسوف يستقبلونك في الحال بلا مقابل ، اذا أطلعهم على هذه البطاقة « ،

وكتبت بضعة سطور فوق بطاقة بقلم من الذهب ، انتزعته من داخل بلوزتها ، لكن بدون أن تقطع اتصال حديثها - وسوف ارسل صندوقك خلفك في الحال ! اذهبى يا تيريز بسرعة الى حجرة امانات صبية المصاعد ، واحضرى صندوقه ، الا ان تيريز لم تأت بآية حركة ، لانها بعدد ان كابدت كل ذلك الاسى ، رغبت أيضا في أن تشارك الى النهاية هذه المرة في الاستمتاع بالحظ الحسن الذى شاء أن يكون من حسن طالع كارل ، وشكرا لمطف المديرة ! «

وفتح شخص ما الباب قليلا ، دون أن يظهر من خلاله ، واغلقه ثانية في الحال ، ولا بد انه كان شخصا قد أتى ليستمجّل جياكومو

فقد تقدم جياكومو الى الامام قائلا : « روسمان ، اريد ان اتحدث معك ! »

قالت المديرية : « بعد لحظة ! » ودست البطاقة في جيب كارل ، بينما كان يستمع وهو واقف براسه المحنية الى اسفل : « وسوف احتفظ الان بنقودك ، انت تعلم انها في امان بين يدي ، فابق اليوم في غرفتك هناك ، وتدبر وضعك ، وفدا - فليس لدى وقت اليوم ، ولقد احتجرت الان وقتا طويلا للغاية هنا ايضا - سوف احضر اليك في بنسيون بريتر ، وسوف نرى ما يمكن ان نفعله من اجلك بعد هذا ، اننى لن اخلى عنك ، ويجب ان تعلم هذا جيدا الان ، ولست في حاجة الى ان تشغل ذهنك بامر مستقبلك لكنك في حاجة الى ان تتفحص وضعك خلال تلك الاسابيع القليلة الماضية ، وربتت على كتفه ، ثم مضت نحو رئيس السفرجية ! ورفع كارل راسه ، وحقق خلف المراة الطويلة الهيئة ، بينما كانت تبعد عنه بخطواتها الخفيفة ، وسلوكها الواضح .

قالت تيريز التي بقيت الى جانبه : « حسنا ، الست مسرورا ، لان كل شيء قد انتهى ، هذه النهاية الحسنة ! » .

قال كارل : « آه .. بالطبع ، وابتنسم لها ، الا انه لم يفهم كيف يمكنه ان يكون مسرورا ، لانه قد فصل من عمله كلص ، وشعنت عينا تيريز بالفرح الخالص ، كما لو لم يكن يهم مطلقا ، ان كان كارل قد ارتكب جريمة اولا ، ويستوى كذلك ان كان قد حوكم محاكمة عادلة او ظالمة ، ما دام قد اتبع له فقط ان يهرب خجلا ، او فخورا ، ولقد كانت تيريز هي التي تسلك نحوه هذا السلوك ، تيريز تلك المتشككة غاية التشكك في كل شيء يتعلق بها ، فتقلبه في راسها ، وتتفحص لعدة اسابيع اية كلمة تحتل الشك ، قد تقولها المديرية ، وفي تصميم حازم قال : « هل سترتبين اشياى في الصندوق ، وترسلينه الى في الحال ؟ » ، وكان عليه على الرغم منه ان يهز راسه في دهشة ، فما اسرع ان التقطت تيريز التضمينات التي توهمت ان سؤاله لها يتضمنها ، وفي اقتناعها بوجود اشياء في ذلك الصندوق ، لا يجب ان يراها اى شخص ، لم تضع لهذا وقتا ولو لمجرد ان تنظر الى كارل ، او حتى تشد على يده ، لكنها همست فقط : « بلا شك ، يا كارل ، في الحال ، سوف ارتب الصندوق في هذه اللحظة ذاتها ! » ، واختفت !

الا ان جياكومو لم يستطع الآن ان يمنع نفسه اكثر من ذلك ،
وفي اضطرابه لطول انتظاره ، صاح قائلا : « روسمان ، ان الرجل
قد اثار مشاجرة في الممر ، ورفض الخروج من الفندق ! » ، انهم
يريدون ان يذهبوا به الى المستشفى ، الا انه يعترض على ذلك ،
ويقول انك لن تدعهم يأخذونه اليها ، انه يقول ان علينا ان نحضر
تاكسيا ، نقله الى البيت ، وانك ستدفع اجر التاكسي ، فهل
ستدفعه ؟ ! » .

قال رئيس السفرجية : « يبدو ان الرجل يعول عليك كثيرا ! »
فهز كارل كتفيه ، واحصى نقوده في كف جياكومو قائلا . « هذا هو
كل ما معي ! » .

قال جياكومو ، وهو يشخّش بالنقود : « ان على ان أسأل
ايضا ان كنت ستستقل التاكسي معه ؟ ! » .

ف قالت المديرية : « لا ، انه لن يذهب ! »
فقال رئيس السفرجية مسرعا ، دون ان ينتظر حتى يفادر
جياكومو الحجرة :

— حسنا يا روسمان ، لقد فصلت الآن من هنا ! وأطرق رئيس
البوابين برأيه عدة مرات كما لو كانت تلك الكلمات كلماته هو ،
وليس رئيس السفرجية سوى الناطق بلسانه : « ان أسباب
فصلك هي أسباب لايمكنني ان اعلنها على الملأ ، لانني في تلك الحالة
ساُضطر الى ان ارسلك الى السجن ! » ، ونظر رئيس البوابين
في وحشية شديدة نحو المديرية ، لانه كان يعلم تماما انها كانت
هي السبب في تلك المعاملة البسافة الرقة : « والان اذهب الى
بست ، وابدل ملابسك وسلم الى « بست » زيك هذا الذي ترتديه
وغادر الفندق في الحال ، غادره في الحال ! » .

واغلقت المديرية عينيه ، وكأنها قد رغبت بذلك ان تؤكد لكارل
ما قاله رئيس السفرجية ، وعندما انحنى ، وهم بالخروج من
الحجرة ، رأى رئيس السفرجية ، ممسكا بيد المديرية وقد راح
يتحسسها مداعبا اياها خلسة ، وأوصل رئيس البوابين كارل الى
باب الحجرة بخطوات ثقيلة ، ولم يدعه يخلق بابها خلفه ، بل ابقاه
مفتوحا ، لكي يصيح خلفه قائلا : « في خلال ربع دقيقة ، يجب
عليك ان تمر بمكتبي ، وان تفادر الفندق ، عن طريق البساب
العمومي ، فلتبه الى هذا ! » .

واسرع كارل بأقصى سرعته ، لكي يتجنب أى تكدير عند رحيله ،

الا ان كل شيء سار على نحو اكثر بطئا مما رغب ، فلم يجد يست
اولا ، وفي هذا الوقت ، وقت تناول الافطار كان الفندق يمتلئ
بحشود هائلة من الناس ، ثم ظهر ان صبيا آخر كان قد استمار
بنطلون كارل القديم ، وكان على كارل ان يفتش كل شئامات
الملابس التي بجوار كل السرر تقريبا قبل ان يمر على بنطلونه ،
وعلى هذا فقد انقضت خمس دقائق على الاقل ، قبل ان يبلغ
الباب العمومي . وامامه مباشرة كانت احدى السيدات تسير في
رفقة اربعة رجال ، واتجهوا جميعا نحو سيارة كبيرة كانت في
انتظارهم ، وكان احد الخدم يفتح الباب بينما فرد ذراعه الطليقة
جانبا ، في محاذاة كتفه على امتدادها ، وقد بدا ذلك وضعا بالغ
التأثير ، الا ان رغبة كارل في ان يفادر الفندق دون ان يلحظه احد
خلف هذه المجموعة الراقية من النزلاء راحت عشا ، ذلك ان رئيس
البوابين قد أمسكه من ذراعه ، وسحبته الى الخلف من وسط
اثنين من السادة ، بعد ان وجه اليهما كلمة اعتذار .

تساءل قائلا وهو ينظر شزرا الى كارل ، كما لو كان يتمحس
ساعة غير مضبوطة :

— هل تعتبر هذه المدة ربع دقيقة ؟ ! تعال هنا . اضاف هذا
وهو يدفعه نحو مكتب رئيس البوابين الواسع الذي كان كارل
متشوقا في وقت من الاوقات شوقا زائدا الى ان يتفحصه ،
الا انه قد شمل ذلك المكتب الذي دفعه الرجل الى داخله دفعا بنظرة
ارتباب ، وخلف الباب مباشرة ، تملص ، وحاول ان يدفع رئيس
البوابين بعيدا ، ويهرب .

قال رئيس البوابين : « لا .. لا .. الى هنا ، الى الداخل ! »
وهو يدفعه ثانية الى داخل الحجرة .

قال كارل : « ولكنني قد طردت ! » ، وهو يعني بذلك ان
احدا في الفندق ، لا حق له الآن في ان يصدر اليه اى اوامر .

فقال رئيس البوابين : « طالما اننى اقبض عليك ، فانك لم تطرد
بعد ! » ، وكان ما قاله حقا بالفعل وبلاضافة الى ذلك ، فان
كارل لم يجد سببا فعليا لمقاومة رئيس البوابين ، فما الذي
عساه ان يحدث له في نهاية الامر ، اكثر مما قد حدث له
بالفعل ؟ كما ان جدران المكتب ، كانت ايضا تتألف من الواح
هائلة من الزجاج ، يمكنك من خلالها ان ترى تيسارات الداخلين
والخارجين من النزلاء في البهو ، بغاية الوضوح ، كما لو كنت تقف

بينهم . نعم ، كان يبدو ، وكأنه لا يوجد بالحجرة كلها أى زوايا أو أركان يمكن أن يختفى فيها كارل عن أعين هؤلاء الناس ، ولا يهتم مدى السرعة التى كانوا يندفعون بها فى حركتهم خارج تلك الحجرة ، حيث كانوا يحملون أمتعتهم فوق رؤوسهم بأذرعهم الممدودة الى أعلى ، ورؤوسهم المحنية ، وعيونهم المعلقة . بهذه الصورة ، كانوا يشقون طريقهم . وكان كل منهم لا يتمكن من أن يلقى نظرة الا بصعوبة داخل حجرة رئيس البوابين ، ذلك ان الاعلانات والاخبار كانت معلقة كلها خلف الألواح الزجاجية ، تلك الاعلانات والاخبار التى كانت تهم نزلاء الفندق وموظفيه معا . وقد كان البهو ، ومكتب رئيس البوابين بالإضافة الى ذلك على اتصال مباشر ببعضهما ذلك ان اثنين من مساعدي رئيس البوابين ، كانا يجلسان الى نافذتين هائلتين متحركتين ، وكانا مشغولين دائما فى توجيه المعلومات فى كافة الموضوعات ، كان هذان الرجلان مثقلين حقا بالعمل ، وقد استطاع كارل أن يدرك ببصيرة نافذة ، ان رئيس البوابين كان قد اخترع تلك الحيلة ، على سبيل ترقية نفسه ، فان هذان الرجلان اللذان يقومان بالرد على الاستفسارات - من الخارج لم يكن يسعك فى الحقيقة أن تتصور كيف كان يجرى عملهما - يتحدثان فى نفس الوقت الى عشرة وجوه متسائلة أمام كل منهما على الأقل ، ومن هؤلاء العشرة ، الذين كانوا يتغيرون باستمرار ، كانت ترتفع دائما ضجة مكونة من خليط مختلف من اللهجات ، كما لو كان كل منهم مبعوثا من دولة مختلفة ، وكان يوجد دائما عدد كبير منهم يستفسرون فى وقت واحد عن أشياء مختلفة ، بينما كان آخرون يتناقشون أيضا مع بعضهم البعض ، وكان أكثرهم يريدون أن يودعوا شيئا فى مكتب رئيس البوابين ، أو يستردوا منه ودائع كانوا قد أودعوها فيه ، ولهذا كنت ترى حركات الأيدي المتشابكة فى حركة عنيفة ، وهى ترتفع من وسط الجمع ، أو رجلا لا يطيق صبرا فيتفحص جريدة كانت تنفرد فى الهواء للحظة ، وهى تصفع الوجوه ، كل هذا كان على مساعدي رئيس البوابين أن يتحملاه ، لم يكن مجرد الكلام كافيا لاداء عملهما . كانا يثرثران ، وكان أحدهما ، بصفة خاصة ، وهو رجل حزين ، له لحية داكنة ، تكاد تخفى كل وجهه ، كان يوزع المعلومات ، ويرد على الاستفسارات دون أن يتوقف لالتقاط أنفاسه ولم يكن لينظر الى المكتب حيث كان يسلم - بلا توقف - عديدا من الأشياء الى أصحابها خارج النافذة ، ولا كان ينظر فى وجوه

المتسائلين ، بل ينظر امامه مباشرة ، نظرة لا تحيد ، لكي يقتصد في مجهوده على الاغلب ، ويحتفظ بقواه ، وكانت لحبته أحيانا ما تشارك في توضيح ردوده ، وفي اثناء الفترة القصيرة التي قضاها كارل بداخل تلك الحجرة ، استطاع ان يتبين الى حد ما بعضا مما كان يقال ، بقدر ما أمكنه ذلك ، على الرغم من غموض الاساليب المختلفة لنطق اللغة الانجليزية ، وكان القليل مما سمعه ايضا قد سمعه ببعض اللغات الأجنبية التي كانت تتطلبها اللحظة ، وكان الاضطراب بالاضافة الى ذلك هو السبب في ان الجواب على اي سؤال من تلك الاسئلة كان ينطلق في سرعة بالغة في اعقاب الجواب الآخر ، حتى انه لم يكن من السهل تمييز تلك الاجابة من غيرها ، ولهذا كان السائل يستمع في انتباه شديد ، معتقدا ان اجابة سؤاله لم تكن قد انتهت بعد ، دون ان يتمكن من ان يدرك في اللحظة المناسبة ان اجابة سؤاله كانت قد انتهت . وكان عليك ان تعتاد على ما اعتاده مساعدا رئيس البوابين هذان في عدم طلبهما من الجمهور اعادة اي سؤال ، حتى ولو كان غامضا في نصه ، طالما كان من الممكن الاحساس بالمقصود منه عامة ، وعندئذ كان المساعد يأتي بحركة من راسه لا تكاد تبين ، معلنا بها انه لن يجيب على هذا السؤال بصيغته الراهنة ، وان من شأن السائل ان يكتشف وجه النقص في السؤال ، وان يعيد السؤال مرة اخرى في صورة اكثر دقة . وكان هذا يتسبب في تعطيل كثير من الناس لوقت طويل امام نافذة الاستعلامات . وكان لكل من المساعدين هذين صبي صغير يعمل كساع خاص لمساعدته ، كان عليه ان يندفع هنا وهناك ليحضر من خزانة ما ، شيئا يحتاجه المساعد ، ويبحث كذلك من الطلبات في عدد من مختلف الدواليب الاخرى . كانت هذه الوظيفة من أكبر الوظائف اجرا ، وان كانت ايضا من أشد الوظائف التي يحصل عليها صبية الفندق ارهاقا في العمل ، وكان الصبية يجهدون أنفسهم الى حد كبير في تلك الوظيفة ويتكفون جهدا يتفوق كثيرا على جهد المساعدين اللذين لم يكن عليهما سوى ان يفكروا ويتحدا بينما كان على الصبية ان يفكروا ، وان يهرولوا هنا وهناك لاحضار الطلبات في وقت معا . فلو حدث ان احضر احدهم شيئا غير ما طلب منه احضاره ، فان المساعد كان يضطر الى ان يلقي عليه محاضرة طويلة ، وبلطشية خفيفة من يده كان يطوح بالشئ الذي احضره الصبي أرضا ، بعد ان يضمه الصبي على

الطاولة التي امام نافذة الاستعلامات . وكان تغيير نوبات عمل هؤلاء المساعدين امرا شائقا ، وقد حدث بعد فترة قصيرة من دخول كارل الى تلك الحجرة . وكانت تلك التغييرات تحدث كثيرا في خلال نوبات عمل النهار على الاقل ، لانه ربما لا يتسنى لاي رجل في هذه الدنيا ان يحتمل البقاء امام طاولة نافذة الاستعلامات تلك اكثر من ساعة . وعند حلول لحظة الراحة يدق جرس ما ، فيظهر في الحال من خلال احد الابواب الجانبية ، المساعدان اللذان حل دورهما الآن في العمل ، يتبع كل منهما الصبي المكلف بمساعدته فيجلسان عندئذ في تكاسل الى النافذتين ، ويتأملان الناس الذين يقفون خارج النافذتين للحظة ، حتى يمكنهما ان يكتشفا على وجه الدقة نوع الاسئلة التي عليهما ان يجيبا عنها . وعندما تبدو اللحظة مناسبة للاستفسار ، كان القادم الجديد يربت على كتف المساعد الذي عليه ان يرد على اسئلته ، فيجيبه في الحال ، على الرغم من انه لا يكون قدلقى مجرد نظرة الى ما كان يجري خلف ظهره ، ويفادر السائل مكانه ، ويحدث هذا كله بغاية السرعة لدهشة الناس الذين يقفون في الخارج ، هؤلاء الذين كانوا ينزعجون عندما يفاجأون بشخص آخر غريب امامهم فجأة . اما الرجلان اللذان تكون قد حلت نوبة راحتتهما من العمل ، فانهما يمددان جسديهما ثم يصبان الماء فوق راسيهما الملتهبين عند حوضين من احواض الفسيل اعدا لهما ، لكن لا يكون للصبيين اللذين يساعدانها ان يتمددا مثلهما على الفور ، لانهما يكونان مشغولين لبعض الوقت في التقاط الاشياء المتناثرة ، المختلفة التي تنثرت في خلال نوبة عملهما ، واعادتها الى مكانها السابق .

راقب كارل هذا كله بانتباه شديد ، عن قرب ، في خلال بضع دقائق ، ثم اصابه بعد ذلك صراع خفيف فتبع في هدوء ، رئيس البوابين الذي قاده الى داخل الحجرة ، وكان رئيس البوابين قد لاحظ في وضوح ، التأثير العميق الذي تركه اسلوب ذلك العمل ، في الرد على استفسارات النزلاء ، فقد لوح بذراعه فجأة قائلا :

— هذه هي الطريقة التي يسير عاينها العمل هنا كما ترى ! ولم يكن كارل بلا شك عاطلا في الفندق ، الا انه لم تكن لديه فكرة من هذا العمل ، وتطلع امامه ، وقد نسي تماما ان رئيس البوابين كان عدوه اللدود ، واطرق في اعجاب صامت ، فبدا هذا مرة اخرى الرئيس البوابين تقديرا زائدا للمساعدين ، وتهيأ له ان في

هذا شيء من التقليل من قدره ، فصاح دون ان يحفل بان الجميع كانوا يسمعون ، محاولا على ما يبدو ان يستغل سداجة كارل .
- ان العمل هنا هو بالطبع اكثر الاعمال غباء في الفندق بأكمله ، ولا تحتاج لكى تقوم بهذا العمل سوى ان تستمع لمدة ساعة ، لكى تعلم تماما كل الاسئلة التى يمكن ان توجه اليك ، اما ما عدا ذلك من الاسئلة فليس عليك ان ترد عليها مطلقا . ولو لم تكن بمثل تلك الوقاحة ، وسوء الطبع ، ولو لم تكذب ، وتكاسل ، وتعربد ، وتسرق ، فربما كنت وضعتك امام احدى هذه النوافذ ، بما انها وظيفة تناسب ذوي الرءوس الصماء ! وتجاهل كارل الاهانة التى وجهها اليه رئيس البوابين ، فلقد كان الاخير فى حالة من السخط ، بدا له فيها العمل الشاق ، الشريف الذى كان يقوم به المساعدان ، شيئا يمكن الاستهانة به ، والسخرية منه ، مع انه - هو الذى يسخر من هذا العمل - لو خطر له ان يجازف بالجلوس الى احد هاتين النافذتين ، فسوف يكون هدفا للسخرية فى خلال دقائق قليلة ، ولتعين عليه ان يترك هذا العمل فى الحال لمجزه من احتماله .

قال كارل ، وكان اهتمامه بمكتب رئيس البوابين قد اشبع الآن للغاية :
- دعنى ، فليست ارفع فى ان يربطنى بك أى شيء ، اكثر من ذلك !

فقال رئيس البوابين ، وهو يسحق ذراع كارل ، حتى تخذلت ، وهو يجره الى الطرف الآخر من المكتب ، فهل تمكن الناس الذين فى الخارج ان يروا هذا التهديد ، ولو كانوا قد لمحوه ، فماذا كان ظنهم بما قد يترتب عليه ، طالما ان احدا منهم لم يعترض على ذلك ، ولا دق آخر على الزجاج ، لكى يلفت نظر رئيس البوابين الى انه يرقبه ، وانه ليس له - امام كل هؤلاء الناس - ان يعامل كارل كما يحلو له ؟ الا ان كارل سرعان ما فقد الامل فى تلقى أية معونة من هؤلاء الناس الذين يملأون ذلك البهو . فقد جذب رئيس البوابين احد الحبال ، فسقطت فى الحال فوق الألواح الزجاجية التى تغطى احد جوانب حجرة المكتب ستائر سوداء ، كانت تمتد من السقف الى الارض ، بسرعة البرق . وفى هذا الجانب من المكتب كان يوجد ايضا بعض الناس ، الا انهم كانوا مشغولين بعملهم ، بأقصى سرعة ، فلم يكن يهمهم ان يروا او يسموا أى

شيء لا يتعلق بعملهم . وكانوا هم أيضا يتبعون مباشرة رئيس البوابين ، ولهذا كانوا على استعداد لاختفاء أى شيء ينوى رئيس البوابين أن يفعله . لقد كان هناك ستة من البوابين المساعدين يجلسون الى ستة تليفونات ، وكان نظام عملهم يتضح من النظرة الأولى ، فقد كان واحد من كل اثنين ، يدون المحادثات ، ويمطى هذه المذكرات لزميله الذى يرسلها عن طريق تليفون آخر ، وكانت أجهزة التليفونات حديثة الطراز ، فلم تكن تلك الاجهزة فى حاجة الى صناديق ، ذلك لان رنين جرس التليفون لم يكن يرتفع عن مجرد اللدبة ، وكان مجرد الهمس فى «المرسل» يتضخم بواسطة أجهزة كهربائية ، حتى يبلغ الطرف الآخر من الخط التليفونى فى صوت كقصف الرعد ، ولهذا السبب لم يكن المرء يكاد يسمع اصوات الرجال الثلاثة الذين كانوا يتحدثون فى التليفونات ، وربما ظن المرء انهم كانوا يهمسون لانفسهم فى المرسل ، بالحديث عن تفاصيل بعض الاحداث ، بينما كان الثلاثة الآخرون صامتين ، وكأنما أسكتهم الصوت القاصف الذى كان يصلهم عن طريق السماعات التى كانوا يضعونها على آذانهم ، على الرغم من أن أحدا سواهم لم يكن يسمع تلك الاصوات الراحدة مطلقا ، وكانوا مطرقين بروءوسهم على الأوراق التى كانوا يدونون عليها ملاحظاتهم . وكان ثمة صبي يعمل كمساعد ، هنا أيضا ، لكل من الرجال الثلاثة الذين كانوا يهمسون فى التليفونات ، ولم يكن هؤلاء الصبية الثلاثة يفعلون شيئا سوى أن يحنوا بالتناوب رءوسهم نحو رؤسائهم الثلاثة فى وضع تسمع لما قد يقولونه لهم ، ثم يتحولون فى الحال الى البحث - كما لو كانوا قد لدغوا لمجرد سماعهم بالوامر الموجهة اليهم - عن أرقام بعض التليفونات فى دفاتر ضخمة صفراء ، وكانت خشخشة تلك السكتل من الأوراق الكثيرة ، تكتم فى سهولة أى صوت يصدر عن تلك التليفونات .

لم يستطع كارل ان يمنع نفسه عن مراقبة هذا كله ، على الرغم من أن رئيس البوابين الذى كان قد جلس الآن ، ظل ممسكا بتلابيبه ، وكأنه يحتضنه .

قال رئيس البوابين ، وهو يهز كارل ، وكأنه يريد منه فقط أن يدير وجهه ناحيته لى ينتبه الى ما سوف يقوله : « انه واجبى ، فلو ان رئيس السفرجية أهمل فى ملاحظة أنجاز أى شيء ، لاي سبب من الاسباب ، مغللا اهماله ، بانشغاله فى المشاركة فى ادارة

الفندق ، فأننى أقوم بالاشراف على انجازه بأقصى ما يسعنى من الاهتمام ، اننا نبذل أقصى جهدنا ، لكى نساعد بعضنا بعضا ، قلو لم يطرد سير العمل على هذا النحو ، فليس من الممكن أن يتصور المرء كيف تنسجم هذه الهيئة الهائلة التى تعمل فى انحاء الفندق كله ، وقد تقول اننى لست رئيسك المباشر ، حسنا ، وانا أقول لك بدورى انه يتساوى لدى ان اضطلع بعملى أو بأى أعمال أخرى قد يهملها الآخرون ، وبالإضافة الى ذلك ، فأننى كرئيس للبوابين ، أعد بصورة ما ، أهم من أى شخص آخر هنا ، لأننى المكلف بحراسة جميع ابواب الفندق ، هذا الباب العمومى ، والابواب الوسطى الثلاثة ، ولا داعى لذكر باقى الابواب الأخرى التى لا حصر لها ، والفتحات التى لا ابواب لها ، وبالطبع يتعين على جميع أفراد طاقم الخدمة الذين يصلهم عملهم بى ، أن يطيعوا أوامرى ، طاعة تامة . ولى بالإضافة الى هذا أيضا تصريح من إدارة الفندق ، ألا ادع أى شخص - بشر مظهره أدنى رتبة - يخرج من باب الفندق ، واثك بالتحديد ، الشخص الذى يشتر ارتياحى ، والذى يبدو مريباً للغاية بصفة عامة . كان فرحا جدا بنفسه ، حتى لقد رفع يده ، ونزل بها فى خبطة موجهة على كارل ، وأضاف قائلا : « وقد بلغ به الفرح بنفسه حدا حسب نفسه معه ملكا من الملوك » من المستحيل أن تخرج من الفندق ، عن طريق أى باب من الابواب الأخرى ، وأننى لم اكلف نفسى بالطبع مشقة اصدار اية أوامر بخصوصك ، وحيث انك الآن أمامى هنا ، فسوف أصفى كل حسابى معك ، اننى لم أشك مطلقا فى انك ستحرص على لقائنا هنا عند الباب العمومى ، فمن القواعد الثابتة ان الأشخاص الوقحين ، المشاغبيين ، يبدون فى ثوب الفضيلة عندما يتضح لهم أنهم على وشك أن يواجهوا نتائج أعمالهم ، ولا شك انك ستتمكن من ملاحظة ذلك ، ملاحظة كافية ، من خلال تجربتك الشخصية ! »

قال كارل ، وهو يستنشق الرائحة الفريية المثيرة ، التى كانت تفوح من رئيس البوابين ، والتى لم يلاحظها ، حتى أتبع له أن يقف ملتصقا به على هذا النحو ، تلك الفترة الطويلة : « لا تتصور أننى تحت رحمتك تماما ، لأننى أستطيع أن أصرخ ! » .

فقال رئيس البوابين ، بغاية الهدوء والسرعة ، التى ربما كان قد اعتاد أن يصطنعها كلما دفته الحاجة الى ذلك : « وفى استطاعتى أن أخرس صوتك ! هل تظن حقيقة ، اذا تسببت بصراخك فى

احضار أى شخص الى داخل هذا المكتب ، أن تجسد شخصا واحدا
يمكن أن يصدق كلمة واحدة مما قد تقوله ضدى ، ضد رئيس
البوابين ؟ يمكنك الآن أن ترى أى آمال حمقاء ، تلك التى تأملها !
ودعنى اخبرك ، بأنك كنت تبدو شخصا محترما عندما كنت ترتدى
زي الفندق ، لكنك الآن فى ملابسك هذه ، التى لا يمكن أن تصنع
الا فى أوروبا ! » وجذب كارل من ملابسه التى كانت تبدو - مع
انها كانت جديدة تماما منذ خمسة اشهر فقط - رثة ، ومتكرمشة
وملوثة أيضا ، بسبب اهمال صبية المصاعد ، الذين كان يتعين عليهم
طبقا للتعليمات العامة أن يحتفظوا بنظافة ارضيسة عنبر نومهم ،
وتلميعها ، وازالة الاتربة التى تغطيها ، لكنهم كانوا لتكاسلهم ،
وبدلا من ان يقوموا بتنظيفها كما ينبغى ، كانوا يلطخون تلك الارضية
كل يوم بمختلف انواع الزيوت ، ويلطخون ايضا جميع الملابس المعلقة
فوق المشاجب ، وكان فى مقدور كل منهم ان يلقى بملابس الآخر
حيث يشاء ، وكان هناك من لا يستعمل ملابسه الخاصة ،
لكنه لا يخطيء فى العثور على ملابس جاره المخبأة ، وسرعان ما
يستعيرها فى الحال ، كان هذا الصبى ، هو الذى كان عليه الدور
فى تنظيف عنبر النوم ، اليوم ، ولهذا فلم تكن ملابس كارل ملطخة
فقط بالبقع الزيتية ، بل كانت غارقة فيها بالفعل من اعلاها الى
اسفلها . وكان رينيل هو الشخص الوحيد الذى كان قد اكتشف
مكانا سرىا ، كان يخفى فيه ملابسه الغالية ، فكان من الصعب
اكتشافها واكتشاف مكانها . ولم يكن الخبث أو البخل الذى يدفع
الصبية الى استعارة الملابس ، لكن كان يدفعهم الى ذلك ، التعجل
والاهمال ، فقد كانوا يرتدون ، فى بساطة ، أى ملابس يتصادف
وجودها امامهم . وكانت بدلة رينيل قد اصابتها بقعة حمراء
مستديرة ، من الزيت ، فى وسط الظهر ، وكان من السهل فى
المدينة ، ان تدرك العين الخبيرة فى وضوح ، من تلك البقعة ، ان
ذلك المتأنق الصغير المختال بنفسه ، ليس سوى صبى مصعد فى
نهاية الامر .

وعندما تذكر كارل هذا كله ، قال لنفسه انه قد عانى ما فيه
الكفاية فى عمله كصبى مصعد ، وكانت معاناته تلك ، قد ضاعت
عبثا كلها ، لان وظيفته لم تساعد ، كما كان يأمل على ان يتقدم
خطوة الى الامام ، بل لقد جرته بدلا من ذلك ، الى وضع أشد
بؤسا من وضعه الاول ، ولقد أوشكت فوق هذا كله ان تودى

به الى السجن . وكان لايزال علاوة على هذا ، في قبضة رئيس البوابين ، الذى كان بلا شك ، يبحث عن الوسيلة التى تتيح له ان يهينه اقصى اهانة ممكنة ، فصاح كارل ، ناسيا تماما ان رئيس البوابين ، هو آخر شخص يمكنه ان يحتكم الى العقل ، ضاربا جبهته عدة مرات ، بيده الطليقة : « وحتى لو فرضنا اننى قد مررت بك دون ان اوجه اليك التحية ، فكيف يمكن لرجل نافذ مثلك ، ان تبلغ به الرغبة فى الانتقام ، الى هذا الحد من العنف ، لمثل هذا الاهمال البسيط ؟ ! » .

قال رئيس البوابين : « لا رغبة لدى فى الانتقام ، ولكننى ارجب فقط فى تفتيش جيوبك ، وتأكد ، من اننى مقتنع تمام الاقتناع ، باننى لن اعثر فيها على اى شئ ، لانك ربما كنت حذرا فسلمت كل شئ الى صديقك اولا بأول ، شيئا فشيئا كل يوم ، لكن لابد من تفتيشك مع ذلك ! »

ودفع يده داخل احد جيوب معطف كارل ، بغاية العنف ، حتى لقد تفتقت الخياطة الجانبية للجيب ، وقال : « اذن فلا شئ هنا ! » ، وراح يقلب فى يده الاشياء التى وجدها بداخل الجيب ، وكانت تتألف من نتيجة جيب يصدرها الفندق ، وقطعة من الورق عليها تمرين فى المعاملات التجارية ، وبضعة من ازرار المعطف ، والبنطلون وبطاقة المديرية ، ومبرد أظافر ، القاء اليه احد النزلاء عندما قام بتعبئة صندوق ملابسه ، ومرآة جيب قديمة ، كان رينيل قد اعطاه اياها ، كهدية لقيامه بعمله حوالى عشر مرات متتالية ، وبعض الاشياء التافهة الأخرى ، قال رئيس البوابين ثانية ، وهو يلقي بها جميعا تحت المنضدة ، كما لو كان ذلك المكان ، هو المكان المناسب لكل ما يحمله كارل من اشياء ، ولو اتضح انها لم تكن مسروقة : « اذن فلا شئ هنا ! »

قال كارل فى نفسه ، ولا بد ان وجهه كان قد تضرع : « هذه هى القشة الأخيرة ! » ، وبينما كان رئيس البوابين قد انتقل الى تفتيش جيبه الآخر فى لهفة ، اندفع كارل مخلصا كم قميصه من قبضة الرجل ، فى حركة مفاجئة ، وارتطم بأحد مساعدى البوابين ، فى قفزته العشوائية الاولى ، فطرح الرجل فى عنف ، على تليفونه ، واندفع يجرى فى الحجرة المكتظة بالاشياء المختلفة ، نحو الباب ، فى سرعة ليست خارقة ، فى الحقيقة ، كما كان يود ، لكن فى سرعة كانت كافية لخروجه من الحجرة قبل ان يتمكن رئيس البوابين من

أن ينهض من مكانه بمعطفه الثقيل ، ولم يكن نظام الفندق بالغ الدقة ، ولقد دقت بضعة أجراس ، هذا حق ، إلا أن السماء وحدها كانت تعلم ، لاى غرض دقت تلك الأجراس ؟ وكان بعض موظفى الفندق قد اندفعوا نحو المدخل فى هذا الاتجاه ، وفى ذلك ، فى أعداد كبيرة ، حتى كان للمرء أن يظن أنهم قد عزموا على ألا يسمحوا مطلقا لاي شخص بالخروج من الفندق ، وقد كان من الصعب التحكم فى حركة الدخول والخروج لشدة الزحام ، ورغم ذلك ، فسرعان ما أصبح كارل فى الخارج ، إلا أنه ظل واقفا أمام الفندق ، لأن سيلا لاينقطع تدفقه من السيارات كان يتحرك فى ببطء أمام مدخل الفندق ، فلم يتمكن كارل من أن يبلغ الشارع ، وكانت السيارات التى كانت تتأهب للانطلاق إلى الامام تلامس بعضها بعضا بالفعل ، وتدفع بعضها إلى الامام ، وكان ثمة من يحاول أن يعبر الطريق هنا وهناك فى عجلة ، ومن ثم يلقي بنفسه داخل أقرب عربة ، كما لو كانت تلك العربات وسائل عامة لعبور الشارع ، دون أن يعبا مطلقا بما إذا كان بداخلها سائق أو اثنين فقط من الخدم ، أو مجموعة من السادة ، كان يبدو هذا السلوك فى رأى كارل سلوكا يتصفه بالصلف ، ورأى أن على المرء أن يكون واثقا تماما لكى يفامر مثل تلك المفامرة ، فربما ألقى بنفسه داخل عربة يتفق أن يستاء راكبوها لسلوكه ، فيلقون به خارجها ، وقد يحدث شجار بينهم . على أن شيئا لم يكن ليشغل بال كارل أكثر مما قد حدث له حتى الآن ، وما الذى يمكن أن يشغل بال صبي مصعد بئس ومشبوه مثله ، وفوق هذا ، فإن صف العربات لايمكن أن يستمر فى تدفقه إلى الأبد ، وطالما ظل بالقرب من الفندق ، طالما أبعد ذلك عنه نظرات الارتياح ، حتى بلغ أخيرا ، مكانا لم يكن صف العربات قد انقطع فيه تماما ، لكنه كان قد استدار مبتعدا فى وسط الشارع ، كما ابتعدت العربات قليلا عن بعضها البعض ، وكان على وشك أن ينسل من خلال حركة المرور التى كانت قد هدأت الآن فى الشارع ، عندما لفت نظره وجود أشخاص أشد منه إثارة للريبة ، وربما كانوا قد أطلق سراحهم حديثا ، ثم سمع من يدعو به باسمه ، من مكان قريب ، فاستدار ، ولمح فى مدخل باب صغير منخفض ، كان يبدو أشبه بمدخل إلى قبو ، اثنان من عمال المصاعد ، كان يعرفهما جيدا ، كانا يرفمان ، وقد نال منهما الاجتهاد ، نقالة ، يستلقى فوقها -

كما اردك الآن - روبنسون ، وكانت راسه ، ووجهه ، وذراعاها ،
مربوطة كلها بالضمادات الكثيفة . وقد فزع عندما رآه وهو يرفع
يديه الى عينيه ليمسح دموعه بطرف الضمادات . دموع الألم ،
أو الاسى ، أو لعلها أن تكون دموع الفرح لعتوره ثانية على كارل .
صاح قائلا في عتاب : « روسمان ، لماذا تركتني انتظرك طول
هذا الوقت ، لقد ظللت ساعة كاملة ، أصارعهما لكي أمنعهما من
الذهاب بي ، قبل أن تصل ، ان هذين الشخصين - ولطم أحد
الصبيين على راسه ، كما لو كانت ضماداته تحميه من أن يتلقى
منه لكمة ردا على لطمته تلك له - « هما شيطانان بالفعل ! » ،
آه يا روسمان لقد كان على ان ادفع غاليا ثمن هذه الزيارة ! »
قال كارل ، وهو يتقدم نحو المحفة التي وضعها الصبيان على
الارض ، لكي يترجحا قليلا : « لماذا ، ماذا فعلا بك ! »

فتأوه روبنسون قائلا : « اتسال هذا السؤال ، بينما ترى
حالتى ، تأمل منظرى ، يبدو انهم قد أصابوني بالمرج الذى
سيلازمنى طوال حياتى ، اننى اعانى آلاما فظيمة من هنا الى
اسفل ، حتى هنا - وأشار أولا الى راسه ، ثم الى أصابع قدميه
- ولقد كنت أريدك فقط أن ترى كيف كان ينزف أنفى ، ان
صديرتى قد تلفت تماما ، ولقد اضطرت الى أن اطوح بها خلفى
أيضا ، وينظرونى أصبح خرقه مهلهلة ، اننى الآن فى سرالى
الداخلى » ، ورفع البطانية قليلا ، وطلب من كارل أن ينظر تحتها ،
« فما هو مصرى بحق الجحيم ؟ اننى سوف أرقد فى فراشى لعدة
شهور على الأقل ، ولعلنى أقول لك الآن ، انه لا يوجد أحد ليعنى
بتمريضى سواك . ان ديلا مارش قليل الصبر جدا ، فلا تتركنى
ياروسمان ! » ، ومد روبنسون ذراعه الى كارل الذى تباعد
عنه ، آملا أن يحظى بعطفه ، عن طريق مداعبته له : « لماذا حضرت
يا كارل ؟ » ردد روبنسون ذلك مددا من المرات ، لكي يذكر
كارل ، بأنه كان مسئولا الى حد ما عما لاقاه من سوء ، ولم يتطلب
الحال من كارل سوى دقيقة واحدة لكي يتبين ان عويل روبنسون
لم يكن بسبب جراحه ، لكن كان سببه وخمة السكر المرهقة التى
كان لا يزال يعانى منها ، لأنه بعد أن استغرق فى النوم ، ثملا
حتى الموت ، كان قد أوقف ، ليجد اللطعات لدهشته تنهال عليه
فى وحشية ، حتى افقدته كل شعوره بالواقع ، وكان من الممكن
تبين طبيعة جروحه البسيطة من الخرق القديمة التى استعملت

كضمايات ، والتي كان صبية المصاعد ، قد ربطوا جروحه بها ، على سبيل المزاح ، لفة بعد لفة ، في شيء من المبالغة . وكان الصبيان اللدان وقفا على كلا جانبي المحفة قد استغرقا في نوبات من الضحك . الا ان هذا لم يكن هو المكان المناسب لاعادة روبنسون الى وعيه ، فقد كان الناس يتدفقون حولهم ، دون ان يلقوا بالا اليهم ، ولا الى المحفة ، وكثيرا ما كان بعض الاشخاص يتخطون روبنسون في قفزات بارعة ، بينما ظل سائق التاكسي ، الذي كان كارل قد دفع أجره ، يصيح قائلا : « هيا .. هيا ! » واستجمع صبيا المصعد قوتهما ، ورفعوا المحفة ، وامسك روبنسون بيد كارل في مداهنة : « هيا معنا ، هيا ! » . وعندها تذكر كارل ذلك الشخص الذي كان قد فر من بين يديه الآن ! اليس من الممكن ان ياويه ظلام التاكسي بعيدا عن الانظار ؟ وهكذا القى كارل بنفسه الى جوار روبنسون ، الذي اسند رأسه على كتفه ، وشد الصبيان على يد كارل في حرارة ، من خلال نافذة التاكسي ، وهما يودعان زميلا لهما ، قضى معهما فترة من الوقت ، واستدار التاكسي في دائرة حادة ، الى الطريق العمومي ، وبدا وكان حادثة ما لابد ان تقع ، الا ان سيل المرور المتدفق المختلط ، ذاب في بعضه البعض ، وذاب فيه كذلك اندفاع عربتهما كاندفاع السهم ، الى الامام .

الفصل السابع

مأوى

بدا الشارع الذى توقف فيه التاكسى شارعا من شوارع احدى الضواحي المنعزلة ، فقد كان كل شيء هادئا ، وكان الاطفال يجلسون فوق حافة الرصيف . وثمة رجل يحمل فوق كتفه كومة من الملابس القديمة ، كان واقفا ينظر فى امعان الى نوافذ المنزل التى كانت تعلوه ، وراح ينادى على بضاعته ، وكان كارل مجهدا غاية الاجهاد ، حتى لقد شعر بوعكة عند هبوطه من السيارة الى اسفلت الشارع ، الذى كان دافئا ، ومتالقا تحت اشعة شمس الصباح .

وهتف قائلا لروبينسون الذى كان يجلس بداخل التاكسى :
« هل تسكن هنا حقيقة ؟ ! »

وهمهم روبينسون الذى كان قد استغرق فى النوم خلال الرحلة كلها ، مؤكدا بكلمات غامضة ، وبدا عليه وكأنه كان ينتظر من كارل ان يحمله الى خارج التاكسى .

قال كارل : « اذن فانت لا تحتاج الى بعد ذلك ، وداعا ! »
وهم بالسير ، نحو منحدر الشارع .

فصاح روبينسون ، وقد انزعج انزعاجا بالغا ، حتى لقد قام واقفا فى داخل التاكسى ، الا ان ركبيه كانتا مرتجفتان : « لكن يا كارل الى اين تذهب بحق الجحيم ؟ ! » .

قال كارل ، وهو يلاحظ تحسن روبينسون السريع : « على ان اذهب الان ! » .

فتساءل روبينسون قائلا : « وليس عليك فقط سوى قميصك ! »
فاجابه كارل قائلا : « سأتتمكن فى الحال من ان اشترى لنفسى جاكته ! » ، واما مؤكدا ذلك لروبينسون ، ورفع له يده مودعا ، وهم بالسير فى عزم ، الا ان السائق ناداه لحظتها قائلا : « دقيقة واحدة ياسيدى ! »

واتضح لسوء الحظ ان الرجل يطالبه ببقية الاجر ، فى مقابل الوقت الذى انفقته فى الانتظار امام الفندق .

وصاح روبينسون من داخل التاكسى ، مؤكدا حق السائق فى طلبه :

« بالطبع ، لقد ارغمتنى على انتظارك تلك الفترة الطويلة هناك ،
ولا بد لك ان تعطيه شيئا علاوة على ما تقاضاه ! »
وقال سائق التاكسى : « نعم ، ان الامر كذلك ! »

فقال كارل : « نعم ، فقط لو كان معى اى نقود لكى اعطيها
لك » وراح يبحث فى جيوب بنطلونه ، مع انه كان يعلم انه لن
يجد شيئا فيها .

فقال سائق التاكسى ، وهو يقف امام كارل : « ليس امامى
سواك لكى اطلبه ببقية اجرى ، ولا يمكننى ان اطلب شيئا من
رجل مريض ! »

وخرج صبي صغير ، له انف متاكل من باب احد المنازل ، واقترب
ووقف على بعد بضع خطوات قليلة وراح يستمع الى ما يقال ،
واحنى احد رجال الشرطة فى اثناء مروره بهما ، رأسه ، وتفحص
الشخص الذى يرتدى القميص ، ثم توقف بجواره .

واخطا روبنسون الذى كان قد لاحظ الشرطى ، بالصياح نحوه ،
من نافذة التاكسى الاخرى ، قائلا : « لا شيء فى الامر ، لا شيء ! »
كما لو كان الشرطى شخصا يمكن التخلص منه كذبابة ، وتركز
انتباه الاطفال الذين كانوا يرقبون الشرطى فى البداية ، اخيرا على
كارل ، وعلى سائق التاكسى ، واندفعوا جريا نحوهما ، وعند
مدخل احد الابواب فى الجانب الآخر من الشارع توقفت امرأة معجوز
ببلادة ، وراحت تحمق فى الجميع .

وصاح صوت ما من اعلى قائلا : « روسمان ! » ، كان صوت
ديلامارش ، الذى كان يقف فى شرفة الطابق الاعلى ، وكان من
الصعب رؤيته بالتطلع الى اعلى نحو السماء الزرقاء الشاحبة ،
لكنه كان يرتدى روبا منزليا ، بدا واضحا ، وكان ينظر الى
الشارع من خلال نظارة من نظارات الاوبرا ، وبجانبه كانت توجد
شمسية حمراء كبيرة ، كانت ثمة سيدة تبدو جالسة تحتها .
وصاح ديلامارش بأعلى صوته ، لكى يسمعه كارل : « هاو ،
هل روبنسون هنالك ايضا ؟ »

فاجابه كارل قائلا : « نعم ، ها هو ! » كان كارل قد تشجع
للحظة . وصاح روبنسون من داخل التاكسى فى صوت اكثر ارتفاعا :
« نعم ، هاندا ! » ، فصاح ديلامارش قائلا : « هاللو ! » ،
سوف أهبط اليكما حالا !

ومال روبنسون خارج التاكسى ، قائلا : « ها هو ذا رجل ! » .

كان يوجه هذا المديح لديلامارش ، الى كارل ، والى سائق التاكسي ، والى الشرطي ، والى كل من يهمة سماع ذلك ، ونهض كيان ضخيم ، في الشرفة العليا ، حيث ظلوا يتطلعون جميعا ، مع ان ديلامارش كان قد غادرها لحظتها ، واتضح انها كانت امرأة بالفعل ، وقفت تحت الشمسية ، كانت ترتدي رداء فضفاضا احمر اللون ، ورفعت منظار الاوبرا من على افريز الشرفة ، وراحت تتطلع من خلاله الى الناس الذين تجمعوا في الشارع حول التاكسي ، وبدأ هؤلاء يحولون انظارهم عنها ، في بطل ، وتطلع كارل الى باب المنزل حيث يتوقع ان يظهر منه ديلامارش ، ثم تطلع داخله الى الفناء الداخلي ، الذي كان يعبره طابور لا يكاد ينقطع من العمال ، كان كل منهم يحمل صندوقا صغيرا فوق كتفه ، لكنه كان ثقيلًا فيما يبدو . وكان سائق التاكسي قد تقدم نحو عربته ، واستغل الوقت في تلميع مصابيحها بخرقة قديمة ، وأحس روبنسون بدهشة بالغة لتحسن أطرافه جميعا ، فعلى الرغم من فحصه الدقيق لها ، لم يستطع ان يحس الا ببعض الآلام الخفيفة ، ثم انحنى عندئذ ، وراح يفتك في حذر أحد الأربطة الثقيلة التي كانت تلتف حول ساقه . ورفع الشرطي عصاه السوداء في وضع مائل أمامه ، وانتظر في هدوء ، بذلك الصبر العميق الذي يتصف به رجال الشرطة ، سواء كانوا في واجبه المادي ، أو في نوبة حراستهم . وجلس الصبي ذو الأنف المتآكل ، فوق عتبة أحد الأبواب ، ومدد ساقيه أمامه ، وزحف الأطفال الباقون نحو كارل ، مسافة أخرى قصيرة ، فقد بدا لهم لحظتها أكثر الموجودين جميعا في الأهمية ، لقميصه الأزرق ، مع انه لم يلق بالا اليهم .

وكان في استطاعة المرء ، في الفترة التي انقضت قبل وصول ديلامارش ان يقدر ارتفاع المنزل ، ووصل ديلامارش في عجلة شديدة ، وتوقف لحظة فقط لكي يحكم الرباط حول ربه . صاح قائلا : « هذا انت اذن ! » ، وكانت لهجته تجمع بين المرح والقسوة ، وفي كل خطوة كان يخطوها كانت تبدو من تحت الروب بيجامته ذات الألوان الفاقعة ، ولم يفهم كارل كيف كان ديلامارش يتجول في هذا الزى المنزلي في شوارع المدينة ، وفي هذا المسكن الضخم ، وفي الشارع العمومي ، كما لو كان يتجول في فيلته الخاصة . وكان ثمة تغير كبير كان قد طرا على ديلامارش ، كما طرا تغير كبير كذلك على روبنسون . وكان وجه ديلامارش الاسمر

الحليق ، البالغ النظافة ، باستدارة عضلاته الخشنة ، يوحى بالاعتزاز ، وبالاحترام . وكان لمعان عينيه القاسيتين ، اللتين كان قد أغلقهما قليلا ، يشع بنظرة مفزعة ، وكان روبه المنزلى البنفسجى اللون يبدو قديما بلا شك ، وممتلئا بالبقع ، وكان يبدو واسعا عليه كذلك ، لكن كان يبرز ايضا من تحت هذا الروب القذر ، عند العنق ، طيات ربطة عنق هائلة من الحرير السميك ، الداكن اللون .

تساءل ، وهو يوجه حديثه الى الجميع : « حسنا ؟ » ، وتقدم الشرطى قليلا نحوه ، وانحنى على السيارة ، وتطوع كارل بتقديم تفسير متقضب للموقف قائلا :

— ان روبنسون خائر القوى الى حد ما ، الا ان فى وسعه ان يصعد السلالم بسهولة لو حاول ذلك ، اما هذا السائق ، فانه يطلب شيئا علاوة على الاجر الذى نقدته اياه بالفعل ، اما انا فراحل الآن ، وداعا ! » .

قال ديلامارش : « انك لن ترحل ! » .

وأعلن روبنسون من داخل التاكسى ، قائلا : « هذا ما قلته له انا ايضا ! »

وقال كارل ، وهو يخطو بضع خطوات قليلة الى الامام : « الا اننى سأرحل رغم ذلك ! »

وكان ديلامارش قد أصبح عندئذ بجانبه ، فأمسك به ، وجذبه الى الخلف بشدة ، وصاح فيه قائلا : « ولكننى اقول انك ستبقى هنا ! » .

فقال له كارل : « دعنى ! » ، وحاول ان يتخلص منه ، مستخدما قبضتيه ، عند اللزوم ، ولم يكن لديه سوى قليل من الامل فى التغلب على رجل مثل ديلامارش ، الا ان الشرطى ، كان يقف بجوارهما ، كما كان يقف سائق التاكسى ايضا ، ولم يكن الشارع خال كذلك من الناس ، فقد كانت تلك المجموعات من العمال تعبره ، فهل يتغاضى كل هؤلاء ، ويتجاهلونه ، لو حدث ان اساء اليه ديلامارش الآن ؟ انه لا يرغب فى ان يصبح وحيدا مع ديلامارش فى حجرة واحدة ، فلماذا يترك الآن هذه الفرصة تفلت منه ، لى يتخلص من ديلامارش ؟ كان ديلامارش يدفع الآن للسائق ما طلبه فى هدوء ، ووضع ذلك السائق تلك الزيادة التى لم يكن يستحقها ، فى جيبه ، بكثير من الانحناءات التى انحناها امام ديلامارش ، وزيادة فى الامتنان ، اتجه نحو روبنسون ، وراح ينصحه بأفضل الوسائل

للخروج من التاكسي ، واحس كارل بان احدا لا يلاحظه ، وان ديلامارش ربما لن يهتم لو انسل هاربا في تلك اللحظة ، وكان يريد ان يتجنب اية مشاجرة معه ، ان استطاع ان يتجنبها ، ولهذا انسل نحو الطريق محاولا ان يسرع بالهرب ، الا ان ديلامارش لم يكن في حاجة الى التدخل ، ذلك لان الشرطي كان قد رفع عصاه لحظتها ، ودفعها في الهواء الى الامام ، قائلا : « قف ! » .

وتساءل ، وهو يدفع عصاه تحت ابطه ، وشرع في انتزاع مفكرة من جيبه ببطء قائلا لكارل : « ما اسمك ؟ ! »

وتطلع كارل اليه الآن ، في امان للمرة الاولى ، كان رجلا متين البنيان ، الا ان شعره كان يغلب عليه البياض .

اجابه كارل قائلا : « كارل روسمان ! »

وردد رجل البوليس ما قاله كارل ، لاشك لانه كان رجلا هادئا ، ومدققا في تقصى الحقائق : « روسمان ! » ، الا ان كارل الذي كان يواجهه الآن البوليس الامريكى لأول مرة ، لاحظ في تكراره للكلمات التي كان يجيبه بها ، شيئا من الارتياب ، وربما كان وضعه في الحقيقة وضعاً مزعزعا ، ذلك ان روبنسون ، على الرغم من انشغاله البالغ بمشكلة خروجه من التاكسي ، كان يتوسل من داخل السيارة الى ديلامارش في حركات خرساء ، يرجوه بها ان يهرع لمساعدة كارل ، الا ان ديلامارش ابى ان يستجيب اليه بهزة سريعة لا مبالية من راسه ، وتطلع امامه ، دون ان ياتى بأدنى حركة ، وقد وضع يده في داخل جيبى روبه الكبيرين .

وشرح الصبي الذي كان قد جلس على عتبة الباب ، لامرأة كانت قد خرجت لحظتها من ذلك المنزل ، تفاصيل الموقف كله منذ بدايته ، وتوقف الاطفال في نصف دائرة خلف كارل ، وراحوا يتطلعون في صمت الى الشرطي .

قال الشرطي لكارل : « ارني الاوراق التي تثبت شخصيتك ؟ ! » قد يكون هذا مجرد سؤال رسمي ، ذلك ان المرء بلا جاكete ، لم يكن بالطبع ليحمل في جيوبه بنطلونه شيئا من الاوراق الرسمية التي تثبت شخصيته ، ولهذا ظل كارل صامتا ، وكان قد قرر بينه وبين نفسه ان يجيب على السؤال التالي اجابة وافية ، واذا أمكنه ، فسوف يفسر عندئذ ايضا عدم وجود تلك الاوراق الرسمية التي تثبت شخصيته ، معه الآن .

الا أن السؤال التالي كان : « اذن فانت لا تحمل ما يثبت شخصيتك ؟ ! » .

وكان على كارل أن يجيب بقوله : « ليست ممي الآن ! » .
فقال الشرطي : « لكن هذا امر سيء ! » ، وراح يتطلع حوله ، وهو مستغرق في التفكير ، بينما كان ينقر بأصبعه على غلاف مفكرته ثم تساءل أخيرا :
- هل لك وظيفة ؟ !

قال كارل : « كنت أعمل صبي مصعد ! »
- كنت تعمل صبي مصعد ، وعلى هذا فلا عمل لك الآن ! وفي هذه الحالة فما الذى تعتمد عليه في معيشتك ؟ !
- سأبحث عن عمل آخر ! !
- هكذا ، فهل فصلت اذن لتوك ؟ !
- نعم ، منذ ساعة فقط !
- فجأة ؟ !

قال كارل : « نعم ! » ، ورفع يده ، كما لو كان يعتذر من ذلك . لم يكن يمكنه أن يسرد القصة كاملة هنا ، وحتى لو أمكنه ذلك ، فقد كان واضحا أنه لا جدوى من الاعتقاد بإمكان تجنب الألم الذى قد يعاوده ، لو تعرض ثانية لسرد الاساءات التى كان قد عانى مرارتها لتوه ، واذا كان لم يتمكن من أن يحصل على رد اعتباره عندما أعلنت المديرة عطفها نحوه ، وواجهها رئيس السفرجية برايه في الموقف ، فليس له بلا شك أن يأمل في أن يحصل على ما فاتته هنا ، في هذا الشارع ، ومن هذا الحشد الذى تجمع حوله الآن ! ..

وتساءل الشرطي قائلا : « وهل فصلت دون ان تتمكن من الحصول على جاكيتك ؟ ! » .

فقال كارل : « نعم ! » ، وهكذا ففى امريكا ايضا ، من طبع السلطات أن تتساءل عما يتراءى لها ، وأن توجه ما يحلو لها من الاسئلة ! « كم كان سخط والده ، على تلك الاسئلة العقيمة التى راح الموظفون يوجهونها اليه عندما كان يستخرج جواز سفر كارل ! » وأحس كارل بالرغبة فى أن يجرى ، ويختبئ فى مكان ما ، لكن يتحاشى فقط الاجابة على المزيد من تلك الاسئلة ، لكن الشرطي وجه اليه لحظتها ، نفس السؤال الذى كان كارل يخشى أن يوجهه

اليه اكثر مما كان يخشى ان يسأله عن أى شىء آخر ، ذلك السؤال الذى كان كارل يتوقع سماعه فى قلق من ذلك الشرطى ، حتى انه ربما يكون قد سلك سلوكا اقل حدرا بسبب قلقه ذاك ، وما كان ينبغى له ان يسلكه ، وربما يكون سلوكه المضطرب ذاك الذى لا يدرك كنهه على التحديد ، هو الذى عجل بتوجيه هذا السؤال اليه .

اطرق كارل براسه الى اسفل ، ولم يجب ، كان هذا هو آخر سؤال يمكنه الاجابة عليه ، ولم يكن يرغب ان يصحبه الشرطى ثانية الى الفندق الغربى ، ليبدأ هناك فى الاستفسار عن الحكاية باكملها ، ذلك الاستفسار الذى سيشارك فى الاجابة عليه كل أصدقائه واعدائه ، وتنهار كذلك بقية ثقة المديرية فيه ، انهيارا تاما ، بمد ان يتضح لها ان الصبى الذى كانت تظنه الآن فى بنسبون برينر ، قد جاءها فى حراسة الشرطة ، فى قميصه فقط ، وبدون البطاقة الخاصة التى كانت قد اعطتها له ، ولعل رئيس السفرجية ان يطرق عندئذ اطراقة تشير الى ادراكه لهذا كله ، وقد يصرح رئيس البوابين بأن يد الله لم تغتلك ذلك الشرير فى النهاية .

قال ديلامارش ، وهو يخطو نحو الشرطى : « لقد كان يعمل فى الفندق الغربى ! » وصاح كارل قائلا : « لا ! » وراح يدق الارض بقدمه قائلا : « ليس هذا صحيحا ! » ونظر اليه ديلامارش ، وهو يمتد شفثيه فى سخرية ، كما لو كانت لديه اسرار عديدة يمكنه ان يفشيها ، واثار اضطراب كارل الذى لم يكن متوقعا ، الأطفال الذين تجمعوا خلفه اثاره بالفة ، فاصطفوا جميعا بجوار ديلامارش لكي يتمكنوا من رؤية كارل جيدا ، واخرج روبنسون راسه تماما ، خارج التاكسي ، وظل ساكنا تماما ، حتى انه لم يات بادنى حركة فيما عدا حركة جفنيه التلقائية ، وصفق الصبى الذى كان يجلس على عتبة باب المنزل المواجه فى اغتباط ، ولكزته المرأة التى كانت قد توقفت الى جواره بكوعها ، لكي يصمت ، وكان الحمالون الذين كانوا يذرعون فناء المنزل الذى يسكنه ديلامارش ، قد توقفوا لحظتها عن العمل ، لكي يتناولوا افطارهم ، فتجمعوا وهم يحملون فى ايديهم صفائح عديدة صغيرة ممتلئة بالقهوة السوداء ، ظلوا يقلبونها بقطع مستديرة من الخبز ، وجلس بعضهم على حافة الرصيف ، وراحوا يتجرعون جميعا قهوتهم فى صوت مسموع .

سال الشرطى ديلامارش قائلا : « هل تعرف هذا الصبى ؟ ! »

وقال ديلامارش : « اننى اعرفه معرفة تامة ، ولقد اسديت اليه من قبل ايادى لا حصر لها ، قابلها هو بقليل من العرفان ، ولعلك ان تلاحظ ذلك الطبع فيه ، خلال لقائك القصير به الآن ! »

قال الشرطى : « نعم ، انه يبدو وغدا صغيرا منيدا ! »

فقال ديلامارش : « انه هكذا بالفعل ، الا ان ذلك ليس هو اسوأ ما فيه مع ذلك ! »

فقال الشرطى : « الى هذا الحد ؟ ! »

فاجابه ديلامارش الذى كان قد تحمس الآن لرايه فى كارل ، وهو يطوح بطرف روبه هنا وهناك ، بيديه اللتين كان قد دسهما فى جيبه : « اوه .. انه صبي رائع هذا الذى امامك ، ولقد كنا ، انا وصديقى الذى هناك فى داخل التاكسى قد التقطناه من الطريق ذات مرة ، وكان ضائعا شريدا ، ولم تكن لديه فى ذلك الحين ، أدنى فكرة عن الحياة والاحوال فى أمريكا ، فقد كان قادما لتوه من أوروبا ، حيث لم يكن يحتاج اليه أحد كذلك ، حسنا ! لقد اصطحبناه معنا ، واتحنا له فرصة العيش بيننا ، وفسرنا له كل شيء ، وحاولنا أن نجد له عملا ، وكنا نظن على الرغم من كل شيء ، ان فى مقدورنا أن نخلق منه كائنا انسانيا رقيقا ، الا انه فاجأنا فى النهاية بخدعته التى خيبت املنا فيه ذات ليلة ، واختفى ببساطة ، وفى ظروف لن اذكرها الآن ، هل هذا صحيح ام لا ؟ ! » . تساءل ديلامارش فى النهاية ، وهو يجلب كم قميص كارل .

وصاح الشرطى قائلا : « عودوا الى اماكنكم ايها الاطفال ! » . فقد كان الاطفال قد زحفوا الى الامام ، حتى لقد تعثر ديلامارش فى أحدهم . واكتشف الحمالون فى ذلك الوقت ، ان هذا الاستجواب كان أكثر اثارة للاهتمام ، مما ظنوه فى بداية الامر ، فشرعوا فى الانتباه الى تفاصيله ، وتجمعوا فى حلقة خلف كارل مباشرة ، ولهذا لم يكن يمكنه أن يتراجع خطوة واحدة الى الخلف ، وكان عليه أن يعاني كذلك من الاستماع الى ثروة هؤلاء الحمالين ، التى لم تتوقف ، فقد كانوا يهدون فى رطانة غير مفهومة لعلها كانت انجليزية ركيكة تتخللها بضع كلمات من اللغة السلافية .

قال الشرطى : « شكرا لهذه المعلومات ! » ، وحيا ديلامارش ، « وعلى كل حال ، فسوف اصحبه معى ، واسلمه الى ادارة الفندق الغربى ! »

فقال له ديلامارش : « هل لى ان اسالك معروفا ، بان تترك الصبي معى الآن ، لان لدى بعض الامور على ان اسويها معه ، واعدك باننى سوف اصحبه بنفسى الى الفندق فيما بعد ! »

وقال الشرطى : « لايمكننى ان افعل ذلك ! »

فقال له ديلامارش ، وهو يناوله بطاقته : « هذه هى بطاقتى ! » وتفحصها الشرطى فى هناية ، لكنه قال فى ابتسامة مؤدبة : « لا ، لايمكننى ذلك ! » وبقدر ما كان كارل حذرا من ديلامارش حتى الآن ، فقد وجد لحظتها رغم ذلك فيه خلاصه الوحيد الممكن وقد كانت الطريقة التى كان يتفاهم بها مع الشرطى طريقة مريبة بلا شك ، الا ان ديلامارش على كل حال ، من الممكن ان يقتنع بعدم تسليمه الى الفندق ، وهو ما لايمكن ان ينشئ عنه الشرطى ، وحتى لو عاد كارل الى الفندق فى صحبة ديلامارش ، فلن يكون الامر سيئا ، الى الحد الذى سيكون عليه من السوء ، لو انه عاد اليه فى صحبة الشرطى ، ولا يجب على كارل فى تلك اللحظة بالطبع ان يوضح رغبته فى عدم البقاء مع ديلامارش بالفعل ، والا ضاع كل شيء . وراقب كارل يد الشرطى فى شيء من القلق ، تلك اليد التى قد ترتفع فى اية لحظة لتقبض عليه .

وقال الشرطى اخيرا : « لا بد لى على الاقل من ان ابحت هناك من السبب الذى فصل بسببه ! » ، بينما راح ديلامارش يتطلع بعيدا ، وعلى وجهه شعور بالاستياء ، وهو يطوى البطاقة بين اطراف اصابعه .

وصاح روبنسون لدهشة الجميع قائلا : « لكنه لم يفصل مطلقا » ، وكان قد انحنى الى خارج التاكسى ، بقدر ما استطاع ان يظهر خارجه ، وقد استند باحدى يديه على كتف السائق : « ان هذا لم يحدث مطلقا ، انه له وظيفة محترمة للغاية هناك ، كما انه ابرز الصبية جميعا فى عنبر النوم بالفندق ، ويمكنه ان يستضيف من يشاء هناك فى ذلك العنبر ، الا انه فقط مرهق بالعمل ، فلو اردت ان تساله شيئا ، فان عليك ان تنتظر هودنه وقتا طويلا ، فهو دائما فى اجتماعات مع رئيس السفارة ، ومع المديرية ، ان له وضع استثنائيا هناك ! انه لم يفصل مطلقا ، بلا شك ، ولست ادرى لماذا قال انه قد فصل ، فكيف يمكن ان يفصل ؟ ولقد تعرضت لاشد الاذى فى الفندق ، ووجهت اليه التعليمات بان يصحبني الى منزلى ، ولانه لم يكن يرتدى جاكته

لحظتها ، فقد صحبني الى هنا بدونها ، فلم يكن في استطاعتي ان انتظره حتى يبحث عنها ! » .

قال ديلا مارش : « حسنا ، الآن ! » ، وهو يفرد ذراعيه على امتدادهما في لهجة بدت كأنها لهجة لوم موجهة الى الشرطى ، لعدم فطنته ، وبدا وكأن هاتين الكلمتين اللتين نطق بهما ، قد أسهمتا في توضيح الامر وضوحا لا يقبل الجدل ، وكشفنا ما غمض من تقرير روبنسون عن الموقف .

فتساءل الشرطى ، وهو يوشك ان يضعف بالفعل : « لكن هل هذا صحيح ؟ ! ولو كان هذا صحيحا ، فلماذا صرح الصبى نفسه بأنه قد فصل ؟ ! »

قال ديلا مارش : « من الافضل ان توجه اليه هو هذا السؤال ! »

وتطلع كارل الى الشرطى الذى كان واجبه هو حفظ النظام هنا بين الاجانب ، وان يرمى ما يراه فى صالحهم ، وادرك على نحو ما بعض الصعوبات التى كانت تواجه الرجل . وقد جعله هذا راغبا عن الكذب ، ولهذا فقد وقف عاقدا يديه خلف ظهره بشدة ، وظهر فى مدخل باب المنزل الذى يسكنه ديلا مارش ملاحظ عمال ، صفق بيديه اشارة الى ان على العمال ان يعودوا ثانية الى العمل ، فاحتسى هؤلاء ثمالة قهوتهم من العلب الصفحية التى كانوا يمسكونها ، وخيم عليهم الصمت ، وهم يجرجرون اقدامهم على مضض نحو ردهة المنزل .

وقال الشرطى : « لن نصل الى اية نتيجة ، على هذا النحو . . . » وتأهب للقبض على ذراع كارل ، فتراجع كارل قليلا الى الخلف دون أن يدري ، ولاحظ المسافة الحالية ، التى تركها رحيل العمال خلفه ، واستدار ، وبقفزات قليلة هائلة فى البداية ، انطلق بأقصى سرعته ، واطلق الاطفال صيحة واحدة ، وانطلقوا يجرون بمحاذاة ، وقد فردوا أذرعهم ، لمسافة قصيرة لا تزيد عن بضع خطوات .

وصاح الشرطى فى الشارع الطويل الخالى : « امسكوه ! » ، وانطلق فى تروديد هذه الصيحة بانتظام بين الحين والآخر ، وهو يجرى خلف كارل ، فى سرعة أظهرت قوته ومراحه ، وكان من حسن حظ كارل أن المطاردة كانت تجرى فى حي عمالى ، فلم يكن لدى هؤلاء العمال شيء من التعاطف مع الشرطة ، وظل كارل يجرى فى وسط الطريق ، فلم تكن تصادفه كثير من العقبات فى وسط الطريق ، وكان يرى بين الحين والآخر بعض العمال يقفون فى هدوء على

الرصيف ، ويرقبونه ، بينما استمر الشرطى فى ترديد صيحته : « امسكوه ! » ، وهو يسدد عصاه نحو كارل ويجرى بمحاذاة ، ملتزما فى خبث ، جانب الطريق الممهّد ، وكان لدى كارل أمل واه ، وان كان فى بعض الاحيان ، قد فقد غالبا ذلك الامل عندما شرع الشرطى ، وكانا قد بلغا أحد مفارق الطرق ، حيث من الممكن أن توجد بعض دوريات الشرطة ، فى اطلاق الصفارات التى كانت تصم الأذان ، وكانت ميزة كارل الوحيدة التى كان يتفوق بها على الشرطى هى خفة ملابسه ، فكان يطير ، أو بالاحرى ، يختفى فى منحدر الشارع الذى كان يهبط أكثر فأكثر ، لكنه فى اضطرابه لقلة نومه فى الليلة الماضية ، كان يقفز أحيانا قفزات متعثرة ، عالية جدا فى الهواء ، وكان وقته يضع عندها عبثا ، وكان الشرطى بالإضافة الى ذلك يرى هدفه ماثلا أمام عينيه ، فلم يكن عليه أن يفكر فى شيء ، بينما كان على كارل أن يفكر أولا ، وأن يواصل جريه فقط فى الفترات التى تتصل بين تقديره لاحتمالات الموقف ، واتخاذ القرارات التى كان يراها ، وكانت خطته ، وهى خطة يائسة الى حد ما ، هى أن يتجنب مفترق الطرق الآن على الأقل ، لانه لم يكن يدري ماذا كانت تخبئه له ، فقد ينطلق مثلاً ، فى جريه عندها ، مباشرة نحو مركز من مراكز البوليس ، وكان يريد بقدر الامكان أن يواصل جريه فى هذا الشارع العمومى الذى يمكنه أن يشملته بنظرته من أوله الى آخره ، طالما انه لم يكن ينتهى الا فى نهاية منحدره ، الى كوبرى ، كان يختفى فجأة فى غلالة من الضباب ، بينما تسطع الشمس أعلاه ، وعندما قرر أن يلتزم بتنفيذ تلك الخطة ، اندفع فى جريه ، دفعة أشد سرعة حتى يتمكن من أن يعبر مفترق الطرق الاول الذى صادفه فى سرعة خاطفة ، عندما لمح أمامه على مسافة قريبة شرطيا آخر كان قد توارى فى حذر الى جوار حائط غارقا فى الظلال ، وتأهب للانقضاض عليه فى اللحظة المناسبة ، فلم يكن أمامه لحظتها بدا من أن يستدير نحو الشارع المتقاطع ، وعندما ناداه شخص ما باسمه فى صوت خافت - ظن كارل ذلك وهما فى بداية الامر ، ذلك ان الرنين كان يطن فى أذنيه طوال الوقت - فلم يتردد طويلا واستدار دورة مفاجئة ، لكى يباغت الشرطى ، أقصى مباغتة يمكنه أن يصيبه بها ، واستدار الى اليمين بزاوية حادة على احدى قدميه متجها نحو الشارع المتقاطع . وما كاد يخطو فى ذلك الشارع خطوتين -

وكان قد نسي بالفعل أن أحدا كان قد ناداه باسمه ، ذلك أن الشرطي الآخر ، كان ينفخ في صفارته هو أيضا ، وبدا له في وضوح أن بعض المارة النشطين المتباعدين أمامه ، كانوا قد أسرعوا في خطواتهم - عندما اندفع ذراع شخص ما من أحد الابواب الصغيرة ، وامسك به ، وانسحب كارل الى مدخل مظلم ، بينما جاءه صوت ما يقول له : « لا تتحرك ! » ، كان صوت ديلامارش ، وكان متقطع الانفاس هو أيضا ، ووجهه محمر ، وشعره متلبد فوق رأسه ، ولم يكن يرتدى سوى قميصه وسرواله الداخلى ، وكان روبه المنزلى مرسومًا تحت ذراعه . ولم يكن الباب سوى بابا جانبيًا غامضًا ، لم يكن من السهل تمييزه ، وقد أغلقه ديلامارش وأحكم رتاجه في الحال .

قال : « انتظر لحظة ! » ، واستند الى الحائط ، وهو يلتقط أنفاسه بصعوبة ، ورأسه ملقاة الى الخلف ، وكان كارل يكاد يكون مستلقيا بين ذراعيه ، وضغط وجهه في صدر ديلامارش ، دون أن يدري ما يفعل .

قال ديلامارش ، وهو يتسمع بانتباه ، ويشير بأصبعه الى الباب ، كان الشرطيان يبتعدان بالفعل ، وكانت أقدامهما تدق الشارع الخالى ، كوقع دقات الصلب على الحجر : « لقد ابتعدا ! » وقال موجهًا حديثه الى كارل الذى كان يجاهد لالتقاط أنفاسه . ولا يستطيع النطق بكلمة : « لقد تورطت في تلك المطاردة » ، وأرقده ديلامارش في عناية على الارض ، وركع بجانبه ، ومر بيده عدة مرات فوق رموشه ، وراح يتطلع اليه .

وقال كارل وهو ينهض متألما : « اننى على ما يرام الآن ! »

فاجابه ديلامارش الذى كان قد ارتدى الآن روبه ثانية : « اذن فهيا بنا ! » ، ودفع كارل ، الذى كان مطرقا برأسه الى أسفل من شدة الارهاق ، أمامه ، وهو يهزه بين الحين والآخر لكى ينشطه ، قائلا : « انك تقول انك مرهق ؟ ! ولقد انطلقت تعدو بطول الشارع كله كالحصان ، لكن كان على أنا أن اجتاز هذه الممرات اللعينة ، والافنية ، ومن حسن الحظ اننى عداء ممتاز الى حد ما أنا أيضا ! » ، وفي همة فخره بنفسه ، دفع كارل دفعة شديدة على ظهره : « ان سباقا كهذا مع رجال الشرطة ، يعد مرانا طيبا بين الحين والآخر ! » .

قال كارل : « لقد كنت في غاية الارهاق قبل أن أبدا الجرى ! »

فقال ديلامارش : « لا يوجد أدنى عذر للجري السيء ، فلو لم
أكن قد أسرعت لنجدتك لكانا قد لحقا بك في الحال ! »

فقال كارل : « اننى اعتقد هذا انا ايضا ، وانا مقدر جدا
صنيعك ! »

وأجابه ديلامارش قائلا : « لاشك في هذا ! »
واجتازا ممرا طويلا ، ضيقا ، بالطابق الارضى ، كان مبلطا ،
ببلاطات حجرية ملساء ، وكان ثمة سلم يبدأ هنا ، وسلم هناك
على كلا الجانبين ، أو ممر يؤدي الى ردهة فسيحة ، وكان من
النادر رؤية أشخاص كبار ، وكان الاطفال يلعبون فوق درجات
تلك السلالم الخالية ، وبجانب درابزين احد السلالم ، كانت تقف
طفلة صغيرة ، تبكى في حرقة ، حتى ان وجهها كانت تغطيه الدموع
تماما ، وعندما لمحت ديلامارش ، اندفعت صاعدة درجات السلم ،
وهي تجاهد لالتقاط انفاسها ، وفيها مفتوح على الساعه ، ولم
تهدا الا عندما بلغت قمة الدرج ، بعد ان نظرت من فوق كتفها المرة
بعد المرة ، لى تتأكد من ان احدا لا يطاردها ، أو يهجم بمطاردها.

قال ديلامارش ضاحكا : « لقد اندفعت تهبط السلم امامى منذ
دقيقة واحدة فقط ! » ، ورفع قبضته نحوها ، فاندفعت ثانية
الى أعلى ، وراحت تصرخ . وكانت الافنية التى مرا بها مهجورة
تماما ، هى ايضا ، وكان ثمة حمال يدفع امامه عربة يد ذات
عجلتين ، كان يلتقى بهما من حين لآخر ، وامرأة تملأ جردلا بالماء
من طلمبة ، وساعى يريد يدور دورته ، ورجل هجوز ذو شارب
ابيض قد جلس امام باب زجاجى ، وراح يدخل غليوننا ، وساقاه
متعانتان ، وكانت السلالم يفرغها الحمالون امام احدى الوكالات
التجارية ، بينما كانت الخيل المتكاسلة تهز رؤوسها في رتابة من
جانب الى آخر ، ورجل يرتدى « أفرول » كان يشرف على سير
العمل ، وهو يحمل ورقة في يده ، وخلف النافذة المفتوحة في حجرة
مكتب ، كان يجلس احد الكتبة الى مكتبه ، وقد رفع رأسه ،
وتطلع امامه خارج النافذة مستغرقا في التفكير ، عندما مر به
لحظتها كارل وديلامارش .

قال ديلامارش : « ان هذا المكان مكان هادىء ، كما يجب ان
يكون المكان الهادىء ، وقد تطفى عليه الضوضاء في المساء لمدة
ساعة أو ساعتين ، الا انه مثال للهدوء طوال اليوم ! » ، وأطرق
كارل فقد كان المكان يبدو له هادئا بالفعل غاية الهدوء ، وقال

ديلامارش : « اننى لايمكننى ان اعيش الا فى هذا المكان ، ذلك ان برونيلا لا تحتل ببساطة أية ضوضاء ، هل تعرف برونيلا ؟ » حسنا ، سوف تراها الآن ، وعلى كل حال ، فاننى انصحك بان تلزم الهدوء ما استطعت ! » .

وعندما بلغا بداية السلم الذى يودى الى شقة ديلامارش ، كان التاكسى قد ذهب لحظتها ، واعلن الصبى ذو الانف المتاكل ، دون ان تبدو عليه أقل دهشة لعودة كارل ، انه قد ساعد روبنسون فى صعود السلم ، واوما له ديلامارش فحسب ، كما لو كان خادما قد قام فقط بأداء واجبه ، ثم سحب كارل لى يصعد السلم معه ، وكان كارل قد تردد لحظتها وتطلع الى الخارج نحو الشارع المشمس ، وقال ديلامارش مرددا اكثر من مرة : « سوف نصبح الآن هناك فى الحال ! » ، الا ان نبوته كانت بطيئة التحقيق ، فقد كان يوجد امامهما دائما سلم آخر جديد يعلوهما ، يتجه اتجاها آخر ، يمكن ادراكه فى وضوح قبل بلوغه ، وقد توقف كارل بالفعل مرة ، لا من التعب ، بل من اليأس ، امام تلك السلالم التى لا نهاية لها .

قال له ديلامارش ، وهما يواصلان صعودهما : « ان الشقة مرتفعة ارتفاعا بالغا ، الا ان لهذا الارتفاع ميزته ايضا ، فهذا الارتفاع ، لايشجعنا على الخروج كثيرا ، ولهذا نظل نتسكع طوال النهار بملابسنا المنزلية فى أنحاء الشقة ، انها شقة مريحة جدا ، وبالطبع ، فلا أحد يزورنا قط فى تلك الشقة ، فليس من السهل ان يصعد الزوار الى شقة على هذا الارتفاع ! »

وفكر كارل فى نفسه قائلا : « ومن هم الزوار الذين يمكن ان يكونوا قد تعرفوا بهما ، حتى يقوموا بزيارتهما ؟ ! » .

وفى النهاية لمحا روبنسون على بسطة السلم فى احد الطوابق ، وهو يقف امام باب مفلق ، وكانا قد بلغا الآن مكانه ، ولم تكن السلالم قد انتهت بعد ، رغم ذلك ، بل كانت تمتد الى أعلى فى الظلام ، دون أدنى دلالة تدل على ان نهايتها كانت فى مجال الرؤية .

قال روبنسون فى صسوت لا يكاد يبين ، وكأنه لا يزال يعانى من آلامه : « لقد ظننت هذا ، ان ديلامارش قد أحضره ! ، روسمان ، الى أين ستذهب بعيدا عن ديلامارش ؟ » كان روبنسون يقف فى ملابسه الداخلية ، وقد لف حول جسده البطانية الصغيرة التى كان قد حصل عليها من الفندق الغربى ، ولم يكن هناك سبب

واضح ، يبرر وقوفه في الخارج امام باب الشقة ، ولا يدخلها ، بدلا من أن يقف في مكانه هكذا كاضحوكة لمن يتصادف أن يمر به .

تساءل ديلامارش قائلا : « هل هي نائمة ؟ ! »
فقال روبنسون : « لا اظن ذلك ، الا اننى رايت ان من الافضل ان انتظر هودتك ! »

فقال ديلامارش : « يجب اولا ان نرى ان كانت نائمة ! » ،
وانحنى لكي ينظر من ثقب المفتاح ، وبعد ان حدى خلاله طويلا ،
وهو يدير رأسه في هذا الاتجاه ، وفي ذاك ، نهض واقفا ، وقال :
« لا يمكننى في الحقيقة ان اراها بوضوح ، لان الستائر مسددة ! »
انها جالسة على الارىكة ، وربما كانت نائمة !

فتساءل كارل قائلا : « لماذا ، هل هي مريضة ؟ ! » ، فقد
كان ديلامارش يقف في مكانه ، كما لو كان في حاجة الى النصيحة .
الا انه زام في صوت حاد جدا : « مريضة ؟ ! »

وقال روبنسون ، محاولا تهدئة ديلامارش : « انه لا يعرفها ! »
وخرجت امرأتان من أحد الابواب التى تعلوهما ببضع درجات ،
ومسحتا أيديهما في مريلتيهما ، ونظرتا نحو ديلامارش وروبينسون ،
وبدا عليهما وكأنهما كانتا يتحدثان عنهما ، ثم خرجت فتاة صغيرة
من أحد الابواب ، واندست بين المرأتين ، وتعلقت بذراعيهما .

قال ديلامارش : « هاتان امرأتان قدرتان ! » ، وكان صوته
خفيفا ، وبدا انه راعى ذلك حتى لا يتسبب في ازعاج برونييلدا
النائمة ، و . . سوف ابلغ عنهما البوليس ان عاجلا أو آجلا ، وعندئذ
سأتخلص منهما بضع سنوات ، لا تتطلع نحوهما ! » ، وجذب
كارل وهو يقول له ذلك ، الا ان كارل لم يجد بأسا في ان يتطلع
نحو المرأتين ، طالما كان عليه على اية حال ان ينتظر واقفا في الممر
حتى تستيقظ برونييلدا ، وهز رأسه في غضب ، وكأنه يرفض ان
يستمع الى تحذيرات ديلامارش ، بل لقد خطا بضع خطوات في
اتجاه المرأتين ، لكي يوضح رأيه ، عندما أمسك به روبنسون من
كم قميصه ، قائلا : « انتبه ياروسمان ! » ، بينما كان ديلامارش
قد عصف به الغضب ، بسبب الضحكة التى اطلقتها الفتاة الصغيرة ،
حتى لقد قفز ، وهو يحرك ساقيه وذراعيه نحو المرأتين ، اللتين
دخلتا بابهما ثانية كما لو كانتا قد انجرفتا خلاله في التو واللحظة ،
وقال ديلامارش عند هودته : « هذه هى الطريقة التى اخلى بها
هذا الممر عادة ! » ثم تذكر ان كارل كان قد تمرد عليه ، فقال :

« الا اننى كنت اتوقع منك سلوكا مختلفا تماما ، والا كان عليك ان تظهر لى عدااك صراحة ! »

ثم جاء صوت رقيق من داخل الشقة ، متسائلا فى ارهاق :
« هل هذا أنت يا ديلامارش ؟ ! »
فاجاب ديلامارش قائلا : « نعم ! » ، وتطلع فى رقة الى الباب :
« هل يمكننا ان ندخل ؟ ! »

وجاءه الجواب : « اوه .. نعم ! » ، وبعد انلقى نظرة على الآخرين الذين كانا يقفان الى جانبيه ، فتح ديلامارش الباب فى بطء .

وتقدم ثلاثهم فى الظلام الحالك ، كانت الستارة التى تغطى باب الشرفة - لم تكن هناك أية نوافذ - مسدلة تماما ، ولم تكن تسمح بدخول سوى القليل من الضوء ، الا ان حقيقة امتلاء الحجرة بالاثاث المتراكم ، والملابس المعلقة فى كل مكان ، كانت قد أسهمت الى حد كبير فى اظلام الحجرة ، فوق ظلامها ، وكان الهواء فاسدا ، وكان فى وسع المرء ان يتنفس التراب بالفعل ، ذلك التراب الذى كان قد تجمع فى الاركان ، التى كانت تبعد فيما يبدو عن متناول اليد ، وكان اول ما لاحظته كارل عند دخوله ، هو ثلاثة من صناديق الملابس ، كانت تستقر بجوار بعضها البعض .

وفوق الاريكة كانت تستلقى المرأة التى كانت تنظر من الشرفة ، من قبل . و كان رداؤها الاحمر ، قد تشنى تحتها على نحو ما ، وانحدر حتى بلغ الارض ، وكان من الممكن رؤية ساقها حتى الركبتين ، كما كانت ترتدى جوارب صوفية بيضاء سميقة ، ولم تكن تنتعل حذاء .

قالت : « ما أشد حرارة الجو يا ديلامارش ! » ، ومدت ذراعها نحو ديلامارش فى وهن ، وهى تدير وجهها نحوه ، وتناول ديلامارش يدها ، وقبلها ، واستطاع كارل ان يرى ذقنها ، التى كانت تتكون من ذقنين ، والتى كانت تلتف فى انسجام مع دوران رأسها .

تساءل ديلامارش : « هل ترغبين فى ان ارفع الستارة ؟ ! »
قالت فى نبرة تبدو يائسة ، وهى تغلق عينيها : « اوه .. لا تفعل هذا ، فسوف يزيد الجو سوءا ! »

وكان كارل قد تقدم مباشرة نحو الاريكة لى يرى المرأة جيدا ، كان مندهشا لنواحيها ، لان الحرارة لم تكن زائدة عن المألوف .

وقال ديلامارش فى قلق : « انتظرى فسوف اريحك اكثر ! » ،

وفك بضعة ازرار حول رقبتها ، وفتح الثوب حول عنقها ، حتى
تعرى جزء من صدرها ، وكانت حروف الدانتلة الناعمة الصفراء
التي تزين قميصها الداخلى قد بدت كذلك .

قالت المرأة فجأة ، وهي تشير بأصبعها الى كارل : « من هذا ،
ولماذا يحدق نحوى بهذه القسوة ؟ ! »

فقال ديلامارش ، وهو يدفع كارل جانبا : « انك محسنة
كبيرة ، الست كذلك ؟ ! » ، وراح يؤكد للمرأة قائلا : « انه ليس
سوى الصبي الذى احضرته ممي لكى يقوم على خدمتك ! »

فصاحت المرأة قائلة : « ولكنى لا اريد احدا ، فلماذا تحضر
الغريباء الى داخل المنزل ؟ ! » .

فقال ديلامارش ، وهو يركع على الارض ، فلم يكن ثمة مكان له
على الاريقة بجوار برونيلا ، بالرغم من اتساعها : « لكنك ظلت
تطلبين منى دائما شخصا يتولى خدمتك ! » .

قالت : « اوه ، يا ديلامارش ، انك لا تفهمنى ، انك لا تفهمنى
مطلقا ! » .

فقال ديلامارش : « اذن ، فليكن الامر كذلك ، فانا لا افهمك ! »
وتناول وجهها بين راحتيه : « الا ان ذلك لا يهم فى الحقيقة ،
فيمكنه ان يرحل فى الحال ، لو شئت ! » .

قالت اخيرا : « بما انه قد جاء ، فيمكنه ان يبقى . . ! » واحس
كارل بالامتنان لها ، عند سماعه هذه الكلمات ، لشدة التعب
الذى كان يشعر به ، مع ان تلك الكلمات لم تكن فيما يبدو تحمل
شيئا من الكرم ، ذلك ان التفكير فى تلك الدرجات التى لا نهاية
لها ، والتى قد يتعين عليه ان يهبطها ثانية ، كان أشد ما كان
يخشاه ، لهذا تخطى روبنسون الذى استغرق فى النوم الآن فوق
بطانيته ، وقال لها ، على الرغم من ايماءات ديلامارش الفاضلة :
« اننى اشكرك على اية حال ، لسماحك لى بالبقاء هنا لفترة قصيرة
فقط ، لاننى لم أذق طعم النوم طوال الاربع والمشرين ساعة
الماضية ، ولقد قمت بأشياء كثيرة جدا ، وقد أزعجتني كذلك بعض
الامور ، وكدرتني ، اننى مرهق غاية الارهاق ، ولا اكاد ادرى اين
انا ، لكننى بعد ان اغفو ساعة أو ساعتين يمكنك ان تلقى بى
خارجا ، وسوف أرحل فى الحال مسرورا ! »

قالت المرأة : « يمكنك ان تبقى ما شاء لك البقاء » ، ثم اضافت
قائلة فى سخرية : « ان لدينا أكثر من متسع لك هنا ، كما ترى »

فقال ديلا مارش : « اذن من الافضل ان ترحل الان ، فليست لنا اية حاجة اليك ! »

فقالت المرأة جادة هذه المرة : « لا ، دعه يبق ! »
وقال ديلا مارش ، وكأنه يلبي امر المرأة : « حسنا اذن ، فاذهب واستلق في مكان ما » .

— يمكنه ان يستلقى فوق الستائر ، لكن عليه ان يخلع حذاءه حتى لا يتسبب في تمزيقها !

وأشار ديلا مارش لكارل الى المكان الذى كانت تقصده المرأة ، فبين الباب ، والصناديق الثلاثة ، كانت توجد كومة هائلة من مختلف انواع الستائر ، ملقاة ، وكانت مطوية جميعا بغاية العناية ، الستائر الثقيلة فى أسفل ، والخفيفة فوقها ، وكانت كل القضبان التى تتحرك فوقها الستائر ، وكل الحلقات الخشبية المتناثرة خلال الكومة قد اخرجت منها ، وربما كانت هذه الستائر تكون فى النهاية اريكة لاباس بها ، لكنها كانت فى الحقيقة عبارة عن كومة مهتزة غير صالحة للنوم ، وقد استلقى كارل فوقها مع ذلك ، فى الحال ، لانه كان متعبا غاية التعب ولا يقدر ان ينتظر لى يعيد ترتيب هذه الكومة من الستائر ، وكان عليه ، كذلك ، ان يحذر المزيد من الاحاديث مع مضيفه ، ومضيفته .

ولقد استغرق فى النوم العميق ، حتى سمع صيحة مرتفعة ، وفزع من نومه ليجد برونيلا تجلس فوق الاريكة ، وهى تفرد ذراعيها على آخرهما ، وتلقيهما فوق كتفى ديلا مارش ، الذى كان راكعا امامها ، وصدم كارل لهذا المشهد ، واستلقى ثانية على ظهره ، وتكوم على نفسه فوق الستائر لى يواصل نومه ، وقد اوضح له انه لن يحتمل هذا المكان لمدة يومين ، لكن كان من الضرورى له ان ينام نوما كافيا الان ، حتى يمكنه ان يستعيد نشاطه ، ومن ثم يقرر بعد ذلك ما ينبغى عليه ان يفعله .

الا ان برونيلا كانت قد لمحت عينى كارل ، اللتين كان الارهاق قد زاد من اتساعهما ، وكانتا قد افزعتهما بالفعل ، فصاحت : « ديلا مارش ، لا يمكننى ان احتمل هذه الحرارة ، اننى اكاد احترق ، ويجب على ان اخلع ملابسى ، يجب ان آخذ حماما ، فاخرج هذين الشخصين ، الى حيث تشاء ، الى الممر ، او الى الشرفة ، او الى مكان آخر لا يمكن ان تقع عليهما فيه عيناي ! فهانذا فى منزلى ، ولكن لا يمكننى ان احصل على الراحة مطلقا ، فلو أمكن

لنا أن تكون وحدنا يا ديلامارش ! اوه ، يا الهى ، انهما لا يزالان هنا ، انظر الى هذا الوقع المدعو روبنسون ، وهو يتمدد فى ملابسه الداخلية فى وجود سيدة ، وانظر ايضا الى هذا الصبي ، هذا الغريب الذى يحدق فى بوحشية ، وكيف يتظاهر بأنه قد استغرق ثانية فى النوم ، لكى يخدعنى ، اطردهما يا ديلامارش ، انهما عبء على كاهلى ، انهما ثقل فوق صدرى ، فلو مت الآن فسوف يكون ذلك بسببهما ! » .

قال ديلامارش وهو يتقدم نحو روبنسون ، ويهزه بقدمه التى وضعها فوق صدره : « هيا اخرجنا من هنا ، اخرجنا فى الحال ! » ثم صاح موجهها حديثه الى كارل : « انهض يا روسمان ، اخرجنا الى الشرفة كلاكما ، وسوف تكون جنازتكما قد حانت ان دخلتما هنا قبل ان ندعوكما الى الدخول ، والان تحرك يا روبنسون ! » ، وعند ذلك ركل روبنسون بقسوة اشد ، وانت يا روسمان ، هيا الى الخارج ، والا جئت فتصرفت معك انت ايضا ! » ، وصفق بيديه مرتين فى صوت مرتفع .

صاحت برونيلدا من مكانها على الاركة قائلة : « لماذا تتلكان ! » كانت قد فردت ساقها على اتساعهما حيث جلست لكى تتيح مكانا لجسدها غير المتناسق ، بمجهود شديد ، وهى تتنفس ، وتتوقف كثيرا لكى تلتقط انفاسها ، حتى أستطاعت ان تنحنى الى الامام لكى تمسك بجواربها ، وتخلعها ، ولم تستطع ان تخلع ملابسها ، فقد كان على ديلامارش ان يقوم بذلك ، وكانت تجلس الآن فى انتظاره ، بفارغ الصبر ، لكى يخلع عنها ملابسها .

وزحف كارل ، وهو يكاد يكون فاقد الوعى من شدة التعب الى اسفل من فوق كومة الستائر ، واتجه فى ببطء نحو باب الشرفة ، وكانت قطعة من قماش الستائر قد التفت حول ساقه ، فجرحها معه بلا مبالاة ، وفى شروده قال بالفعل لبرونيلدا ، وهو يمر امامها : « ارجو لك ليلة سعيدة ! » ، ثم مر بديلامارش الذى كان يحرك الستائر جانبا ، من امام باب الشرفة ، وخرج كارل الى الشرفة ، ووصل روبنسون فى الحال خلفه ، وكان يبدو مستغرقا مثله فى النوم ، لانه كان يغمغم قائلا لنفسه : « معاملة سيئة دائما ، فلو لم تات برونيلدا ، لما كان على ان اذهب الى الشرفة ! » الا انه قد خرج فى غاية الوداعة ، على الرغم من هذا التصريح ، الى الشرفة ، حيث استلقى فوق الارض الحجرية ، لان كارل كان قد

تقوم فوق المقعد ذى المساند .

وعندما استيقظ كارل كان المساء قد حل ، وكانت النجوم قد ظهرت فى السماء ، وخلف البيوت العالية المواجهة كان القمر قد ارتفع فى السماء ، ولم يكن كارل يكاد يدرك أين كان ، قبل أن يتفحص الأماكن المهجورة التى كانت تحيط به الآن ، وقبل أن يستنشق الهواء الرطب المنعش ، وكيف كان قد بلغ به الإهمال حدا ، أهمل معه نصائح المدير ، وكل تحذيرات تيريز ، وكل مخاوفه الخاصة ، وهنا حيث كان يجلس فى هدوء فى شرفة ديلامارش ، حيث نام نصف يوم ، بدا له وكأن ديلامارش عدوه اللدود لم يكن يوجد بالفعل على بعد خطوات قليلة منه ، خلف تلك الستارة ، وروبينسون هذا ، الضائع الكسول ، الذى كان يتمدد على أرضية الشرفة ، والذى كان قد راح يشد قدمه ، ويبدو أنه قد أيقظه بهذه الطريقة من نومه ، فقد كان يقول له الآن : « كيف يمكنك أن تنام يا روسمان ، ان هذا هو تماما معنى ان يكون المرء صغيرا ، وعديم المبالاة ، والى متى تريد ان تواصل النوم ؟ لقد تركتك تستغرق فى النوم ، الا اننى كنت قد ضقت أولا بالاستلقاء فوق أرضية الشرفة ، وثانيا فقد جعت غاية الجوع ، هيا ، انهض فى الحال ، فلقد عثرت على شيء كان مخبئا تحت مقعدك ، شيئا من الطعام ، واريد ان أخرجك من مكانه ، وسوف أعطيك بعضه ، » وعندما نهض كارل ، تطلع حوله ، بينما زحف روبينسون - دون ان ينهض على قدميه - على بطنه ، حتى بلغ أسفل المقعد ، لكى يجذب صينية فضية ، كتلك التى تستعمل فى حمل بطاقات الزيارة ، وكان فوق تلك الصينية قطعة من السجق الاسود ، وبضع سجائر رفيعة ، وعلبة سردين مفتوحة ، لا تزال ممتلئة تقريبا ، ومغطاة بالزيت ، وبضع قطع من الحلوى ، أغلبها مكومة فى قطعة واحدة ، ثم ظهرت أيضا قطعة كبيرة من الخبز ، ونوع من زجاجات العطر ، يبدو أنها كانت ممتلئة بشيء آخر غير العطر ، رغم ذلك ، لان روبينسون عرضها فى رضا زائد على كارل ، وهو يمتص شفثيه ويتطلع نحو كارل بنظرة راضية .

قال روبينسون ، وهو يلتهم السردينة بعد الاخرى ، ويمسح الزيت بوشاح من الصوف يبدو أن برونيسلدا كانت قد نسيت فى الشرفة : « انظر يا روسمان ، انظر ، هذا هو ما تحتاج اليه فى الحقيقة ، ان لم تكن تحب أن تتضور جوعا ، وأقول لك ، لقد

القي بي على هامش الحياة ، ولو عاملك الناس دائما ككلب ، فانك سوف تبدأ ، فتظن انك كلب بالفعل ، انه شيء طيب وجودك هنا معي يا روسمان ، فسوف اجد على الاقل شخصا يمكنني ان اتحدث اليه ، لا أحد في هذا المنزل كله يتحدث الي ، انهم يكرهوننا وكل هذا بسبب برونيلا ، انها امرأة رائمة بالطبع ، واننى . . ! » ، وهنا اشار الى كارل بان يميل نحوه ، لسكى يهمس اليه بشيء ما : « لقد رايتها عارية ذات مرة ، اوه . . » ، وعندما عاودته ذكرى تلك المتعة ، راح يقرص ساق كارل ، ويصفعها ، حتى صاح كارل فيه قائلا : « روبنسون ، لقد جئنت ا » ، ودفع يده في عنف بعيدا .

قال روبنسون : « انك ما زلت طفلا يا روسمان ! » ، واخرج من تحت قميصه خنجرا ، كان يعلقه بحبل حول عنقه ، واخرجه من جرابه ، وراح يقطع به قطعة السجق الجامدة : « ان امامك الكثير الذى يجب عليك ان تتعلمه ، الا انك قد جئت الى اصليح الاماكن التى يمكنك ان تتعلم فيها هذه الاشياء ، وانت لا تريد ان تشرب ايضا ؟ وعلى هذا فانت لا تريد شيئا مطلقا ، كما انك لا تميل كذلك الى الحديث ، الا اننى لا يهمنى من الذى يجلس معي في الشرفة ، طالما ان هناك شخصا معي في نهاية الامر ، ذلك اننى اطرد دائما الى هذه الشرفة ، وتسربرونيلا سرورا هائلا لذلك ، وما عليها سوى ان تعلن اية فكرة تخطر على بالها ، كأن تقرر مثلا انها تشعر بالبرد ، او انها تشعر بالحرارة الشديدة ، او انها تريد ان تنام ، او تريد ان تمشط شعرها ، او تريد ان تفك الكورسيه ، او تريد ان ترتديه ، وهكذا تتسبب دائما في طردى الى الشرفة ، احيانا تفعل ما تقوله حقا ، الا انها في اغلب الاحيان ، تبقى جالسة فوق الاربكة ، كما هي ، ولا تتحرك . وقد اعتدت في بعض الاحيان ان ازيح الستارة جانبا ، واسترق النظر من خلالها ، الا ان ديلا مارش في احدى تلك المرات - وانا اعلم تمام العلم ، انه لم يكن يريد ان يفعل ذلك ، وانه قد فعله فقط ، لان برونيلا كانت قد طلبت منه ان يفعله - ضربني فجأة على وجهى عديدا من المرات بالسوط - هل يمكنك ان تتبين آثار تلك الضربات ؟ ومنذ ذلك الحين ، لم أجرؤ على ان استرق النظر ثانية ، وعلى هذا فقد اعتدت على ان استلقى هنا فقط ، في هذه الشرفة ، ولا افعل شيئا سوى الاكل ، والليلة قبل الماضية كنت استلقى هنا وحيدا

طوال الليلة ، وكنت ارتدى تلك الملابس الفاخرة التى شاء سوء
الحظ أن أفقدها فى فندقك - فلقد مزق الخنزير ، تلك الملابس
الثمينة من على ظهري - حسنا ، بينما كنت استلقى هنا وحيدا ،
واتطلع الى الشارع من خلال الدرابزين ، بدا لى كل شيء بألسا
غاية البؤس ، حتى لقد شرعت فجأة فى البكاء ، ثم حدث - دون
أن لاحظ ذلك - أن خرجت برونيلا الى الشرفة فى رداؤها الاحمر
- الذى يناسبها اكثر من بين كل ملابسها الاخرى - وتطلعت الى
قليلا ، وقالت : « روبنسون ، لماذا تبكى ؟ ! » ، ثم رفعت ذيل
ردائها ومسحت دموعي ، و . . من يدرى ما عساها كانت
تفعل ايضا ، لو لم ينادها ديلا مارش ، وكان عليها أن تعود الى
الحجرة ثانية فى الحال ، لقد ظننت بالطبع لحظتها أن دورى كان
قد حان ، وتساءلت من خلال الستارة ، أن كان على أن ادخل ،
فماذا تظن أن برونيلا قد قالت ؟ لقد قالت : « لا ! » ، ثم
اضافت قائلة : « وما الذى تظنه ؟ ! » .

وتساءل كارل قائلا : « لكن لماذا تبقى هنا اذا كانا يعاملانك
على هذا النحو ؟ ! » .

فاجابه روبنسون قائلا : « اسمح لى يا روسمان ، ان اقول
لك ان هذا سؤال غبى ، لانك سوف تبقى هنا أنت ايضا ، حتى
لو عاملاك بصورة أسوأ كثيرا من هذه ، وبالإضافة الى ذلك فليست
معاملتهما لى الى هذا الحد من السوء ! » .

قال كارل : « لا . . اننى سأرحل بلا شك ، وهذه الليلة نفسها
ان أمكن ذلك ، اننى لن أبقي معك ! » .

- وكيف ستتمكن من الرحيل الليلة ؟ ! تسامى روبنسون ،
وهو يستخرج لب الرغيف الطرى ، ويفمسه فى الزيت ، داخل
صندوق السردين : « كيف يمكنك أن ترحل اذا كان عليك الا
تدخل الحجرة ؟ ! » .

- ولماذا لا يجب على أن ادخل الحجرة ؟ !

فقال روبنسون ، وهو يفتح فمه على اتساعه ، ويلتهم الخبز
المنقوع فى الزيت ، بينما يتلقى قطرات الزيت المتساقطة فى راحة
يده الاخرى ، كوعاء كان يغمس فيه بقية الخبز من حين
لآخر : « لانه ليس لنا أن ندخل الحجرة ، ما لم يدق الجرس ،
ايدانا بالدخول ، ان الامور اكثر حزما الآن ، وقد كانت على الباب
فى البداية ، ستارة رقيقة ، لم يكن يمكنك بالفعل أن ترى من

خلالها ، لكن كان في استطاعة المرء في الامسيات ان يلاحظ شبيحيهما من خلالهما ، الا ان ذلك لم يرق لبرونيلدا ، وعلى هذا ، كان على ان احول احدي ملابسها الليلية الثقيلة الى ستارة ، وان اعلقها على باب الشرفة بدلا من الستارة القديمة ، فلا يمكنك الان ان ترى شيئا بالمرء ، ثم كنت في احد الاوقات اسأل من مكانى هنا ، ان كان لى ان ادخل الحجره ، وكان ياتينى الجواب بنعم ، او لا ، حسب الظروف ، لكن يبدو ان هذا الوضع كان قد راق لى كثيرا ، فقد كنت اسالها اسئلة متلاحقة في كل مرة ، ولم تحتمل برونيلدا ذلك - ومع انها في غاية السمنة ، الا انها في غاية الرقة ، وهى كثيرا ما تصاب بالصداع ، وبالنقرس في ساقيها - وعلى هذا فقد تم القرار بعدم السماح لى بالسؤال ثانية ، وفي استطاعتى ان ادخل الحجره فقط عندما يرن جرس ثباته فوق المنضدة لهذا الغرض ، ويرن هذا الجرس رنيننا مرتفعاً جداً ، حتى ليوقظنى انا نفسى ، من نومى ، وقد كانت لى قطة في احد الاوقات ، كانت تسلىنى في وحدتى ، الا انها قد فزعت من صوت الجرس ، فانطلقت تجرى ، ولم تعد ثانية قط ، ولم يرن هذا الجرس اليوم كما ترى ، ذلك لانه عندما يرن ، فانه لا يكون مسموحاً لى عندئذ فقط بالدخول ، بل انه يتحتم على ان ادخل الحجره - وعندما ينقضى مثل هذا الوقت الطويل دون ان يرن الجرس ، فمن الممكن في هذه الحالة الا يرن بالفعل الا بعد انقضاء فترة طويلة اخرى ! » .

قال كارل : « نعم ، الا ان ما يوافقك ، لا يوافقنى بالضرورة ، وبالإضافة الى ذلك ، فان مثل هذا الوضع لا يناسب الا الذين يمكنهم احتماله ! »

فصاح روبنسون قائلاً : « لكن ، لماذا لا يوافقك انت ايضا ؟ بالطبع انه يوافقك انت ايضا ، ومن الافضل ان تستلقى في هدوء ممت ، هنا حتى يرن الجرس ، ثم يمكنك عندئذ ، على الاقل ، ان تحاول الرحيل ! »

- ما الذى يبقيك هنا حقاً ، ان ديلا مارش ببساطة صديقك ، او انه بالاحرى كان صديقك ، هل تسمى هذه حياة ؟ ألم يكن من الافضل لك الذهاب الى باترفورد ، حيث كنت تنوى الذهاب في البداية ؟ او حتى الى كاليفورنيا حيث يوجد اصدقاءك ؟ » .

قال روبنسون : - « حسناً ، لم يكن يمكن لاحد ان يتوقع حدوث ذلك ! » . ثم قال قبل ان يكمل عبارته : « فى صحتك الغالية

يا عزيزى روسمان ! ، ، وارتشف رشفة طويلة من زجاجة العطر :
 « لقد كنا فى غاية الضنك ، خلافا للمتوقع ، عندما تركتنا اذ ذاك
 عامدا ، ولم نتمكن من أن نجد عملا على الاطلاق ، فى اليوم الاول ، أو
 اليومين الأولين ، وبالإضافة الى ذلك ، فلم يكن ديلا مارش يرغب فى
 العمل ، كان فى استطاعته لو شاء أن يحصل على عمل ما بسهولة ،
 الا أنه كان يرسلنى لكى أبحث أنا لنفسى عن عمل ، ولم يصادفنى
 الحظ مطلقا ، كان يتسكع فقط هنا وهناك ، وكان كل ما أحضره
 معه فى المساء ، حقيبة سيدة ، كانت حقيبة فاخرة للغاية مصنوعة من
 اللآلىء ، وقد أهداها لبرونيلدا فيما بعد - الا أننا لم نجد فيها شيئا ،
 ثم قال أنه من الأفضل لنا أن نتسول أمام الابواب - يمكنك أن تحصل
 على شيء أو آخر بهذه الطريقة - ، وهكذا مضينا فى التسول ، وكنت
 أغنى أمام ابواب البيوت لكى أجعل أسلوبينا فى التسول أفضل
 قليلا ، ويبدو أنه كان حظ ديلا مارش هذه المرة لاننا ما كدنا نمضى
 دقيقة أو دقيقتين فى التسول ، بالتحديد أمام الباب الثانى الذى
 وقفنا أمامه ، وكان باب شقة هائلة فى الطابق الارضى ، وغنيت
 أغنيتين للطاهى ، وللساقى ، عندما ظهرت أمامنا السيدة صاحبة
 الشقة ، وقد كانت هى برونيلدا نفسها ، ظهرت على الدرجات الاولى ،
 وربما كانت ترتدى وقتها فستانا محبوبا جدا من الدانتيل ، وعلى
 أية حال غانها كانت قد بدت فوق تلك الدرجات ، فكس بدت
 رائعة ، ياروسمان ! ، كانت ترتدى رداء ابيض اللون ، وكانت
 تمسك فى يدها شمسية حمراء اللون . كنت تشعر بأنك تريد أن
 تلتهمها ، تشعر بأنك تريد أن تشربها ، يا الهى ، لقد كانت فاتنة !
 يالها من امرأة ، اخبرنى أنت ، كيف يمكن وجود مثل تلك المرأة ؟
 ولقد اندفع الطاهى والساقى بالطبع نحوها فى الحال ، وكادا
 يحملانها من فوق الارض ، وقد وقفنا على كلا الجانبين ، ورفعنا
 قبعتينا ، كما يفعل الناس هنا . ولقد توقفت لبرهة قصيرة ، لانها
 لم تكن قد التقطت أنفاسها ، ولم أدر كيف حدث الامر فى الحقيقة ،
 كنت جائعا جدا ، ولم أكن أدر مطلقا ما كنت أفعله ، وكانت هى أمامى
 غاية فى الوسامة ، عريضة الجسد جدا ، لكنها كانت رشيقة غاية
 الرشاقة بسبب تلك المشدات الخاصة التى كانت تشد بها
 كل أجزاء جسمها ، - ويمكننى أن أطلعك على تلك المشدات فى
 صندوق ملابسها - ، حسنا ، لم أستطع أن أمنع نفسى من أن المس
 ظهرها ، لكن كان ذلك فى غاية الرقة ، أنت تعرف ، مجرد لمس

خفيفة ، وانه لامر فظيع بالطبع ان يلمس متسول سيده ثرية ، ولقد كنت فقط قد لمستها لمسة خفيفة عارضة ، الا اننى كنت قد لمستها بالفعل فى نهاية الامر ، ومن يدري ماذا كانت النهاية التى كان من الممكن ان ينتهى اليها ذلك الحدث ، لو لم يلطمنى ديلا مارش لحظتها على اذنى ، ثم اتبعها بتلك الصفحة العنيفة التى ارتفعت لها يداى الى وجهى ! ..

قال كارل : « يالامر العجيب ! » ، كان قد استغرق تماما فى الاستماع الى القصة ، وجلس على ارضية الشرفة : « اذن فقد كانت هذه هى برونيلا ! »

قال روبنسون : « نعم ، لقد كانت هى برونيلا ! »

فتساءل كارل قائلا : « هل قلت مرة انها كانت مغنية ؟ » اجابه روبنسون قائلا : « بالتأكيد ، انها مغنية ، ومغنية كبيرة » وكان يلوك قطعة كبيرة من الحلوى فى فمه ، وراح يدفع بين الحين والاخر ، بقاياها التى كانت تخرج من فمه الى الداخل ، قائلا : لم نعرف ذلك بالطبع وقتها ، كنا قد ادركنا فقط انها كانت سيده ثرية ورائعة للغاية ، ولقد تصرفت وكان شيئا لم يحدث ، وربما لم تكن قد شعرت باى شىء عندما لمستها ، لاننى كنت قد لمستها بالفعل باطراف اصابعى ، الا انها ظلت تتطلع الى ديلا مارش ، الذى حلق فى عينيه مباشرة ، كمادته ، ثم قالت له : « تعال ملى الى الداخل قليلا » وأشارت له بمظلتها الى داخل الشقة ، وكان على ديلا مارش ان يتقدمها ، ودخلا ، واغلق الحدم الباب خلفهما ، ونسيانى فى الخارج ، ولما كنت اظن ان الامر لن يستغرق وقتا طويلا ، فقد جلست على الدرج فى انتظار ديلا مارش ، لكن الساقى خرج الى ، بدلا من ديلا مارش ، وهو يحمل لى وعاء ممتلئا بالشوربة ، قلت فى نفسى : « انه تحية من ديلا مارش ! » ، ووقف الرجل الى جانبي بعض الوقت ، بينما كنت اتناول تلك الشوربة ، واخبرنى ببعض الاشياء عن برونيلا ، وعندها ادركت مدى اهمية تلك الزيادة بالنسبة لنا ، ذلك ان برونيلا كانت قد طلقت زوجها ، وكانت بالفة الثراء ، ومنطلقة تماما على سجيته ! ، كان زوجها السابق ، وهو صاحب مصنع للكاكاو ، - وللعلم ، فهو لا يزال يحبها - الا انها رفضت العودة اليه بالمره ، رغم ذلك . وكان غالبا ما ينادى عليها امام الشقة ، وهو يرتدى دائما افخر الثياب ، كما لو كان متاهبا للذهاب الى حفلة زفاف - هذا صدق ، بكل كلمة فيه ، ولقد عرفت الرجل بنفسى -

لكن رغم المنح الضخمة التي كان يحصل عليها الساقى منه ، فانه لم يكن يجرؤ على أن يخبر برونيلدا ، بأنه كان يلتقى بزوجها ، لانه كان قد سألها مرة أو مرتين من قبل ان كان له أن يستقبله ، فكانت تلتقط أى شيء تقع عليه يدها ، وتقفه به على رأسه ، ولقد صبت فوقه ذات مرة وعاء الماء الساخن الضخم الذى كان يجهز دائما من أجلها ، وتسببت فى تحطيم أحد أسنانه الامامية ، نعم ياروسمان ، يمكنك أن تحدد فى ما شاء لك التحديق ! ،

وتسأل كارل قائلا : « وكيف تمكنت من أن تتعرف بزوجها ؟ »
فقال روبنسون : « انه يأتى الى هنا غالبا ! »
— هنا ! وضرب كارل أرضية الشرفة بيده ، ضربة خفيفة ،
لدهشته .

ومضى روبنسون فى حديثه قائلا : « قد تصيبك الدهشة ، ولقد دهشت انا نفسى عندما كان الساقى يقف بجوارى خارج الشقة ، وهو يحكى لى عن هذا كله ، فكر فى هذا فقط ، فعندما تكون برونيلدا فى الخارج ، كان الزوج يرجو الساقى دائما أن يدخله الى حجرتها ، وكان يأخذ منها دائما شيئا نافعا أو آخر ، كتدكار ، ويترك لها بدلا منه شيئا نادرا ، وغاليا ، وكان يحذر الساقى تحذيرا مشددا من أن يذكر لها شيئا عن شخصية من ترك لها تلك الاشياء ، لكن عندما ترك لها ذات مرة — وقد أقسم لى الساقى بصدق ذلك ، وقد صدقته — قطعة نادرة من الخزف ، لا تقدر بثمن ، ولا بد أن برونيلدا كانت قد تحققت منها بصورة ما ، الا انها قد طوحت بها الى الارض فى الحال ، وداستها بقدمها ، وبصقت فوقها ، وفعلت فوقها أشياء أخرى أيضا ، حتى ان الخادم ، لم يتمكن من أن يرفع حطامها من على الارض الا بصعوبة بالغة لشدة قرفه ! »

فتسأل كارل قائلا : « وماذا فعل زوجها بعد هذا الحادث ! »

فقال روبنسون : « لست أدري فى الحقيقة ، الا اننى لا اظن انه فعل شيئا ذا بال ، فربما لم يكن قد علم بهذا الامر وقتها فى الحقيقة مطلقا ، ولقد تحدثت معه كثيرا عن هذا الحادث ، وكنت ألتقى به كل يوم فى أحد أركان الشارع ، لو استطعت أن أخرج لمقابلته ، وكان على دائما أن أنهى اليه بآخر الاخبار ، واذا لم أتمكن من الخروج اليه ، فقد كان ينتظر حوالى نصف الساعة ، ثم ينصرف بعد ذلك من حيث أتى ، وقد كانت فى هذه اللقاءات فائدة

كبيرة لى فى البداية ، لانه كان يدفع كسيد ، ثمننا لكل ما كنت اوافيه به من الاخبار ، لكن بعد ان علم ديلا مارش بالامر ، كان على ان اسلم له النقود التى كنت احصل عليها من ذلك الرجل ، وعلى هذا فلم اعد احرص على الخروج كثيرا الان ! »

تساءل كارل : « لكن ما الذى يسمى اليه هذا الرجل ؟ ما الذى يسمى اليه بحق الجحيم ، انه يعلم بلا شك انها لا تريد ! » تنهد روبنسون قائلا ، وهو يشعل سيجارة ، وينفث دخانها هاليا فى الهواء ، ويعبث بيده فى دخانها المتطاير : « نعم ! » ، ثم تحول من رايه قائلا : « وماذا يعنى هذا الامر بالنسبة لى ؟ كل ما امره هو انه على اتم استعداد لان يدفع مبلغا هائلا من المال ، لى يتمكن من ان يستلقى هنا فى هذه الشرفة مثلنا ! »

نهض كارل ، ومال الى الدرابزين ، وتطلع نحو الشارع ، كان القمر واضحا الان ، الا ان ضوءه لم يكن قد نفذ بعد الى اعماق الشارع ، ومع ان الشارع كان خاليا تماما اثناء النهار ، الا انه كان مزدحما الان بالناس ، وخاصة امام ابواب المنازل ، وقد كانوا يتدافعون جميعا الى الامام فى بطء وتشاقل ، وكانت قمصان الرجال ، وملابس النساء الخفيفة ، تبدو خافتة وسط الظلام ، وكانوا جميعا حاسرى الرؤوس . وكانت مختلف الشرفات التى كانت تطل على الشارع ، تمتلئ الان بالناس ، كانت العائلات باكملها تجلس فيها ، تحت ضوء المصابيح الكهربائية ، وحول مناضد صغيرة ، اذا كانت الشرفة فسيحة بدرجة كافية ، او فى صف من المقاعد المتجاورة ، ذات الدراعين ، او تبرز رؤوسهم فقط من خارج نوافذ الحجرات ، وكان الرجال يجلسون فى ارتياح ، وقد مددوا سيقانهم ، ودرسوا اقدامهم بين قضبان الدرابزين ، وهم مستغرقون فى قراءة الصحف التى كانت تمتد حتى تبلغ ارضية الشرفات ، او يلعبون الورق ، دون ان يتكلموا على ما يبدو ، وكان لمبهم يصحبه خبطات عنيفة فوق المنضدة ، وكانت حجور النساء تمتلئ بكثير من اعمال التطريز ، ولم يكن يفعلن شيئا سوى ان يوجهن نظرات مقتضبة بين الحين والاخر على ما يحيط بهن ، او الى الشارع تحتهم ، وكانت ثمة امرأة رقيقة ، جميلة فى الشرفة المجاورة ، قد راحت تتشاءب ، وهى تدير عينيها الى اعلى ، وترفع الى قمها قطعة من الملابس الداخلية ، كانت ترتقها ، وحتى فى الشرفات البالغة الصغر ، تمكن الاطفال من مطاردة بعضهم بعضا ،

وكانوا يشيرون صخباً يزعج والديهم ، وفي داخل الكثير من الحجرات ، كان يمكن سماع أصوات الجراموفونات ، وهي تطلق الأغنيات ، أو الموسيقى الأركستراالية ، فيما عدا أن رب الأسرة كان يعطى إشارة ما بين الحين والآخر ، فيهرع شخص ما الى داخل الحجرة لكي يضع اسطوانة أخرى ، وعند بعض النوافذ كان من الممكن رؤية الأزواج العشاق يقفون بلا حراك ، وكان ثمة عاشقان من بين هؤلاء العشاق ، يقفان أمام نافذة مواجهة ، وكان الشاب يلف ذراعه حول الفتاة ، ويعتصر خصرها .

سأل كارل روبنسون الذي كان قد نهض هو أيضاً واقفاً على قدميه ، وقد التف في دثار برونيلا ، عندما شعر بالبرد بالإضافة الى بطانيته :

— هل تعرف أحداً من جيرائك هنا ؟ ! ..

فقال روبنسون : « لا أكاد أعرف أحداً منهم ! » وجذب كارل نحوه حتى التصق به ، لكي يهمس إليه قائلاً : « والا ما كان أمامي ما أشكو منه الآن ، لقد باعت برونيلا كل ما لديها لكي ترضى ديلامارش ، وانتقلت الى هذه الشقة في هذه الضاحية بكل ما تبقى لديها ، لكي تهب نفسها كلية له ، دون أن يعكر صفوها أحد ، وبالإضافة الى ذلك ، فإن هذا هو ما كان يريده ديلامارش أيضاً ! ، تسامح كارل : « وهل طردت خدمها ؟ »

فقال روبنسون : « أجل لقد طردتهم ، ومن أين لها ما تنفقه على هؤلاء الخدم هنا ؟ ! أن أمثال هؤلاء الخدم يتوقعون وجود كل أنواع الخير بلا حساب ، ولقد ركل ديلامارش ذات مرة ، في شقة برونيلا القديمة ، واحداً من هذه المخلوقات المرفهة ، خارج الحجرة ، وظل يركله أمامه حتى أصبح الرجل خارج الشقة كلها ، وقد انضم بقية الخدم بالطبع الى جانب زميلهم ، واثاروا شغباً أمام الباب ، ثم خرج اليهم ديلامارش « لم أكن أنا قد أصبحت خادماً حينئذ ، لكنني كنت صديقاً للأسرة فقط ، الا انني طردت معهم الى الخارج على الرغم من ذلك » وسألهم ديلامارش قائلاً : « ماذا تريدون ؟ ! »

واجابه أكبر الخدم سناً ، وهو رجل يدعى ايزيدور : « لا شأن لك بنا ، اننا نعمل في خدمة السيدة ! » واعتقد انك تدرك من هذا انهم كانوا يحترمون برونيلا غاية الاحترام ، الا ان برونيلا لم تلق بالا اليهم ، وانطلقت نحو ديلامارش — لم تكن على تلك

السمنة ، وثقل الحركة عندئذ ، كما هو حالها الآن - واحتضنته ، وقبلته أمامهم جميعا ، ونادته قائلة : « عزيزي ديلامارش ! » ثم قالت : « والآن اطرده هؤلاء الحمقى من هنا ! » - الحمقى ! ذلك هو ما دعت به خدمها ، ولك ان تتخيل التعبير الذى ارتسم على وجوههم ، ثم أمسكت برونيلا يد ديلامارش وسحبته نحو كيس نقودها ، الذى كانت تعلقه في حزامها ، ووضع ديلامارش يده في داخل الكيس ، وراح ينقد الخدم أجورهم ، ولم تفصل برونيلا شيئا ، لكنها بقيت واقفة في مكانها هنالك الى جواره ، والكيس مفتوح في وسطها ، وكان على ديلامارش ان يضع يده في داخل الكيس المرة بعد المرة ، لانه كان يوزع النقود دون ان يحصيها ، ودون ان يستمع الى شكواهم ، وفي النهاية قال ديلامارش : « بما انكم لا شأن لكم بي ، فاني اقول لكم باسم السيدة ، اخرجوا في هذه اللحظة ! » ، وهكذا فصلوا ، وقد كانت ثمة عواقب قانونية فيما بعد ، وكان على ديلامارش ان يذهب الى المحكمة في احدى المرات ، الا اننى لم اعلم عن هذا الامر أكثر من ذلك ، فيما عدا ان ديلامارش قد قال لبرونيلا ، بعد طرد الخدم : « وهكذا فليس لك خدم الآن ؟ ! » ، لكنها قالت له : « ولكن روبنسون لا يزال موجودا ! » ، وعندها لطمنى ديلامارش على كتفى ، وقال : « حسن جدا ، اذن ، فسوف تصبح خادما ! » ، وعندئذ ربت برونيلا على خدى ، فلو اتبحت لك الفرصة ، فقط ، يا روسمان ، فلعلها ان تربت على خدك في يوم ما ، وسوف يدهشك كم يبدو ذلك ممثما ! »

فقال كارل ، ملخصا الامر : « وهكذا فقد تحولت الى خادم لديلامارش ، اليس كذلك ؟ ! »

ولاحظ روبنسون الاسف في صوت كارل ، فاجابه قائلا : « قد اكون خادما الا ان قليلا من الناس هم الذين يعلمون بذلك ، وهانت ذا ترى ، فلم تكن تعلم انت نفسك ، على الرغم من أنك قد قضيت هنا بعض الوقت . لماذا ؟ لانك ترى فخامة الثياب التى كنت ارتديها الليلة الماضية في الفندق ، لقد كنت ارتدى افخر الملابس ، فهل يرتدى الخدم مثل تلك الملابس ؟ ان الشيء الوحيد الذى يضايقنى هو فقط اننى لا اتمكن من مفادرة هذا المكان الا نادرا ، فيجب ان اكون دائما تحت أمرهما ، ويوجد دائما الكثير مما يجب على ان افعله هنا في الشقة ، ان رجلا واحدا لا يكفي في

الحقيقة لكي يقوم بكل العمل ، ولعلك قد لاحظت ان لدينا أشياء كثيرة تتراكم في الحجرة ، فما لم نستطع ان نبيعه عند انتقالنا الى هذه الشقة ، أحضرناه معنا الى هنا ، وقد كان من الممكن بالطبع القاءه بعيدا ، الا ان برونيلدا لا تلقى بأى شيء ، ويمكنك ان تتخيل معنى ان تحمل هذه الأشياء على السلالم الى هنا ! »

صاح كارل قائلا : « روبنسون ، هل حملت بنفسك كل تلك الأشياء ، وصعدت بها السلالم الى هنا ؟ ! »

فقال روبنسون : « ماذا ؟ وأى شخص آخر غيرى كان هنا لكي يحملها ، لقد كان ثمة رجل لمساعدتى في ذلك ، الا انه كان وفدا كسولا ، وكان على ان أقوم بكل العبء وحدى ، ووقفت برونيلدا بجوار عربة نقل العفش ، وكان ديلامارش هنا لكي يقرر فى أى الأماكن توضع الأشياء المختلفة ، وكان على ان اظل مندفعاً الى أعلى وإلى أسفل . وقد استمر هذا العمل لمدة يومين كاملين ، وقت طويل ، ليس كذلك ، لكنك لا تعلم شيئاً عن الأشياء العديدة التى تحتويها تلك الحجرة ، ان كل الصناديق الخاصة بالملابس ، تمتلئ بملابس برونيلدا ، وخلف الصناديق تتكوى مختلف الأشياء فى أنحاء الحجرة حتى تبلغ السقف ، فلو كانا قد استأجرا عددا قليلا من الرجال لنقل تلك الأشياء ، لكان كل شيء قد انتهى بغاية السرعة ، الا ان برونيلدا لم تكن مطمئن الى غيرى فى حمل حاجياتها ، ولقد كان هذا تملقا لى بالطبع ، الا اننى قد أهدرت قواى تماما خلال هذين اليومين الى الابد ، وماذا تفيدنى صحتى فى غير ذلك ؟ ! ان اقل شيء أحاول ان أقوم بأدائه هنا الآن بسبب لى آلاما هنا وهناك ، وهنا . هل تتذكر هؤلاء الصبية الذين فى الفندق ، تلك الآلات النطاطة - ذلك انهم ليسوا سوى مجرد آلات تقفز بغير معنى - انهم لم يكونوا ليتمكنوا منى لو اننى كنت فى كامل صحتى ! لكن لما كنت محطما بحالتى الراهنة ، فلن أستطيع ان أقول كلمة واحدة لديلامارش او برونيلدا ، وسوف أستمى فى العمل طالما كان فى مقدورى ان أعمل ، وعندما لا أصبح قادرا على العمل ، فسوف أستلقى أرضا ، وأموت ، وعندئذ سوف تكتشف ، متأخرة جدا ، اننى كنت مريضا بالفصل ، ولكننى رغم ذلك واصلت العمل ، وأهلكت نفسى حتى الموت فى خدمتهما ، أوه ، يا روسمان » ، وانتهى من حديثه مجففا دموعه فى كم قميص كارل ، ثم قال بعد برهة : « الا تشعر بالبرد ، وانت تقف هنا فى قميصك هذا فقط ؟ ! »

قال كارل : « استمر في حديثك يا روبنسون ، انك تبكى دائما ، وانا لا أعتقد انك مريض الى هذا الحد ، انك تبدو صحيحا الى درجة كافية ، لكنك باستلقاتك في الشرفة طول الوقت فانك تتوهم مختلف الاوهام ، وربما كنت تشعر بالهم عارض في صدرك ، وهذا ما اشعر به انا ايضا ، ويشعر به كل شخص ، فلو بكى كل الناس مثلك لانفج الامور ، فلن يكون هناك أى شيء سوى البكاء في كل تلك الشرفات ! »

قال روبنسون ، وهو يمسح دموعه بطرف بطانيته : « اننى اعلم جيدا اننى مريض ، ان الطالب الذى يقيم بجوارنا مع صاحبة المنزل التى تطهو طعامنا ، قد قال لى منذ فترة قصيرة مضت ، عندما كنت احضر الاطباق : « انتبه يا روبنسون ، انك مريض ، الست مريضا ؟ ! » ، لم يسكن لى ان اتحدث مع هؤلاء الناس ، وهكذا فقد وضعت الاطباق فى بساطة ، وغادرت المكان ، لكنه تبعنى فى الحال ، وقال : « استمع الى يارجل ، لا تدفع الامور الى مداها ، انك رجل عليل ! » فسأله : « حسنا اذن ، وماذا افعل فى هذا ؟ ! » ، فقال وهو يستدير مبتعدا عنى : « هذا شأنك ! » ، وضحك الآخرون فحسب ، ضحك هؤلاء الذين كانوا يجلسون لحظتها الى المائدة . انهم جميعا اعداؤنا ، كل من يحيطون بنا ، وهكذا فكرت فى انه من الافضل لى ان اصمت ! »
- وعلى هذا فانت تصدق أى شخص يحاول ان يستغفلك ، بينما لا تصدق شخصا يرجو لك الخير ؟ ! »
فقال روبنسون متعجبا : « ولكننى اعرف شعورى بالتأكيد ! »
وشرع فى الصراخ ، ساخطا مرة اخرى .

- انك لا تدري فى الحقيقة ما يضرك ، ولا بد لك من ان تبحث لنفسك عن عمل شريف ، بدلا من ان تعمل خادما لديلامارش هنا ، واننى اقول لك استنادا الى ما قلته انت نفسك ، وألى ما اراه هنا الآن ، انها ليست خدمة تلك التى تقوم بها ، ولكنها استعباد ، ولا يمكن ان يتحمل ذلك أحد ، واننى اصدقك فى كل ما قلته ، الا انك تعتقد انك لا تستطيع ان تترك ديلامارش ، لانك صديقه ، ان هذا هراء ، فلو لم يكن يرى أية حياة حقيرة تحياها ، فليس عليك ان تحمل له أقل شعور ودى ! »

- « اذن فانت تعتقد ياروسمان اننى من الممكن ان استرد صحتى ، لو تركت العمل هنا ؟ ! »

قال كارل : « بالتأكيد ! »

وتساءل روبنسون ثانية : « بالتأكيد ؟ ! »

فقال كارل مبتسما : « بالتأكيد تماما ! »

فقال روبنسون وهو يتطلع الى كارل : « اذن فأننى من الممكن ان ابدا فى محاولة استرداد صحتى فى الحال ! »

فتساءل كارل : « وكيف ذلك ؟ ! »

واجابه روبنسون قائلا : « ماذا ؟ لان عليك ان تقوم بعملى هنا ! »

فتساءل كارل قائلا : « من الذى اخبرك بهذا ، بحق الجحيم ؟ ! »

— اوه .. انها خطة قديمة ، وقد بحثت هذه الخطة اياما طويلة ، وقد بدأت عندما عنفتنى برونيلدا لعدم قياسى بتنظيف الشقة على الوجه الاكمل ، وقد وعدتها بالطبع بان اقوم بعمل كل شىء على الوجه الاكمل ، فى الحال ، لكن .. حسنا ، لقد كان هذا صعبا للغاية ، فلم يكن فى مقدورى ، مثلا ، فى حالتى الصحية الراهنة ان ازحف الى كل الاركان لكى اكنس الاتربة ، اننى اتحرك بغاية الصعوبة فى وسط الحجرة ، ولا اكاد اتمكن من ان اصل الى ما خلف الاثاث ، واكوام الامتعة ، ولو كان للحجرة ان تنظف تنظيفا شاملا ، فلا بد من نقل الاثاث كله من مكانه ، وكيف لى ان افعل ذلك بمفردى ؟ وبالإضافة الى ذلك ، فيجب ان يتم هذا كله بغاية الهدوء ، حتى لا تتضايق برونيلدا ، وهى نادرا ما تغادر الحجرة ، وعلى هذا فقد وعدت بان انظف كل شىء ، الا اننى لم استطع بالفعل ان انظف كل شىء ، ولما لاحظت برونيلدا ذلك ، اخبرت ديلامارش ان الحال لايمكن ان يستمر على هذا المنوال ، وان عليه ان يستخدم مساعدا ، يساعدنى فى أعمال الشقة » ، قالت له : « لا اريدك يا ديلامارش ان تلومنى فى أى وقت من الاوقات على عدم استطاعتى ادارة شئون البيت كما ينبغي ، فلا يمكننى ان اجهد نفسى مطلقا ، وانت تعلم ذلك تمام العلم ، ولم يعد روبنسون كافيا للقيام وحده بأعباء العمل ، لقد كان نشيطا فى البداية ، وكان يقوم بأداء كل شىء على خير وجه ، لكنه الآن متعب دائما ، ويجلس أغلب الوقت فى احد الاركان ، لكن حجرة مكتظة بالاشياء كحجرتنا هذه ، فى حاجة الى ان تكون منظمة باستمرار ! » ، وعلى هذا فقد اهتم ديلامارش بأمر ترتيبها ، لانه لا يمكن بالطبع ان نسمح بدخول أى شخص ، مهما كان الى منزلنا ، ولا حتى كمجرد تجربة ، طالما ان الناس جميعا من حولنا ،

يتجسسون علينا ، لكنى لما كنت صديقا مخلصا لك ، وكنت قد سمعت من رينيل عن العبودية التى كان عمك فى الفندق قد كبلك بأغلالها ، فقد رشحت اسمك ، ووافق ديلامارش فى الحال ، على الرغم من أنك كنت وقحا معه غاية الوقاحة من قبل ، ولقد سررت بالطبع غاية السرور ، عندما تمكنت من أن أكون نافعا لك ، ذلك لأن هذه الوظيفة تبدو كأنها قد خلقت لك ، فانت صغير ، وقوى ، وسريع ، بينما لا نفع فى لاحد ، لكن لابد لى من أن أخبرك بأنك لم تقبل كخادم هنا بصورة نهائية ، فلو لم ترض برونيلا عنك ، فمضى هذا أن لا مكان لك هنا ، وعليك لهذا أن تبدل كل جهدك حتى ترضى عنك ، وسأدبر أنا أمر ما يبقى بعد ذلك ! »

فتساءل كارل قائلا : « وما الذى ستفعله ، لو قبلت هذا العمل ؟ ! » .

وكان كارل قد أحس بالحيرة التامة بعد أن تخطى الصدمة الأولى التى سببها له تصريح روبنسون ، وعلى هذا فلم يكن ديلامارش ينوى به شرا أكثر من أن يحوله الى خادم له ، ولو كانت لديه أية نوايا أخرى شريرة ، فلا شك أن روبنسون الثرثار كان سيثرثر بها حتما ، لكن لو كانت هذه هى نية ديلامارش حقيقة ، فقد رأى كارل عندئذ أن عليه أن يغادر المكان فى تلك الليلة نفسها ، ولا يمكن أن يجبره احد على قبول عمل لا يريده ، وعلى الرغم من أنه كان يخشى فى بداية الأمر أن يعوقه فصله من الفندق ، عن الحصول على وظيفة مناسبة ، ومحترمة لو أمكن ، بسرعة تحفظه من التضور جوما ، فقد بدت له الآن كل الأعمال محترمة لغاية الاحترام اذا قورنت بهذا العرض ، الذى أثار اشمئزازه ، ولو لم يجد عملا ، فليبق جائعا ، ومعدما ، ولكنه لن يقبل هذا العمل ، إلا أنه لم يحاول أن يصرح بهذا لروبنسون ، خاصة أن عقل روبنسون كان مشغولا الآن بأمل التخلص من أعبائه ، ونقلها الى كاهل كارل .

وقال روبنسون ، وهو يؤكد كلماته ، بإشارة من يده تصاحب كل كلمة يتفوه بها : « لكى تبدأ العمل - وكان قد اعتمد بمرققيه على الدرازين - فسوف أشرح لك كل شيء ، وأريك كل ما لدينا من أشياء ، ولقد تلقيت تعليمًا جيدا ، وأنا متأكد من أن يمكنك من الكتابة مسألة لا جدال فيها ، وعلى هذا ففى وسعك أن تمد فى الحال قائمة بكل ما لدينا فى الشقة من أشياء . ولو كان الطقس صافيا غدا ، فسوف نسأل برونيلا أن تجلس فى الشرفة ، ويمكننا

هندلند ان نتابع عملنا بداخل الحجرة في هدوء ، دون ان نسبب لها
ازعاجا ، ذلك ان هذا الامر هو ما يجب ان يكون موضع اهتمامك
الاول ، يا روسمان ، لا يجب ازعاج برونيلدا ، ان سمعها حاد
جدا ، وربما كان هذا لانها مغنية . ان اذنيها بالفتا الحساسة ،
ولنقل مثلا ، انك تدحرج برميلا صغيرا ممثلا بالبراندى ، وهو
يوضع عادة خلف صناديق الملابس ، انه يسبب كثيرا من الضوضاء
لانه ثقيل ، ولان كل مختلف الاشياء تتراكم حوله على الارض ،
ولهذا لا يجب عليك ان تدحرجه لكى تخرجه من مكانه ، ان
برونيلدا ، ولنقل ذلك ايضا ، تستلقى على الارىكة تطارد اللباب ،
الذى يسبب لها ضيقا شديدا ، وتظن انت انها لا تلقى انتباها
اليك ، وتدحرج هذا البرميل ، بينما تظل هي مستلقية هنالك في
هدوء تام ، لكنها فجأة ، ودون ان تتوقع ذلك منها ، وبينما
لا تصدر بسببك اذى ضجة ، تجدها قد وقفت فجأة ، وراحت
تضرب الارىكة بيديها ، حتى لايمكنك ان تراها ، لكثرة الاتربة - فمئذ
ان جئنا الى هنا ، لم أنفض الاتربة عن تلك الارىكة ، لم استطع
ان افعل ذلك ، فهي تستلقى فوقها دائما في الحقيقة - وتبدأ في
الصراخ بشراسة ، وكأنها رجل ، وتواصل صراخها لمدة ساعات ،
ولقد منعها الجيران من الفناء ، الا ان احدا لم يستطع ان يمنعها
من الصراخ ، فلا بد لها ان تصرخ ، مع ان هذا لم يمسد يحدث
كثيرا الآن ، ذلك لاننا قد أصبحنا الآن - أنا وديلامارش - اكثر
حذرا ، وقد ساءها هذا للغاية كذلك ، وقد أغمى عليها ذات مرة -
وكان ديلامارش في الخارج عندئذ - وكان على ان ابحث عن الطالب
الذى يسكن بجوارنا ، وقد رش عليها سائلا ما من زجاجة كبيرة ،
اعادها الى وعيها في الحال ، الا ان هذا السائل كانت له رائحة
مخيفة ، ويمكنك الآن ان تشم اثر هذا السائل ، لو وضعت أنفك
على الارىكة ، ولا شك ان هذا الطالب ، هو هدو من أعدائنا ،
مثله مثل الجميع هنا ، ويجب عليك ان تحذره هو ايضا ، والا
تحاول ان تختلط باى منهم » .

فقال كارل : « لكننى اقول لك يا روبنسون ان هذا برنامج
حافل جدا ، وانها لوظيفة رائعة تلك التى تنصحنى بقبولها ! »

فقال روبنسون وهو يفلق عينيه ، ويهز رأسه ، كما لو كان
يحاول طرد كل مخاوف كارل : « لا تخش شيئا ، ان هذه الوظيفة
بعض الميزات ايضا ، وهى ميزات لايمكنك ان تجدها فى اية وظيفة

أخرى ، فسوف تكون دائما في حضرة سيدة مثل برونيلا ، وقد تنام أحيانا في نفس الحجرة التي تنام هي فيها ، وثمة كثير من المتعة في ذلك ، كما يمكنك ان تتخيل ، وسوف تحصل على اجر مجز ، ان النقود هنا كثيرة ، واننى لا احصل على اجر لائى صديق ديلامارش ، لكننى فى كل مرة اخرج فيها من المنزل ، اتلقى دائما شيئا من النقود ، تعطىها لى برونيلا ، لكنك ستحصل بالطبع على اجر كائى خادم آخر . هذا هو وضعك فى نهاية الامر ، الا ان اهم هذه الاشياء جميعا هو اننى سأحاول ان اجعل وظيفتك هذه سهلة جدا عليك ، ولن افعل أى شئ بالطبع فى البداية ، لكى اعطى لنفسى فرصة لاسترداد صحتى ، لكننى ما ان اتمثل للشفاء ، حتى يمكنك ان تعتمد على ، وعلى أية حال فسوف اقوم بكل خدمات برونيلا فى اثناء تناول طعامها ، وساقوم كذلك بتصفيف شعرها ، واساعدها على ارتداء ملابسها ، وافعل ما لا يفعله لها ديلامارش من قبيل هذه الخدمات ، ولن يكون عليك فقط سوى ان تهتم بأمر نظافة الحجرة ، وتحضر لنا ما نحتاج اليه من الخارج ، وتقوم بالاعمال المنزلية التى تتطلب مجهودا .

قال كارل : « لا ياروبنسون ، ان هذا كله لايفرئنى بالبقاء ! » .

فقال روبنسون وهو يدهن وجهه من وجه كارل : « لا تكن أحمق يا روسمان ، لا تلق بهذه الفرصة الرائعة ! أين ستجد وظيفة أخرى بمثل هذه السرعة ؟ من يعرفك ؟ ومن تعرف أنت من الناس ؟ أنا وديلامارش ، وكلانا رجل ناضج ذو خبرة عملية وتجسربة ، قد تجولنا لمدة اسابيع اربعة دون أن نجد عملا ، ان الحصول على العمل ليس امرا سهلا ، بل هو صعب فى الحقيقة صعبة شيطانية ! »

أطرق كارل وهو يتعجب لان روبنسون يتحدث بهذا الادراك ، وان كانت نصيحته تلك أبعد من أن تجد لديه قبولا ، فلم يكن يمكنه البقاء ، ولا بد من أن يجد لنفسه مكانا فى المدينة الكبيرة . أنه يعرف الليل جيدا ، وكل الفنادق الممتلئة بالنزلاء لدرجة الانفجار ، هؤلاء النزلاء الذين يحتاجون الى الخدمة ، ولديه بعض الخبرة فى هذا الشأن ، ولا بد من أن يجد بسرعة وبكل ترحاب وظيفة أو أخرى ، فعبر الشارع مباشرة كان ثمة مطعم فى الطابق الارضى ، كانت تنبعث منه الموسيقى ، وكان مدخله الرئيسى تغطيه فقط ستارة كبيرة صفراء ، كانت تطير فى الشارع من حين لآخر ، عندما

كان يلعب بها الهواء ، وفيما عدا ذلك فقد كان كل شيء هادئا نهاية الهدوء في الشارع كله .

وكانت أغلب الشرفات مظلمة ، وعلى البعد ، فحسب ، كان ثمة ضوء ينبعث من هنا ، ومن هناك ، لكن ما ان يركز المرء عينيه عليه ، حتى ينهض الناس الذين يجلسون تحت هذا الضوء ، ويتدافعون الى داخل مساكنهم ، بينما مد الرجل الذي بقى في الخارج وحده ، يده اخيرا الى مفتاح النور ، وأطفأه بعد نظرة قصيرة الى الشارع .

قال كارل في نفسه : « لقد تقدم الليل بالفعل ، ولو بقيت هنا اكثر من هذا ، فسوف اصبح واحدا منهم ! » .

واستدار لكي يجذب الستارة جانبا عن باب الشرفة ، فقال روبنسون وهو يعترض طريق كارل ، ويحول بينه وبين الستارة : « ما الذي تفعله ؟ ! »

قال كارل : « اننى راحل ، دعنى ، دعنى ! » .

فصاح روبنسون : « لكنك بالتأكيد لن تحاول ان تزعمجها ، ماذا تظن ، وألقى ذراعيه حول عنق كارل ، وتعلق به بكل ثقله ، ولف ساقيه حول ساقى كارل ، وهبط به في لحظة فوق ارضية الشرفة ، الا ان كارل كان قد تعلم شيئا من فنون العراك بين صبية المصاعد ، وهكذا فقد سدد قبضته الى ذقن روبنسون ، دون ان يضغط عليها بكل قوته ، حتى لا يؤذى روبنسون ، وبسرعة وبلا أدنى تردد لكمه روبنسون في بطنه بركبته ، قبل ان يبدأ في تدليك ذقنه براحتيه ، وأطلق صيحة مرتفعة ، حتى ان رجلا في الشرفة المجاورة ، قد صفق بيديه غاضبا ، وصباح قائلا : « اصمت ! » واستلقى كارل ساكنا ، وعاجزا عن الحركة امام الحجرة الفارقة في الظلام ! كان يبدو وكأن احدا لم يكن بداخلها الآن ، ولعل ديلا مارش ان يكون قد خرج بصحبة برونيلا ، ولعل الطريق خال الآن ، ذلك لان روبنسون الذى كان يسلك ككلب الحراسة تماما ، كان قد تراخى أخيرا .

ثم ارتفعت من اقصى نهاية الشارع في انفجارات واضحة ، أصوات الطبول والابواق ، وصيحات بعض الافراد ، في وسط الجموع ، وسرعان ما تحولت الى هدير شامل ، وحول كارل رأسه ثانية ليرى ان كل الشرفات قد عادت اليها الحياة مرة أخرى ، نهض ببطء ، ولم يتمكن من أن يقف معتدلا تماما ، وكان عليه أن

ينحنى بتثاقل الى الدرايزين ، وعلى الرصيف ، كان الصبية الصغار في الشارع يلوحون بقبضاتهم على امتداد اذرعهم ، وينظرون الى الخلف من فوق اكتافهم ، وكان وسط الشارع لا يزال خاليا ، وكان البعض يرفعون قضباناً طويلة ثبتت بأعلاها الفوانيس التي كان يحيطها دخان أصفر اللون ، وكان قارعو الطبول ، ونافخو الإبواق ينتظمون في صفوف عريضة ، وكانوا قد بلفوا الجانب المضيء من الشارع في حشود هائلة ، حتى لقد دهش كارل عندما سمع أصواتاً تأتي من خلفه أيضاً ، فاستدار ليجد ديلامارش يرفع الستارة الثقيلة ، وبرونيلدا تخطو خارج ظلام الحجرة في رداؤها الأحمر ، وحول كتفيها وشاخ من الدانتلة ، وقلنسوة سوداء فوق شعرها ، الذي لعلها لم تكن قد رتبته بعد ، كانت فقط قد جمته في عجلة ، ذلك ان اطراف خصلاته الطليقة كانت تتطاير هنا وهناك ، وكانت تحمل في يدها مروحة صغيرة ، كانت قد فتحتها الا انها لم تستعملها ، وكانت تضغطها على صدرها .

وتحرك كارل جانبا ملتصقا بالدرايزين ، لكي يفسح مكانا لهما . لن يجبره احد بلا شك على البقاء هنا ، وحتى لو حاول ديلامارش ان يستبقيه ، فان برونيلدا ستسمح له بالذهاب في الحال ، لو طلب منها ذلك ، فهي لا تحتمله فوق كل شيء ، وعيناه ترعبانها ، الا انه عندما تقدم خطوة نحو الباب ، لاحظته برونيلدا في الحال ، وتساءلت : « الى اين انت ذاهب ايها الصبي ؟ ! »

وجمدت نظرة ديلامارش القاسية حركة كارل للحظة ، وجذبت برونيلدا نحوها .

قالت له : « ألا تريد ان تشاهد الموكب الذي في الشارع ؟ ! »

ودفعته امامها نحو الدرايزين ، وهي تقول : « هل تعرف ما هو هذا الموكب ؟ ! »

وسمعا كارل تتساءل خلفه ، وتفزع في محاولة تلقائية فاشلة لكي يتخلص من ضغط جسدها ، وتطلع الى اسفل في حزن ، كما لو كان سبب حزنه يكمن هناك في الشارع !

ووقف ديلامارش لحظة خلف برونيلدا ، عاقدا ذراعيه ، ثم هرول داخلا الحجرة ، واحضر لها نظارة من نظارات الاوبرا ، وفي الشارع كان الموكب قد وضع للرؤية ، تتقدمه جوقة الموسيقى ، وفوق كتفى رجل هائل الحجم ، جلس سيد ، لم يكن يظهر منه على هذا الارتفاع الشاهق سوى البريق الخافت لتساج بسيط ،

وكان يرفع فوقه قبعة عالية يحيى بها الجماهير ، تحيات متصلة ، وحوله كانت لافتات خشبية ترتفع عالية في الهواء ، كانت تبدو من الشرفة بيضاء تماما ، وكانت الجموع تنوى فيما يبدو أن تقيم متراسا بشريا مستديرا ، ينحدر بانحدار الشارع ، حول الشخصية الشهيرة ، التي كانوا يناصرونها فيما يبدو ، لكن لما كان حاملو تلك اللافتات يتحركون الى الامام طوال الوقت ، فان حاجز اللافتات ظل يهبط ويرتفع لادخال بعض الاصلاحات على تلك اللافتات ، ثم يعود ذلك الحاجز الذي تكونه تلك اللافتات المتراسة ثانية ، الى نظامه السابق ، وخلف حاجز اللافتات ، بقدر ما كان يمكن للمرء أن يرى في الظلام ، كان عرض الشارع كله ، على الرغم من أن الحشد كان يشغل جزءا عارضا من امتداده ، يمتلئ بأعوان ذلك السيد ، الذين كانوا يصفقون بأيديهم في ايقاع ، ويهتفون في نغم غنائي شيئا ربما كان هو اسم ذلك السيد . وقد كان اسما قصيرا جدا ، لكنه لم يكن مفهوما ، وكان الأعوان قد انتشروا وسقط الحشد في براعة ، وكانوا يحملون مصابيح قوية كمصابيح السيارات راحوا يسلطونها الى أعلى ، وإلى أسفل واجهات المنازل على جانبي الشارع ، ولم يكن ذلك الضوء محتملا على الارتفاع الذي كان يقف عنده كارل ، لكن في الشرفات السفلى ، كان يمكنه أن يرى الناس وهم يرفعون أيديهم فوق عيونهم ، كلما سلط ذلك الضوء على وجوههم

وتلبية لطلب برونيلا استفسر ديلا مارش الناس الذين كانوا يقفون في الشرفة المجاورة ، عن فرض تلك المظاهرة ، وكان كارل شغوبا بملاحظة الطريقة التي كانوا سيجيبون بها على سؤاله ، وكان على ديلا مارش بالفعل أن يكرر سؤاله ثلاث مرات قبل أن يتلقى اجابة ، كان قد انحنى على الدرابزين في وضع استفزازي ، وكانت برونيلا قد راحت تدق بقدمها لحنقها على جيرانها ، فقد أحس كارل بحركة ركبته ، وأخيرا سمعوا ردا غامضا ، وانطلق كل الناس الذين كانوا في الشرفة المجاورة لحظتها في الضحك بأعلى أصواتهم . وعند هذا صرخ ديلا مارش بأعلى صوته ردا على اهانتهم له ، حتى ان الشارع لو لم يكن ممتلئا بكل تلك الحشود لحظتها ، فان كل الناس الذين يسكنون تلك المنطقة لابد كانوا سيرهفون أسماعهم في دهشة ، وعلى أية حال فقد كان لتلك الصيحة أثر حاسم في إنهاء ذلك الضحك فجأة .

وقال ديلامارش في هدوء تام وهو يستدير نحو برونيلا : « ان قاضيا سينتخب غدا في حيننا ، والزجل الذي يجلس فوق الاكتاف هو أحد المرشحين ! واضاف قائلا وهو يحتضن كتفي برونيلا : « اوه ، لقد فقدنا كل فكرة ، مما يجرى في العالم ! »

وقالت برونيلا وهي تعود الى سلوك جيرانها مرة اخرى : « ديلامارش ، كم اكون سعيدة لو تمكنت من ان انتقل من هنا ، لو لم يكن ذلك يكلف مجهودا كبيرا ، لكنني لسوء الحظ لا استطيع مواجهة هذا الانتقال الى مسكن آخر ! » ، وراحت ، وهي تنهد في عمق ، تجذب في قلق وشروذ قميص ديلامارش ، وعلى الرغم منه ، ظل يدفع يدها الصغيرة الممتلئة بمبدأ عنه المرة بعد المرة ، وقد كان ذلك أمرا سهلا ، ذلك لان برونيلا ، لم تكن تنتبه اليه ، وانما كانت تشغلها امور أخرى مختلفة تماما .

الا ان كارل كان قد انشغل عنها في الحال ، واحس بثقل ذراعيها فوق كتفيه ، ذلك لان الموكب كان قد استولى على كل اهتمامه ، وكانت ثمة مجموعات صغيرة العدد من الرجال يهتفون ويتقدمون الموكب امام المرشح ، وبدا ان آراءهم كانت لها أهمية خاصة ، فقد كان في امكان المرء ان يلاحظ وجوها عديدة منتبهة تتجه نحوهم من كل الجهات ، وقد أعلن افراد هذه المجموعات قرارهم بالوقوف امام المطعم الصغير ، وأشار أحد افراد تلك المجموعات اشارة ما ، بيده المرفوعة الى اعلى ، فبدت تلك الاشارة وكأنها كانت موجهة الى الحشد والى المرشح ايضا . وخيم الصمت على الجماهير ، وحاول المرشح عددا من المرات ان يقف على قدميه ، وسقط عدة مرات فوق الاكتاف التي كانت تحمله ، وألقى خطبة مقتضبة ، وهو يلوح بقبضته العالية الى الامام ، والى الخلف ، بسرعة خاطفة . كان من الممكن رؤيته في وضوح تام ، ذلك لان كل اللببات الضخمة كانت مسلطة عليه ، وهو يلقي خطبته ، حتى أصبح في مركز حلقة مشعة من الضوء الساطع .

وكان في استطاعة المرء ان يتحقق الان ايضا من الاهتمام الذي بدا على الشارع كله ، بهذا الحدث ، ففي الشرفات التي امتلأت بأنصار المرشح اشترك الناس في الترنم باسمه ، وهم يرددون أذرعهم على امتدادها خارج الدرابزين ، ويصفقون في انتظام آلى ، وفي الشرفات المواجهة التي كانت تكتظ بالفعل بالجماهير ، ارتفعت صيحات تردد الهتافات باسم المرشح ، تلك الصيحات التي

لم تكن واضحة منسجمة ، لأنها كانت تصدر عن انصار متنافسين
لعدد من المرشحين ، إلا ان كل اعداء ذلك المرشح الموجود في الشارع
فوق الاكتاف ، كانوا قد اشتركوا في صفيح استهجان واحد مرتفع
وكان كثير من الجراموفونات قد بدأت ثانية في اذاعة الاغاني ، وبين
الشرفات المختلفة كانت النزاعات السياسية قد قامت على اشدها ،
وقد اكد عنفها سكون ذلك الوقت المتأخر من الليل ، وكان اغلب
الناس يرتدون بالفعل ثياب نومهم ، وقد ارتدوا المعاطف فوقها ،
وكانت النساء تتشح بأوشحة داكنة ، هائلة الحجم ، وكان الاطفال
الذين لم يكن ينتبه اليهم احد قد صعدوا فوق أسوار الشرفات
على نحو ينذر بالخطر ، وكانوا يخرجون من داخل الحجرات المظلمة
التي كانوا ينامون فيها في اعداد تتزايد وتزايد ، وكانت تطاير
هنا وهناك أشياء لا يمكن تمييزها ، كان يلقبها خاصة اولئك الاتباع
المتحمسون نحو خصومهم ، وكانت هذه الأشياء تبلغ هدفها أحيانا
لكن أكثرها يسقط في الشارع ، حيث ترتفع بسببها صيحات
الغضب من وسط الجمهور ، وعندما ازدادت الضجة حتى لم يعد
يحتملها قائد المظاهرة ، أصدر هذا الرجل أوامره الى الطبول
والابواق لكي تتدخل ، فانطلق دويها المتصل عاليا ، حتى فطى
على كل الاصوات البشرية ، حتى ما كان يصدر منها من شرفات
الادوار العليا ، ثم فجأة توقف ذلك الدوي الهائل ، على غير توقع ،
فبدأت الجماهير التي كانت تملأ الشارع ، والتي كانت تنتظر، على
ما يبدو ، ان تنتهي تلك الضجة المفاجئة ، في الهتاف بالإناشيد
المختلفة ، خلال ذلك الصمت المؤقت - وكان في امكان المرء ان يرى
الافواه المفتوحة على اتساعها في ضوء اللهب القوية الشبيهة
بمصابيح السيارات ، وظلوا على ذلك الصخب ، حتى ناب خصومهم
ثانية الى وعيهم ، فانطلقوا في الهتاف عشر مرات متتامة بأقصى
طاقة حناجرهم ، من كل الشرفات والنوافذ ، وبدأ وكان الصمت
كان قد اطبق على اتباعهم المنتشرين في الشارع ، بعد هذا الانتصار
المؤقت مباشرة ، او هكذا بدا الامر لمن كان يقف على الارتفاع
الذي كان يقف عنده كارل .

تساءلت برونيلا التي كانت تستدير وتتلوى خلف كارل ، لكي
تحاول ان ترى الموكب جيدا من خلال منظارها : « هل يروق لك
هذا المشهد ايها الصبي ؟ ! »

واجابها كارل فقط بإيماءة من راسه ، وقد لاحظ بنظرة من

جانب عينه ان روبنسون كان منهمكا في الحديث الى ديلامارش على انفراد ، ويبدو ان حديثه كان يدور حول نوآيا كارل ، لكن بدا ان ديلامارش لم يهتم اهتماما ملحوظا بما قاله له روبنسون ، لانه ظل يدفع روبنسون جانبا بيده اليسرى ، وكان قد لف ذراعه اليمنى حول خصر برونيلا .

وتساءلت برونيلا ، وهي تضرب كارل على صدره ، لكي توضح له انها تعنيه بقولها : «الا تريد ان تنظر من خلال النظارة ؟» قال كارل : « اننى ارى جيدا ! »

فقالت : « حاول ان تنظر من خلالها ، فسوف ترى في وضوح أكثر ! »

فاجابها كارل قائلا : « ان لى عينين قويتين ، ويمكننى ان ارى بهما جيدا ! » ولم ير كارل في عرضها هذا شيئا من الاهتمام بامرءه ، بل اعتبره ازعاجا ثقيلًا ، عندما وضعت النظارة امام عينيه ، وهي تقول له :

— هنا ، انت ! الا ان كارل لم يستطع ان يرى شيئا مطلقا من خلالها .

قال : « لا يمكننى ان ارى اى شيء ! » وحاول ان يبعد النظارة عن عينيه ، الا انها قبضت عليه بشدة ، وكان رأسه مضغوطا الى صدرها ، ولم يستطع ان يحركه الى الخلف ، او الى أى من الجانبين . قالت وهي تحرك المسمار : « قد يمكنك ان ترى الآن ! » .

فقال كارل : « لا ، لا ارى اى شيء ! » ، وظن انه قد اراح على الرغم منه — فى نهاية الامر — روبنسون من أعبائه ، لان نزوات برونيلا التى لا تطاق كانت قد تركزت الآن عليه .

قالت : « متى ، بحق الجحيم ، سترى اذن ! » وادارت المسمار ثانية ، وكان وجه كارل معرضا لتنفسها الثقيل ، وتساءلت : — الآن ؟

فصاح كارل : « لا . لا . لا ! » ، مع انه كان قد تمكن من أن يميز كل شيء من خلال النظارة لحظتها بالفعل ، وان يكن في شيء من الغموض ، وفكرت برونيلا ، هندئذ في شيء تقوله لديلامارش ، فرفعت المنظار بخلاعة أمام وجه كارل الذى تمكن دون أن تلاحظه من أن يختلس النظرات الى الشارع من تحت المنظار ، ولم تستمر في اصرارها على ان تحمله على النظر من خلال المنظار بعد ذلك ، وراحت

هى تتطلع الى الشارع من خلاله .

وخرج من المطعم أحد السفرجية ، وكان يندفع فى مجلة الى الداخل والخارج ، وهو يتلقى الاوامر من قادة المظاهرة ، وكان فى امكان المرء ان يراه ، وهو يقف على اطراف اصابعه ، لى يتطلع الى داخل المطعم ، ويستدعى من يجده من سفرجية المطعم ليعاونه فى اعداد ما كان يبدو حفلة شراب بالمجان ، ولم يتوقف المرشح عن الكلام ، وظل الرجل الذى كان يحمله يدور حول نفسه قليلا قليلا ، بين الحين والآخر ، حتى يبدو المرشح وكأنه يوجه خطابه مباشرة الى كل انحاء الحشد ، وظل المرشح جالسا القرفصاء أغلب الوقت ، وحاول بتلويح يده الطليقة الى الخلف ، وبتحريك قبضته العالية بيده الاخرى ، أن يؤكد كلماته على نحو ما ، لكن انطلاقه فى الخطابة كان يزداد بعد فترات منتظمة تقريبا ، فكان ينهض فاردا ذراعيه على امتدادهما ، ولا يوجه خطابه عندئذ الى مجموعة واحدة من الناس ، بل الى الجماهير المحتشدة جميعا ، تحدث الى كل الناس الذين فى مساكنهم ، حتى أعلى الطوابق كان يوجه حديثه الى من يسكنونها ، لكن كان يبدو فى وضوح أن أحدا لم يكن يسمعه ، حتى سكان الطوابق السفلى ، وحتى لو كان فى امكانهم سماعه ، فإن أحدا لم يكن فى حاجة الى الاستماع اليه ، ذلك أن كل نافذة ، وكل شرفة ، كان يحتلها خطيب واحد على الأقل ، يتدفق فى الصباح ، وكان عدد من السفرجية قد حملوا مائدة كبيرة ، وضعوها خارج المطعم ، وكانت هذه التراييزة مغطاة بكتوس مترعة لا حصر لها ، كانت تلك المائدة فى حجم مائدة البلياردو . ونظم قائد المظاهرة عملية توزيع الشراب على الجمهور ، فكان الناس يسرون امام المطعم فى طابور ، يمر بتلك المائدة ، وعلى الرغم من أن كل تلك الكتوس كانت تملأ ثانية المرة بعد المرة ، إلا أنها لم تكن تكفى الفوغاء الذين كانوا يملأون الشارع ، وكان على فرقتين من السقاة ، أن تندسا وسط الحشد على كلا الجانبين لى توزعا المشروبات على أكبر عدد ممكن ، كان المرشح قد توقف بالطبع عن الخطابة ، وكان قد استقل السكون الذى ساد المكان فى استعادة نشاطه ، وتقدم الرجل الذى يحمله ببطء الى الامام ، والى الخلف مبتعدا به قليلا عن الزحام ، ومن الضيق الشديد ، وكان يلتف حوله ، ويتبعه حيثما ذهب عدد قليل من مساعديه المقربين ، ويشيرون اليه بتعليماتهم .

قالت برونيلا : « انظر الى الصبي ، انه مستغرق في الفرجة ، حتى لقد نسي تماما اين هو ! » ، وادارت وجه كارل فجأة بكلمات يديها ، الى ناحيتها ، حتى تتمكن من ان تحديق في عينيه ، لكن لم يستمر ذلك سوى لحظة قصيرة فقط ، فقد أبعد كارل يدها في الحال ، في ضيق ، لأنهم لا يتركونه في سلام ، ولقلقه ايضا ، وتطلعه الى الهبوط الى الشارع ، ومشاهدة المظاهرة من كثب ، وحاول بكل جهده ان يخلص نفسه من قبضة برونيلا ، قائلا : « أرجوك ، ذهني أرحل ! » .

قال ديلامارش : « انك سوف تبقى هنا ! » دون ان يحول عينيه من الشارع ، بينما مد ذراعه فقط لكي يحول بين كارل وبين الخروج .

فقالت برونيلا ، وهي تبعد يد ديلامارش : « اتركه وشانه ، انه سيبقى بالفعل ! » ، وضغطت كارل بشدة الى الدرابزين حتى اضطر الى ان يجاهد طويلا لكي يخلص نفسه من ضغطها ، وحتى لو تمكن من ان يتخلص منها فما الذي سيجنيه من ذلك ، لقد كان ديلامارش يقف الى يساره ، وكان روبنسون قد تحرك الان الى يمينه ، وكان هو سجيننا بالفعل بينهم .

قال روبنسون ، وهو يربت على كارل بيده التي دسها تحت ذراع برونيلا : « عليك ان تعد نفسك محظوظا ، لان احدا لم يلق بك الى الشارع ! »

فقال ديلامارش : « يلقي به الى الشارع ؟ ! لا يمكنك ان تلتقي بلص هارب الى الشارع ، وانما عليك ان تسلمه الى البوليس وقد يحدث له هذا بالفعل في صباح الغد ، ان لم يلزم الهدوء ! »

لم تعد ثمة متعة يمكن ان يجنيها كارل من التطلع الى المشهد الذي يشغل الشارع بعد ذلك ، لانه لم يعد يحتمل التطلع اليه ، على حين تضغط عليه برونيلا ، ولم يتمكن من ان يقف منتصبا ، ولذا مال الى الامام قليلا نحو الدرابزين ، وراح يتطلع في شرود الى الناس الذين في الشارع ، لاستغراقه في همومه الخاصة ، وكان الناس يتقدمون نحو المائدة التي امام المطعم ، في جماعات تتألف من نحو عشرين شخصا ، فيتناولون الكئوس ، ويستديرون حول انفسهم ويلوحون بها في اتجاه المرشح الذي كان يستريح وقتها من المجهود الذي قام به ، ويهتفون بالشعارات الحزبية ، ومن ثم يفرغون الكئوس في جوفهم ، ويضعونها فارغة فوق المائدة في صليل كان

يحدث عن تصادم الكئوس ببعضها البعض ، الا انه لم يكن مسموعا بالطبع ، عند هذا الارتفاع ، ثم يفسحون في الحال مكانا للمجموعة التالية الصاخبة الفارغة الصبر ، وخرجت الفرقة الموسيقية تلبية لرغبة قادة الحزب ، من داخل المطعم ، الى الشارع ، وكانت آلات النفخ تلمع في الظلام وسط الحشود ، الا ان الموسيقى التي عزفتها تلك الفرقة ضاعت وسط الضوضاء التي كانت تسود الشارع كله ، وكان الشارع الآن ، في الجانب الذي يقع فيه المطعم على الاقلل مزدحما ازدحاما شديدا بالجماهير ، وكان الناس يتدفقون من اعلى التل ، حيث جاء التاكسي الذي استقله كارل هذا الصباح ، الى اسفل الشارع ، ومن اقصى منحدر الشارع ، من القنطرة التي كان ينتهي الشارع عندها ، كان الناس يصعدون المنحدر نحو المطعم ، وحتى الناس الذين كانوا في بيوتهم وقتها لم يتمكنوا من ان يقاوموا اغراء المشاركة الشخصية في ذلك الحدث . وفي الشرفات ، وفي النوافذ لم يكن قد تبقى احد تقريبا ، فيما عدا النساء والاطفال على حين كان الرجال يتدفقون من ابواب المنازل الى الشارع ، وكانت الموسيقى والشراب المجاني قد حققا الآن غايتهما ، فقد كان الاجتماع هائلا جدا الآن ، وأشجار واحد من قادة المظاهرة كانت تحيط به اللهب الشديدة الضوء على كلا جانبيه ، الى الفرقة الموسيقية بان تتوقف عن العزف ، واطلق صغفرا ، واستدار في الحال الرجل الذي كان يحمل المرشح ، مسرعا ، وامكن رؤيته وهو يتقدم خلال ممر مهده له المساعدون وسط الجماهير .

وكان المرشح قد بلغ باب المطعم تقريبا ، عندما شرع في القاء خطبة جديدة في ضوء اللهب الرئيسية ، التي ركزت الاضواء عليه الآن في حلقة ضيقة ، الا انه لم يكن مرتاحا في وضعه كما كان من قبل ، وكان الرجل الهائل الجسم الذي كان يحمله ، يكاد يكون عاجزا عن الحركة الحرة ، امام ضغط الزحام البالغ الشدة ، ولم يكن في امكان مساعديه المقربين الذين بذلوا اقصى طاقتهم من قبل في محاولة تعظيم اثر كلماته في الجماهير ، ان يبقوا بالقرب منه الا بصعوبة بالغة ، كان عشرون منهم فقط قد تمكنوا من الاحتفاظ باماكنهم حول المرشح . اما الرجل الضخم الهيئة الذي يحمل ذلك المرشح فلم يكن يخطو الآن خطوة واحدة بكامل ارادته ، وكان من المستحيل ان يفكر في محاولة السيطرة على تلك الحشود المندفعة ، ولم يتمكن من ان يستدير ليواجه هذا الجانب او ذاك ،

ولم يكن له ان يتقدم اذا شاء ، او يتراجع ، كان الحشد الفوغاني يندفع فقط الى الامام والى الخلف بلا خطة ، او هدف واضح ، وكان كل شخص يدفع جاره ، ولم يكن في مقدور اى شخص مطلقا ان يثبت لحظة واحدة على قدميه ، وبدا كما لو كان الحزب المعارض قد حاز عددا من الانصار الجدد ، كان الرجل الذى يحمل المرشح ، قد ترك نفسه ينجر فى الآن فى كلا اتجاهى الشارع ، دون ان يبذل ادنى مقاومة ، بعد ان كان قد قاوم للحظة حركة المد والجزر امام باب المطعم ، وكان المرشح لا يزال يلقى بكلماته ، الا انها لم تعد واضحة ، فهل كان يسرد الخطوط الاساسية لبرنامج ، او كان يصيح طالبا النجدة ؟ ! وما لم يكن كارل مخطئا ، فقد رأى مرشحا منافسا قد ظهر ، او عددا من المرشحين المتنافسين فيما يبدو ، ذلك لان بعض الاشخاص كانوا يرتقون فوق اكتاف الجماهير ، هنا وهناك ، عندما كان الضوء يسطع فجأة ، فليقون الخطب بوجوههم الشاحبة ، وقبضاتهم المضرومة ، وكان الجمهور يهلل مبتهجا لخطبهم التى كانوا يلقونها بلا استثناء .

تساءل كارل قائلا : « ما الذى يحدث فى الشارع بحق الجحيم ؟ » واستدار فى حيرة الى حراسه ، متقطع الانفاس .
ف قالت برونيلا لديلامارش ، وهى تتناول ذقن كارل لكى تدير وجهه ناحيتها :

— كم يشير ذلك اهتمام الصبى ! ؟

الا ان كارل لم يقبل ذلك ، وقد دفعه ما كان يجرى امامه فى الشارع ، الى شئ من الطيش ، فأتى بحركة مفاجئة ، حتى ان برونيلا لم تتركه فقط بل تراجعت عنه مبتعدة ، وتركته فى حاله .

قالت له ، وقد اغضبها سلوكه على ما يبدو : « لقد رايت ما يكفيك الآن من هذا المشهد ، فادخل الى الحجرة ، ورتب الفراش وجهز كل شئ لليلة ! » ، وأشارت له نحو الحجرة ، وقد كان هذا هو الاتجاه الذى كان يتوق الى ان يتجه اليه منذ ساعات ، فلم يبد اعتراضا على الاطلاق .

ثم ارتفع من الشارع صوت تحطم زجاج ، فلم يستطع كارل ان يمنع نفسه من العودة ، وقفز قفزة سريعة الى الدرايزين ، لى يلقى نظرة اخيرة الى الشارع . كان صدام هائل قد وقع بين الجوانب المتعارضة ، ولا بد انه كان صداما حاسما ، وكانت مصابيح العربات

الامامية التي كانت مع أعوان المرشح ، والتي كانت تلقى ضوءا شديدا على الشخصيات الرئيسية على الأقل ، وتتيح بالاضافة الى ذلك نوعا ما من الاضاءة العامة التي تسيطر على الموكب كله بصورة ما ، قد تهشمت جميعا في وقت مما ، وكان المرشح ، والرجل الذي يحمله قد غابا الآن في اضاءة الشارع العمومي الخافتة ، التي كان لها فجأة تأثير الظلام الحالك ، بعد اختفاء ضوء اللهب الساطعة الاضاءة ، ولم يستطع اى شخص ان يدرك ، ولو على وجه التقريب مكان المرشح ، وكان قد زاد في وطأة الظلام ارتفاع اصوات فرقة كانت تنشد في تآلف نشيدا ما ، وكانت اصوات تلك الفرقة قد ارتفعت فجأة واخذت تقترب ، صاعدة المنحدر، من ناحية القنطرة.

قالت برونيلدا : « ألم أقل لك ما يجب عليك ان تفعله » ، وازافت قائلة ، وهي تمد ذراعيها فوق رأسها ، حتى برز صدرها الى الامام اكثر مما كان عليه بروزه من قبل : « هيا ، أسرع ، فإني متعبة ! » ، وسحبها ديلا مارش الذي كانت ذراعه لا تزال تلتف حولها الى أحد أركان الشرفة ، وتبعهما روبنسون لكي يخلى طريقهما من بقايا عشائه الذي كان يتناثر فوق أرضية الشرفة .

ولم يكن له ان يدع تلك الفرصة المواتية تفلت منه ، ولم يعد الآن أمام كارل ان يتطلع الى الشارع ، فسوف يرى الكثير مما يجرى فيه عندما يهبط اليه الآن ، وسوف يرى تلك المظاهرة بصورة أوضح مما يراها عليه الآن من هذا الارتفاع ، وفي قفزين كان كارل قد عبر الحجرة بضوئها الاحمر القاتم ، لكن كان الباب مغلقا ، ولم يكن المفتاح موجودا فيه . لابد اذن من ان يجد المفتاح في الحال ، لكن مندا الذي يتوقع ان يجده وسط هذه الفوضى ، وفي فسحة ضئيلة من الوقت الثمين فوق ذلك ، وقت ربما كان يمكن لكارل ان يدبر فيه أمره كما يحلو له . كان عليه الآن ان يكون فوق درجات السلم ، يجرى ويجرى ، لكنه يبحث الآن عن ذلك المفتاح بدلا من هذا ! بحث في كل الادراج التي كان يمكن فتحها ، وفتش فوق المائدة ، حيث كانت تتراكم أطباق عديدة ، وفوط سفرة ، وقطع من القماش قد بدء في تطريزها ، ثم بعد ذلك افراه البحث في تلك الكومة المضطربة المشوشة من الملابس القديمة التي كانت تتكوم فوق المقعد ذي المساند ، فلعل المفتاح ان يكون في طياتها ، الا انه لم يجد له أثرا ، فاندفع أخيرا نحو الاربكة ، التي كانت تفوح منها بالفعل رائحة كريهة ، لكي يتحسس كل زواياها واركائها بحثا عن

المفتاح ، ثم توقف عن البحث في وسط الحجرة ! وقال لنفسه :
لاشك أن برونيلا تحتفظ بذلك المفتاح في حزامها ، وعلى هذا فمن
العبث البحث عنه في كل تلك الأشياء الملقاة هنا .

واختطف كارل سكينين ، دفعهما بين مصراعى الباب ، احدهما
الى اعلى ، والاخرى الى اسفل ، لكي يضغط على اللسان بأقصى
ما يمكنه من القوة من مكانين مختلفين ، لكنه ما كاد يضغط على
السكينين ، حتى انكسر نصلاهما ، ولم يكن كارل يأمل في شيء افضل
من هذا ، فقد كانت بقية النصلين اللذين يمكنه بهما ان يضغط من
قرب ، فوق لسان الكالون ، تضغطان الآن على ذلك اللسان بقوة ،
ولواهما الآن في عنف ، وكانت ذراعا مفرودتين ، وقدماء متباعدتين ،
وكان يلهث من المجهود ، لكنه كان يرقب الباب في الوقت نفسه
بغاية الاهتمام . لن يتحمل ذلك اللسان طويلا هذا الضغط ، وقد
أدرك كارل ذلك في فرح من خلال تحرك اللسان بصوت مسموع في
داخل الكالون ، لكن من الافضل أن يتحرك ببطء ، فلا يجب أن
يتحرك مرة واحدة ، والا سمعوا من الشرفة صوت انفتاحه ، يجب
أن ينفتح بالتدريج ، واستمر كارل في محاولته بغاية الحذر ، حتى
يتم له ذلك ، وهو يقترب بوجهه من الكالون أكثر فأكثر .

وسمع صوت ديلامارش يقول : « انظر الى هذا ! » ، كان
ثلاثتهم يقفون في داخل الحجرة ، وكانت الستارة قد اسدلت
بالفعل خلفهم ، ولم يكن كارل قد أحس بهم عندما دخلوا الى
الحجرة ، وترك السكينين عندما وقع نظره عليهم ، الا انه لم يكذب
يعد وقتا لكي يتفوه بكلمة واحدة على سبيل التفسير أو الاعتذار ،
فقد اندفع ديلامارش نحوه في هياج اشد مما يتطلبه الموقف ، وكان
رباط ردائه الليلي المفكوك قد طار في الهواء ، وزاغ منه كارل في
اللحظة المناسبة متجنباً هذا الهجوم ، وكان في مقدوره أن ينتزع
السكينين من بين مصراعى الباب ويحتمى بهما ، الا انه لم يفعل ،
وغطس بدلا من ذلك الى اسفل ، ثم قفز الى اعلى ممسكا بيساقة
رداء ديلامارش العريضة ، وجذبها ، وراح يجذبها أكثر الى الامام ،
وكان الرداء واسعا على ديلامارش للغاية ، فاستطاع كارل عندئذ
لحسن الحظ ، ان يمسك برأس ديلامارش ، الذي فوجيء ، وراح
يتخبط بيديه في الهواء ، في البداية ، ثم بعد دقيقة أو دقيقتين
راح يضرب كارل بقبضته ، فوق ظهره ، لكنه لم يكن يملك في
وضعه عندئذ أن يضرب بكل قوته ، بينما اندفع كارل الى صدر

ديلامارش لكي يحمي وجهه من تلك الضربات ، وتحمل كارل تلك الضربات التي كانت تجعله يتلوى من الألم ، والتي كانت تزداد عنفا ، ومع ذلك فقد كان في مقدوره أن يحتملها عندما ظن أن النصر كان يلوح له .

وبسديده حول رأس ديلامارش ، وابهاميه فوق العينين ، دفع ديلامارش الى طرف الحجرة المزدحم بالاثاث ، وحاول في نفس الوقت إبطرف حذائه أن يلف الحبل الذي كان يتدلى من رداء ديسلامارش حول ساقيه حتى يتعثر فيه .

ولما كان عليه أن يركز كل انتباهه على ديلامارش ، الذي بدأ يشعر بمقاومته له تزداد شيئا فشيئا ، وكان جسده القوي يرتجى عليه في عنف متزايد ، كان قد نسي بالفعل أنه لم يكن وحيدا في الحجرة مع ديلامارش ، فسرعان ما حدث له ما ذكره بهذه الحقيقة عندما طارت قدماه فجأة من تحته ، وانزاح جانبيا عندما دفعه روبنسون الذي كان مستلقيا يصرخ خلفه ، فوق الأرض ، وخفف كارل قبضته التي كانت تقبض بشدة على ديلامارش ، فتراجع هذا وهو يلهث ، وكانت برونيلا ، بساقيهما المنفرجتين ، وركبتيهما المخلختين تقف بكيانهما الضخم في وسط الحجرة ، وهي تتابع الحركة بعينيها المتألفتين ، كما لو كانت تشترك هي أيضا فيها ، ففسد راحت تنفس في عمق ، وهي تسدد نظراتها ، وتمد قبضتيها في بطة ، وأطاح ديلامارش بياقة رداءه الى الخلف ، فاستطاع أن يرى الآن جيدا ، ولم تعد المسألة عندئذ تبدو في شكل معركة ، لكن ببساطة في شكل عقاب ، فقد أمسك ديلامارش بصدر قميص كارل ، ورفع من على الأرض ، ودون أن ينظر اليه ، لاستخفافه به ، قذفه بفاية العنف نحو صندوق كان على بعد بضعة خطوات ، حتى لقد ظن كارل في البداية ، أن الآلام التي كان يشعر بها في ظهره ورأسه من اثر لكمات ديلامارش ، كانت هي النتيجة المباشرة لارتطامه بالصندوق : « أيها السافل » ، كان يمكنه سماع صيحات ديلامارش هذه في الظلام ، فقد ارتفعت تلك الصيحة أمام عينيه اللتين تهتز نظراتهما ، وبينما كان يتهاوى فاقد الوعي بجوار الصندوق كان لا يزال يسمع هذه الكلمات : « انتظر فقط قليلا ! » وظلت هذه الكلمات تتردد في أذنيه في غموض .

وعندما عاد اليه وعيه ، كان الظلام يغطي كل شيء حوله ، ويبدو أن الوقت كان وقتا متأخرا جدا من الليل ، ومن الشرفة كان لمعان

ضوء القمر الخافت يدخل الحجرة من خلال الستارة ، وكان يسمع
تنفس النائمين الثلاثة بانتظام ، وكانت أعلى أصوات تنفسهم ارتفاعا ،
هو صوت برونيلا ، التي كانت تشخر في نومها ، كما كانت تفعل
أحيانا في حديثها ، لكن لم يمكنه ان يحدد أين كان هؤلاء الأشخاص
الثلاثة يستلقون ، فقد كانت الحجرة كلها تردد أصوات تنفسهم ،
ولم يفكر كارل في نفسه الا عندما تفحص ما حوله للحظة قصيرة ،
ثم فوجيء بشيء انزعج له انزعاجا بالغا ، مع انه كان عاجزا تماما ،
وقد تجمد في مكانه من الألم ، الا انه لم يكن قد تخيل انه قد
أصيب بمثل تلك الجراح التي سالت منها تلك الدماء ، ثم أحس
الآن بثقل في رأسه ، وفي وجهه كله ، وعنقه ، وصدره تحت القميص
بدا كما لو كان مبللا بالدم ، لهذا يجب عليه ان يذهب الى الضوء
لكي يتفحص حالته تماما ، فربما كانوا قد أصابوه بالمعجز التام ،
وسوف يكون ديلا مارش سميدا في هذه الحالة عندما يسمح له
بالرحيل ، لكن ما الذي يأمل فيه لو اتضح ان الامر كان كذلك ،
انه لن يطمح الى أي شيء على الإطلاق ، وتراءى له الصبي ذو الانف
المتآكل ، فدفن وجهه للحظة بين راحتيه .

ثم استدار رغما عنه الى الباب الخارجى ، وشق طريقه اليه على
أطرافه الأربعة ، ثم وقعت أصابعه على حذاء ، ثم ساق ، لابد ان
هذا هو روبنسون ، فمن غيره ينام منتعلا حذاءه ؟ ولابد انهما قد
أمراه بان ينام امام الباب لكي يمنع كارل من الهرب . لكن ألم
يلحظا عندئذ الحالة التي كان عليها كارل ؟ لم يكن كارل يفكر الآن في
الهرب ، كان يريد فقط ان يصل الى الضوء ، فان لم يستطع لهذا
ان يخرج من الباب ، فعليه ان يتجه نحو الشرفة .

وفي طريقه وجد ان مائدة الطعام كانت تستقر في مكان مختلف
تماما عن مكانها في الليلة السابقة ، وكانت الأريكة التي اقترب منها
بغاية الحذر ، خالية لدهشته ، لكنه كان قد بلغ كومة عالية من
الملابس المضغوطة رغم ارتفاعها ، والبطاطين ، والستائر ، والوسائد ،
والسجاجيد ، وقد ظنها في البداية مجرد كومة صغيرة ، كتلك
الكومة التي وجدها عند طرف الأريكة في الليلة السابقة ، كومة
ربما تكون قد سقطت الى الأرض ، الا انه اكتشف لدهشته عندما
تقدم في زحفه ان حمولة عربية نقل كاملة كانت قد وضعت هنالك ،
ويحتمل أن تكون قد وضعت لاستخدامها كقراش في أثناء الليل ،
ولا بد انها كانت قد أخرجت من الصناديق التي توضع بداخلها

في أثناء النهار ، وزحف كارل من يمين تلك الكومة ، وسرمان ما تحقق من أن تلك الكومة كانت تكون فراشا ، فوقه ، كما تحسس في حذر ، كان ينام ديلامارش وبرونيلدا .

وهكذا أدرك الآن أين كان الثلاثة ينامون ، فأسرع إلى الشرفة . كانت الشرفة عالما مختلفا تمام الاختلاف ، في الجانب الآخر من الستارة . ونهض كارل في الحال على قدميه .

وتمشى في الهواء الليلي المنعش عدة مرات في الشرفة ذهابا ورجيئة في ضوء القمر الساطع ، وتطلع إلى الشارع ، كان هادئا تماما ، وكانت الموسيقى لا تزال تنبعث من المطعم ، لكنها كانت الآن أشد تأثيرا .

وكان ثمة رجل يغسل الرصيف أمام باب المنزل ، وفي الشارع الذي كانت الضجة الهائلة تغطيه منذ ساعات قليلة ، حتى أن صيحات المرشح ، لم تكن مسموعة وسط ضجيج آلاف الأصوات الأخرى ، كان يسمع الآن في وضوح خفيف الكنسة فوق البلاطات الحجرية .

وكان الصوت الذي أحدثته أرجل المنضدة في الشرفة المجاورة ، قد نبه كارل إلى أن شخصا كان يجلس في تلك الشرفة ، مستغرقا في القراءة . كان شابا له ذقن صغيرة مدببة ، راح يفتلها دائما وهو يقرأ ، وكانت شفاته تتحركان بسرعة في أثناء ذلك ، كان يواجه كارل في جلسته إلى تلك المنضدة الصغيرة ، المغطاة بالكتب ، وكان قد تناول المصباح الكهربائي ، الذي كان قد وضعه فوق السور ، وأسندته بين كتابين ضخمين ، وهكذا كان يجلس الآن في ضوء شديد يبهل النظر .

قال كارل ، الذي ظن أن الشاب كان ينظر إليه : « مساء الخير ! » لكن لعله كان مخطئا في ظنه هذا ، فقد بدا أن ذلك الشاب لم يكن يدرك وجوده ، فقد وضع يديه فوق عينيه ، ليظللهما من الضوء ، وراح يبحث عن تحدث إليه فجأة ، ثم رفع المصباح الكهربائي إلى أعلى لكي يلقي بعض الضوء على الشرفة المجاورة ، وكان لا يستطيع أن يرى أي شيء .

ثم قال عندئذ بدوره ، في نظرة فاحصة ، مقتضبة : « مساء الخير ! » ، ثم أضاف قائلا : « وماذا تريد ؟ » .

تساءل كارل قائلا : « هل أزعجتك ؟ ! » .

فقال الشاب : « بالطبع ، بالطبع ! » ، وهو يميد المصباح لثانية

الى مكانه السابق .

ولاشك ان هذه الكلمات لم تشجع كارل على ان يحاول مواصلة الحديث ، الا ان كارل لم يغادر في الوقت نفسه ذلك الركن من الشرفة القريب من الشاب ، وراح يرقبه في صمت وهو يقرأ ، ويقلب الصفحات ، او يتطلع من حين لآخر الى شيء ما في كتاب آخر ، كان يختطفه دائما في سرعة البرق . وكان غالبا ما يكتب بعض المذكرات في مفكرة ، كان يكتبها ووجهه ملتصق بالورقة الى حد يثير الدهشة .

هل يمكن ان يكون هذا الشاب طالبا ؟ كان يبدو طالبا بلا شك ، وكان كارل - وان يكن قد انقضى الآن وقت طويل على هذا - يجلس بهذه الصورة تقريبا في منزله ، الى مائدة كتابة والديه ، لكي يكتب واجباته المدرسية ، بينما يقرأ والده الصحيفة ، او يؤدي أعماله التجارية ، او مراسلاته الخاصة بالمؤسسة التي يعمل بها ، وتنشغل امه بالتطريز ، وهي تسحب الخيط من القماش بيدها الى اعلى ، ولكي يتجنب ازعاج والده ، اعتاد كارل ان يضع كراسة التمرينات المدرسية فقط ، وأدواته الكتابية على المنضدة ، بينما يرمب بقية كتبه على المقاعد عن يمينه ويساره ، فكم كان كل شيء هادئا هناك ! وكان كارل وهو طفل صغير يسر دائما سرورا زائدا ، عندما كان يرى امه وهي تدير المفتاح في الباب الخارجى لتفتحه أحيانا ، لاشك انها لا تدري الآن شيئا عن ان كارل قد بلغ به الامر حدا حاول معه فتح ابواب القرباء بالقوة باستخدام السكاكين .

وماذا كانت نتيجة استذكاره ؟ لقد نسي كل شيء ، ولو كانت قد اتاحت له فرصة مواصلة دراسته هنا ، فلا بد انه كان سيجدها عبثا شاقا . وقد تذكر الآن انه كان قد مرض ذات مرة ، في منزله ، مرضا استمر شهرا كاملا ، وتذكر كم كلفه انقطاعه عن دراسته في اثناء ذلك الشهر ، لقد كلفه مجهودا مرهقا حتى تمكن من متابعة دراسته التي انقطعت ، مرة اخرى ، والآن فيها هو ذا لم يقرأ كتابا واحدا منذ تلك المدة الطويلة ، فيما عدا كتاب المعاملات التجارية الذي كان مكتوبا بالانجليزية .

وسمع كارل فجأة صوتا يقول له : « ايها الفتى ، الا يمكنك ان تقف في مكان آخر ؟ انك تزعجني ، غاية الازعاج ، وانت تحرق في على هذا النحو ، فبعد الساعة الثانية صباحا ، لاشك ان المرء يتوقع ان يتمكن من العمل في الشرفة ، في هدوء ، هل تريد شيئا

منى ؟ ! » .
فساله كارل قائلا : « هل تدرس ؟ ! » .
فقال الشاب ، وهو يحاول الاستفادة بهذه اللحظات الضائعة في
اعادة ترتيب كتبه :
- نعم .. نعم !
فقال كارل : « اذن ، فلن اعطلك ، وسادخل ثانية الى الحجرة ،
وطابت ليلتك ، على أية حال ! » .
ولم يرد الشاب مطلقا ، وعاد ثانية الى كتابه فى همة ، بعد ان
تخلص من ذلك الازعاج ، وكان رأسه يستند بكل ثقله الى يده
اليمنى .

لكن قبل ان يبلغ كارل الستارة ، تذكر ما كان قد خرج من
أجله ، فلم يكن يعلم مدى اصابته ، ولم يكن يدري ما الذى كان
يحس به ثقيلًا الى حد ما فوق رأسه ، ووضع يده الى أعلى
رأسه ، وحملق فى دهشة . لم يكن هناك جرح يدمى كما تصور
عندما كان فى الظلام داخل الحجرة ، لكن فقط عصابة تشبه
العمامة كانت لا تزال مبتلة ، وتبين من الاهداب الصغيرة التى كانت
تتدلى هنا وهناك ، والتى اتضح انها كانت طرف قطعة من الدانتلا،
تبين كارل انها كانت خرقة قد مزقت من أحد قمصان نوم برونيلدا
القديمة ، ولا بد ان روبنسون كان قد لفها فى سرعة حول رأسه ،
الا أنه كان قد نسي ان يعصرها ، فبينما كان كارل فاقدًا وعيه ،
كان الماء يقطر فوق وجهه ، ويتسرب تحت قميصه ، وكان ذلك هو
ما سبب له تلك الصدمة .

تساءل الشاب ، وهو يحملق فيه عبر الشرفة : « هل ما زلت
هنا ؟ ! » .

فقال كارل : « اننى ذاهب الآن بالفعل ، لقد كنت اريد فقط
ان اتفحص شيئًا ما ! » ، ان الظلام شديد جدا فى الداخل ! ،
فقال الشاب ، وهو يضع قلمه فوق الكتاب المفتوح أمامه ،
ويتقدم نحو الدرايزين : « لكن من أنت ؟ ما هو اسمك ؟ وكيف
جئت الى هؤلاء الناس ؟ وهل لك وقت طويل هنا ؟ وما الذى
كنت تريد ان تتفحصه ؟ افتح النور الكهربائى هنالك ، الا تريد ،
افتحه حتى اتمكن جيدا من رؤيتك ! » .

ونفذ كارل ما طلبه منه ، لكنه قبل ذلك ، سحب الستارة ،
وأحكم اغلاقها لكي يمنع من بالداخل من ملاحظة أي شيء ، وقال

هامسا : « اعذرني ، لاننى لايمكننى ان ارفع صوتى اكثر من ذلك ، لانهم لو سمعوني ، فسوف تحدث ضجة اخرى ! »

تساءل الشاب قائلا : « اخرى ؟ »

فقال كارل : « نعم ! لقد حدثت بينى وبينهم معركة شديدة هذا المساء ، ولابد اننى قد اصببت بضربة شديدة للغاية فوق راسى ، وتحسس مؤخرة راسه .

وتساءل الشاب قائلا : « وما سبب تلك المعركة ؟ ! » ، وعندما لم يجبه كارل فى الحال ، قال له الشاب : « يمكنك ان تصرح لى فى اطمئنان ، بكل ما لديك ضد هؤلاء الناس ، فانا امقتهم جميعا ، وخاصة السيدة ، وبالإضافة الى ذلك ، فما يدهشنى هو ان أجدهم قد حذروك بالفعل منى ، ان اسمى هو « جوزيف مندل » ، وانا طالب قال كارل : « حسنا ، لقد تحدثوا الى عنك بالفعل ، لكنهم لم يقولوا شيئا سيئا عنك ، فانت قد عالجت برونيلا ذات مرة ، ألم تفعل ؟ ! »

قال الطالب ضاحكا : « هذا حق ! وهل تفوح الاريكة بنتن تلك الرائحة حتى الآن ؟ ! » .

فقال كارل : « نعم لا تزال ! »

وقال الطالب : « ان هذا يسعدنى على كل حال ! » ومر بأصابعه فوق شعره ، ثم اضاف قائلا : « ولماذا وجهوا اليك تلك الضربات فوق راسك ؟ ! »

قال كارل : « لقد نشبت مشاجرة بيننا ! » ، واحتار فى كيفية تفسير الامر كله له ، ثم عاد ، فالح مرة اخرى متسائلا : « لكن الا اسبب لك ازعاجا الآن ؟ ! »

قال الطالب : « أولا ، لقد تسببت بالفعل الآن فى ازعاجى ، واننى لسوء الحظ شخص عصبى جدا ، حتى اننى استغرق وقتا طويلا جدا لكى اعود الى حالتى التى كنت عليها من قبل ، فممنذ ان رحت تنمشى فى الشرفة ، لم اتمكن من متابعة قراءتى ، ومن ناحية اخرى ، فانى دائما استريح ، حوالى الساعة الثالثة صباحا ، وعلى هذا فليس لك ان تتردد فى اخبارى بما سالتك عنه ، وبالإضافة الى ذلك ، فانى مهتم بهذا الامر ! »

قال كارل : « انه امر غاية فى البساطة ، فديلامارش يريدنى ان ابقى لكى اعمل خادما له ، لكننى لا اريد ذلك ، وكنت اريد مغادرة هذا المكان الليلة ، الا انه لم يسمح لى بالرحيل ، ولقد

أفلق الباب ، وحاولت أن أفتحه بالقوة ، ثم حدثت المشاجرة ، وما زلت هنا لسوء الحظ ! »

فتساءل الطالب قائلاً : « ولماذا ترحل ، هل عثرت على عمل آخر ؟ ! »

فقال كارل : « لا ، إلا أن هذا لا يهمني مطلقاً ، لو أمكنني فقط أن أغادر هذا المكان ! »

فقال الطالب : « ماذا ؟ لا يهكم هذا مطلقاً ؟ ألا يهكم ؟ ! » وصمت كلاهما لحظة ، ثم قال الطالب متسائلاً في النهاية : « ولماذا لا تريد أن تبقى مع هؤلاء الناس ؟ »

وأجاب كارل قائلاً : « أن ديلا مارش رجل شرير ، ولقد اصطدمت به من قبل ، فقد تجولت معه يوماً كاملاً ذات مرة ، ثم أسعدني أن أتخلص من صحبته ، فهل يمكنني أن أصبح خادمه الآن ؟ ! » فقال الطالب ، وبدأ وكأنه كان يبتسم : « لو كان كل الخدم مثلك يدققون طويلاً في اختيار ساداتهم ! ، استمع إلى ، انني أعمل بالنهار كبائع ، وهي وظيفة بائسة أقوم فيها بتسليم البضائع إلى المشترين ، وهي لا تكاد تفرق في شيء عن وظيفة ساع ، في مخزن (منتلى) الكبير ، أن منتلى هذا هو شخص سافل ، لاشك في هذا ، إلا أن هذا لا يثيرني ، أن ما يهمني بالفعل هو الأجر ، وهو أجر حقير مع هذا ، فلتضع هذا في اعتبارك ! »

فقال كارل : « ماذا ؟ هل تعمل في أثناء النهار كبائع ، وتستدكر طوال الليل ؟ »

قال الطالب : « نعم ، لا يمكنك أن تفعل شيئاً آخر ، ولقد حاولت أن أعمل كل ما يمكن عمله ، إلا أنني وجدت أن هذا هو أفضل الطرق جميعاً ، أنني لا أفعل شيئاً سوى الدراسة ليلاً ونهاراً منذ هذه سنوات ، وغالباً لا أستطيع الانتظام في المحاضرات ، فالجراحة لا توائمني بالذهاب في هذه الملابس التي أملكها ، إلا أنني انتهيت من هذا كله الآن ! »

فقال كارل وهو ينظر إلى الطالب في حيرة : « لكن متى تنام ؟ ! » قال الطالب : « أوه .. النوم ! » ، أنني أحصل على قليل من النوم عندما أنتهى من مذاكرتي ، وأنني أعمل على أن أبقى مستيقظاً بتناول القهوة السوداء ! » ، واستدار حوله ، وتناول زجاجة كبيرة من تحت المنضدة ، وصب القهوة السوداء من الزجاجة في قدح صغير ، وصبه في جوفه ، كما لو كانت تلك القهوة دواء يتجرعه

حتى يمكنه أن يتجنب مرارة طعمه .
قال الطالب : « رائعة تلك القهوة السوداء ! » ، ومن سوء
الحظ ، أنك تبعد عني كثيرا ، والا كنت قد أعطيتك بعضا منها
الآن ! » .

قال كارل : « اننى لا احب القهوة السوداء ! »
ورد عليه الطالب ضاحكا : « ولا انا ، الا اننى بدونها ، ماذا
عساي أن افعل ؟ فلو لم اتناول تلك القهوة السوداء ، لما رآنى منتلى
دقيقة واحدة ، وأقول منتلى ، على الرغم من انه بالطبع لا يكاد
يشمر بوجودى ، اننى لا أستطيع ببساطة أن ادخل المحل دون
أن أحمل معى زجاجة كبيرة كهذه ، أضفها تحت الطاولة ، ذلك اننى
لا أجروء مطلقا على المفامرة بالاقلاع عن تناول القهوة ، وصدقنى ،
فلو اننى فعلت ذلك لتدحرجت تحت الطاولة فى نوم كأنه الموت ،
ولقد فطن الآخرون لسوء الحظ ، الى ذلك ، فأطلقوا على لقب
(القهوة السوداء) ، نكتة سخيفة ، الا اننى واثق من انها قد دمرت
حياتى العملية بالفعل .

وتساءل كارل : « ومتى ستنتهى من دراستك ؟ ! »
فقال الطالب مطرقا برأسه : « اننى اتقدم فيها ببطء ! » ، ثم
ترك الدرايزين ، وجلس ثانية الى المنضدة ، ووضع مرفقيه فوق
الكتاب المفتوح ، ومر بأصابعه خلال شمره ، ثم قال : « قد
تستمر سنة أخرى ، أو سنتين ! »

قال كارل : « اننى أريد أن أدرس انا أيضا ! » ، قالها وكان
مجرد تصريحه بهذه الرغبة كان يعطيه الحق فى أن يتساوى تماما
مع الطالب ، الذى صمت الآن ، عندما تبين انه قد أصبح قدوة .

قال الطالب : « حقا ؟ ! » ، ولم يكن واضحا تماما لكارل
لحظتها ، هل كان يعيد قراءة دروسه ، أم كان ينظر فحسب اليه
فى شروء ! ثم عاد يقول : « لعلك أن تكون سعيدا لانك قد تركت
دراستك بالفعل ، ولقد واصلت انا دراستى هذه حتى الآن ، فقط
لمجرد الرغبة فى المواصلة ، اننى أشعر أحيانا بشيء من الرضا ،
ويفهم نفسى فى أحيان أخرى أمل واه فى المستقبل ، فما هو الشيء
الذى يمكننى أن أطمح اليه ؟ ان أمريكا تمتلئ بالطباء الدجالين ! »

فقال كارل مسرعا ، عندما بدا الطالب وكأنه يفقد اهتمامه بكل
شيء : « لقد طمحت الى أن أكون مهندسا ميكانيكيا ! »
فقال الطالب ، وهو يتطلع لحظة الى أعلى : « والآن يتمين عليك

أن تصبح خادما لهؤلاء الناس ، وان هذا يضايقتك بالفعل ! »
توصل الطالب الى هذه النتيجة لانه لم يفهم تماما ما كان كارل يقصده ، الا أن كارل أحس لحظتها بأن في امكانه أن يحول هذه الفكرة لصالحه ، ولهذا فقد تساءل قائلا : « لعلنى أجد وظيفة في المخزن أنا أيضا ! »

وانتزع هذا التساؤل الطالب بعيدا عن كتابه تماما ، كانت فكرة مساعدته لكارل في الحصول على وظيفة كتلك أبعد ما تكون عن باله ، فقال : « حاول أن تحصل على هذه الوظيفة ، أو لا تحاول ، أن حصولى على وظيفة عند منتلى هو أعظم نجاح أحرزته في حياتى ، فلو كان لى أن اختار احدهما ، فسأختار الوظيفة بالطبع ، ويمكننى أن أتخلى في الحال عن دراستى ، لقد أنفقت طاقتى كلها في محاولة حسم التردد في هذا الاختيار ! »

قال كارل محدثا نفسه ، قبل أن يوجه حديثه الى الطالب : « اذن فمن الصعب الى هذا الحد أن يجد المرء وظيفة عند منتلى ! » قال الطالب : « لماذا ، ماذا تظن ؟ أنه من الأسهل أن يتم تعيينك هنا قاضيا للحى ، من أن تعين بوابا عند منتلى ! »

وصمت كارل ، ان هذا الطالب الذى يتمتع بهذا القدر الهائل من الخبرة ، والذى يكره ديلا مارش لسبب غير معروف ، والذى لا يحفل له بلا ريب أية ضفينة ، لا يستطيع أن يشير له بكلمة واحدة تحمل أى معنى من معانى التشجيع على مفادرة ديلا مارش ، وهو لا يعلم مع ذلك أى شىء عن الخطر الذى يتهدد كارل من البوليس ، هذا الخطر الذى لا يستطيع أن يحميه منه الآن سوى ديلا مارش وحده .

لقد رايت المظاهرة في الشارع هذه الليلة ، ألم ترها ؟ ان أى شخص لا يعرف ما هى الحال ، يمكنه بسهولة أن يتخيل ، الا يمكنه أن يتخيل ان المرشح لوبستر ، وهذا هو اسمه ، من الممكن ان يأمل الى حد ما في النجاح ، أو على الأقل في النظر اليه كمرشح جدير بالاعتبار ! »

قال كارل : « لا أفهم في السياسة ! »

فقال الطالب : « هذا خطأ ، لان لك عينين في رأسك ، واذنين ، ليست لك عينان ؟ ان الرجل له أصدقاء وله خصوم ، وهذا واضح غاية الوضوح ، ولا يمكن أن يكون قد فاتك أن ترى هذا ، حسنا ، ان هذا الشخص ليس له في رأى أقل أمل في التراجع ، فقد تصادف اننى أعرف كل شىء عنه ، ويوجد رجل يقيم هنا ،

وهو واحد من معارفه . انه رجل لا تنقصه الكفاية ، اما اذا نظرنا الى آرائه السياسية ، وماضيه السياسى ، فانه يبدو لنا بالفصل افضل شخص يناسب وظيفة قاضى الحى ، الا ان احدا لا يمكن ان يتصور انه سيحصل عليها ، وسوف يسقط على ام راسه ، كما قد يحدث لاي شخص آخر ، وسوف تضيع دولاراته فى الحملة الانتخابية ، وسيكون هذا هو كل ما فى الامر ! »

وحدث كارل والطالب فى بعضهما البعض ، للحظات قليلة ، فى صمت . وأطرق الطالب بابتسامة ، وضغط راحتيه على عينيه المرهقتين .

ثم تساءل قائلا : « حسنا ، ان تذهب الى الفراش الآن ، يجب على ان استأنف قراءتى ، انظر ، كم من الصفحات على ان اقراها ! » وقلب ما يزيد على نصف صفحات الكتاب ، لكى يوضح لكارل ضخامة العمل الذى لا يزال ينتظره !

فقال كارل ، بانحناءة : « حسنا ، اذن ، طابت ليلتك ! »

وقال الطالب الذى جلس ثانية الى المنضدة : « تعال لزيارتنا فى وقت ما ، لو راق لك ذلك بالطبع ، وستجد دائما جمعا من الصحاب هنا ، ولدى دائما وقت لاستقبالك من التاسعة الى العاشرة مساء ! »

فتساءل كارل : « وعلى هذا فانت تنصحنى بالبقاء مع ديلامارش ! ؟ » .

فقال الطالب الذى كان راسه قد انحنى بالفعل فوق الكتاب : « قطعا ! » ، وبدا وكأنه لم يكن هو ، بل شخص آخر غيره هو الذى قالها ، فلقد تردد صداها فى اذنى كارل ، كما لو كانت قد قيلت بصوت فارغ اجوف لا يكاد يشبه صوت ذلك الطالب .

ومضى كارل ببطء نحو الستارة ، وتطلع مرة اخرى الى الطالب ، الذى جلس الآن بلا حراك ، تماما تحت دائرة الضوء الذى يفرقه فيها مصباحه الكهربائى ، محاطا بالظلام الحالك ، ودخل كارل الحجره ، فاستقبلته انفاس النائمين الثلاثة ، وتحسن طريقه بطول الحائط الى الاريكة ، وعندما بلغها ، تمدد فوقها فى هدوء كما لو كانت هى فراشه الذى اعتاده ، ولما كان الطالب الذى يصرف كل شيء عن ديلامارش ، وعن الظروف الغريبة التى تحيط به ، والذى كان بالاضافة الى ذلك شخصا متعلما ، قد نصحه بالبقاء هنا ، فليس لديه الآن اى اثر للشعور بتأنيب الضمير ! ليست له مثل ما لهذا الطالب من

الاهداف السامية ، ولعله لم يكن ليبلغ النهاية في تعليمه ، حتى في وطنه ، واذا كان صعبا بالنسبة اليه ان ينهي تعليمه في وطنه ، فليس لاحد ان يتوقع منه ان يفلح في بلوغ هذا الهدف هنا في بلد غريب الا ان طموحه في الحصول على وظيفة يمكنه ان يحقق من خلالها شيئا ، يبعث فيه بعض الرضا ، سوف يزداد ، لو انه قبل الات وظيفة خادما لديلا مارش ، ويمكنه من هذا المكان الامن ان يترقب الفرصة المناسبة ، ففي هذا الشارع نفسه يبدو ان هناك عددا من مكاتب الوسطاء ، والمكاتب التي تطلب عمالا للأعمال المختلفة ، وهي عند الحاجة لا يصعب عليها ان تعثر على بفتيتها ، وسوف يسره ان يتقبل وظيفة بواب ، عند الضرورة ، لكن ليس من المستحيل تماما ، رغم كل شيء ، الا يتفق له ان يجد عملا في وظيفة مكتبية ، وقد يجلس في المستقبل الى مكتبه الخاص ، ككاتب نظامي ، ويحقق من حين لآخر من خلال النافذة المفتوحة في سماعة ، كما كان يفعل ذلك الكاتب الذي رآه هذا الصباح في أثناء رحلته عبر الانجليزية ، وعندما اغلق عينيه كان مستريحا الى فكرة انه لا يزال حقيقيا ، وانه سيتمكن يوما ما من ان يفارق ديلا مارش ، فلا شك ان هذا المنزل لم يكن قد اقيم الى الابد . وعندما يتفق له الحصول في وقت من الاوقات على عمل في أحد المكاتب ، فسوف يركز اهتمامه في عمله المكتبي ، ولن يشتت طاقته ، كما يفعل ذلك الطالب ، واذا لزم الامر فسوف ينلر لياليه ايضا بالاضافة الى ايامه لعمله المكتبي ، وقد يطلب منه هذا في البداية بالفعل ، نظرا لقلّة معلوماته عن شئون هذا العمل ، وسوف يقصر تفكيره فقط فيما يفيد المؤسسة التي سيعمل بها ، وسيضطلع بكل ما يعهد به اليه من أعمال ، وبالاهمال التي قد يهملها الكتبة الآخرون ، وتزاحمت النوايا الطيبة في رأسه ، وكان صاحب العمل الذي سيستخدمه في المستقبل ، كان يقف لحظتها أمام الأريكة ، ويستطيع ان يقرأ هذه الافكار على وجهه بمثل هذه الافكار ، استغرق كارل في النوم ، وازعجته في لحظات استغراقه الاولى في النوم ، تنهيدة عميقة صعدتها برونيلا ، التي كانت على ما يبدو قد ازعجتها بعض الاحلام السيئة ، فتمطت ، وتقلبت في فراشها .

مسرح أو كلاهوما الطبيعي

في ركن من أركان أحد الشوارع رأي كارل لافتة كتب فوقها الاعلان التالي : « يقبل مسرح أو كلاهوما أعضاء جددا للانضمام الى هيئته اليوم ، في ميدان سباق كلايتون ، من السادسة صباحا ، حتى منتصف الليل . ان مسرح أو كلاهوما العظيم يناديك ! اليوم فقط هو آخر فرصة ! فلو فقدت الآن هذه الفرصة ، فقد فقدتها الى الابد ! ولو فكرت في مستقبلك ، فان عليك ان تحرص على الانضمام الينا ! مرحبا بالجميع ! لو أردت ان تكون فنانا فانضم الى جماعتنا ! ان مسرحنا يمكنه ان يوفر عملا لكل شخص ، ومكانا لكل شخص ! فلو قررت الانضمام الينا ، فنحن نرحب بك هنا الآن ! فأسرع ، حتى يمكنك ان تبلغ المكان قبل منتصف الليل ! وستفلق الابواب في الساعة الثانية عشرة مساء ، ولن تفتح ثانية ! وليسقط كل الذين لا يثقون بنا ، فهيا الى كلايتون ! »

ولا شك ان عددا كبيرا من الناس قد توقفوا امام هذه اللافتة ، لكن يبدو ان الكثيرين لم يصدقوا ما تقوله . كان هناك دائما الكثير من اللافتات ، ولم يعد أحد يصدق تلك اللافتات ، وكانت هذه اللافتة ، أكثرها جميعا بعدا عن التصديق ، وفوق هذا ، فقد اغفلت هذه اللافتة أمرا هاما ، وجوهريا ، فهي لم تذكر شيئا عن الاجر ، فلو كان الاجر جديرا بالذكر لكانت تلك اللافتة قد ذكرته بالفعل ، ولقد كان هذا الامر هو أكثر ما أثار الانتباه في كل المناقشات التي تناولت ما جاء بتلك اللافتة ، وهي مناقشات لا تنسى ، فلا أحد يريد ان يصبح فنانا ، لكن كل شخص يريد ان يحصل على اجر في مقابل ما يؤديه من أعمال .

لكن كان ثمة ما يلفت نظر كارل بشدة في تلك اللافتة ، فهي تقول : « مرحبا بالجميع ! » ، الجميع ! ان هذا يعني كارل أيضا . ان هذه اللافتة تتجاهل كل ما فعله كارل حتى الآن ، ويبدو ان احدا لن يلومه على شيء ! فهي تبيع له الحق في الحصول على وظيفة ، لاتشير شيئا من الخجل ، بل هي على العكس من ذلك ، وظيفة يعلن عنها على الملأ ، وكان الوعد بأنه سيجد هو أيضا قبولاً

من أصحاب العمل ، يبدو كذلك ، وعدا عاما ، وهو لا يطلب شيئا
اكثر من هذا ، انه يريد ان يجد سبيلا ما الى بداية حياة نظيفة
على الاقل ، وربما كانت هذه هي فرصته .

وحتى لو كانت كل التقارير التي تتصف بالمبالغة ، والتي
تضمنتها اللافتة ، ليست سوى مجرد كذبة ، وحتى لو كان مسرح
او كلاهما العظيم هذا ليس سوى مجرد سيرك بسيط متجول ،
يريد ان يضم اليه أعضاء جددا ، ففي هذا ما يكفي . ولم يقرأ
كارل اللافتة كلها مرة اخرى ، لكنه التقط ثانية تلك الجملة :
« مرحبا بالجميع ! » ، وفكر في البداية في ان يذهب الى كلايتون
سيرا على الاقدام ، الا ان هذا كان معناه ، ثلاث ساعات من السير
المرهق المتواصل . وربما يصل على كافة الاحتمالات ، في الموعد
تماما ، وربما يكتشف ايضا انه قد تم شغل جميع الاماكن بالفعل .
لاشك ان اللافتة تشير الى انه لا احد لمن يمكن قبولهم من الأعضاء
الجدد ، الا ان كل الاعلانات التي من هذا القبيل تحدث دائما
على هذا النحو ، وراى كارل انه اما ان ينبذ تلك الفكرة كلية ،
واما ان يذهب بالقطار ، واحصى نقوده ، التي كان من الممكن ان
تكفيه لمدة ثمانية ايام ، ان لم يتم بهذه الرحلة بالقطار ، وطوح بقطع
العملة القليلة في راحة يده الى الخلف والى الامام ، وربت سيد ما
كان يرقبه بيده على كتف كارل قائلا : « ارجو لك رحلة طيبة الى
كلايتون ! » ، واطرق كارل في صمت ، واحصى نقوده ثانية ، ثم
سرعان ما اتخذ قراره ، وتناول النقود التي تلزم لاجر السفر ،
واندفع نحو محطة النفق ! وعندما خرج من المحطة في كلايتون سمع
في الحال اصوات ابواق عديدة ، كانت تلك الاصوات ، عبارة عن
ضوضاء مشوشة ، ولم يكن النفخ فيها ينسجم مع بعضه البعض ،
الا ان كارل لم يهتم بهذا ، بل لقد اعتبر هذا تأكيدا لحقيقة ان
مسرح او كلاهما كان مسرحا هائلا ، لكنه عندما خرج من المحطة ،
واستعرض ذلك العرض بنظراته ، تحقق في الحال مما رآه امامه ،
ان ذلك المسرح كان اكبر بكثير جدا مما كان قد تصوره ، ولم
يستطع ان يفهم كيف يتسنى لاية هيئة ان تضطلع بهذا التنظيم
الكامل لمجرد ان تستوعب أعضاء جددا .

وامام مدخل حلبة السباق ، كان قد اقيم ثمة رصيف طويل
منخفض ، وقفت فوقه مئات من النساء اللاتي يرتدين ملابس
الملائكة ، وهى اثواب بيضاء ، لها أجنحة هائلة على اكتافهن ، وكن

ينفخن في ابواق طويلة كانت تتالق كالذهب ، ولم يكن بالفعل يقفن فوق الرصيف ، لكنهن كن يمتلئن قواعد منفصلة عن بعضها البعض ، ولم يكن من السهل رؤية تلك القواعد مع ذلك ، لأنها كانت تختفى تحت الاقمشة الطويلة المزهرة التي كانت تنسدل الى اسفل ، والتي لم تكن سوى اذيال اثواب الملائكة . ولما كانت تلك القواعد ، بالفة الارتفاع - كان يبلغ ارتفاع بعضها ستة أقدام - فان النساء كن يظهرن ، عملاقات ، لولا ان صغر رموسهن هو ما كان يبسط الاليهام بهذا الحجم الهائل ، وكان شعرهن المفكوك ، يبدو بالغ القصر ، ومتدلليا بطريقة سخيفة بين الجناحين الهائلين ، ويحدد وجوههن ، وكانت القواعد تختلف في احجامها ، ومقاييسها ، تجنباً للتكرار ، وكانت توجد نساء لا يكدن يرتفن كثيرا عن ارتفاع الشخص المادي ، لكن كانت هناك اخريات بجوارهن ، كن يقفن على ارتفاع شاهق ، حتى ان المرء كان يشعر بأن اقل لفحة من الهواء يمكنها ان تقلبهن ، وكانت النساء جميعهن ينفخن في ابواقهن .

ولم يكن يوجد كثير من المستمعين ، كان هناك فقط حوالى عشرة من الصبية ، كانوا يمشون امام الرصيف ، وقد مسخت احجامهم بالمقارنة باحجام اولئك النساء ، وكانوا يلفتون انظار بعضهم البعض الى هذه او تلك ، لكن لم تكن تبدو عليهم ادنى نية للدخول ، ومرض خدماتهم . وكان هناك رجل واحد فقط ، كان قد توقف قليلا في جانب من الجوانب ، وكان يصطحب زوجته معه ، وطفله في حربة اطفال . كانت الزوجة تمسك حربة الطفل باحدى يديها ، وتعتمد بيدها الاخرى على كتف زوجها . وكان واضحا انهما كانا مصجبين بالمشهد ، الا ان المرء كان في امكانه ان يتبين في الوقت نفسه ، ان املهما كان قد خاب ، وكان يبدو عليهما وكأنهما كانا يتوقمان ما يشير الى نوع من انواع العمل ، ولقد اثار هذا النفخ في الابواق سخطهما . وكان كارل يشعر بنفس ما كانا يشمران به ، واتجه كارل الى حيث كان يقف الرجل ، واستمع قليلا الى صوت الابواق ، ثم قال بعد ذلك : « اليس هذا هو المكان الذي يطلبون فيه اناسا للانضمام الى مسرح أو كلاهما ؟ ! » .

قال الرجل : « اننى اظن هذا ايضا ! الا اننا ننتظر هنا منذ ساعة ، ولم نسمع شيئا سوى اصوات هذه الابواق ، ولا يوجد هنا لافتات يمكننا ان نعرف عن طريقها اى شيء ، ولا يوجد منادون ولا شخص واحد يمكنه ان يدلك على مايجب عليك ان تفعله ! » .

فقال كارل : « ربما كانوا ينتظرون حتى يصل اناس كثيرون ، ان من وصل الى هنا حتى الآن ، هم في الحقيقة بضعة افراد قلائل ! » قال الرجل : « قد يكون الامر كذلك ! » ، ثم صمتا ثانية ، كما انه لم يكن من السهل ان تسمع شيئا من خلال الضوضاء التي كانت تحدثها اصوات الابواق ، ثم همست المرأة بشيء ما لزوجها ، فاطرق هذا ، ونادت المرأة كارل في الحال وقالت له : « الا يمكنك ان تذهب الى حلبة السباق ، وتسال اين يتم استقبال طالبي العمل ؟ » فقال كارل : « نعم ، ان على ان اخترق الرصيف ، وسط كل الملائكة ! » فتساءلت المرأة قائلة : « وهل يصعب عليك هذا ، الى هذه الدرجة ؟ » وتبدو انها كانت تظن المكان ممرا سهلا لكارل ، لكنها لا تريد زوجها ان يذهب ليسال بنفسه .

قالت المرأة لكارل : « من السهل عليك انت ان تذهب ! » ، وتناولت هي وزوجها يد كارل ، وضغطاها .

واندفع الضبيبة جميعا ، ينظرون الى كارل من قرب ، عندما صعد الرصيف ، ويبدو ان النساء قد ضاعفن من شدة نفخهن في الابواق كتحية لاول شخص يرغب في الانضمام الى هيئة المسرح ، وكانت النسوة اللاتي كن يقفن فوق القواعد التي مر بها كارل ، قد ابعدن الابواق عن افواههن ، وانحنين يتبعنه بأنظارهن ، وعند الجانب الآخر من الرصيف ، اكتشف كارل وجود رجل كان يتمشى في قلق ، ذهابا وجيئة ، ويبدو انه كان ينتظر الناس الذين يطلبون الانضمام ، لكي يعطيهم التعليمات التي يرغبون في الحصول عليها ، وكان كارل على وشك ان يبدأ بالحديث ، عندما سمع صوتا يناديه من أعلى صاحت احدي الملائكة قائلة : « كارل ! » .

وتطلع كارل الى أعلى وفي دهشة منشرة ، انطلق في الضحك فقد كانت (فاني) ، صاح قائلا في دهشة ، وهو يلوح لها بيده : « فاني ! »

صاح فاني قائلة : « اقترب ، لا يمكن ان تمر بي حقا هكذا ! » ، وازاحت طرف ثوبها جانبا ، فأتضحت القاعدة التي كانت تقف فوقها ، وسلم صغير كذلك كان يؤدي الى أعلى تلك القاعدة تساءل كارل قائلا : « هل يسمح للمرء بأن يصعد هذا السلم ؟ »

فهمت فاني قائلة : « ومنذا الذي يمنعنا من أن نتصافح ! » ، وتطلعت حولها في غضب ، استعدادا لمواجهة من قد يتدخل ، الا ان كارل كان يصعد السلم لحظتها بالفعل .

وصاحت فاني قائلة : « ليس بهذه السرعة ! والا انقلبنا ، والسلم ايضا ، الى الارض ! » الا ان شيئا من هذا لم يحدث ، وبلغ كارل قمة السلم في سلام .

قالت فاني : « انظر ! » ، وكان كل منهما قد صانح الآخر : « انظر اي وظيفة هذه التي حصلت عليها هنا ! » .

فقال كارل وهو يتطلع حوله : « انها وظيفة رائعة ! » ، وراحت باقى النساء ، اللاتي كن يلاحظنه يضحكن ساخرات ، وقال كارل : « انك اكثر ارتفاعا منهن جميعا ! » وفرد ذراعه محاولا ان يقيس الفرق في الارتفاع بين مكانها ، ومكان الاخريات .

وقالت له فاني : « لقد رايتك في الحال ، فور خروجك من المحطة ، لكننى في الصف الأخير هنا ، لسوء الحظ ، ولا يمكن لاحد ان يرانى ، كما لايمكننى ان الوح لاحد بدورى ، ولقد نفخت في البوق بغاية جهدى ، الا انك لم تتصرف على رغم ذلك ! » .

وقال كارل : « انكن تنفخن جميعكن بصورة سيئة للغاية ! » ، دعينى أنفخ مرة في هذا البوق ! ..

فقالت فاني : « كما تشاء ! » ، وهى تناوله البوق : « لكن لا تحاول ان تفسد العرض ، والا تسببت في طردى ! »

وبدا كارل ينفخ في البوق ، وكان قد تصوره بوقا قديم الطراز ، لا ينفع الا في اصدار الضوضاء فقط ، لسكنه اكتشف الآن انه كان آلة قادرة على احداث أي صوت دقيق ، فلو كانت كل الابواق هنا بهذا المستوى ، فلا بد انها كانت تستعمل اذن استعمالا بالغ السوء ، ودون ان يلقي انتباها الى نفخ الاخريات ، نفخ بكل طاقة رثيه لحنا كان قد سمعه ذات مرة في احدى الحانات ، وأحس بالسعادة لعثوره على صديقة قديمة ، ولسمحها له بالنفخ في البوق بصورة ودية ، وسعد كذلك لفكرة احتمال عثوره هنا على وظيفة حسنة بغاية السرعة ، وتوقفت كثيرات من النساء عن النفخ لكى يستمعن ، وعندما توقف هو فجأة عن النفخ في البوق ، كانت نصف الابواق تقريبا هى التى تصدر عنها الاصوات ، واستمر الحال بعض الوقت على هذا ، الى ان عادت الضوضاء كما كانت من قبل ، الى كامل عنفها .

قالت فاني عندما سلمها البوق ثانية : « ولكنك فنان فعلا ! فاطلب منهم ان ياخذوك كنافخ بوق ! » .

وقال كارل : « وهل يقبلون الرجال في هذه الوظيفة ايضا ! »

فقلت فانى : « نعم ، اننا ننفع لمدة ساعتين ، ثم نستريح ، ويحل الرجال الذين يرتدون ملابس الشياطين محلنا ، نصفهم ينفخون في الابواق ، ويقرع نصفهم الآخر الطبول . انه مشهد رائع ، كما ان المعدات تتوفر جميعها في سخاء ، الا تعتقد ان ثيابنا جميلة ؟ ! والاجنحة ؟ ! » ، وتطلعت الى اسفل ، وراحت تتفحص نفسها .

تساءل كارل : « هل تعتقدين اننى سأجد وظيفة هنا ؟ »
فقلت فانى : « بكل تأكيد ! انه أضخم مسرح في العالم ، ياله من حظ ، ان يجمعنا ثمانية مكان واحد ، الا ان الامر يعتمد على نوع الوظيفة التى سوف تسند اليك ، لانه من الممكن الا نرى بعضنا ثانية على الاطلاق ، على الرغم من انضمامنا هنا . »

فتساءل كارل قائلا : « هل المكان واسع بالفعل الى هذا الحد ؟ »

فقلت فانى : « انه اكبر مسرح في العالم ، اننى لم أره بمقد بنفسى ، اننى اعترف بهذا ، الا ان بعض الفتيات الاخريات هنا ، أولئك اللاتى كن قد انضممن قبلى الى مسرح أوكلاموما ، يقلن ان هذا المسرح لا حدود له على الاغلب ! »

فقال كارل ، مشيرا الى اسفل نحو الصبية ، والاسرة الصغيرة .
- لكن لا يوجد كثير من الناس هنا !

قلت فانى : « هذا حق ، لكن عليك ان تلاحظ اننا نضم اليها اعضاء جددا من كل المدن ، وان جهاز تجنيد الاعضاء للعمل في المسرح ، يتجول دائما في الطرق ، ويوجد الكثير من فرق تجنيد الاعضاء الجدد للمسرح ! »

وقال كارل : « لماذا ؟ الم يفتح المسرح بعد ؟ ! »

قلت فانى : « اوه .. نعم ، انه مسرح قديم ، الا انه يوسع دائما ! »

فقال كارل : « انه ليدهشنى ان اناسا اكثر من هؤلاء لم يتزاحموا للانضمام اليه ! »

قلت فانى : « نعم ، انه امر غير عادى ! »

قال كارل : « ربما كان هذا العرض الذى يقوم به الملائكة والشياطين ، ينفر الناس ، بدلا من ان يجتذبهم ! »

قلت فانى : « ما الذى يجعلك تظن هذا ؟ الا انك قد تكون على حق ، فقل هذا لقائدنا ، فقد يهمة سماع ذلك ! »

فتساءل كارل قائلا : « واين هو ؟ ! » .

قلت فانى : « فى حلبة السباق ، فوق رصيف التحكيم ! »

قال كارل : « ان هذا يدهشنى ايضا ، فلماذا حلبة السباق
لاستقبال الراغبين فى الانضمام الى المسرح ؟ ! »
قالت فانى : « اوه .. اننا نعمل دائما استعدادا هائلا لاستقبال
كثير من الناس ، ويوجد متسع للكثيرين فى حلبة السباق ، وفى
كل الاكشاك التى تقبل المراهنات فى الايام العادية ، تقام الآن المكاتب
لتسجيل اسماء المرشحين للوظائف ، ولا بد ان هناك حوالى
المائتين من هذه المكاتب هناك ! »

فصاح كارل قائلا : « وهل لمسرح او كلاهما ، مثل هذا الدخل
الضخم ، الذى يسمح له بجمع الناس ، واقامة المنشآت على هذه
الصورة ؟ ! »

قالت فانى : « وما الذى يهمنا نحن من ذلك ، من الافضل
لك ان تذهب الآن ، يا كارل ، حتى لا يفوتك اى شئ ، ويجب
على ان اواصل الآن النفخ فى البوق ، فابدل كل جهدك لكى
تحصل على وظيفة هنا ، فى هذا القسم ، وتعال واخبرنى بذلك فى
الحال ، وتذكر اننى سانتظر بغاية القلق حتى تعود الى بهذه الاخبار ! »

وضغطت على يده ، ونبهته الى ان يحترس عند هبوطه السلم ،
ووضعت البوق على شفيتها ثانية ، الا انها لم تنفخ فيه حتى رأت
ان كارل قد هبط الى الارض بسلام ، ورتب كارل الثوب ثانية ،
فغطى به السلم ، كما كان من قبل ، وأومات فانى الى كارل
بتحياتها ، واقترب كارل ، وهو لا يزال يفكر فيما سمعه الآن ،
اقترب من الرجل الذى كان قد رآه وهو فوق القاعدة التى تقف عليها
فانى ، فاقترب من تلك القاعدة منتظرا هبوطه !

تساءل الرجل قائلا : « هل تريد الانضمام الينا ؟ » ، اننى مديون
المستخدمين ، فى هذه الفرقة ، وأننى ارحب بك ! كانت له انحناءة
دائمة ، كما لو كانت بدافع الادب ، وكانت ساقاه تتململان ، دون
ان يتحرك من مكانه ، وكان يصبث طول الوقت بسلسلة ساعتة .

قال كارل : « أشكرك ! لقد قرأت اللافتة التى وضعتها لفرقتك
وقد حضرت الى هنا ، كما جاء بها ! »

فقال الرجل موافقا على ما قال كارل : « هذا صحيح تماما ،
ولسوء الحظ لا يوجد كثيرون قد فعلوا كما فعلت ! » ، وطرا على
بال كارل ان يقول للرجل ، انهم ربما يكونون قد اخفقوا فى جمع
الكثيرين بسبب فخامة ذلك الاستعراض ، الا انه لم يقل
شيئا لان هذا الرجل لم يكن قائد الفرقة ، وبالإضافة الى ذلك ،

فليس من المستحسن له أن يبدأ بتوجيه الاقتراحات التي تستهدف تحسين حال جهاز تجنيد الأعضاء الجدد ، من قبل أن يقبل هو نفسه بالفعل كعضو ، وعلى هذا فقد قال فقط :

— ثمة رجل ينتظر هناك في الخارج ، ويرغب في تسجيل اسمه هنا أيضا ، وقد أرسلني لكي أستطلع الأمر أولا ، فهل لي أن أبحث عنه الآن ؟

قال الرجل : « بالطبع ، من المستحسن هذا ! »

— ان له زوجة معه هي أيضا ، وطفل صغير في حربة أطفال ، فهل لهما أن يحضرا أيضا ؟

فقال الرجل ، وبدأ وكأنه كان يبتسم من تردد كارل : « بالطبع ، يمكننا أن نقبلهم جميعا ! »

فقال كارل : « سوف أعود في الحال ! » ، وانطلق يجرى نحو حافة الرصيف ، ولوح بيده للزوجين ، وصاح قائلا : « ان بإمكان كل شخص أن يحضر أيضا ، وعاون الرجل في حمل حربة الطفل الى الرصيف ، ثم تقدما معا . وعندما رأى الصبية ذلك تشاوروا مع بعضهم البعض ، وترددوا الى اللحظة الأخيرة ، وأيديهم في داخل جيوبهم ، ثم صعدوا الرصيف ببطء ، وتبعوا كارل والأسرة . ثم ظهر عندئذ عدد من الوافدين الجدد خرجوا من المحطة التحتية ، ورفعوا سواعدهم في دهشة عندما شاهدوا الرصيف والملائكة ، وبدأ مع ذلك ان المنافسة من أجل الحصول على الوظائف ستزداد الآن ، وأحس كارل بالسعادة البالغة لوصوله مبكرا على هذه الصورة ، ولعله كان أولهم جميعا ، وكان الزوجان يتوجسان شرا ، وتساءلا عديدا من التساؤلات ، عما قد يطلب منهما ، وقال لهما كارل انه لا يعرف شيئا محددا بعد ، إلا انه قد أحس بأن كل شخص بلا استثناء سوف يقبل . وظن انهما سيشعرون براحة البال عندئذ . وتقدم مدير المستخدمين نحوهم ، والرضا يبدو عليه لوجود مثل ذلك العدد ممن حضروا يطلبون الانضمام الى هيئة المسرح ، وفرك يديه ، وحييا كل واحد من الموجودين بانحناء خفيفة ، ورتبهم جميعا في صف واحد ، وكان كارل على رأس الصف ، يليه الزوج ، وزوجته ، يليهما الآخرون ، وعندما اصطفوا جميعا — ظل الصبية يتدافعون في البداية ، واستغرق الأمر بعض الوقت لكي يتم تنظيمهم في الصف — وقال مدير المستخدمين ، بينما صممت الأبواق :

- اننى احبيكم باسم مسرح او كلاهما ، ولقد وصلتكم مبكرين (كان الوقت ظهرا لحظتها) ، ولم يحدث زحام شديد بعد حتى الآن ، وعلى هذا فان الشكليات الضرورية التى تلزم لانضمامكم سوف تتم فى الحال ، انكم تحملون معكم بالطبع الاوراق التى تثبت شخصياتكم !

وجذب الصبية فى الحال اوراقا من جيوبهم ، وفردوها نحو مدير المستخدمين ، ولكز الزوج زوجته ، فأخرجت حزمة كبيرة من الاوراق من تحت البطاطين التى كانت فى عربة الطفل . الا ان كارل لم يكن يحمل أية اوراق . فهل يحول ذلك بينه وبين الانضمام ؟ انه يعلم جيدا من خلال خبرته انه سيسهل عليه ان يتغلب بحل من الحلول البسيطة ، على تلك التعليمات ، ويبدو انه سينجح فى ذلك ، وتطلع مدير المستخدمين الى الصف كله ، وتأكد من ان الجميع يحملون تلك الاوراق ، ولما كان كارل يقف بيديه مرفوعتين ، مع انهما كانتا خاليتين من تلك الاوراق ، فقد تأكد الرجل من ان كل شيء على ما يرام بالنسبة لكارل هو ايضا !

قال مدير المستخدمين : « حسن جدا ! » ، مؤكدا ذلك للصبية بتلويح يده لهم ، وكان هؤلاء يريدون ان تفحص اوراقهم فى الحال : « سوف تفحص اوراقكم فى مكاتب الاستقبال ، وكما قد لاحظتم بالفعل من لافتتنا ، ففى امكاننا ان نجد وظيفة لكل شخص ، لكننا يجب بالطبع ان نعرف ما هى الوظائف التى كنتم تشغلونها حتى الآن ، وعلى هذا يمكننا ان نضع كلا منكم فى مكانه الصحيح ، لكى نستفيد بخبراتكم ! »

وفكر كارل فى نفسه مرتابا : « ولكنه مسرح ! » ، ثم استمع فى انتباه شديد .

ومضى مدير المستخدمين فى حديثه قائلا : « ولهذا فقد اقمنا مكاتب للاستقبال والتسجيل فى اكشاك المراهنات على خيل السباق ، لكل تجارة او مهنة مكتب خاص ، وعلى هذا فسوف يخبرنى كل منكم بوظيفته ، وتسجل الاسرة عادة فى مكتب توظيف الأزواج ، وسوف اصحبكم اذن الى هذه المكاتب ، حيث يراجع المختصون اوراقكم أولا ، ثم صلاحيتكم ، وسوف يكون فحصا قصيرا للغاية ، فلا تخشوا شيئا ، وسوف تسجل اسمائكم فى الحال ، بعد ذلك . ثم تتلقون التعليمات اللازمة ، فلنبدأ الآن اذن . هذا المكتب الاول خاص بالمهندسين الميكانيكيين ، كما يتضح من الكتابة التى كتبت

فوقه ، فهل يوجد مهندس هنا بينكم ؟ ،

فتقدم كارل الى الامام ، كان قد ظن ان افتقاره الى الاوراق يتيح له ان يتخطى تلك الشكليات بأقصى سرعة ممكنة ، وكان لديه كذلك ما يبرر تقدمه الى الامام بعض التبرير ، فلقد كان قد رغب ذات مرة في ان يصبح مهندسا ميكانيكيا . الا ان الصبية عندما شاهدوا كارل وهو يتقدم الى الامام ، ثار الحسد في نفوسهم ، ورفعوا أيديهم جميعا ، فنهض مدير المستخدمين على قدميه وقال للصبية : « هل أنتم مهندسون ! ! » فتبدلت أذرعهم ، ثم انخفضت الى جانبهم ، لكن كارل بقي ثابتا على قراره الاول ، ولقد نظر اليه مدير المستخدمين بالطبع في ارتياب ، فقد كان كارل يبدو في ثياب خلقة وكان صغيرا أيضا حتى يكون مهندسا ، الا انه لم يقل شيئا ، ربما كنوع من الامتنان لكارل ، لانه كان قد تسبب في رأيه على الأقل ، في دخول هؤلاء الذين يرغبون في الانضمام الى المسرح ، وأشار في مجاملة نحو المكتب ، واتجه اليه كارل ، بينما استدار مدير المستخدمين نحو الآخرين .

وفي المكتب المخصص للمهندسين ، كان يجلس سيدان الى طرفي طاولة مستطيلة ، وهما يقارنان قائمتين طويلتين كانتا موضوعتين امامهما ، وكان احدهما يقرأ ، بينما كان الآخر يضع علامة امام كل اسم في القائمة ، وعندما دخل كارل وحياهما ، تركا القائمة في الحال ، وتناولوا دفتري هائلين ، وفتحاهما .

وقال احدهما ، وكان يبدو واضحا ، انه كاتب : « من فضلك اعطني اوراق اثبات شخصيتك ! »
فقال كارل : « اننى آسف لاننى لم احضرها معى ! »

قال الكاتب للسيد الآخر : « انه لم يحضرها معه ! » بينما كان يكتب في الوقت نفسه تلك الاجابة التى اجاب بها كارل في دفتره وعندئذ سأل الرجل الآخر ، الذى بدا انه رئيس المكتب : « هل أنت مهندس ؟ » .

قال كارل مسرعا : « اننى لم أصبح مهندسا بعد ، ولكننى .. »
فقال السيد في سرعة تفوق سرعته : « يكفى هذا ، فأنت لا تتبعنا في هذه الحالة ، وعلى هذا فأرجو ان تتكرم بملاحظة ما كتب على واجهة الكشك ! » ، وصر كارل على أسنانه ، ولا بد ان السيد كان قد لاحظ ذلك ، لانه قال : « لا حاجة بك الى ان تخشى

شيئا ، ففي امكاننا ان نقبل كل شخص ! ، وأشار لواحد من
المساعدين ، كان يتسكع متكاسلا بين الاسوار ، قائلا له : « قد
ذلك السيد الى مكتب الفنيين ! »

وفسر المساعد ذلك الامر حرفيا ، فأخذ كارل من يده ، ومرا
بمعد من الاكشاك على كلا الجانبين ، في أحد هذه الاكشاك رأى كارل
أحد الصبية ، كان قد انتهى تسجيله بالفعل ، فكان هذا الصبي
يشد على يد السيد الذي كان يرأس المكتب في امتنان ، وفي المكتب
الذي اقتيد اليه كارل الآن ، كانت الاجراءات شبيهة بتلك الاجراءات
التي جرت في المكتب الاول كما كان كارل قد توقع ، فيما عدا
انهما قد ارسلاه الآن الى المكتب الخاص بطلبة المدارس المتوسطة ،
عندما سمعا انه كان قد التحق بمدرسة متوسطة ، لكن عندما
صرح كارل هناك بأنها كانت مدرسة اوروبية ، تلك التي كان قد
التحق بها ، رفض الموظفان قبوله ، وارسلا معه من اقتاده الى
المكتب الخاص بطلبة المدارس الاوروبية المتوسطة ، وقد كان كشكا
في الطرف الخارجى من الحلبة ، ولم يكن كشكا أصفر فقط ، بل
أكثر تواضعا أيضا من باقى الاكشاك الأخرى ، وكان المساعد الذى
اقتاده الى هناك غاضبا غاية الغضب ، للمشوار الطويل والرجوع
المتكرر الذى كان السبب فى حدوثهما فى رأيه هو كارل وحده، ولم ينتظر
المساعد حتى تبدأ الاسئلة التى سيوجهها أعضاء المكتب الى كارل ،
بل رجع فى الحال ، فلعل هذا المكتب اذن أن يكون هو فرصة كارل
الآخيرة ! وعندما لمح كارل رئيس المكتب فوجيء للغاية بالشبه
الشديد بينه وبين مدرس ، ربما كان لا يزال يدرس فى المدرسة
التي كان يدرس بها فى بلده ، ومع ذلك ، فقد بدا الشبه فى الحال
مقصورا على بعض التفاصيل المعينة ، الا ان النظارات التى كانت
ترتكز فوق أنف الرجل المريض ، واللحية الجميلة ، وهى تنحدر
كجائزة معروضة ، والظهر المنحنى قليلا ، والصوت المرتفع المفاجيء
الذى يصدر فجأة ، كلها جمدت كارل من الدهشة لبعض الوقت ،
ولحسن الحظ لم يكن عليه أن ينتبه انتباها شديدا ، ذلك ان
الاجراءات هنا كانت أبسط كثيرا منها فى المكاتب الأخرى . ولاشك
ان مذكرة ما كانت قد تضمنت ان اوراقه لم تقدم ، وقد اعتبر
رئيس المكتب عدم وجود تلك الاوراق « شيئا من الإهمال غير
المفهوم ! » ، الا ان الكاتب الذى بدا ، وكأنه هو الذى يسيطر
على هذا المكتب سرعان ما علق على ذلك ، وصرح ذلك الكاتب ،

بعد عدد من الاسئلة التي وجهها رئيسه الى كارل ، وبينما كان السيد يستعد لتوجيه مزيد من الاسئلة الهامة ، صرح بأن كارل قد قبل ، واستدار رئيس المكتب مفطور الفم نحو كاتبه ، الا أن الكاتب اتى بحركة حاسمة من يده قائلا : « قبل ! » ، ودون في الحال هذا القرار في دفتره ، ويبدو أن الكاتب كان ينظر الى « طالب أوروبى بالمدارس المتوسطة » ، نظرته الى شخص غاية في الوضاعة ، لدرجة لا يصح معها الارتياح فى أى كلام يصدر عنه ، او مناقشته فيه ، ولم يكن لدى كارل من ناحيته أدنى اعتراض على هذا ، ومضى رأسا نحو الكاتب ، وهو ينوى أن يشكره على ذلك ، لكن كان هناك ثمة تأخير آخر ، فبينما كانا يسألانه عن اسمه ، لم يجب كارل فى الحال ، فقد أحس بالخجل من ذكر اسمه الحقيقى ، والسماح لهما بتدوينه ، ومادام قد وجد مكانا هنيئا ، مهما كان ضئيلا ، وقبل أن يشغله ، راضيا ، فيمكنهما أن يحصلوا على اسمه ، لكن ليس الآن ! كان قد أخفى اسمه الحقيقى طويلا ، بحيث يصعب عليه أن يصرح به الآن ! ولما لم يطرا على باله أى اسم آخر فى تلك اللحظة ، فقد ادلى لهما باسمه المستعار الذى كان يلقب به فى عمله الاخير ، (الزنجى !)

قال رئيس المكتب : « الزنجى ! » ، وهو يدير رأسه ، ويأتى بحركة ما ، كما لو كان قد بلغ الآن أقصى حدود الريبة ، وحتى الكاتب هو أيضا ، نظر الى كارل ، وتفحصه ، للحظة ، الا انه قال بعدئذ : « الزنجى ! » ، ودون الاسم .
وصاح به رئيسه قائلا : « لكنك لايمكن أن تكون قد كتبت بالفعل كلمة (الزنجى !) »

ورفع الكاتب حاجبيه ، ونهض بدوره ، وقال : « اذن ، فان من واجبى انا ، أن أقول لك ، أنك قد قبلت ضمن هيئة مسرح أو كلاهما ، وان علينا الآن أن نقدمك الى قائدنا ! »
واستدعى مساعدا آخر ، اقتاد كارل الى منصة التحكيم .

وعند اقدم الدرج ، لمح كارل عربة الطفل ، وهبط عندئذ الاب والام ، وكانت الام تحمل الطفل على ذراعها .

سأله الرجل قائلا : « هل قبلت ! » . كان أكثر نشاطا من ذي قبل ، وابتسمت زوجته لكارل من فوق كتفها . وعندما اجاب كارل بأنه كان قد قبل لتوه ، وانه كان فى طريقه لى يقدم الى القائد ، قال الرجل : « اذن فائى أهنتك ، فلقد قبلنا نحن أيضا ، ويبدو انه شىء طيب أن ننضم الى المسرح على الرقم من

انه لا يمكنك ان تعتمد على شيء مرة واحدة وفي الحال ، الا ان الامور تسير دائما على هذا النحو في كل مكان ! »

وقالا لبعضهما : « الى اللقاء مرة اخرى » ، وصعد كارل الى المنصة ، واتخذ دوره ، ذلك ان تلك المساحة الضيقة في أعلى المنصة ، كانت تزدهم فيما يبدو بالناس ، ولم يكن كارل يترهب في المزاحمة والالاحاح ، ولهذا توقف لحظة ، وتطلع الى حلبة السباق الهائلة التي كانت تمتد في كل اتجاه نحو الغابات البعيدة ، وكانت تملؤه الرغبة في رؤية سباق الخيل ، ولم يكن قد اتبحت له الفرصة من قبل لمشاهدة أى سباق للخيل منذ أن جاء الى امريكا . وفي أوروبا ، كان قد ذهب الى سباق للخيل ذات مرة ، عندما كان طفلا صغيرا الا ان كل ما كان يمكنه ان يتذكره ، هو ان امه كانت قد سحبتة خلال الزحام ، ولم يرغب الناس في ان يفسحوا له طريقا لكي يمر . وعلى هذا فلم يكن بالفعل قد رأى قط من قبل سباقا للخيل ، وكانت خلفه آلة من نوع ما ، كانت قد بدأت تطن ، واستدار حوله وراي فوق اللافتة ، حيث تظهر أسماء الفائزين من المتسابقين ، هذه الكلمات : « التاجر كاللا ، وزوجته ، وطفله ! » ، وعلى هذا فان أسماء هؤلاء الذين تم قبولهم كانت توزع على مختلف المكاتب من هنا .

وعندئذ هبط بعض السادة الدرج مسرعين ، وبايديهم اقلام رصاص ، ومفكرات ، وكانوا يتحدثون الى بعضهم البعض باهتمام ، والتصق كارل بالسور ، لكي يفسح مكانا لمرورهم ، ثم صعد بعد ذلك الى أعلى المنصة ، حيث أفسح له الآن مكانا فوقها ، وفي أحد اركان المنصة ، بسورها الخشبي - وكانت المنصة كلها تبدو أشبه ما تكون بسطح منبسط لبرج صغير - كان يجلس أحد السادة ، وذراعا مفرودتان أمامه فوق السور ، ووشاح هريص من الحرير يتدلى على صدره بميل ، وعليه هذه الكتابة : « قائد فرقة التجنيد العاشرة ، لمسرح أو كلاهوما » ، وكان فوق المنصة تليفون ، قد وضع لاشك للاستعمال في اثناء مباريات سباق الخيل ، ولكنه يستخدم الآن فيما يبدو ، لابلاغ المعلومات الهامة التي تتعلق بمختلف المتقدمين الى شغل الوظائف ، الى القائد قبل ان يقدموا اليه ، لانه لم يبدأ بتوجيه الاسئلة الى كارل ، بل قال لسيد كان يجلس بجواره ، وسباقاه معقودتان ، وذقنسه بين يديه : « الزنجي ، تلميذ بالمدارس الاوروبية المتوسطة ! » ، وكأنما لم

يكن امامه أي شيء آخر يمكن ان يقوله ، بعد ذلك لكارل ، الذي انحنى له انحناء شديدة ، وتطلع القائد الى أسفل الدرج ليرى ان كان ثمة قادم آخر ، ولما لم يجد أي قادم آخر ، اصاح السمع الى الحديث الذي دار بين السيد الآخر وبين كارل ، لكنه ظل صامتا طوال الجزء الاغلب من ذلك الحديث ، وراح يتطلع الى حلبة السباق ، وهو يربت بأصابعه فوق السور ، وقد جذبت هذه الاصابع الرقيقة ، الطويلة ، القوية ، انتباه كارل من حين لآخر ، مع انه كان قد اعار كل انتباهه بالفعل الى السيد الآخر .

وكان هذا قد بدا حديثه الى كارل متسائلا : « هل كنت قد فصلت من عملك ؟ ! » ، كان السؤال ككل الاسئلة الاخرى التي وجهت الى كارل ، بسيطة ، ومباشرة ، ولم يكن هذا السيد يراجع كارل في اجاباته ، ولم يحاول استدراجه الى شيء بسؤال غير مباشر مطلقا ، الا ان الطريقة التي كان يدير بها عينيه بينما كان يوجه الى كارل اسئلته ، او الطريقة التي ينحني بها الى الامام لكي يرى اثر تلك الاسئلة ، وطريقته كذلك في خفض رأسه فوق صدره في اثناء استماعه الى الاجابات ، وترديده احيانا لهذه الاجابات بصوت مرتفع ، وتمعنه في اسئلته بصورة لها مغزاها الذي قد لا يدركه المرء ، لكنه لا يرتاح رغم ذلك الى الارتياح فيها . ولقد احس كارل عددا من المرات بشيء كان يدفعه الى ان يتراجع في اجابته بعد ان يكون قد ادلى بها ، وان يجيب باجابة أخرى ، لعلها تجد قبولا أكثر ، الا انه تمكن دائما من ان يضبط نفسه ، فلم يفعل ذلك ، لانه كان يعلم أي انطباع سيء قد يعكسه مثل هذا التذبذب ، كما لم يمكنه في الحقيقة ان يدرك اثر أغلب اجاباته . وبالإضافة الى ذلك فان قبوله في هذه الوظيفة ، بدا وكأنه قد تقرر بالفعل ، وقد شجعه ادراكه لهذه الحقيقة .

وقد اجاب ببساطة عن السؤال الذي وجه اليه ، عما اذا كان قد فصل من عمله ؟ قائلا : « نعم ! » . ثم سأل السيد ثانية : « أين كنت تعمل اخيرا ؟ ! » . وهم كارل بالاجابة ، عندما رفع السيد أصبعه السبابة ، وكرر قائلا : « اخيرا ! » .

ولما كان كارل قد فهم السؤال جيدا ، فقد هز رأسه رغبما منه ، لكي يتحاشى الملاحظة الاضافية المزعجة ، واجاب قائلا : « في احد المكاتب » . كانت هذه هي الحقيقة ، لكن ، لو ان ذلك السيد طلب منه

تحديدا اكثر عما يتعلق بنوع ذلك المكتوب ، فقد كان سيكذب عليه عندئذ بلا شك . ومع ذلك ، فلم تبد ثمة ضرورة لمثل هذا الطلب ، لان السيد وجه سؤالاً ، كان من السهل تماما الاجابة عليه ، اجابة صادقة : « هل كنت راضيا في عملك ذاك ؟ ! » .

فصاح كارل قائلا في انفعال : « لا ! » ، حتى قبل ان ينتهي السؤال ومن طرف عينه ، كان يمكنه ان يلاحظ ان القائد كان يتسم في وهن ، واسف لشدة انفعاله ، الا ان السؤال كان مضربا للقاية ، حتى لقد اندفع قائلا : « لا ! » ، دون ان يدري ، ذلك انه كان يحلم طوال الفترة الماضية من خدمته ، بصاحب عمل قد يلتقى به ، ويوجه اليه هذا السؤال نفسه . الا ان هذا النفي كان من الممكن ان يشير امامه مشكلة اخرى ، لو ان السيد واصل سؤاله ، طالبا منه ان يوضح له ، لماذا لم يكن راضيا في عمله ذاك ؟ الا ان ذلك السيد تساءل بدلا من ذلك قائلا : « ما هو نوع العمل الذي تشمر بانه يناسبك ؟ ! » ، من الممكن ان يخفى مثل هذا السؤال فخا حقيقيا ، فلماذا يوجه اليه سؤال كهذا ، اذا كان قد قبل بالفعل كممثل ؟ ومع انه قد احس بصعوبة الاجابة على هذا السؤال ، فانه لم يستطع ان يقول انه يشمر بان مهنة التمثيل ، على وجه الخصوص ، هي المهنة التي تناسبه ، وعلى هذا فقد تهرب من الاجابة على هذا السؤال ، وقال مجازفا بانه قد يبدو ممتمنا عن الاجابة : « لقد قرأت اللافتة في المدينة ، ولما كانت تقول بان في امكانكم ان توفرنا عملا لكل شخص ، فقد جئت الى هنا ! » .

قال السيد : « نحن نعلم هذا ! » ، موضحا بصمته المتعمد انه لا يزال ينتظر اجابة سؤاله .

فقال كارل في تردد (لسكى يتيح للسيد ان يلاحظ انه قد وجد نفسه في ورطة) : « لقد قبلت كممثل ! » .

قال السيد : « هكذا اذن ! » ، ثم لجأ ثانية الى الصمت . فقال كارل : « لا ! » ، وابتدأت كل آماله في الحصول على وظيفة تهتز : « لست ادري ، ما اذا كنت استطيع ان اكون ممثلا ، الا اننى سابدل كل جهدي ، وسأحاول ان انفذ التعليمات التي توجه الي ! » .

واستدار السيد الى القائد ، واطرق كلاهما ، وبدا لكارل انه قد اجاب الاجابة الصحيحة ، لهذا فقد تشجع ثانية ، وانتصب في وقفته ، في انتظار السؤال التالي ، وكان كما يلي :

— ما الذى كنت تريد ان تدرسه اساسا ؟ !
ولكى يحدد السؤال فى دقة اكثر — ويبدو ان هذا السيد كان
يلقى اهمية كبيرة على دقة السؤال — اضاف قائلا : « اعنى فى
أوروبا ! » ، وهو يبعد يده عن ذقنه ، فى الوقت نفسه ، ويلوح
بها ، كما لو كان ليعين كم هى نائية أوروبا تلك ، ومدى عمق اية
خطة قد تكون وضعت هناك .

وقال كارل : « كنت اريد ان اصبح مهندسا ميكانيكيا ! » ،
لقد التصقت هذه الاجابة فى حلقه ، كان مسخيفا منه وهو يعلم
جيدا نوع الحياة التى عاشها فى امريكا ، ان يحيا حلم اليقظة
القديم ، برغبته فى ان يكون مهندسا ميكانيكيا ، فهل أمكنه ان يصبح
مهندسا ميكانيكيا ، حتى فى وطنه ، أوروبا ؟ — الا انه لم يدر
بأى جواب آخر يمكنه ان يجيب ، وعلى هذا فقد أدلى بهذا الجواب ! «

الا ان السيد قد تقبل هذه الاجابة فى جدية ، فقد كان يأخذ كل
شئ مأخذ الجد ، وقال : « حسنا ، لا يمكنك ان تتحول الى
مهندس ، فجأة ! لكن ربما يناسبك الآن ان تضطلع بنوع من العمل
الميكانيكى البسيط ! » .

قال كارل : « بلا شك ! » ، كان راضيا تماما ، حقا لو انه
قبل هذا العرض ، فسيتحول من مهنة التمثيل الى الوضع الذى
يقبل منه على نحو ما ، وهو وضع العامل الفنى ، لكنه كان مقتنعا
بالفعل من انه سيتمكن من ان يكون صادقا مع نفسه ، بقبوله
تلك الوظيفة الميكانيكية ، وبالإضافة الى ذلك ، فقد ظل يقول
لنفسه ، ان الامر ليس هو نوع العمل ، بقدر ما هو ضرورة ، ان
يؤكد المرء وجوده فى مكان ما ، بصرف النظر عن العمل الذى يؤديه
وتساءل السيد قائلا : « هل انت قوى البنية بدرجة كافية
للعمل الجسمانى ؟ ! » .

فقال كارل : « أوه .. نعم ! »

وعند ذلك أمر السيد كارل بأن يقترب منه ، وتحسس ذراعه .
ثم قال عندئذ : « انه فتى قوى » وهو يجذب كارل من ذراعه
نحو القائد ، واطرق القائد مبتسما ، وهو يمد يده لكارل ، دون
أن يغير وضعه المتكاسل ، وقال : « اذن ، فقد تم اقرار هذا كله ،
وفى أو كلاهما سننظر فى هذا الامر ثانية . فاعلم بانك قد شرفت
جماعتنا المجندة ! » .

وانحنى كارل ، واستدار أيضا ، ليقول وداعا للسيد الآخر ، الا

انه كان قد نهض ، وراح يتمشى ذهابا وجيئة ، فوق المنصة ، كما لو كانت اعباءه كلها قد انزاحت الآن عن كاهله ، وكان يتطلع نحو السماء ، وعندما هبط كارل الدرجات ، كانت لوحة الاعلانات الى جواره ، تبدو فوقها هذه الكلمات : « الزنجى ، عامل فنى ! » . ولما كان كل شيء يسير هنا بمثل هذا النظام ، فقد احس كلرل بأنه لن يهتم لو رأى اسمه الحقيقي فوق تلك اللوحة ، لقد كانت هيئة المسرح ، هيئة دقيقة النظام بالفعل الى حد لا يكاد يصدق ، فعند اقدام الدرج وجد كارل مساعدا ينتظره ، وثبت حول ذراعه شريطا ، وعندما مد كارل ذراعه ليرى ما كتب فوق هذا الشريط ، وجد عليه فى خط واضح هذه الكلمات : « عامل فنى ! »

لكن مهما كان المكان الذى سيوجهونه اليه الآن ، فيجب عليه أولا ان يبلغ فانى بما آلت اليه الامور . وسمع لأسفه الشديد أن الملائكة والشياطين كانوا قد رحلوا الآن الى المدينة المجاورة ، مع فرق التجنيد المتجولة ، ولكى يقوموا بدور الطلائع المتقدمة لوصول الفريق بأكمله فى اليوم التالى . قال كارل : « يا للأسف ! » وكانت هذه هى أول خيبة أمل يصاب بها فى هذه المهنة : « ان لى صديقة بين الملائكة ! »

قال المساعد : « سوف تراها ثانية فى أو كلاهوما ، لكن هيا الآن ، فانك الاخير ! » .

واقتراد كارل بطول الجانب الداخلى للرصيف ، الذى كانت الملائكة يقفن فوقه ، ولم يكن هناك سوى القواعد الخالية . وقد ثبت الآن توهم كارل بأن النفخ فى الابواق لو كان قد توقف ، لكان كثير من الناس قد تقدموا طالبين الانضمام الى المسرح ، ذلك ان احدا لم يكن يقف الآن امام الرصيف ، فقط بضعة اطفال قلائل يتماركون مع بعضهم البعض ، وريشة بيضاء كانت قد طارت بلا شك من جناح احدى الملائكة ، وكان صبى يمسكها فى الهواء الى اعلى ، بينما كان باقى الاطفال يحاولون انزال ذراعه التى كانت تمسك بتلك الريشة الى اسفل ، على حين كانوا يمدون ايديهم الاخرى الى الريشة وصرف كارل الاطفال بعيدا ، الا أن المساعد ، قال له دون أن ينظر ناحيته : « هيا ، اسرع ، لقد مطلب قبورك وقتا طويلا ، واظن انهم لم يكونوا واثقين منك ! » .

قال كارل فى دهشة : « لست أدري ! » ، الا انه لم يصدق ذلك مطلقا ، ومهما كانت الظروف ، فلا بد من وجود شخص يحاول

أن يسىء أنى زملائه ، لكن نظرا للبشاشة التى بدت بها المنصة
 الرئيسية التى كانا يقتربان الآن منها ، سرعان ما نسى كارل ملاحظة
 المساعد . فقد كان يوجد فوق تلك المنصة مائدة طويلة عريضة ،
 قد غطيت بقماش أبيض ، وكان كل من قبلوا يجلسون الى تلك
 المائدة ، بظهورهم الى حلبة السباق ، يأكلون . كانوا سعداء جميعا ،
 وفي غاية التأثر ، وعندما وصل كارل أخيرا ، واتخذ مكانه في
 هدوء ، نهض عدد منهم ، وبايديهم الكؤوس التى رفعوها الى
 أعلى ، وشرب أخذهم نخب قائد فرقة التجنيد المباشرة ، الذى
 دعاه باسم « أبو العاطلين جميعا ! » ، وقال شخص آخر ، ان
 القائد يمكن رؤيته من هنا ، وبالفعل كانت منصة التحكيم واضحة
 على مسافة ليست بالغة البعد ، وفوقها السيدان ، ورفع الجميع
 كؤوسهم الآن في ذلك الاتجاه ، وتناول كارل أيضا الكأس الموضوعة
 امامه ، وهتفوا بأعلى أصواتهم ، الا انهم لم يفلحوا في لفت أنظار
 من كانا يجلسان فوق منصة التحكيم ، فلم يكن ثمة ما يدل على
 انهما قد لاحظا شيئا من هذا الحماس ، ولا كانت هناك على الأقل
 أدنى رغبة في ملاحظته ، واضطجع القائد جالسا في ركنه كما كان
 يجلس من قبل ، ووقف السيد الآخر الى جواره ، وهو يضع ذقنه
 على راحة يده ، وتبدو عليه خيبة الامل الى حد ما ، وجلسوا
 جميعهم ثانية ، وكان يستدير شخص هنا ، أو شخص هناك نحو
 منصة التحكيم ، الا انهم سرعان ما انهمكوا في تناول الطعام الوفير ،
 وكانت طيور ضخمة ، لم ير كارل مثلها من قبل ، تحمل الى
 المائدة ، وقد انفرست في لحمها المحمر ، بشوك عديدة ، وكان
 المساعدون لا يتوقفون عن ملء الكؤوس بالنبيذ - ويصعب عليك
 ان تلاحظ ذلك ، فبينما تكون مشغولا تماما بطبقك ، تجد النبيذ
 يتدفق فجأة ببساطة في كأسك - وهؤلاء الذين لم يكونوا يرغبون
 في المشاركة في الحديث ، كان في امكانهم ان يتفرجوا على صبور
 من مسرح أو كلاهما كانت توجد في كومة عند طرف المائدة ، وكانت
 بعض الصور تنتقل من يد الى أخرى ، الا ان القلائل هم الذين
 اهتموا بهذه الصور ، وهكذا لم تصل منها سوى واحدة فقط الى
 يد كارل الذى كان يجلس في آخر الصف ، ورأى كارل عندما بلفته
 تلك الصورة ان باقى الصور كانت جديرة هي أيضا بالرؤية ، كانت
 هذه الصورة توضح الشرفة المخصصة في المسرح لرئيس الولايات
 المتحدة ، وربما ظن المرء عند النظرة الاولى اليها ، انها لم تكن

مجرد شرفة ، بل المسرح نفسه ، وكان سور الشرفة يمتد الى مسافة كبيرة ، وكان مصنوعا من الذهب حتى ادق تفاصيله ، وبين أعمدته الرشيقة ، التي نحتت في رقة ، وكأنما بمقص بارع ، كانت الاوسمة المهداة من الرؤساء السابقين ، تصطف الى جانب بعضها البعض ، وكانت لاحدى الحليات أنف يمتد بصورة ملحوظة وشفتان وعين مغطاة بجفن كامل مستدير ، وتنظر الى أسفل ، وكانت أشعة الضوء تسقط على الشرفة من كل الجهات ، ومن السقف ، وكانت المقدمة غارقة كلها في الضوء ، وأرضيتها بيضاء ناعمة ، بينما تبدو الخلوة الى الخلف كمفارة ممتدة متوهجة ، تغطيها الستائر الدمشقية الحمراء التي تهدل في طيات مختلفة من السقف الى الأرض ، وتنمقد طياتها بالحبال . ولم يكن في استطاعة المرء أن يتخيل وجود بشر في تلك الشرفة ، بصورتها تلك الملكية ، ولم يكن كارل قد انصرف تماما عن تناول طعامه ، لكنه كان قد وضع تلك الصورة ، بجانب طبقه ، وراح يتطلع اليها ، وكان يسره أن يتطلع الى صورة على الأقل من الصور الأخرى ، لكنه لم يكن يرغب في النهوض لكي يلتقط أحداها بنفسه ، فقد كان ثمة مساعد يضع يده فوق تلك الكومة من الصور ، ويبدو انه كان يحاول أن يحافظ على عدم اضطراب تسلسل ترتيبها ، وعلى هذا فقد رفع كارل عنقه فقط ، لكي يتطلع عبر المائدة ، محاولا أن يرى ان كانت ثمة صورة أخرى تتداولها الأيدي ! ولدهشته العظمى - ولقد بدا له ذلك شيئا لا يمكن تصديقه في البداية - تعرف وسط هؤلاء الذين كانوا يميلون فوق أطباقهم ، باستفراق ، على وجه يعرفه جيدا ، جياكومو ، فنهض في الحال ، وأسرع نحوه صائحا : « جياكومو ! » ، ونهض جياكومو من على مقعده ، خجلا كمادته ، عندما يفاجأ بشيء ، وأستدار حول نفسه في المساحة الضيقة بين المقاعد ، ومسح فمه بيده ، وتهلل جدا لرؤية كارل ، واقترح على كارل ان يأتى لكي يجلس الى جواره ، أو يغير هو مكانه بدلا من ذلك ، وكان لديهما الكثير ليخبرا به أحدهما الآخر ، وعليهما لهذا ان يلتصقا ببعضهما طوال الوقت ، ولما لم يكن كارل يريد أن يزج الآخرين ، فقد قال انه من الأفضل لهما أن يحتفظا بمكانيهما الحاليين الآن ، فسرعان ما تنتهى الوجبة ، وبعد ذلك بالطبع ، سيلتصقان ببعضهما . الا ان كارل قد تمهل دقيقة او دقيقتين ، لمجرد ان يتطلع الى جياكومو ، كم من ذكريات الماضي قد طرات على ذاكرته ! ما الذى حدث

للمديرة ؟ وماذا تفعل تيريز ؟ لم يكن قد طرا على جياكومو نفسه تفسير يكاد يذكر ، ولم تتحقق نبوءة المديرة ، بأنه سوف يتحول في خلال ستة شهور الى رجل امريكى ناضج ، فقد كان رقيق المظهر كما كان من قبل ، وكانت وجنتاه بارزتين كما كانتا ، على الرغم من انتفاخهما الآن بقطعة كبيرة من اللحم ، كان يستخرج منها المظم ببطء ، ليضعه في طبقه . وكما استطاع كارل ان يرى من رباط ذراعه لم يكن قد قبل كمثله هو ايضا ، لكن كصبي مصعد ، ويبدو ان مسرح او كلاهوما ، كان لديه بالفعل مكان لكل شخص ! الا ان استغراق كارل في التطلع الى جياكومو ، كان قد ابعده طويلا عن مقعده ، وعندما فكر في العودة الى مكانه ، كان مدير المستخدمين قد وصل لحظتها ، وصعد فوق احد المقاعد ، وصدق يديه ، والقى كلمة قصيرة ، بينما نهض اغلب الموجودين على اقدامهم ، أما هؤلاء الذين ظلوا فوق مقاعدهم ، غير راغبين في ترك طعامهم ، فقد ظل الآخرون يلكزونهم حتى اضطروا هم ايضا الى النهوض .

قال مدير المستخدمين : « ارجو . . » ورجع كارل في تلك الانثناء الى مكانه على اطراف أصابعه : « ان تكونوا قد رضيتم عن استقبالنا لكم ، وان يكون قد اعجبكم ما قدمناه لكم من الطعام ، ان الفرقة المجندة ، ينبغي لها دائما ان يكون لها مطعمها الجيد ، وآسف لاننا يجب ان نخلي المائدة الآن ، لان القطار الراحل الى او كلاهوما ، سيتحرك في خلال خمس دقائق ، وانها لرحلة طويلة ، اعلم هذا ، الا انه سيوجد من يعنى بشئونكم في خلالها ، عناية تامة ، واسمحوا لى الآن بان اقدم لكم السادة الذين سيشفرون على اجراءات انتقالكم ، والذين نرجو ان تلتزموا بتنفيذ تعليماتهم »

وصعد رجل قصير نحيل الى اعلى المقعد ، بجوار رئيس المستخدمين ، وما كاد يجد الوقت لكى ينحنى انحناءة سريعة ، حتى شرع يلوح بدرايمه في عصبية لكى يوجههم الى كيفية تنظيم انفسهم ، وتحركهم نحو المحطة . الا انهم قد تجاهلوه في بداية الامر ، فقد خبط الرجل الذى كان قدلقى خطبته في بداية تناسول الوجبة ، المائدة بيده ، وبدأ في توجيه الشكر في خطبة طويلة ، مع انه كان يعلم - ولم يكن كارل مرتاحا لتلك الخطبة - بان القطار سيتحرك في خلال خمس دقائق ، بل ان لا مبالة مدير المستخدمين الواضحة لم توقفه ايضا عن اتمام خطبته ، وكان مدير المستخدمين يلقى ببعض التعليمات الى الموظف المسئول عن الانتقال ، بينما كان

ذلك الشخص قد اقام خطبته على تمجيد الاخلاق العالية التي يتحلى بها موظفو مسرح او كلاهما ، وعلى وصف الاطباق التي قدمت على المائدة ، ثم راح يطلق احكامه على كل شخص اتفق له ان التقى به ، ثم انتهى الى هذا التصريح ، مشيرا الى الاطباق : « ايها السادة ، هذا هو الطريق الى قلوبنا ! » ، وضحك الجميع فيما عدا السيد الذي كان الحديث قد وجه اليه اساسا ، ولقد كان في هذا التقرير ، كثير من الحقيقة ، بجانب ما كان يتضمنه في الوقت نفسه من الهزل .

وقد ترتب على تلك الخطبة نوع من العقاب ، فقد كان على الجميع ان يقطعوا الآن الطريق الى المحطة جريا ، وان لم يكن ثمة صعوبة في هذا - كما لاحظ كارل الآن فقط - لان احدا لم يكن يحمل اية امتعة ، وكان الشيء الوحيد الذي كان يمكن تسميته بالامتعة هو عربة الطفل ، التي دفعها الاب امامه في مقدمة الراكب ، والتي كانت ترتفع مهتزة الى اعلى والى اسفل بعنف ، كما لو لم تكن هناك يد تضغط عليها . يا لهم من اشخاص معدمون ، بأنسون اجتماعا هنا معا ، ثم باى طيبة استقبلوا هنا ، ووجدوا شيئا من العناية ! ولا بد ان الموظف المشرف على الرحلة ، كان قد اوصى برعايتهم كحبة عينه ، فقد اخذ الآن دوره في دفع عربة الطفل ، ملوحا باحدى يديه لكي يستحث الراكب على الاسراع ، وكان يستعجل الشاردين في مؤخرة الموكب ، ويتجول بين الصفوف وهو يرعى من يعجزون عن الجرى السريع ، محاولا ان يوضح لهم بذراعيه اللتين كان يلوح بهما طوال الوقت ، كيف يمكنهم ان يسرعوا في الجرى بسهولة .

وعندما بلفوا المحطة كان القطار يتأهب للرحيل ، و اشار الناس في المحطة لبعضهم البعض الى هؤلاء القادمين ، وكان المرء يسمع صيحات التمتع ، من قبيل : « هل ينتمى كل هؤلاء الى مسرح او كلاهما ! » ، ويبدو ان المسرح كان معروفا اكثر مما كان يتصور كارل ، فهو لم يكن يهتم اهتماما كبيرا بشئون المسارح ، وكانت عربة كاملة قد تم حجزها لهم ، وبدل المشرف على الرحلة جهدا يفوق الجهد الذي بذله حارس القطار في ادخالهم الى تلك العربة ، ولم يجلس ذلك المشرف على مقعده قبل ان يفتش على كل ديوان ، ويقوم ببعض الترتيبات اللازمة ، وتصادف ان جلس كارل على مقعد يجاور النافذة ، وجلس جياكومو الى جواره .

وهكذا جلسا ملتصقين ببعضهما البعض ، متهللين من أعماق قلوبهما للرحلة ، تلك الرحلة المجهولة الى أمريكا التي لا يعرفان عنها شيئا على الإطلاق .

وعندما بدأ القطار في التحرك ، خارجا من المحطة ، لوحا بأيديهما من النافذة ، وقد تسلى الشبان الذين كانوا يجلسون قبالتهم بهذا المنظر ، ولكزوا بعضهم بعضا ، وضحكوا .

واستمرت الرحلة يومين وليلتين ، وأدرك كارل الآن فقط كم كانت أمريكا واسعة ، وتطلع بلا ملل من خلال النافذة ، وحرص جياكومو على التثبيت بمكانه الى جوار كارل ، حتى ضساق به الآخرون الذين كانوا يشاركونهما نفس الديوان ، عندما أرادوا أن يلعبوا الورق ، وتنازلوا له طوعا عن المقعد الآخر المجاور للنافذة ، وشكرهم كارل - فقد كان من الصعب فهم انجليزية جياكومو - وبمرور الوقت ، كما يحدث دائما بين رفاق السفر ، أصبحوا جميعا أكثر ودا مع بعضهم البعض ، على الرغم من أن هذا الود كان أحيانا عبارة عن مجرد ضوضاء وأزعاج ، فكلما كانوا ينحنون ، مثلا ، لالتقاط ورقة انزلت الى أرضية الديوان ، لم يكن يمكنهم أن يقاوموا رغبتهم في أن يقرصوا ساق كارل أو جياكومو بصورة مؤلمة ، وكان جياكومو يصرخ دائما في دهشة متجددة ، كلما حدث ذلك ، ويرفع ساقيه الى أعلى ، وحاول كارل في إحدى المرات أن يرفسهم ردا على ذلك ، إلا أنه قاسى بقية الوقت في صمت . وكان كل شيء يحدث في ذلك الديوان الصغير ، كان يتلاشى أمام عظمة المناظر التي كانت تبدو من خلال النافذة .

وقد انطلق بهم القطار في اليوم الأول عبر سلسلة مرتفعة من الجبال ، وكتل ضخمة من الصخور الزرقاء الضاربة الى السواد ، كانت تنحدر انحدارا يكاد يكون عموديا على الخط الحديدي ، وحتى لو مد المرء عنقه من خلال النافذة ، فلم يكن يمكنه أن يرى قممها ، ووديان ، ضيقة ، كثيبة ، غير ممهدة ، كانت تمتد في أحيان أخرى ، حاول أحدهم أن يتتبع بأصبعه ، الاتجاه الذي كانت تنتهى عنده ، وتتلاشى ، وكانت تظهر كذلك انهار عريضة جبلية ، تندفع في أمواج هائلة الى أعماق سفوح التلال ، وعلى سطحها تطفو آلاف من أمواج الزبد ، كانت تفوح تحت القناطر ، التي كان القطار يندفع فوقها ، وقد كانت تلك الأمواج قريبة غاية القرب منهما ، حتى أن الرذاذ البارد الذي كان يتناثر منها كان يصفع وجهيهما .

تعقيب

لم يكن مخطوط فرانز كافكا يحمل عنوانا ، وكان قد اعتاد في أحاديثه أن يشير الى هذه الرواية ، على انها (روايته الامريكية) ، الا انه اطلق عليها ببساطة فيما بعد (العطشجي) ، وهو عنوان الفصل الاول الذى نشر منفصلا عام ١٩١٣ . وكان كافكا يكتب هذه الرواية في سعادة لا حد لها ، في الامسيات ، ثم بعد ذلك كانت تستفرقه الكتابة فيها حتى اوقات متأخرة من الليل .

ولم تكن صفحات المخطوط تحتوى ، مما يشير الدهشة ، إلا على القليل جدا من التصحيحات ، او الحذف ، وكان كافكا يدرك تماما ، أن هذه الرواية كانت اكثر كتاباته جميعا ، تفاؤلا ، وأبسطها من حيث التركيب والمزاج الذى كتبت به ، وقد تحدث الى الكثيرين حول هذه الحقيقة .

وربما كان لى أن أقول في هذا الصدد أن فرانز كافكا ، كان مغرما بقراءة كتب الرحلات ، والمذكرات ، وأن سيرة حياة فرانكلين ، كانت أحد كتبه المفضلة ، وكان يحب أن يقرأ منه بعض المقطوعات في صوت مرتفع ، وأنه كان يحن دائما الى المساحات الشاسعة ، والبلاد النائية ، وهو لم يرحل بالفعل الى أبعد من فرنسا ، وإيطاليا ، ولهذا فان براءة خياله ، تضيف على هذه الرواية التى تصور مغامرة (كارل روسمان فى أمريكا) لونها الغريب .

وقد انقطع كافكا فجأة عن مواصلة كتابة هذه الرواية ، فظلت ناقصة . وقد عرفت مما ذكره لى أن الفصل الناقص عن (مسرح أو كلاهما الطليمي) ، وهو فصل كانت بدايته بصفة خاصة تمتع كافكا ، حتى لقد اعتاد على أن يقرأه بصوت مرتفع فى تأثر بالغ . . . كان كافكا ينوى أن يجعله خاتمة للرواية ، وكان سينتهى بنوع من التوافق الشاعرى الحزين مع الحياة .

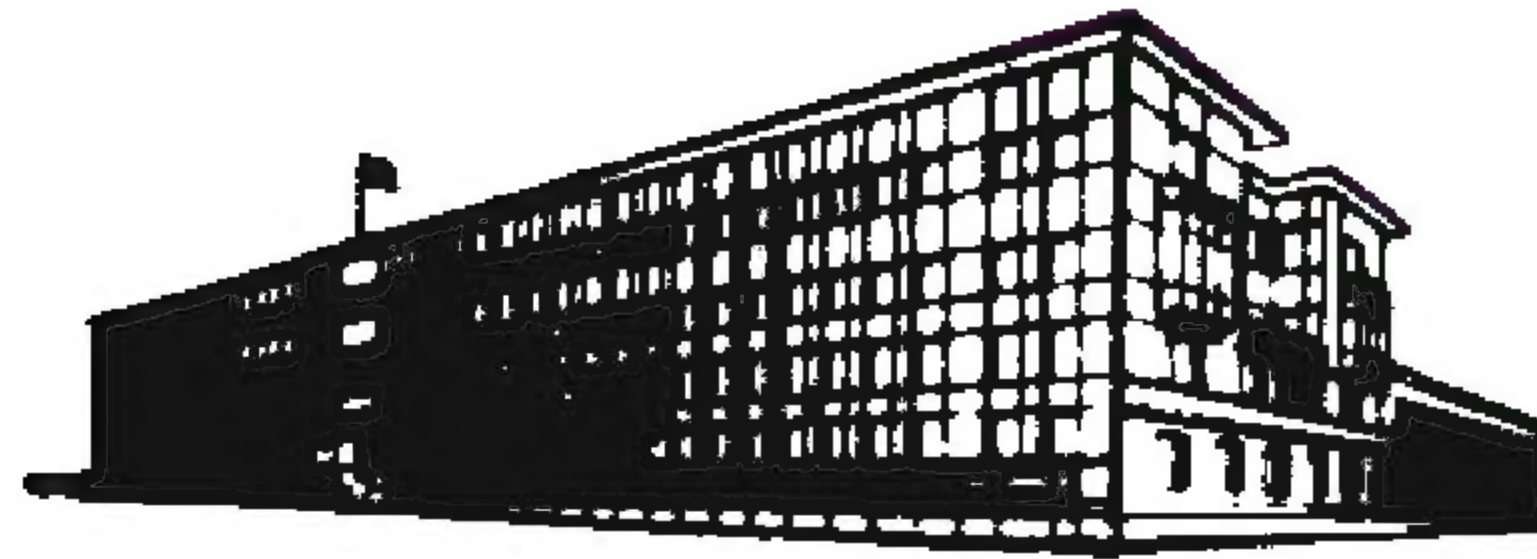
وقد اعتاد كافكا أن يشير فى غموض الى انه فى اطار ذلك المسرح (الذى لا حدود له) ، كان بطله الصغير سيجد مرة أخرى وظيفة ، وسندا ، وسيجد حرته ، وبيته ، ووالديه ، كأنما بشيء من السحر العلوى .

وان الاجزاء التى تسبق مباشرة هذا الفصل الختامى من الرواية
(نهاية الفصل السابع) هى أيضا ناقصة .
وتوجد قطعتان كبيرتان تتعرضان لخدمة كارل فى شقة برونيلا ،
الا انهما لا تصلان السياق.. وقد كانت الفصول الستة الاولى هى
نقط الفصول التى قسمها كافكا ، ووضع عناوينها بنفسه .

ماكس برود

**** معرفتي ****

me3refaty.blogspot.com



الطبعة : مؤسسة دار الهلال - القاهرة

طبعة خاصة بمكتبة الأسرة ٢٠٠٧

